RAĞIP P.
Ka. Nu.
67

[illegible]

انوار التنزيل

للقاضي البيضاوي

٦٨٠

سوره بقره ٤	سوره آل عمران ٧٣	سوره النسا ٩٤
سوره المائده ١١٨	سوره الانعام ١٣٥	سوره الاعراف ١٥١
سوره الانفال ١٦٩	سوره التوبه ١٧٨	سوره یونس ١٩٣
سوره هود ٢٠٣	سوره یوسف ٢١٥	سوره الرعد ٢٢٥
سوره ابرهیم ٢٣٠	سوره الحجر ٢٣٦	سوره النحل ٢٤١
سوره بنی اسرائیل ٢٥٢	سوره الکهف ٢٦٢	سوره مریم ٢٧٢
سوره طه ٢٧٩	سوره الانبیا ٢٨٨	سوره الحج ٢٩٥
سوره المؤمنین ٣٠٢	سوره النور ٣٠٨	سوره الفرقان ٣١٧
سوره الشعراء ٣٢٥	سوره النمل ٣٣١	سوره القصص ٣٣٨
سوره العنکبوت ٣٤٤	سوره الروم ٣٤٩	سوره لقمن ٣٥٣
سوره السجده ٣٥٦	سوره الاحزاب ٣٥٨	سوره سبا ٣٦٥
سوره الملائکه ٣٦٩	سوره یس ٣٧٣	سوره الصافات ٣٧٨
سوره ص ٣٨٤	سوره الزمر ٣٨٩	سوره الطول ٣٩٥
سوره السجده ٤٠٠	سوره الشوری ٤٠٤	سوره الزخرف ٤٠٨
سوره الدخان ٤١٢	سوره الجاثیه ٤١٤	سوره الاحقاف ٤١٦
سوره محمد ٤١٩	سوره الفتح ٤٢١	سوره الحجرات ٤٢٤

سوره ق ٤٢٧	سوره الذاریات ٤٢٩	سوره الطور ٤٣١	
سوره النجم ٤٣٣	سوره القمر ٤٣٥	سوره الرحمن ٤٣٧	
سوره الواقعه ٤٣٩	سوره الحدید ٤٤١	سوره المجادله ٤٤٤	
سوره الحشر ٤٤٦	سوره الممتحنه ٤٤٨	سوره الصف ٤٤٩	
سوره الجمعه ٤٥٠	سوره المنافقین ٤٥١	سوره التغابن ٤٥٢	
سوره الطلاق ٤٥٣	سوره التحریم ٤٥٤	سوره الملک ٤٥٥	
سوره القلم ٤٥٦	سوره الحاقه ٤٥٨	سوره المعارج ٤٦٠	
سوره نوح ٤٦١	سوره الجن ٤٦٢	سوره المزمل ٤٦٣	
سوره المدثر ٤٦٥	سوره القیمه ٤٦٦	سوره الانسان ٤٦٨	
سوره المرسلات ٤٦٩	سوره النبأ ٤٧٠	سوره الطامه ٤٧٢	
سوره عبس ٤٧٣	سوره کورت ٤٧٤	سوره انفطرت ٤٧٥	
سوره المطففین ٤٧٥	سوره انشقت ٤٧٦	سوره البروج ٤٧٦	
سوره الطارق ٤٧٦	سوره الاعلی ٤٧٨	سوره الغاشیه ٤٧٨	سوره الفجر ٤٧٩
سوره البلد ٤٨٠	سوره والشمس ٤٨٠	سوره واللیل ٤٨١	سوره والضحی ٤٨١
سوره الانشراح ٤٨٢	سوره والتین ٤٨٢	سوره القلم ٤٨٢	سوره القدر ٤٨٣
سوره البینه ٤٨٣	سوره الزلزله ٤٨٤	سوره والعادیات ٤٨٤	سوره القارعه ٤٨٤

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KÜTÜPHANESİ
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 53

RAĞIP P.
Ka. Nu.
67

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وكفى عبده ١١٧٥

٦٨

نمره
٦٨

MİLLİ EĞİTİM BA
RAGIP P
MÜDÜRLÜ
Sayı:

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا • فتحدى بأقصر سورة
من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا • وأفحم من تصدى لمعارضته
من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيرا • ثم بين للناس ما نزل
إليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب تذكيرا • فكشف
قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب • وأخر متشابهات هن رموز الخطاب
تأويلا وتفسيرا • وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك
والملكوت • وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا • ومهد لهم قواعد الأحكام
وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا • فمن كان
له قلب • أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع إليه رأسه
وأطفأ نبراسه • يعش ذميما ويصلى سعيرا • فيا واجب الوجود • ويا فائض الجود • ويا غاية
كل مقصود • صل عليه صلاة توازي غناءه • وتجازي عناءه • وعلى من أعانه • وقرر تبيانه
تقريرا • وأفض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا
تسليما كثيرا • وبعد • فإن أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي
هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها لا يليق لتعاطيه •
والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق
في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف
في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم •
من السلف الصالحين • وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي
من أفاضل المتأخرين • وأماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المعزية إلى الأئمة
الثمانية المشهورين • والشواذ المروية عن القراء المعتبرين إلا أن قصور بضاعتي يثبطني
عن الإقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم
عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته ناويا أن أسميه بعد أن أتممه
بأنوار التنزيل وأسرار التأويل فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه أقول •
وهو الموفق لكل خير ومعطي كل سؤل • سورة فاتحة الكتاب • وتسمى أم القرآن
لأنها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساسا أو لأنها تشتمل
على ما فيه من الثناء على الله والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده

أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق
المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء وسورة الكنز والوافية
والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها
والصلوة لوجوب قراءتها أو استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه السلام
هي شفاء كل داء والسبع المثاني لأنها سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من عد
التسمية آية دون أنعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة أو الإنزال إن صح
أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح
أنها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي • بسم الله الرحمن
الرحيم • من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي
وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والأوزاعي رحمهم الله
ولم ينص أبو حنيفة فيه بشيء فظن أنها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن
عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا أحاديث كثيرة منها ما روى أبو هريرة
أنه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم
وقول أم سلمة قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين آية ومن أجلها اختلف في أنها آية برأسها أم بما بعدها والإجماع
على أن ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على إثباتها في المصاحف مع المبالغة
في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين • والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ
لأن الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك أولى
من أن يضمر أبدأ لعدم ما يطابقه وما يدل عليه أو ابتدائي لزيادة إضمار فيه وتقديم
المعمول ههنا أوقع كما في قوله بسم الله مجريها وقوله إياك نعبد لأنه أهم وأدل
على الاختصاص وأدخل في التعظيم وأوفق للوجود فإن اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف
وقد جعل آلة لها من حيث إن الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه
لقوله عليه السلام كل أمر ذي بال لم يبدأ باسم الله فهو أبتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى
متبركا باسم الله أقرأ وهذا وما بعده مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك
باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وإنما كسرت ومن حق الحروف المفردة أن تفتح
لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الأمر ولام الإضافة داخلة على المظهر
للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الأسماء التي حذفت أعجازها لكثرة
الاستعمال وبنيت أوائلها على السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لأن من دأبهم
أن يبتدؤوا بالمتحرك • ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على أسماء وأسامي وسمي
وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال • والله أسماك سمى مباركا • آثرك الله به إيثاركا
والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لأنه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين

واصله سمو حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد
داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه
والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف
باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك
وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى تبارك اسم ربك
المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة
لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر لبيد • الى الحول
ثم اسم السلام عليكما • وان اريد به الصفة كما هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم
انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره
وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين
اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء
عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك
قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب
على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله
واستأله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته او من ألهت الى فلان اي
سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع
من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه
او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من
وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة
عليها استثقال الضمة في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على الهة دون
اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب
عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر
كحلفة من ابي رباح • يسمعها لاهه الكبار • وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به
ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان
وصفا لم يكن قوله لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والحق
انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره فصار كالعلم مثل الثريا
والصعق اجري مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق
احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول
للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد
ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون
احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول

الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام
عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به
الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر • الا لا بارك الله في سهيل
اذا ما الله بارك في الرجال • الرحمن الرحيم • اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب
والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه
الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال
دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل
على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية
وتارة باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة
لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم
الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي
الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به
غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان
من عداه فهو مستفيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيح رقة الجنسية
او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة
على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع
الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم
واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة
على رؤوس الآي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث
على فعلى او فعلانة الحاقا له بما الغالب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف
ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها
وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق
ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره • الحمد لله • الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري
من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول
حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال
افادتكم النعماء مني ثلاثة • يدي ولساني والضمير المحجبا • فهو اعم منهما من وجه واخص من وجه آخر
ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب
الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه قال عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله
من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله
النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون
تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها

والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو وقيل للاستغراق
اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة
فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه
وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة
كلمة واحدة رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا
فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب
كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى
الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به
الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب
لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم
فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين
وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عنى به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم
من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع
كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال الله تعالى وفي انفسكم
افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي
دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها
فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك
يوم الدين قراه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس
لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرا الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين
ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان
المملوكة كيف يشاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك
وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك
بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب
ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان
دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع
كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى
اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة
لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص
اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف
على الله تعالى من كونه موجدا لهم ربا للعالمين منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها
عاجلها واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد

وذكر [illegible] حافظ الملك [illegible] ... [illegible]

لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الوصف على الحكم يشعر بعليته له
وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا
عن ان يعبد فيكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد
والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب
بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص
فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين اياك نعبد
واياك نستعين ثم لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات
وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة
ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود
وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادي
حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في الائه والاستدلال بصنائعه
على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير
من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين
دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى اخر
تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود واياضمير
منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة
لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها
واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه
وقيل هي الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا
لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى
غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة
ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او
غير ضرورية والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول الة ومادة
يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل
وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل
الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات
كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة
الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم

لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به
والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم
في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة
لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق
فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه
حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك
فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي
ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة
ليتوافق رؤوس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة
واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه
فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب الا بمعونة منه وتوفيق
وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم
يكسرون حرف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها ● اهدنا الصراط المستقيم بيان
للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة
بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية
وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معه
معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها
عد كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول
افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس
الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح
والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر وقال واما ثمود
فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب
واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي
اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي والالهام
والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه
فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا
وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان
لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام
اذا ابتلعه فكأنه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين

صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب
الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون
بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير
والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام ● صراط الذين
انعمت عليهم ● بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة
وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه
وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم
ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام
قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل
الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله تعالى
وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي
والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه
من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له
من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة
وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر
ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين والمراد
هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن
والكافر ● غير المغضوب عليهم ولا الضالين ● بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين
سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان
وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد التأويلين اجراء الموصول مجرى
النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى باللام في قوله ● ولقد امر على اللئيم يسبني ● وقولهم اني لامر
على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم
فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت
او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام
فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه نائب
مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتأكيد ما في غير من معنى النفي فكأنه قال لا المغضوب
عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب
وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي
عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم
اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا
من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون

الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له
من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى
في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق
الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين
آمين اسم للفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنه سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين
وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال أمين فزاد الله ما بيننا بعدا
وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام علمني جبريل آمين
عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه
آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي
عن وائل بن حجر انه عم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن
ابي حنيفة رحمه الله انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس
والمأموم يؤمن معه لقوله عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة
تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية
والانجيل والقرآن مثلها قال بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن
العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة
لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم
ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين
فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة

وهي مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم الم
وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها
في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه
صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله
فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف
فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله
سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون
تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها
وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة
له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة

معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها افتتحت السور
بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه
كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما
يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف
مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة
كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه
وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد فيها
الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف
انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه
نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعها لن يقطع امر
ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة
عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي
المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل
لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي تتصعد الصوت بها
في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء
نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه
واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين
وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء في صراط وزراط
والفاء في جدف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت
ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم
في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء
والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاء والواو نصفها الاقل
ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والراء والسين
والنون واللام لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا يدغم فيما يقاربها
ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاء والشين والفاء نصفها ولما كانت الحروف
الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء
والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد
لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها
تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة
بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به
مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى خمسة وذكر

ثلاث مفردات في ثلاث سور لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف
واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم
بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه
ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة
من جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة في ثلاث عشرة سورة تنبيها على ان
اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين
تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم
تعد باجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة
فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء
السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا
من الله لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان
الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا
وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها
على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة
العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى
بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان يكون مزيدة للتنبيه والدلالة
على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت
عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف لا تحسبي انا نسينا الايجاف كما روي
عن ابن عباس انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون
مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه
ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القرآن منزل من الله بلسان
جبريل على محمد عليهما السلام او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية
متمسكا بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا
كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ
فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه
الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات
كالمشكاة والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها
بسائط اسماء الله ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس
في لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويودي الى اتحاد الاسم
والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول

لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف
يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها
ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس رضي الله عنه
فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى
انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص
لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فيلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا
من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها
والتسمية بثلاثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما
اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر
وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو
مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق
واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد
فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب
والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص
يا حم عسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام
من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد
ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انها سر استاثره الله تعالى
بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم ما يقرب منه
ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد
الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان لها حظ من الاعراب
اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره
كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة
لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله
وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء
او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن
وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف
التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتداة والمفردات المعدودة ويوقف عليها
وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين
واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وطس ويس وحم آية وحم عسق آيتان
والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك
اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القرآن فانه لما تكلم

وتقضى ووصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذى هو هو او الى الكتاب فتكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ونحوه او فى الكتب المتقدمة وهو مصدر سمى به المفعول للمبالغة او فعال بنى للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح فى كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا فى معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفى والريب فى الاصل مصدر رابنى الشىء اذا حصل فيك الريبة وهى قلق النفس واضطرابها سمى به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفى الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى فى الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال الله تعالى لعلى هدى او فى ضلال مبين ولانه لا يقال مهدى الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به المنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس ولانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله فى تدبر الايات والنظر فى المعجزات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه فى كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين المراد منه والمتقى اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو فى عرف الشرع اسم لمن يقى نفسه عما يضره فى الاخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله تعالى واتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى للمتقين على الاوجه الثلاثة واعلم ان الاية يحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدا على انه اسم القران او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص

الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل فى تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب فى المشهورة مبنى لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفى قراءة ابى الشعثاء مرفوع بلا التى بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم فى قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفى الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما فى لا ضير فلذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدا والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذى يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدى ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله اذ لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدا رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله وتستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفى كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففى الاولى الحذف والرمز الى المقصود وفى الثانية فخامة التعريف وفى الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفى الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغى مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصى غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقامة الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهار لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعنى او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان فى اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق

آمن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق
بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين
حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد
عليه السلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار
والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق
ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن
الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه
وتعالى اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان
ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه
بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم
القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغير فانه اقرب
الى الاصل وهو متعين الارادة في الآية اذ المعدى بالباء هو التصديق فاتفقوا ثم اختلف
في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود او لا بد من انضمام الاقرار
للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع
ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة
في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمى المطمئن من الارض والخمصة التي تلي الكلية
غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان
قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تع وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه
دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في الآية هذا اذا جعلته صلة
للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان
بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا
لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن
لما روي ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب
ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث
للآلة ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في
افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت
واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا
قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت
كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر
واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها

عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود
والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق
بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة كالخشوع
والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق
المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون والصلوة
فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص
بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده
واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه
وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم
ينفقون الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف
خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله ان
يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام
الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق
فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله
قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد
للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة
وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله
طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو
لم يكن رزقا لم يكن المغتذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت ما
يوافقه في الفاء والعين دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذه الانفاق صرف
المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه وخصصه
بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤوس الآي وادخال
من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون
التي منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز
لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون والذين
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة
المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء
مقابلوهم وكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنه
او على المتقين فكأنه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل ان

ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم
وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم
فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه
من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول
تنبيها على تباين السبيلين وتغاير القبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب
ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة اشادة بذكرهم وترغيبا لامثالهم
والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة
لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا
او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول فيلقيه عليه والمراد بما انزل اليك القرآن
باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود
على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب حينئذ منزلا كله وبما انزل من قبلك سائر
الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا
متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش
وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا
من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في ان نعيم
الجنة هل هو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون
على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا
صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به
العلم القديم ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى
تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه
ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الى مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود اولئك على هدى
من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له وكانه لما قيل
هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات
والا فاستئناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل
قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم
حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة
وهو ابلغ من ان يستأنف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان
ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل
تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم

في قولهم امتطى الجهل وغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر
وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه
اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة
بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت
النون في الراء بغنة وبغير غنة واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها
على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف
في تمييزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك
كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد
فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة
خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا
التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف
المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة
او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تأمل كيف نبه
سبحانه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى وبناء الكلام على اسم
الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم
والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة
في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال
الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة
عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة
المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم
على قصة المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض
فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم
وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على
الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك
اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه
وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب
فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان
وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك
يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك ويسألونك عن ذي القرنين
قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض قال موسى يا فرعون اني رسول من

من رب العالمين قال المبرد وقولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله القائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول عليه السلام لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم • سواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل هاهنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ أانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحرك لا يقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسط الف بينهما محققتين وموسطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها • لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء

عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات • ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة • تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم

لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك
من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك
الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة
وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد
السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير
مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق
مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الاية العضو لانه
اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة
كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد
لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه
وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير
وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم
بغشاوة وبالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة
وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة • ولهم عذاب عظيم • وعيد
وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول عذب عن الشيء ونكل عنه
اذا امسك ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع
فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما
وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم
نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف
به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الاية ان على
ابصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الايات ولهم من الالام العظام
نوع لا يعلم كنهه الا الله • ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر •
لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطات
فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة راس
ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء
ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم
وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم
عن اخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي
فحذفت الهمزة حذفها في لوقه وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما
وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت

لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او انس لانهم
ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة
اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون وقيل للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن
موصولة مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا
في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يابى دخولهم
تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها وتخصيصهم
الايمان بالله واليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم
احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم
مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله
واليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم
وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق
وعقيدتهم وعقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي
تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد
ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللراي والمذهب مجازا والمراد
وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتاخره عن الاوقات المنقضية
باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
لانه آخر الاوقات المحدودة • وما هم بمؤمنين • انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا
اثباته وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا
ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم
في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء
ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والاية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه
بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن
مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة عليهم • يخادعون الله والذين
آمنوا • الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم
خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج
من باب اخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق
والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم
لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول
معاملة الله تعالى من حيث انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر و
صنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده تعالى اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل
وصنيعهم

من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم
الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون
لانه بيان ليقول او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة
فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه فاعله كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة
معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك
ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام
والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك
من الاغراض والمقاصد • وما يخادعون الا انفسهم • قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو
والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم
لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى
عليه خافية • وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين
وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يتخدعون ويخدعون ويخادعون على البناء
للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس
الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه
وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد
بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم • وما يشعرون • لا يحسون بذلك
لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا
على مؤوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار
في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا • المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال
الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل
وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى
زوال الحيوة الحقيقية الابدية والآية تحتملهما لان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات
عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء شأنه يوما فيوما فزاد الله
غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد
ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف
وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه
مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد
بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم
بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء
وتبسطا في البلاد • ولهم عذاب اليم • اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف
العذاب به للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده • بما كانوا

ووصف العذاب به اي بالوجيع مجاز كما في عذاب اليم اذ الاليم والوجيع حقيقة هو المعذب والمضروب وظاهر كلام المصنف انه من قبيل الاسناد
الى المصدر مثل جد جده لكن الحق انه ليس من قبيل الفعل المسند [illegible] فمن ههنا قد يتكلف فيقال
العذاب هو الالم [illegible]
[illegible]

يكذبون • قرأها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او بدله جزاء لهم وهو قولهم
آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا
الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم
او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد
والكذب هو الخبر عن الشيء بخلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب
حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه
الكذب في صورته سمي به • واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض • عطف على يكذبون او يقول
وما روي عن سلمان ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهلها ليس الذين
كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها
والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان
من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار
اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي
والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل
بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين • قالوا انما نحن مصلحون
جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا
ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده
مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح
لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا • الا انهم هم المفسدون ولكن
لا يشعرون • رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التأكيد الا المنبهة على
تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره
أليس ذلك بقادر ولذلك لا يكاد يقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها
اما التي هي من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم
انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون • واذا قيل لهم آمنوا
من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله
لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا • كما آمن الناس • في حيز النصب
على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون
في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل
لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان
ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس
والزمان زمان • او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام
واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم

ولفظة ما في كما ان كانت كافة للكاف عن العمل مصححة
دخولها على الجملة كان التشبيه بين مضمون الجملتين اي
حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم وان كانت مصدرية كان المعنى
آمنوا ايمانا ثابتا لايمانهم

واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان وان لم يفد التقييد
قالوا انؤمن كما آمن السفهاء • الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس
بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم او لتحقير شأنهم
فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن
آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما
نقصان العقل والحلم يقابله • الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون • رد ومبالغة في
تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف
المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي
قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز
بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك
بادنى تفطن وتأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم • واذا لقوا الذين آمنوا قالوا
آمنا • بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان
مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة
فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق
سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله
ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه
وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته
اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى • واذا
خلوا الى شياطينهم • من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم
اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي
بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون
كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه
نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن
واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل او من اسمائه الباطل • قالوا انا معكم •
اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة
بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا
عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع
رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار
انما نحن مستهزءون • تأكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه
او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف فكأن الشياطين قالوا

لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان
فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت
واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه
وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف • الله يستهزئ بهم • يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء
الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له
في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان
الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء
احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان
واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه
سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به
ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم
لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء
يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال اولا
يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين • ويمدهم في طغيانهم يعمهون • من مد الجيش
وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد
لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملي له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما
تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم
بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا
وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا
اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا
يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين
اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي او كان اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم في اعمارهم كي
يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله
واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان
بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العصيان والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه
قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه
وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه • اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى • اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان
فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء
والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان
من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان

ومنه أخذت بالجمة رأساً أزعرا • وبالثنايا الواضحات الدردرا • وبالطويل العمر عمراً جيدرا
كما اشترى المسلم إذ تنصرا • ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعاً في غيره والمعنى أنهم أخلوا
بالهدى الذي جعله الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا
إليها أو اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى • فما ربحت تجارتهم • ترشيح للمجاز لما
استعمل الاشتراء في معاملتهم أتبعه ما يشاكله تمثيلاً لخسارهم ونحوه • ولما رأيت النسر عز ابن داية
وعشش في وكريه جاش له صدري • والتجارة طلب الربح بالبيع والشرى والربح الفضل على رأس
المال ولذلك سمي شفاً وإسناده إلى التجارة وهو لأربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل
أو لمشابهتها إياه من حيث إنها سبب الربح والخسران • وما كانوا مهتدين •
لطرق التجارة فإن المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين
لأن رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات
بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به إلى درك الحق
ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للأصل • مثلهم كمثل الذي
استوقد ناراً • لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فإنه أوقع
في القلب وأقمع للخصم الألد لأنه يريك المتخيل محققاً والمعقول محسوساً ولأمر ما أكثر الله في كتبه
الأمثال وفشت في كلام الأنبياء والحكماء والمثل في الأصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل
كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب إلا ما فيه غرابة
ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال أو صفة لها شأن وفيها غرابة مثل
قوله مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الأعلى والمعنى حالهم العجيبة الشأن
كحال من استوقد ناراً والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا إن جعل
مرجع الضمير في بنورهم وإنما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم مقام القائمين لأنه غير مقصود
بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة إلى وصف المعرفة بها ولأنه ليس باسم تام بل هو
كالجزء منه فحقه أن لا يجمع كما لا يجمع أخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه
المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء أبداً على اللغة الفصيحة
التي عليها التنزيل ولكونه مستطالاً بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه
ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين أو قصد به جنس المستوقدين أو
الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع
لهبها واشتقاق النار من نار ينور نوراً إذا نفر لأن فيها حركة واضطراباً • فلما أضاءت
ما حوله • أي النار ما حول المستوقد إن جعلتها متعدية وإلا أمكن أن تكون مسندة إلى ما
والتأنيث لأن ما حوله أشياء وأماكن أو إلى ضمير النار وما موصولة في معنى الأمكنة
نصب على الظرف أو مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول
لأنه يدور • ذهب الله بنورهم • جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى

وعلى هذا إنما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لأنه المراد من إيقادها أو استئناف أجيب به اعتراض
سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره أو بدل من جملة التمثيل على
سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به
للإيجاز وأمن الإلباس وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى إما لأن الكل بفعله أو لأن الإطفاء
حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر أو للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة
لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله إذا أخذه وما أخذه الله
وأمسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ إلى النور فإنه لو قيل ذهب الله
بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نوراً والغرض إزالة النور عنهم رأساً
ألا ترى كيف قرر ذلك وأكد بقوله • وتركهم في ظلمات لا يبصرون • فذكر الظلمة
التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بأنها ظلمة خالصة لا يتراءى
فيها شبحان وترك في الأصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى أفعال
القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر • فتركته جزر السباع ينشنه • والظلمة
مأخوذة من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم
ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين
أيديهم وبأيمانهم أو ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد أو ظلمة شديدة
كأنها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكأن الفعل غير متعد والآية
مثل ضربه الله لمن آتاه ضرباً من الهدى فأضاعه ولم يتوصل به إلى نعيم الأبد فبقي متحيراً متحسراً
تقريراً وتوضيحاً لما تضمنته الآية الأولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فإنهم أضاعوا
ما نطقت به ألسنتهم من الحق باستبطان الكفر وإظهاره حين خلوا إلى شياطينهم ومن آثر
الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة أو ارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له أحوال الإرادة
فادعى أحوال المحبة فأذهب الله عنه ما أشرق عليه من أنوار الإرادة أو مثل لإيمانهم من حيث
إنه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الأموال والأولاد ومشاركة المسلمين في المغانم
والأحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب أثره وانطماس نوره بإهلاكهم وإفشاء
حالهم بإطفاء الله تعالى إياها وإذهاب نورها • صم بكم عمي • لما سدوا مسامعهم عن الإصاخة
إلى الحق وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم ويتبصروا الآيات بأبصارهم جعلوا كأنما أيفت
مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله • صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به • وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا
أصم عن الشيء الذي لا أريده • وأسمع خلق الله حين أريد • وإطلاقها عليهم على طريقة التمثيل
لا الاستعارة إذ من شرطها أن يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه
لولا القرينة كقول زهير • لدى أسد شاكي السلاح مقذف • له لبد أظفاره لم تقلم
ومن ثمة ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحاً كما قال أبو تمام • ويصعد حتى يظن الجهول
بأن له حاجة في السماء • وههنا وإن طوي ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به ونظيره

اشد على ذوي الحروب لغاية ● فتى استفر من صغير الصغار ● هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين
على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا
نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت
قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء
ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة وسمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون
باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى
عدم البصر عما من شأنه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة ● فهم لا يرجعون ● لا يعودون
الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون
ايتقدمون ام يتأخرون والى حيث ابتدءوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم
بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم ● او كصيب من السماء ● عطف على الذي استوقد
اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها
فاطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما
او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب
ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت
مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول ويقال للمطر وللسحاب
قال الشماخ ● واسحم دان صادق الرعد صيب ● وفي الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر
شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها
يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة
من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية ● فيه
ظلمات ورعد وبرق ● ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة
غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان
اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد
على موصوف ● والرعد صوت يسمع من السحاب ● والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب
واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد ● والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء
بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا ● يجعلون اصابعهم في آذانهم
الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز
ان يعول عليه كما عول حسان في قوله ● يسقون من ورد البريص عليهم ● بردى يصفق
بالرحيق السلسل ● حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكأنه لما ذكر
ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق
الاصابع موضع الانامل للمبالغة ● من الصواعق ● متعلق بيجعلون اي من اجلها
يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت

الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال
صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس
بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف فيقال صقع الديك وخطيب مصقع
وصقعته الصاقعة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية
او مصدر كالعافية والكاذبة ● حذر الموت ● نصب على العلة كقوله ● واغفر عوراء
الكريم ادخاره ● والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحياة
ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة ● والله محيط بالكافرين ●
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها
● يكاد البرق يخطف ابصارهم ● استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول ما حالهم مع
تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه
لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه وهي خبر محض ولذلك جاءت
متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود
وغيرت لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد يدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها
بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف
بكسر الطاء ويخطّف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطّف
بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف ● كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا
اظلم عليهم قاموا ● استئناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته
فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم
بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم لانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد
له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمة اجليا ظلاميهما عن
وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل
ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على
المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه
قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ● ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ●
اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما
فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر
الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها
الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء اللازم
وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة
هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان
تأثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئته تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع

بقدرته تعالى وقوله • إن الله على كل شيء قدير • كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص
بالموجود لأنه في الأصل مصدر شاء أطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى
كما قال تعالى قل أي شيء أكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء أخرى أي مشيء وجوده وما شاء الله
وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى إن الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء
فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح أن يوجد وهو يعم الواجب والممكن
أو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع أيضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل
والقدرة هو التمكن من إيجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الإنسان هيئة بها
يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن شاء
لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق
القدرة من القدر لأن القادر يوقع الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه
دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وأن مقدور العبد مقدور الله
لأنه شيء وكل شيء مقدور والظاهر أن التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو أن تشبه
كيفية منتزعة من مجموع تضامت أجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا بأخرى مثلها
كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فإن تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم
من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة
والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة أو بحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة
مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد
وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها كقوله تعالى وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات
ولا النور ولا الظل ولا الحرور • وقول امرئ القيس • كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي • بأن يشبه في الأول ذوات المنافقين بالمستوقدين
وإظهارهم الإيمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الأموال والأولاد
وغير ذلك بإضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب بإهلاكهم
وإفشاء حالهم وإبقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد بإطفاء نارهم والذهاب
بنورهم وفي الثاني أنفسهم بأصحاب الصيب وإيمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه
ظلمات ورعد وبرق من حيث إنه وإن كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة
عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة
بجعل الأصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث إنه لا يرد من قدر الله شيئا
ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الأمر وجهلهم بما يأتون ويذرون بأنهم
كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف أن يخطف أبصارهم فخطوا خطى يسيرة
ثم إذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الإيمان والقرآن وسائر ما
أوتي الإنسان من المعارف التي هي سبب الحياة الأبدية بالصيب الذي به حياة الأرض وما

وما ارتبكت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات
وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما
يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنه عنها مع أنه لا خلاص
لهم منها وهو معنى قوله تعالى والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه
أو رفد يطمح إليه أبصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الأمر
حين تعرض لهم شبهة أو تعن لهم مصيبة بتوقفهم إذا أظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وأبصارهم على أنه تعالى جعل لهم السمع والأبصار ليتوسلوا بها إلى الهدى
والفلاح ثم إنهم صرفوها إلى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله
لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فإنه على ما يشاء قدير • يا أيها الناس اعبدوا ربكم •
لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم أقبل عليهم بالخطاب على سبيل
الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا لكلفة العبادة
بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد
إما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد أو لغفلته وسوء فهمه
أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لأنه نائب مناب
فعل وأي جعل وصلة إلى نداء المعرف باللام فإن إدخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف
فإنهما كمثلين وأعطي حكم المنادى وأجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه
إشعارا بأنه المقصود وأقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه أي من المضاف إليه
وإنما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد وكل ما نادى الله
له عباده من حيث إنها أمور عظام من حقها أن يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها وأكثرهم عنها
غافلون حقيق بأن ينادى له بالآكد الأبلغ والجموع وأسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث
لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون
واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا
ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت
إلى قيام الساعة إلا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس
فمكي ويا أيها الذين آمنوا فمدني إن صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا أمرهم بالعبادة
فإن المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب
من الكفار هو الشروع فيها بعد الإتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والإقرار بالصانع فإن
لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم إلا به وكما أن الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر
لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم
وثباتهم عليها وإنما قال ربكم تنبيها على أن الموجب للعبادة هي الربوبية • الذي خلقكم
صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح إن خص الخطاب بالمشركين وأريد

بالرب أعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها أربابا والخلق إيجاد الشيء على تقدير
واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس • والذين
من قبلكم • متناول لكل ما يتقدم الإنسان بالذات أو الزمان معطوف على الضمير
المنصوب في خلقكم والجملة أخرجت مخرج المقرر عندهم إما لاعترافهم به كما قال ولئن
سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله أو لتمكنهم من العلم به بأدنى نظر وقرئ
من قبلكم على إقحام الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيدا كما أقحم جرير في قوله
يا تيم تيم عدي لا أبا لكم • تيما الثاني بين الأول وما أضيف إليه • لعلكم تتقون •
حال من الضمير في اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين
الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على أن التقوى منتهى درجات
السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله إلى الله وأن العابد ينبغي أن لا يغتر بعبادته
ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه
أو من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى أنه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى
لترجح أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعي إليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى
على إرادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق أي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والإنس إلا
ليعبدون وهو ضعيف إذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على أن الطريق إلى معرفة الله تعالى
والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بأفعاله وأن العبد
لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فإنها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كأخذ
الأجر قبل العمل • الذي جعل لكم الأرض فراشا • صفة ثانية أو مدح منصوب
أو مرفوع أو مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الأفعال العامة يجيء على ثلاثة أوجه بمعنى صار وطفق
فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الأكوار مرتعها قريب وبمعنى أوجد فيتعدى
إلى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى إلى مفعولين كقوله
جعل لكم الأرض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول أو بالعقد أخرى ومعنى جعلها
فراشا أن جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الإحاطة بها وصيرها متوسطة
بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لأن يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط
وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لأن كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى
الافتراش عليها • والسماء بناء • قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد
والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان أو قبة
أو خباء ومنه بنى على امرأته لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا • وأنزل
من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم • عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة
الله تعالى ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في إخراجها ومادة لها كالنطفة
للحيوان بأن أجرى عادته بإفاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما أو أبدع

وإذا كان من للتبعيض كان من الثمرات مفعولا به أي بعض الثمرات وحقيقته شيئا من الثمرات لأنه من حرف لا اسم وكان رزقا
مستعملا في معنى المصدر واقعا موقع المفعول له ولكم مفعول رزقا أي أخرج بعض الثمرات لأجل أن يرزقكم ويحتمل أن يكون
من للبيان والأمر المبهم المحتاج إلى البيان هو رزقا على أنه بمعنى المرزوق مفعولا به لأخرج ولكم صفة له ومن الثمرات حال منه أي أخرج
مرزوقا لكم من الثمرات وجمع لا يكون الثمرات على الاستغراق بل المراد الجمع الكثير منها سعدى

في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع الثمار وهو قادر على
أن يوجد الأشياء كلها بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب والمواد لكن
له في إنشائها مدرجا من حال إلى حال صنائع وحكما يجدد فيها لأولي الأبصار عبرا وسكونا
إلى عظيم قدرته ليس في إيجادها دفعة ومن الأولى للابتداء سواء أريد بالسماء السحاب
فإن ما علاك سماء أو الفلك فإن المطر يبتدئ من السماء إلى السحاب ومنه إلى الأرض
على ما دلت عليه الظواهر أو من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة من أعماق الأرض
إلى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فأخرجنا به ثمرات واكتناف
المنكرين له أعني ماء ورزقا كأنه قال أنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون
بعض رزقكم وهكذا الواقع إذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر كل الثمار ولا
جعل كل المرزوق ثمارا أو للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق • كقولك أنفقت من الدراهم
ألفا وإنما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لأنه أراد بالثمر جماعة الثمرة التي في قولك
أدركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من الثمرة على التوحيد أو لأن الجموع يتعاور بعضها موقع
بعض كقوله كم تركوا من جنات وقوله ثلاثة قروء أو لأنها لما كانت محلاة باللام خرجت
عن حد القلة ولكم صفة رزقا إن أريد به المرزوق ومفعول له إن أريد به المصدر كأنه قال
رزقا إياكم • فلا تجعلوا لله أندادا • متعلق باعبدوا على أنه نهي معطوف عليه أو نفي
منصوب بإضمار أن جواب له أو بلعل على أن نصب تجعلوا نصب فأطلع في قوله تعالى لعلي أبلغ الأسباب
أسباب السموات فأطلع إلحاقا لها بالأشياء الستة لاشتراكها في أنها غير موجبة والمعنى
إن تتقوا لا تجعلوا له أندادا أو بالذي جعل إن استأنفت به على أنه نهي وقع خبرا على تأويل مقول فيه
لا تجعلوا والفاء للسببية أدخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام
والآيات العظام ينبغي أن لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير أتيما تجعلون إلي ندا
وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا إذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف
المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله
أندادا وما زعموا أنها تساويه في ذاته وصفاته ولا أنها تخالفه في أفعاله لأنهم لما تركوا
عبادته إلى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة الذات
قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بأن
جعلوا أندادا لمن يمتنع أن يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل أربا
واحدا أم ألف رب • أدين إذا تقسمت الأمور • تركت اللات والعزى جميعا • كذلك يفعل
الرجل البصير • وأنتم تعلمون • حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح أي
وحالكم أنكم من أهل العلم والنظر وإصابة الرأي فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم إلى إثبات
موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات أو منوي وهو
أنها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء

وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وخالق ما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره وشهدت على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل النظرية والعملية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا

وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عليه السلام وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارضة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما يرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك عنه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حفظها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة

بذت اي غلبت وافحامه عطف على فصاحته وعرف عطف على ذكر ما يريبهم خبر ان في قوله لان نزوله

كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى ادعوا الى المعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان يأتي بمثله الا الله او ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم اي الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انهم

او اجتهدوا في معارضته وعجزوا جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به
وجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي
يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكني عنه
وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان التي للشك
والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك
نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم وخطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل
لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول
ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال
فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف
مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان
وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر
وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا
والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر
ان المراد به الاسم وان اريد المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس
والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا
بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار لمكانتهم ويدل
عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم
كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب
والفضة التي يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب
بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض
تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث يتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت
فان صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت
لسائر النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم
نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب
ان تكون قصة معلومة ● أعدت للكافرين ● هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ
اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير
التي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين دليل النبوة من وجوه
الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد
وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع
كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا الى
جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم

فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين
عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة
مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة
لهم الآن ● وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات ● عطف على الجملة السابقة
والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت
به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف
ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا
لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب
العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء
وانما امر الرسول عم او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم
بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنؤوا
بما اعد لهم وقرئ على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر
السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هي الخبر الاول
حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو
قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية
بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء
كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال
ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل
على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين
والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح
كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة
عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه وما هو داخل فيه ان لهم بتقدير بان لهم منصوب
بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهي مصدر
جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه
يستر ما تحته سترة واحدة قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي
نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان
فيكون من قبيل اطلاق اسم الحال على المحل وكذا الحال في قوله ثم دار الثواب
وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع
جمعها لتعددها وتنكيرها للتعظيم
جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوى ودار السلام وعليون وفي
كل منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على
استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة

فضله من أن يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده لا على الإطلاق
بل بشرط أن يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن أشركت ليحبطن عملك وأشباه
ذلك ولعله سبحانه لم يقيده هنا استغناء بها ● تجري من تحتها الأنهار ● أي من
تحت أشجارها كما تراها جارية تحت الأشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق أنهار
الجنة تجري في غير أخدود واللام في الأنهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري
أو للعهد والمعهود هي الأنهار المذكورة في قوله تعالى أنهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح
والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد
بها ماؤها على الإضمار أو المجاز أو المجاري أنفسها وإسناد الجري إليها مجاز كما في قوله تعالى
وأخرجت الأرض أثقالها ● كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا
صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة كأنه لما قيل إن لهم جنات وقع في خلد
السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا أو أجناس أخر فأزيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا
مفعول به ومن الأولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وتقدير الكلام ومعناه كل حين
أو مرة رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات
وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الأولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره
المستكن في الحال ويحتمل أن يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت منك أسدا وهذا
إشارة إلى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا إلى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فإنك لا تعني به العين
المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وإن كانت الإشارة إلى عينه ●
فالمعنى هذا مثل الذي رزقنا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك أبو يوسف
أبو حنيفة ● من قبل ● أي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمرة الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس
إليه أول ما ترى فإن الطباع مائلة إلى المألوف متنفرة عن غيره وتتبين لها مزيته وكنه
النعمة فيه إذ لو كان جنسا لم يعهد ظن أنه لا يكون إلا كذلك أو في الجنة لأن طعامها متشابه
الصورة كما حكي عن الحسن أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى
فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف أو لما روي أنه عليه السلام قال والذي
نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة إلى فيه حتى يبدل الله
مكانها مثلها فلعلهم إذا رأوها على الهيئة الأولى قالوا ذلك ● والأول أظهر لمحافظته
على عموم كلما فإنه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم إلى ذلك فرط استغرابهم
وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة ● وأتوا به متشابها
اعتراض يقرر ذلك والضمير على الأول راجع إلى ما رزقوا في الدارين فإنه مدلول عليه بقوله
هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير
وعلى الثاني إلى الرزق فإن قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات

على تقدير الاعتراض في آخر الكلام ولا كذلك ... [illegible]
وقيل حال بتقدير قد ... [illegible]
من الضمير ... بالأرزاق
جنة

الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا الأسماء قلت التشابه
بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في إطلاق
التشابه هذا وإن للآية محملا آخر وهو أن مستلذات أهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا
من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل أن يكون المراد من
هذا الذي رزقنا أنه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون
هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ● ولهم فيها أزواج مطهرة ● مما يستقذر
من النساء ويذم من أحوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فإن التطهير يستعمل
في الأجسام والأخلاق والأفعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء
فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال وإذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت
نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والإفراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء
يعني متطهرة ومطهرة أبلغ من طاهرة ومتطهرة للإشعار بأن مطهرا طهرهن وليس هو إلا الله
عز وجل والزوج يقال للذكر والأنثى وهو في الأصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف
فإن قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع
وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر أحوالها إنما تشارك نظائرها
الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى بأسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل
ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها ● وهم فيها خالدون
دائمون والخلد والخلود في الأصل الثبات المديد دام أو لم يدم ولذلك قيل للأثافي
والأحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الإنسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه
للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله تعالى خالدين فيها أبدا لغوا واستعماله حيث لا دوام
كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا أو مجازا والأصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للأعم منه
فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كإطلاق الجسم على الإنسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من
قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فإن قيل
الأبدان مركبة من أجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية إلى الانفكاك والانحلال
فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت إنه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بأن يجعل
أجزاءها مثلا متفاوتة في الكيف متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على إحالة الآخر متعانقة
متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وإن قياس ذلك العالم
وأحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة ● واعلم أنه لما كان معظم اللذات
الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك
ذلك كله الثبات والدوام فإن كل نعمة جليلة إذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة
غير صافية من شوائب الألم بشر المؤمنين بها ومثل ما أعد لهم في الآخرة بأبهى ما يستلذ به
منها وأزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ● إن الله لا يستحيي

جواب عما يقال إن التطهير حقيقة في التطهير عن النجاسات
وما شبهها في المستقذرات الحسية وتعميمها كما ذكر
جمع بين الحقيقة والمجاز وتقرير الجواب أن شيوع
الاستعمال في القسمين يدل على أنه حقيقة في القدر
المشترك

والمعنى بما في الخلود بالدوام كما هو ظنه أي ظن أن معناه الحقيقي
كما اختاره بعضهم فحقق أن لا معناه الحقيقي حيث قال والخلد إلخ
وعارض دعوى الخصم ثانيا بوجهين الأول بقوله ولو كان وضعه
والثاني قوله واستعماله حيث إلخ وأشار ثالثا إلى الجواب
عن استدلال الخصم بأنه يستعمل في الدوام والأصل في الاستعمال
الحقيقة بقوله بخلاف ما لو وضع إلخ

ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل
عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له
من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما
يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد
فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان
من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت
في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان
الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة
ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة
واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين
واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل
من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب
والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد
من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله
لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض
النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح وعدم
المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه
انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت
نساه وحشاه واذا وصف به الباري كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة
ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد
به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه
اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا شعر اذا ما استحين الماء يعرض نفسه
كرعن بسبت في اناء من الورد وانما عدل عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة
ويحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل
اعماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل
باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة
ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان
او مزيدة للتأكيد كالتي في قوله تع فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن
كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيره فتفيد له
وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول
ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت

وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وعلى هذا يحتمل وجوها اخر ان تكون موصولة
حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها
النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدا كانه لما رد استبعادهم ضرب الله
الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك
ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع
كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل
اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه
والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوضة فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو
الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضرب به مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما
روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل
ما يجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة كقوله عم ما اصاب
المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه
الحق من ربهم اما حرف تفصل ما اجمل وتؤكد ما به صدر وتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب
بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب
لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاء حرف
الشرط فادخلوها الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين
واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق
الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال
الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج واما الذين كفروا
فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه
لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان
عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان تكون ما استفهامية وذا
بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبرها وان تكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء
منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب
على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها
عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين
غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته
لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته
وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله
والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح

قوله شوكة منصوب على المصدرية وليس المراد بها واحد الشوك الذي هو الغصن والا لقيل بشوكة

وهو أعم من الاختيار فالتبس مع التفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلاً نصب
على التمييز أو الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية • يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً •
جواب ماذا أي إضلال كثير وإهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للإشعار بالحدوث
والتجدد أو بيان للجملتين المصدرتين بأمّا وتسجيل بأن العلم بكونه حقاً هدى وبيان
وأن الجهل بوجه إيراده والإنكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين
بالنظر إلى أنفسهم لا بالقياس إلى مقابليهم فإن المهديين قليلون بالإضافة إلى
أهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل أن يكون كثرة الضالين من حيث
العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل إذا عدوا كثير إذا اشتدوا
وقال إن الكرام كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا • وما يضل به إلا الفاسقين
أي الخارجين عن حد الإيمان كقوله إن المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة
عن قشرها إذا خرجت وأصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقاً عن قصدها
جوائراً والفاسق في الشرع الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث
الأولى التغابي وهو أن يرتكبها أحياناً مستقبحاً إياها والثانية الانهماك وهو أن يعتاد
ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو أن يرتكبها مستصوباً إياها فإذا شارف
هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الإيمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي
أو الانهماك فلا يسلب عنه اسم الإيمان لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الإيمان ولقوله
وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الإيمان عبارة عن مجموع التصديق
والإقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسماً ثالثاً نازلاً بين منزلتي المؤمن والكافر
لمشاركته كل واحد منهما في بعض الأحكام وتخصيص الإضلال بهم مرتباً على صفة الفسق يدل على أنه
الذي أعدهم للإضلال وأدى بهم إلى الضلال به وذلك لأن كفرهم وعدولهم عن الحق
وإصرارهم بالباطل صرفت وجوه أفكارهم عن حكمة المثل إلى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم
فازدادت ضلالتهم فأنكروه واستهزؤوا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون
بالرفع • الذين ينقضون عهد الله • صفة للفاسقين للذم وتقرير للفسق والنقض فسخ
التركيب وأصله في طاقات الحبل واستعماله في إبطال العهد من حيث إن العهد يستعار له
الحبل لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر فإن أطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحاً للمجاز
وإن ذكر مع العهد كان رمزاً إلى ما هو من روادفه وهو أن العهد حبل في إثبات الوصلة
بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس فإن فيه تنبيهاً
على أنه أسد في شجاعته بحر بالنظر إلى إفادته والعهد الموثق ووضعه لما من شأنه أن يراعى
ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث إنها تراعى بالرجوع إليها والتاريخ لأنه
يحفظ وهذا العهد إما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده
ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه أول قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم والمأخوذ

قوله العهد الموثق الموثق مصدر ميمي او اسم موضع
فالعهد في اللغة الوثوق او موضعه قطب

والأمر هو القول ان اريد بالأمر المعنى المصدري فالقول ايضا بمعنى المصدر وان اريد الصيغة المخصوصة فالقول بمعنى المقول الطالب للفعل فانه لما وضع لطلب الفعل كأنه كالطالب
وفيه اشارة الى انه غير مختص بالوجوب بل حقيقة في الندب ايضا كما هو المختار ان قيل وقيل مع العلو حقيقة كما ذهب اليه ابو الحسين من المعتزلة وقيل العلو ليس بشرط
بل مع الاستعلاء علا او لا وهو مذهب الجمهور منا ومن المعتزلة حرره

بالرسل على الأمم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه
ولم يكتموا أمره ولم يخالفوا حكمه وإليه أشار بقوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب
ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة عهد أخذه على جميع ذرية آدم بأن يقروا بربوبيته وعهد
أخذه على النبيين بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد أخذه على العلماء بأن يبينوا الحق
ولا يكتموه • من بعد ميثاقه • الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الإحكام
والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب أو ما وثقوه به من الالتزام والقبول
ويحتمل أن يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فإن ابتداء النقض بعد الميثاق • ويقطعون
سواء كان الميثاق اسما او مصدرا
ما أمر الله به أن يوصل • يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والإعراض عن
موالاة المؤمنين والتفرقة بين الأنبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات
المفروضة وسائر ما فيه رفض خير وتعاطي شر فإنه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد
المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والأمر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل
اي بطريق النقل من المعنى المذكور
مع الاستعلاء وبه سمي الأمر الذي هو أحد الأمور تسمية للمفعول به بالمصدر فإنه
مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه إذا قصدت قصده
وأن يوصل يحتمل النصب والخفض على أنه بدل من ما أو ضميره والثاني أحسن لفظاً ومعنى • ويفسدون
في الأرض • بالمنع عن الإيمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم
وصلاحه • أولئك هم الخاسرون • الذين خسروا بإهمال العقل عن النظر واقتناص
ما يفيدهم الحياة الأبدية واستبدال الإنكار والطعن في الآيات بالإيمان بها والنظر
في حقائقها والاقتباس من أنوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب
بالثواب • كيف تكفرون بالله • استخبار فيه إنكار وتعجيب لكفرهم بإنكار الحال التي يقع
عليها على الطريق البرهاني لأن صدوره لا ينفك عن حال وصفة فإذا أنكر أن يكون لكفرهم
حال يوجد عليها استلزم ذلك إنكار وجوده فهو أبلغ وأقوى في إنكار الكفر من أتكفرون
وأوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال
وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية
خلاف ذلك والمعنى أخبروني على أي حال تكفرون • وكنتم أمواتاً • أي أجساماً لا حياة لها
عناصر وأغذية وأخلاطاً ونطفاً ومضغاً مخلقة وغير مخلقة • فأحياكم • بخلق الأرواح
ونفخها فيكم وإنما عطفه بالفاء لأنه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي
ثم يميتكم • عند تقضي آجالكم • ثم يحييكم • بالنشور يوم ينفخ في الصور أو للسؤال في القبور
ثم إليه ترجعون • بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم أو تنشرون إليه من قبوركم للحساب
فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فإن قيل إن علموا أنهم كانوا أمواتاً فأحياهم ثم يميتهم
لم يعلموا أنه يحييهم ثم إليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل
منزلة علمهم في إزاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو أنه تعالى لما

والامر بهذا المعنى واحد الاوامر وقد يطلق على واحد الامور
اطلاقا للمصدر بمعنى المفعول كانه مأمور به من جهة
تشبيه الداعي اليه بالآمر فهو مأمور به بمعنى مدعو اليه
والتشبيه شأنه ان يشبه ليس الامر كونه مصدرا
بمعنى المفعول اذ هو مقصود حقيقة وليس بمأمور به الا
على طريقة التشبيه سعد

٣ احسن لفظا لقربه ومعنى لان المذمة العظمى في قطع ما امر الله
بان يوصل لا في قطع الوصل مطلقا ويحتمل الخفض على انه بيان
لما يحذف من والتقدير يقطعون ما امر الله به من الوصل ولعل هذا
احسن الوجوه حرره

٩ الكيس باستفهام فان الاخفى الفرق بينهما ان الاستخبار يكون
منبها لمعنى طلب وتوبيخ ولا يقتضي جهل المستخبر بخلاف الاستفهام
فيه انكار بمعنى انه كان الواجب ان لا يكون وتعجيب بمعنى
انه يتعجب منه كل عاقل مطلع والا فحقيقة التعجب محال منه تعالى

ص عن حال وصفة لذلك الكفر فيكون اي الحال والصفة لازمة له
فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك
انكار وجوده لاستلزام انكار اللازم انكار الملزوم حرره

ليس بناء على ان الموت عدم الحياة مطلقا لا عما من شأنه
في الطوالع بعدم الحياة عما من شأنه الحياة بل على
بهذا المعنى كنتم كالاموات في عدم الروح والاحساس
ومضغا جمع مضغة وهي قطعة لحم لم تصر العلقة لقرب
من المضغة مع ان القصد ليس الا الاطوار المختلفة
تم تحقيقه

لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادة
او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم
على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم
واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد
الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة
الحقيقية كما قال تع وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدد
عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحد
من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة
لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا
فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم
اليه ترجعون فينبئكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة
في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها
من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث
انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله عز وجل
قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال ومن
كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها
صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك
على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن • هو الذي خلق لكم
ما في الارض جميعا • بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين
مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم
وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او غير وسط وفي دينكم بالاستدلال
والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض
فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو
يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه
يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا
اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني • ثم استوى
الى السماء • قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا
مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال
لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى
استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول
اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية

فان الاستواء بمعنى الاستيلاء والتملك يقتضي سبق وجود المستولى عليه
والاية يقتضي تاخر وجوده فينافيان

العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض
كقوله ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تع والارض
بعد ذلك دحيها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء
وتسويتها الا ان تستانف بدحيها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أانتم اشد خلقا
مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر • فسويهن • عدلهن وخلقهن
مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا
فمبهم يفسره ما بعده كقوله ربه رجلا • سبع سموات • بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب
الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزائد
مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف • وهو بكل شيء عليم • فيه تعليل كانه
قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع
واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان
الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة
لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها
كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد
منها كما كان ونظيره قوله تع وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات
وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة
واشار الى البرهان عليها بقوله تع وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق
والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان يزول
ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى
وجه اثباتهما بانه تع قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على
اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى
فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت
حكمته وقد سكن الهاء نافع وابو عمرو والكسائي لما في نحو فهو وهو تشبيها له بعضد • واذ قال
ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة • تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق
آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع
لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة وقع فيه اخرى ولذلك
يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل
والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما
قوله تع واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف
الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه
جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل

وهو ظرف لمحذوف اذ قال ربك اي التقدير اذكر الحادث وقت قال ربك واما في
اذكر اخا عاد واذكر عبدنا فالتقدير اذكر اخا عاد والحادث وقت كذا

وبدا خلقكم او قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه
مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل جمع شمأل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب
من مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم
رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة
قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انهم اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال
مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي
النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة
للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق
والتنزه عن الاشتغال بغيره تع كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا
يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على
ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول
له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه
في محاربة الجن فانه تع اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند
من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال اني جاعل في الارض خليفة معمول لاني
وهما في الارض خليفة عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال معتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون
بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به
آدم م لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الارض
وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تع الى من ينوبه بل لقصور
المستخلف عليه عن قبول فيضه تع وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال
تع ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت
قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل الله اليهم الملائكة ومن كان منهم
اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى م في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد
جعل الباري بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك او خليفة
من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا
وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم
مضر وهاشم او على تاويل من يخلفكم او خلفا يخلف وفائدة قوله تع هذا للملائكة تعليم المشاورة
وتعظيم شأن المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار
فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد
ما يغلب خيره شره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك

غير ذلك ● قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ● تعجب من ان يستخلف
لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية
واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار
عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض
على الله تع ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تع
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار
من الله او تلق من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم
او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب
فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن
في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع
الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم ● ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك ● حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق
المحتاج والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار
عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم
علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به
الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا
ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه
واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد
وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطاوعة للعقل متمرنة على الخير
كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه
الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات
من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تع اجمالا بقوله
قال اني اعلم ما لا تعلمون ● والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس
من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس
اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي متلبسين بحمدك
على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم
بقولهم ونحن نسبح ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد
المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير
النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة ● وعلم آدم الاسماء كلها ●
اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل
والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي

كآزر وشالح واشتقاقه من الادمة وهو السمرة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة
او من اديم الارض لما روي عنه عم انه تع قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها
فخلق منها فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف
كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس
والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ
والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او
مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه
غير مقترن باحد الازمنة والمراد في الآية اما الاول والثاني وهو يستلزم الاول
لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تع خلقه
من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات
والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها
واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم
على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات
فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الراس
شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء
سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ
وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن
او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة
فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات
وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار
فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم
احقاء بالخلافة لعصمتكم وان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو
وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه
قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات
قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم
كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان
والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب
بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا
باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان
من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال
ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عم سبحانك تبت اليك وقال يونس عم سبحانك

سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم
المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك
مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك
جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم
باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم
باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
استحضار لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تع
لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم
ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين
لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء
بالخلافة وانه تع لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة وما اسر منهم ابليس
من المعصية والهمزة للانكار دخلت على حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم
ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط
في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تع وان لم يصح اطلاق المعلم
لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ
بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي
سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله تع
وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله تع انك انت العليم الحكيم وان
علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا
عليه قوله تع وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه
اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تع هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تع
يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انبأهم باسمائهم
وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه
وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان
نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة
الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر
ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال فقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ رأسه
وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له في الحقيقة
هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه فكأنه تع لما خلقه بحيث
يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني

والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور
ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته
وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان أليس
اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تع اقم الصلوة
لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف
له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان
المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى
واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه
ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء الامتناع باختيار والتكبر
ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان
من الكافرين اي في علم الله تع او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود
لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل
به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت
ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة
المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله
امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تع الا ابليس كان من الجن
لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى
ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة
ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه
او الجن كانوا ايضا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه
اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا
مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود
الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان
من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف
الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن
يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس فلذلك صح عليه التغير عن حاله
والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله تع الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال
كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضي الله عنها
انه عم قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا
فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان
محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة

مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد
حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص
والعلم عند الله ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر
والحث على الائتمار لامره تع وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي
علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان
بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا الاشعري وقلنا يا آدم اسكن
انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تأكيد
اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم
والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم
انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان في ارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه
الله تع امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى
اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما
اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة
المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه
ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا يأخذ
بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي
ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم
فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة
او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع
كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر
التاء وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة
بسببها ونظير عن هذه عن في قوله تع وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما
ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان زل يقتضي عثرة مع
الزوال وازلاله قوله تع هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله تع ما نهاكما ربكما
عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني
لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق
الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل
انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة فلم يمنع ان يدخل للوسوسة
ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخلت

قوله تع وقلنا عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح فيه وتلك اختلاف وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل عطف اذ قلنا باضمار اذ ابو السعود

ومعنى الفائتة للحصر انها سبقت الحصر ولم تبق محصورة يقال فاتني كذا اي سبقني به وفي الصحاح الفوت والفوات مصدر فاتني الشيء والمعنى انها فاتت بمعنى لم يدركها الحصر سعد الدين

قوله تع فتكونا مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب النهي ابو السعود

ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل أرسل بعض أتباعه فأزلهما
والعلم عند الله ● فأخرجهما مما كانا فيه ● أي من الكرامة والنعيم ● وقلنا اهبطوا ●
خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لأنهما أصلا الإنس
فكأنهما الجنس كلهم أو هما وإبليس أخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة
أو دخلها مسارقة أو من السماء ● بعضكم لبعض عدو ● حال استغنى فيها عن الواو بالضمير
والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ● ولكم في الأرض مستقر ● موضع استقرار
أو استقرار ● ومتاع ● تمتع ● إلى حين ● يريد به وقت الموت أو القيامة ● فتلقى آدم من ربه
كلمات ● استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم
ورفع كلمات على أنها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي
إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وعن ابن عباس قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال
بلى قال يا رب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب ألم تسبق رحمتك
غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت
إلى الجنة قال نعم وأصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك بإحدى الحاستين السمع والبصر
كالكلام والجراحة ● فتاب عليه ● رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وإنما رتبه بالفاء على
تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على أن لا يعود
إليه واكتفى بذكر آدم لأن حواء كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في أكثر
القرآن والسنن ● إنه هو التواب ● الرجاع على عباده بالمغفرة أو الذي يكثر إعانتهم
على التوبة وأصل التوبة الرجوع فإذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية وإذا وصف
به الباري تعالى أريد به الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة ● الرحيم ● المبالغ في الرحمة وفي
الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالإحسان مع العفو ● قلنا اهبطوا منها جميعا ●
كرر للتأكيد أو لاختلاف المقصود فإن الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية
يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف فمن اهتدى
الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على أن مخافة الإهباط المقترن بأحد هذين
الأمرين وحدها كافية للحازم أن تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما
ولكنه نسي ولم يجد له عزما وأن كل واحد منهما كفى به نكالا لمن أراد أن يذكر وقيل الأول
من الجنة إلى سماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ
تأكيد في المعنى كأنه قيل اهبطوا أنتم أجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط
في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا ● فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ● الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الأول وما
مزيدة أكدت به إن ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وإن لم يكن فيه معنى الطلب

أو استئناف لا محل له من الإعراب وإفراد العدو إما بالنظر إلى لفظ البعض وإما لأنه في وزان المصدر كالقبول في الأرض متعلق بما تعلق به الخبر أعني لكم أو بالمستقر

الطلب والمعنى إن يأتينكم مني هدى بإنزال أو إرسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وإنما جيء
بحرف الشك وإتيان الهدى كائن لا محالة لأنه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ
الهدى ولم يضمر لأنه أراد بالثاني أعم من الأول وهو ما أتى به الرسل واقتضاه العقل
أي فمن تبع ما أتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من أن يحل بهم مكروه
ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه والخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى
عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا
خوف بالفتح ● والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
عطف على فمن تبع إلى آخره قسيم له كأنه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته أو كفروا
بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين إلى الجار والمجرور والآية
في الأصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث إنها تدل على وجود الصانع وعلمه
وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من أي لأنها
تبين أيا من أي أو من أوى إليه وأصلها أية أو أوية كتمرة فأبدلت عينها على غير قياس
أو أيية أو أوية كرمكة فأعلت أو آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا
الآيات المنزلة أو ما يعمها والمعقولة ● تنبيه ● قد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة
الأنبياء عليهم السلام من وجوه الأول أن آدم عليه السلام كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص
والثاني أنه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين
والثالث أنه تعالى أسند إليه العصيان والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع أنه تعالى
لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بأنه خاسر لولا
مغفرة الله تعالى إياه بقوله وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر
من يكون ذا كبيرة والسادس أنه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه
الأول أنه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني أن النهي للتنزيه وإنما
سمي ظالما وخاسرا لأنه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الأولى له وأما إسناد الغي
والعصيان إليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه إن شاء الله تعالى وإنما أمر بالتوبة تلافيا لما فات
عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الأولى ووفاء بما قاله تعالى للملائكة قبل خلقه والثالث
أنه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن أسباب
النسيان ولعله وإن حط عن الأمة لم يحط عن الأنبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام
أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل أو أدى فعله إلى ما جرى عليه
على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجهل بشأنه لا يقال
إنه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان لأنه ليس فيهما ما يدل على أن تناوله
حين ما قاله إبليس فلعل مقاله أورث فيه ميلا طبيعيا ثم إنه كف نفسه عنه مراعاة
لحكم الله تعالى إلى أن نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع أنه أقدم عليه

لأنه لم يكن نبيا حينئذ ولا [illegible] لأنه ولقوله تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى أي جعله نبيا وشبههم في تمسكهم بأن قوله وعصى آدم ربه أراد به وعصى أولاد آدم كما في قوله تعالى واسأل القرية
شرح مطول

بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة
فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عم
اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى
عليه ما جرى تعظيما لشأن الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها
في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار
دائم والكافر مخلد فيه وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تع هم فيها خالدون واعلم
انه سبحانه وتع لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة
تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر
وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم
يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها
على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك يدل على انه قادر على الاعادة كما كان
قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم
ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد وما انزل عليه فقال
يا بني اسرائيل • اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب
المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت الفكر واسرائيل لقب يعقوب عم ومعناه
بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما
واسرائيل بقلب الهمزة ياء • اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم • اي بالتفكر فيها والقيام
بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله
على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله
حب النعمة على الرضاء والشكر وقيل اراد بها ما انعم الله على آبائهم من الانجاء من فرعون
والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد عم وقرئ اذكروا
والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك
الياء المكسور ما قبلها • واوفوا بعهدي • بالايمان والطاعة • اوف بعهدكم •
بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل
والثاني الى المفعول فانه تع عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل
وانزال الكتب ووعدلهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول
مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله حقن الدم والمال
واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله
الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع محمد عم
اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك
الكبائر اوف بالمغفرة والثواب واوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم

اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف
الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما
عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في قوله تع ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة • واياي فارهبون •
فيما تأتون وتذرون خصوصا في نقض العهود وهو اكد في افادة التخصيص من اياك
نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط
كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف مع تحرز والآية متضمنة
للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف
احدا الا الله • وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم • افراد الايمان بالامر به
والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم
من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد
والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش
وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان
كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيه صلاح من خوطب بها حتى لو نزل
المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه
الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله • ولا
تكونوا اول كافر به • بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر
في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير
الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا
حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض
لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر
من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر
من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا
غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت • ولا تشتروا باياتي ثمنا
قليلا • ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت
قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان
لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله فاختاروها
عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه • واياي فاتقون • بالايمان
واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو
كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب
بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية

معطوف على مقدر يفهم من الكلام السابق تقديره ان الواجب ان تكونوا اول من آمن به لانه انزل مصدقا لما معهم ولانهم كانوا ... شرح

ولانه الكفر منهم عنه كفرا كانه في غير تقييد الاولية ...

لا تخص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله
واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل
الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل
الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تاويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي
كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق
والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل
وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه
اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم
لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني صلوة
المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد
ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع
اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر في النفس فضيلة الكرم او من الزكاء
بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اي
في جماعاتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر
النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد
لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر
قد رفعه اتامرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو
الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر في عبادة الله تع وبر في مراعاة
الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه
باتباع محمد عم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون
الكتاب تبكيت كقوله تع وانتم تعلمون اي تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد
وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم
يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني
لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك
والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله
فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه شكيمته والمراد
بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره لا منع
الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر
واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما يشق عليهم لما فيه من الكلفة
وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم

حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات
لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة
لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما
والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة
الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين
حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روي انه عم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة
ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير
اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة
لثقيلة شاقة كقوله تع كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اي المخبتين
والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك
يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه
راجعون اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تع
فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان
اطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين
الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها
متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عم وجعلت
قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتاكيد وتذكير
التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل
بحقوقها واني فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل ابائهم
الذين كانوا في عصر موسى عم وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم من العلم والايمان والعمل وجعلهم
انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما
اي ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقضي عنها شيئا
من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزا عنه اذا اغنى عنه
وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي
والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد
المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف
من قوله ام مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية
العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه
محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره
والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان
يعطي عنه بدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه

والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى
ولا هم ينصرون • يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة
الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة
اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة
لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة
ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع
لهم • واذ نجيناكم من ال فرعون • تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره
اهيل وخص بالاضافة الى اولى الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة
ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون
موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف ريان وكان
بينهما اكثر من اربعمائة سنة • يسومونكم • يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل
السوم الذهاب في طلب الشيء • سوء العذاب • افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره
والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم
او من ال فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما • يذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم • بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم
ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه
فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا • وفي ذلكم بلاء • محنة ان اشير بذلكم الى
صنيعهم ونعمة ان اشير الى الانجاء والبلاء اصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى
عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به
الامتحان الشائع بينهما • من ربكم • بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما
عظيم • صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله
فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين • واذ فرقنا بكم البحر
فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم
او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان
المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط • فانجيناكم واغرقنا ال فرعون
اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي
ان الحسن كان يقول اللهم صل على ال محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه
وانتم تنظرون • ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم وانفلاق البحر عن طرق يابسة
مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى
ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر

فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا
فسلكوها فقالوا يا موسى انا نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا
وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون وراه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم
عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل
ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا
العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء
وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته
امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما قررته •
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة • لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله
موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي
لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا
لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور • ثم اتخذتم العجل
الها ومعبودا • من بعده • من بعد موسى عليه السلام او مضيه • وانتم ظالمون • باشراككم
ثم عفونا عنكم • حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس • من بعد ذلك
اي الاتخاذ • لعلكم تشكرون • لكي تشكروا عفوه • واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان
يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان
معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى وبين الكفر والايمان وقيل الشرع
الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان
يريد به يوم بدر • لعلكم تهتدون • لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الايات
واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم • فاعزموا
على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت ومميزا بعضها عن بعض بصور وهيئات
مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه
والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برا الله ادم من الطين او فتوبوا • فاقتلوا
انفسكم • اتماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن
لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة
روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله تعالى فارسل ضبابة وسحابة سوداء
لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشفت
السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية
للتعقيب • ذلكم خير لكم عند بارئكم • من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحياة الابدية
والبهجة السرمدية • فتاب عليكم • متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم
تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى

على طريق الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ تع وترتيب الامر
عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر
التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا
بالقتل وفك التركيب • انه هو التواب الرحيم • الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من
المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم • واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك • لاجل قولك
او لن نقر لك • حتى نرى الله جهرة • عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة
استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل
او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا
والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة الاف من قومه
والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التوراة وكلمك او انك نبي • فاخذتكم الصاعقة
لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تع يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته
رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى
رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء في بعض
الاحوال في الدنيا وقيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا
حسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة • وانتم تنظرون • ما اصابكم بنفسه
او اثره • ثم بعثناكم من بعد موتكم • بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون
عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم • لعلكم تشكرون • نعمة البعث او ما كفرتموه
لما رأيتم بأس الله بالصاعقة • وظللنا عليكم الغمام • سخر الله لهم السحاب يظلهم
من الشمس حين كانوا في التيه • وانزلنا عليكم المن والسلوى • الترنجبين والسماني
قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني وينزل
بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه • وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى • كلوا من
طيبات ما رزقناكم • على ارادة القول • وما ظلمونا • فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا
هذه النعم وما ظلمونا • ولكن كانوا انفسهم يظلمون • بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره • واذ
قلنا ادخلوا هذه القرية • يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه • فكلوا منها
حيث شئتم رغدا • واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو • وادخلوا الباب
اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة
موسى عم • سجدا • متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه •
وقولوا حطة • اي مسألتنا حطة او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب
على الاصل بمعنى حط ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل
معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها • نغفر لكم خطاياكم • بسجودكم ودعائكم
قرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطائي كخطايع فعند سيبويه

سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت
الثانية ياء فقلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة
على الياء ثم فعل بهما ما ذكر • وسنزيد المحسنين • ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة
الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك
وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة • فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي
قيل لهم • بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا • فانزلنا
على الذين ظلموا • كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع
غير المأمور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها • رجزا
من السماء بما كانوا يفسقون • عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف
عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به
في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا • واذ استسقى موسى لقومه • لما عطشوا في التيه
فقلنا اضرب بعصاك الحجر • اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت
تنبع من كل وجه ثلث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف
وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا
او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه من الادرة فاشار
اليه جبرائيل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما
قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه
اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحي اليه
اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا
في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من شجرة آس الجنة ولها شعبتان تتقدان
في الظلمة • فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا • متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت
فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله تع فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين
وفتحها وهما لغتان فيه • قد علم كل اناس • كل سبط • مشربهم • عينهم التي يشربون منها
كلوا واشربوا • على تقدير القول • من رزق الله • يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى
وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت منه • ولا تعثوا في الارض
مفسدين • لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون
منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل
الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر
امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله تع وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن
ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله تع حجرا
يسخره لجذب الماء من تحت الارض او يجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد

ونحو ذلك • وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد • يريد به ما رزقوا في التيه من المن
والسلوى وبوحدته أنه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الأمير واحد يريدون
أنها لا تتغير ألوانه ولذلك أجموا أو ضرب واحد لأنهما معاً طعام أهل التلذذ وهم
كانوا فلاحة فنزعوا إلى عكرهم واشتهوا ما ألفوه • فادع لنا ربك • سله لنا بدعائك
إياه • يخرج لنا • يظهر لنا ويوجده وجزمه بأنه جواب فادع فإن دعوته سبب الإجابة
مما تنبت الأرض • من الإسناد المجازي وإقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض •
من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها • تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل
بإعادة الجار والبقل ما أنبتته الأرض من الخضر والمراد به أطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة
ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه • قال • أي الله تع
أو موسى • أتستبدلون الذي هو أدنى • أقرب منزلة وأدون قدراً وأصل الدنو
القرب من المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة
وقرئ أدنأ من الدناءة • بالذي هو خير • يريد به المن والسلوى فإنه خير في اللذة
والنفع وعدم الحاجة إلى السعي • اهبطوا مصراً • انحدروا إليه من التيه يقال هبط الوادي
إذا نزل به وهبط منه إذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم وأصله الحد بين الشيئين
وقيل أراد به العلم وإنما صرفه لسكون وسطه أو على تأويل البلد ويؤيده أنه غير منون
في مصحف ابن مسعود وقيل أصله مصرائيم فعرب • فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة
والمسكنة • أحيطت بهم إحاطة القبة لمن ضربت عليه أو ألصقت بهم من ضرب الطين
على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الأمر أذلاء مساكين إما
على الحقيقة أو على التكلف مخافة أن تضاعف جزيتهم • وباؤوا بغضب من الله • رجعوا به
أو صاروا أحقاء بغضبه من باء فلان بفلان إذا كان حقيقاً بأن يقتل به وأصل البوء
المساواة • ذلك • إشارة إلى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب • بأنهم
كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق • بسبب كفرهم بالمعجزات التي
من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر وإظلال الغمام وإنزال المن والسلوى وانفجار العيون
من الحجر أو بالكتب المنزلة كالإنجيل والفرقان وآية الرجم والتي فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة
وقتلهم الأنبياء فإنهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم إذ لم يروا منهم
ما يعتقدون به جواز قتلهم وإنما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما أشار
إليه بقوله • ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • أي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء
فيه إلى الكفر بالآيات وقتل النبيين فإن صغار الذنوب سبب يؤدي إلى ارتكاب
كبارها كما أن صغار الطاعات أسباب مؤدية إلى تحري كبارها وقيل كرر الإشارة
للدلالة على أن ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم
حدود الله تع وقيل الإشارة إلى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وإنما جوزت الإشارة

الإشارة بالمفرد إلى شيئين فصاعداً على تأويل ما ذكر أو تقدم للاختصار ونظيره
في الضمير قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق والذي حسن
ذلك أن تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك
جاء الذي بمعنى الجمع • إن الذين آمنوا • بألسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين
منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة • والذين هادوا • تهودوا
يقال هاد وتهود إذا دخل في اليهودية ويهود إما عربي من هاد إذا تاب سموا بذلك لما تابوا
عن عبادة العجل وإما معرب يهوذا كأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عم • والنصارى •
جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في أحمري سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح
أو لأنهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران أو ناصرة فسموا باسمها أو من اسمها
والصابئين • قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح عم وقيل هم
عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو إن كان عربياً فمن صبأ إذا خرج وقرأ نافع
وحده بالياء إما لأنه خفف الهمزة أو لأنه من صبا إذا مال لأنهم مالوا من سائر الأديان
إلى دينهم أو من الحق إلى الباطل • من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً • من كان
منهم في دينه قبل أن ينسخ مصدقاً بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملاً بمقتضى شرعه وقيل من آمن
من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً ودخل في الإسلام دخولاً صادقاً • فلهم أجرهم عند ربهم •
الذي وعد لهم على إيمانهم وعملهم • ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • حين يخاف
الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ
خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أو بدل من اسم إن وخبرها فلهم أجرهم والفاء لتضمن المسند إليه
معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر إن من حيث إنها لا تدخل الشرطية ورد
بقوله تع إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم • وإذ
أخذنا ميثاقكم • باتباع موسى والعمل بالتوراة • ورفعنا فوقكم الطور • حتى أعطيتم الميثاق
روي أن موسى عم لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا
قبولها فأمر جبرائيل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا • خذوا • على إرادة القول • ما آتيناكم
من الكتاب • بقوة • بجد وعزيمة • واذكروا ما فيه • ادرسوه ولا تنسوه أو تفكروا
فيه فإنه ذكر بالقلب أو اعملوا به • لعلكم تتقون • لكي تتقوا المعاصي أو رجاء منكم أن تكونوا
متقين ويجوز عند المعتزلة أن يتعلق بالقول المحذوف أي قلنا خذوا واذكروا إرادة
أن تتقوا • ثم توليتم من بعد ذلك • أعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد أخذه • فلولا فضل الله
عليكم ورحمته • بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد عم يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه • لكنتم من الخاسرين
المغبونين بالانهماك في المعاصي أو بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الأصل
لامتناع الشيء لامتناع غيره فإذا دخلت على لا أفاد إثباتاً وهو امتناع الشيء لثبوت غيره
والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب

مسدّه وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف • ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت
اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع
امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود واشتغلوا
بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت
لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا
اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد
فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين • جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد
وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تع كمثل الحمار
يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم
صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة
فجعلناها • اي المسخة او العقوبة • نكالا • عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد • لما بين
يديها وما خلفها • لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت
قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او
لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها • وموعظة
للمتقين • من قومهم او لكل متق سمعها • واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا
بقرة • اول هذه القصة قوله تع واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فك عنه وقدم عليه
لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك
المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه
على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها
ليحيى فيخبر بقاتله • قالوا اتتخذنا هزوا • اي مكان هزؤ او اهله او مهزوءا بنا او الهزؤ نفسه
لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون
وحفص عن عاصم بضم الزاء وقلب الهمزة واوا • قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
لان الهزؤ في مثل ذلك المقام جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج
ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
اي ما حالها وصفتها وكان حقها ان يقولوا اي بقرة هي وكيف هي لان ما يسأل به
عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى
ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله • قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر • لا مسنة
ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب
البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة • عوان • نصف قال نواعم بين ابكار وعون
بين ذلك • اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف
الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد

[illegible]

تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو جائز وانما الممتنع تأخيره عن وقت الحاجة وهو غير لازم وفيه انه لازم ايضا لانهم في الوقت الذي امروا بذبح البقرة المعينة
كانوا محتاجين الى ذبحها ولم تتبين في ذلك الوقت النسخ قبل الفعل وهو جائز وانما الممتنع النسخ قبل التمكن من الاعتقاد وهو بالاتفاق وقبل التمكن من الفعل عند المعتزلة
وما كان من تمسكات القائلين بالاول انه دل السابق ووقع الاتفاق على انه لم يرد امر متجدد وعند الاول يكون امتثالهم [illegible] فلزم
ان لا يكون منسوخا وان يكون امرا بذبح المعينة لظهور ان الامتثال لم يقع بذبح المعينة ودفعه بقوله فان التخصيص ابطال التقييد حرر

[illegible]

المراد بها بقرة معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد
بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل
فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ
والمروي عنه عم لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله
عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله • فافعلوا ما تؤمرون • اي
ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قولك امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى
مأموركم • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها
الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي
اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كانه قيل صفراء شديد
الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تع جمالات صفر قال
الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد
لانها من مقدماته او لان سواد الابل يعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد
بالفقوع • تسر الناظرين • اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او
توقعه من السر • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي • تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد
وقوله • ان البقر تشابه علينا • اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير
فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء
والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففا
ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة
وانا ان شاء الله لمهتدون • الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا
لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تع وان الامر
قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث
الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق • قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير
الارض ولا تسقي الحرث • اي لم تذلل للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى
غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة
وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي
حيث هو وتسقي من اسقى • مسلمة • سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص
لونها من سلم له كذا اذا خلص له • لا شية فيها • لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي
في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر • قالوا الآن جئت
بالحق • اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ الآن بالمد على الاستفهام
والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام • فذبحوها • فيه اختصار والتقدير فحصلوا
البقرة المنعوتة فذبحوها • وما كادوا يفعلون • لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف

الفضيحة في ظهور القاتل ولغلاء ثمنها إذ روي أن شيخاً صالحاً منهم كان له عجلة فأتى
بها الغيضة وقال اللهم إني استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك
الصفات فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهباً وكانت البقرة
إذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من أفعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولاً فإذا دخل عليه
النفي قيل معناه الإثبات مطلقاً وقيل ماضياً والصحيح أنه كسائر الأفعال ولا ينافي
قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما إذ المعنى أنهم ما قاربوا أن
يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ إلى الفعل
وإذ قتلتم نفساً خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها فاختصمتم في شأنها
إذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضاً أو تدافعتم بأن طرح قتلها كل عن نفسه إلى صاحبه وأصل
تدارأتم فأدغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون
مظهره لا محالة وأعمل مخرج لأنه حكاية مستقبل كما أعمل باسط ذراعيه لأنه حكاية حال ماضية
فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على
تأويل الشخص أو القتيل ببعضها أي بعض كان وقيل بأصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى
وقيل بالأذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب
مع من حضر حيوة القتيل أو نزول الآية ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون
لكي يكمل عقلكم وتعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس كلها أو تعملون
على قضيته ولعله تعالى إنما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب وأداء
الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الأولاد وأن من حق الطالب
أن يقدم قربة والمتقرب أن يتحرى الأحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه
أنه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وأن المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والأسباب أمارات
لا أثر لها وأن من أراد أن يعرف أعدى عدوه الساعي في إماتته الموت الحقيقي
فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبي ولم
يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة من دنسها
لا شية بها من مقابحها بحيث يصل أثره إلى نفسه فيحيى بها حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف
الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم القسوة
عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم
لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني إحياء القتيل أو جميع ما عدد من الآيات
فإنها مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها أو أشد قسوة منها والمعنى
أنها في القسوة مثل الحجارة أو زائد عليها أو أنها مثلها أو مثل ما هو أشد منها قسوة
كالحديد فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويعضده قراءة الأعمش بالجر عطفاً على
الحجارة وإنما لم يقل أقسى لما في أشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين

في شدة القسوة لا في نفس القسوة بخلاف أقسى فإنه يدل على زيادة في نفس القسوة فكأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة ح

القسوتين واشتمال المفضل على زيادة وأو للتخيير أو للترديد بمعنى أن من عرف حالها
شبهها بالحجارة أو بما هو أقسى منها وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها
لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى
أن الحجارة تتأثر وتنفعل فإن منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الأنهار ومنها ما
يتردى من أعلى الجبل انقياداً لما أراد الله تعالى به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل
عن أمره تعالى والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ إن على أنها المخففة
من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل
عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وأبو بكر بالياء ضماً إلى
ما بعده والباقون بالتاء أفتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين أن يؤمنوا لكم
أي يصدقوكم أو يؤمنوا لأجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من
أسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد ع م وآية الرجم
أو تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله
حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء
فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه أي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه
ريبة وهم يعلمون أنهم مفترون مبطلون ومعنى الآية أن أحبار هؤلاء ومقدميهم
كانوا على هذه الحال فما ظنك بسفلتهم وجهالهم وأنهم إن كفروا وحرفوا فلهم سابقة
في ذلك وإذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بأنكم على الحق وأن رسولكم
هو المبشر به في التورية وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أي الذين لم ينافقوا منهم
عاتبين على من نافق أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد
أو الذين نافقوا لأعقابهم إظهاراً للتصلب في اليهودية ومنعاً لهم عن إبداء ما وجدوا
في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الأول تقريع وعلى الثاني إنكار ونهي
ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه
محاجة عند الله كما يقال عند الله كذا ويراد به أنه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم أو بين
يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر إذ الإخفاء لا يدفعها أفلا تعقلون
إما من تمام كلام اللائمين وتقديره أفلا تعقلون أنهم يحاجونكم به فيحجونكم أو خطاب من الله تعالى
للمؤمنين متصل بقوله أفتطمعون والمعنى أفلا تعقلون حالهم وأن لا مطمع لكم في إيمانهم أولا يعلمون
يعني هؤلاء المنافقين أو اللائمين أو كليهما أو إياهم والمحرفين أن الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون ومن جملتها إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان وإخفاء ما فتح الله عليهم
وإظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب
جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها أو التورية إلا أماني استثناء
منقطع والأماني جمع أمنية وهي في الأصل ما يقدره الإنسان في نفسه من منى إذا قدر

ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون أكاذيب
أخذوها تقليدا من المحرفين أو مواعيد فارغة سمعوها منهم من أن الجنة لا يدخلها إلا من
كان هودا وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة وقيل إلا ما يقرؤون قراءة عارية
عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله أول ليله تمنى داود الزبور على رسل
وهو لا يناسب وصفهم بأنهم أميون • وإن هم إلا يظنون • ما هم إلا قوم يظنون
لا علم لهم وقد يطلق الظن بإزاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وإن جزم
به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة • فويل • أي تحسر وهلك ومن قال
إنه واد أو جبل في جهنم فمعناه أن فيها موضعا يتبوأ فيها من جعل له الويل ولعله سماه بذلك
مجازا وهو في الأصل مصدر لا فعل له وإنما ساغ الابتداء به نكرة لأنه دعاء
للذين يكتبون الكتاب • يعني المحرف ولعله أراد به ما كتبوه من التأويلات
الزائغة • بأيديهم • تأكيد كقولك كتبته بيميني • ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا • كي يحصلوا به عرضا من أعراض الدنيا فإنه وإن جل قليل بالنسبة إلى
ما استوجبوه من العقاب الدائم • فويل لهم مما كتبت أيديهم • يعني المحرف • وويل
لهم مما يكسبون • يريد به الرشى • وقالوا لن تمسنا النار • المس اتصال الشيء بالبشرة
بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال ألمسه فلا أجده • إلا أياما
معدودة • محصورة قليلة روي أن بعضهم قالوا نعذب بعدد أيام عبادة العجل
أربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف
سنة يوما • قل أتخذتم عند الله عهدا • خبرا أو وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص
بإظهار الذال والباقون بإدغامه • فلن يخلف الله عهده • جواب شرط مقدر أي
إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على أن الخلف في خبره محال
أم تقولون على الله ما لا تعلمون • أم معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى أي الأمرين
كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما أو منقطعة بمعنى بل تقولون على التقرير والتقريع
بلى • إثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه أعم ليكون
كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفي • من كسب سيئة • قبيحة والفرق
بينها وبين الخطيئة أنها قد يقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض
لأنه من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب
أليم • وأحاطت به خطيئته • أي استولت عليه وشملت جملة أحواله حتى صار كالمحاط
بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا إنما يصح في شأن الكافر لأن غيره وإن لم يكن له سوى
تصديق قلبه وإقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق
ذلك أن من أذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله والانهماك فيه
وارتكاب ما هو أكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا

إلى المعاصي مستحسنا إياها معتقدا أن لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه
فيها كما قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله
وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والإدغام فيهما • فأولئك
أصحاب النار • ملازموها في الآخرة كما أنهم ملازمون أسبابها في الدنيا • هم فيها
خالدون • دائمون أو لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب
الكبيرة وكذا التي قبلها • والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة
هم فيها خالدون • جرت عادته سبحانه على أن يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته
ويخشى عذابه وعطف العمل على الإيمان يدل على خروجه عن مسماه • وإذ أخذنا ميثاق
بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله • إخبار في معنى النهي كقوله تعالى لا يضار كاتب
ولا شهيد وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي سارع إلى الانتهاء
فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على إرادة القول
وقيل تقديره أن لا تعبدوا فلما حذف أن رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
ويدل عليه قراءة أن لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق أو معمولا له بحذف الجار وقيل
إنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر
وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لأنهم غيب
وبالوالدين إحسانا • متعلق بمضمر تقديره وتحسنون أو أحسنوا • وذي القربى واليتامى
والمساكين • عطف على الوالدين واليتامى جمع يتيم كنديم وندامى ومسكين
مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه • وقولوا للناس حسنا • أي قولا حسنا وسماه
حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة
أهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وإرشاد • وأقيموا الصلاة و
آتوا الزكاة • يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم • ثم توليتم • على طريقة الالتفات ولعل
الخطاب مع الموجودين منهم في عهد الرسول ومن قبلهم على التغليب أي أعرضتم عن الميثاق
ورفضتموه • إلا قليلا منكم • يريد به من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم
منهم • وأنتم معرضون • قوم عادتكم الإعراض عن الوفاء والطاعة وأصل الإعراض
الذهاب عن المواجهة إلى جهة العرض • وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون
أنفسكم من دياركم • على نحو ما سبق والمراد به أن لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والإجلاء
وإنما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا أو دينا أو لأنه يوجب قصاصا
وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من دياركم أو لا تفعلوا ما يرديكم
ويصرفكم عن الحياة الأبدية فإنه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة
التي هي داركم فإنه الجلاء الحقيقي • ثم أقررتم • بالميثاق واعترفتم بلزومه • وأنتم
تشهدون • توكيد كقولك أقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وأنتم أيها الموجودون

تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا • ثم انتم هؤلاء
استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء
خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذي فعل
كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار
ما سيحكى عنهم غيبا وقوله • تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم • حال
والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة
وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير • تظاهرون
عليهم بالاثم والعدوان • حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر
التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ
باظهارهما وتظّهّرون بمعنى تتظهرون • وان يأتوكم اسارى تفادوهم • روي
ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق
حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له
حتى يفدوه وقيل معناه ان يأتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم
بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح واسارى جمعه كسكرى وسكارى
وقيل هو ايضا جمع اسير وكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة
وابن عامر تفدوهم • وهو محرم عليكم اخراجهم • متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم
من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشأن او مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما دل
عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تأكيد او بيان • افتؤمنون ببعض الكتاب
يعني الفداء • وتكفرون ببعض • يعني حرمة المقاتلة والاجلاء • فما جزاء من يفعل ذلك
منكم الا خزي في الحيوة الدنيا • كقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية
على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما • ويوم القيمة يردون الى
اشد العذاب • لان عصيانهم اشد • وما الله بغافل عما تعملون • تأكيد للوعيد
اي الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل
تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب يعملون على الغيبة
لمن • اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة • آثروا الحيوة الدنيا على الاخرة
فلا يخفف عنهم العذاب • بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة • ولا هم ينصرون •
بدفعهما عنهم • ولقد آتينا موسى الكتاب • التورية • وقفينا من بعده بالرسل • اي
ارسلنا على اثره الرسل لقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به
اذا اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب • وآتينا عيسى ابن مريم البينات • المعجزات
الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل

او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال
قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل • وايدناه • قويناه وقرئ
آيدناه • بروح القدس • بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق واراد
به جبرائيل وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارتها عن مس الشيطان او لكرامته على الله تعالى ولذلك
اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث او الانجيل
او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان
في جميع القرآن • افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم • بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى
اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت
توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء
للعطف على مقدر • استكبرتم • عن الايمان واتباع الرسل • ففريقا كذبتم • كموسى
وعيسى والفاء للسببية او التفصيل • وفريقا تقتلون • كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع
على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل
او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه
وسممتم له الشاة • وقالوا قلوبنا غلف • مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به
ولا نفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى
انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول ونحن مستغنون بما فيها عن غيره
بل لعنهم الله بكفرهم • رد لما قالوه والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق
ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه
بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم
دعوى العلم والاستغناء عنك • فقليلا ما يؤمنون • فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة
للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم • ولما جاءهم
كتاب من عند الله • يعني القرآن • مصدق لما معهم • من كتابهم وقرئ بالنصب
على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا • اي يستنصرون على المشركين ويقولون
اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث
منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه
فلما جاءهم ما عرفوا • من الحق • كفروا به • حسدا وخوفا على الرياسة • فلعنة الله على
الكافرين • اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد
ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم • بئسما اشتروا به
انفسهم • ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا
او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا • ان يكفروا

مصدر بمعنى الستر همزته بدل من ياء لانها فاؤه ... واذا جعل ظرفا كثيرا في المصادر ونحو اتيتك طلوع الشمس اي وقت طلوعها ويضاف الى الفاعل كما في دق القصار فيقال
زيد وراء بكر ويراد به ما هو الوراء ما يتوارى اي يستتر به اي بالفاعل وهو بكر في المثال وهو اي ذلك الشيء خلفه اي خلف الفاعل والفاعل قدامه فيكون ساترا له بالضرورة والى المفعول
كما في دق الثوب فيقال بكر وراء زيد ويراد به اي بالوراء ما يواريه اي يستره المفعول وهو زيد في المثال وهو اي ذلك الشيء قدامه اي قدام المفعول فالمفعول يكون مستورا به بالضرورة
ولذلك عد من الاضداد والاتفع اصل اللغة ليس منها والحاصل ان الوراء اذا كان بمعنى الستر فان اعتبر كونه بمعنى الساترية يضاف الى الفاعل وان اعتبر كونه بمعنى المستورية يضاف الى المفعول ح

بما انزل الله • هو المخصوص بالذم • بغيا • طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا
دون اشتروا للفصل • ان ينزل الله • لان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله
وقرا ابن كثير بالتخفيف • من فضله • يعني الوحي • على من يشاء من عباده • على من اختاره
للرسالة • فباءو بغضب على غضب • للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم
بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله • وللكافرين عذاب مهين • يراد به
اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه • واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله
يعم الكتب المنزلة باسرها • قالوا نؤمن بما انزل علينا • اي التورية • ويكفرون بما وراءه
حال عن الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد
به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك
عد من الاضداد • وهو الحق • الضمير لما وراءه والمراد به القرآن • مصدقا لما معهم • حال
مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها • قل فلم
تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين • اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء
الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم
راضون به عازمون عليه وقرا نافع وحده انبئاء الله مهموزا في كل القرآن
ولقد جاءكم موسى بالبينات • يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى
تسع آيات بينات • ثم اتخذتم العجل • اي الها • من بعده • بعد مجيء موسى او بعد ذهابه
الى الطور • وانتم ظالمون • حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله
او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن
بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى لا لتكرير
القصة وكذا الآية بعدها • واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم
بقوة واسمعوا • اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد وعزيمة واسمعوا سماع طاعة
قالوا سمعنا • قولك • وعصينا • امرك • واشربوا في قلوبهم العجل • تداخلهم حبه ورسخ
في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي
قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا • بكفرهم • وذلك
لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري
قل بئسما يأمركم به ايمانكم • اي بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر
او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلث الزاما عليهم • ان كنتم مؤمنين
تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه
القبائح ولا رخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها
لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذن لستم
بمؤمنين • قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة • خاصة بكم كما قلتم لن

يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار • من دون الناس
سائرهم او المسلمين واللام للعهد • فتمنوا الموت ان كنتم صادقين • لان من ايقن
انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي
رضي الله عنه لا ابالي سقطت على الموت او سقط علي وقال عمار بصفين الآن القى
الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على
التمني سيما اذا علم انها سالمة لا يشاركه فيها غيره • ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم
من موجبات النار كالكفر بمحمد ع م والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة
مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة
وعن القدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر
فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت لي كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا
وعن النبي ع م لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض
يهودي • والله عليم بالظالمين • تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى
ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم • ولتجدنهم احرص الناس على حيوة • من وجد بعقله الجاري
مجرى علم ومفعولاه هم احرص وتنكير حيوة لانه اراد فردا من افرادها وهي الحيوة المتطاولة
وقرئ باللام • ومن الذين اشركوا • محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس
ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة
العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص
المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص
من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف صفته
يود احدهم • على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم
ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف
لو يعمر الف سنة • حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجري على الغيبة
لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن • وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر
الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما
دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم
سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون
والزحزحة التبعيد • والله بصير بما يعملون • فيجازيهم • قل من كان عدوا لجبريل • نزل
في عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلعم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك
عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بختنصر
فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه
والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا

يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب
والسلام فقال وما منزلتهما من الله تع قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما
عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان
عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال ع لقد وافقك
ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهورة جبرئيل كسلسبيل قراءة
حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة
عاصم برواية ابي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقين واربع في الشواذ جبرائيل وجبرائل
وجبرئل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله • فانه نزله • البارز
الاول لجبريل والثاني للقران واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه
وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره • على قلبك • فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم
والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به • باذن الله
بامره او بتيسيره حال من فاعل نزل • مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل
فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك
بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من
عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو
لي وانا عدو له كما قال تع • من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان
الله عدو للكافرين • اراد بعداوة الله تع مخالفته عنادا او معاداة المقربين
من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد
والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تع وان من عادى احدهم فكانه
عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما
ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تع عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة
والرسل كفر وقرا نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال
كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائل • ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر
بها الا الفاسقون • اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي
دل على عظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله ع ما جئتنا
بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك • او كلما عاهدوا عهدا • الهمزة للانكار
والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون
الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا وكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا
• نبذه فريق منهم • نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم

جواب عما يقال ان المراد ان كان معاداة المقربين فما وجه تفصيل الكلام بذكر الله تع

لان بعضهم لم ينقض • بل اكثرهم لا يؤمنون • رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان
من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء • ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم
كعيسى ومحمد ع م • نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله • يعني التورية لان
كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان
بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن • وراء ظهورهم • مثل لاعراضهم
عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه • كانهم لا يعلمون
انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل
بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب
وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي
حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن
نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين بالحال
بغيا وعنادا وهم المتجاهلون • واتبعوا ما تتلوا الشياطين • عطف على نبذ اي نبذوا
كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن والانس او منهما
على ملك سليمان • اي عهده وتتلوا حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون
الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا
ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه يسخر
به الجن والانس والريح له • وما كفر سليمان • تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر
بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه • ولكن الشياطين كفروا
باستعماله وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين • يعلمون الناس
السحر • اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب
الى الشياطين مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث
النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي
واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريك صاحب
خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي
سببه • وما انزل على الملكين • عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار
او به نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تع للناس
وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراة
يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي
عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا
ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب
لليهود في هذه القصة • ببابل • ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلد

اشارة الى علة كون السحر كفرا فالمراد بالتقرب تحصيل رضاه وهو لا يرضى بدون الكفر

من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية
ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل
البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان
من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه
ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله تعالى فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان
فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور
وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا
فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر
ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب
غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا
منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل
غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه اشارة الى ان
التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين
بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الاخرة من خلاق
نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتملوا المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه
او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي
العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا
يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم امنوا بالرسول والكتاب
واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله تعالى واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو
واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية
لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه
وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدا وقرئ لمثوبة
كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون
ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر والعمل بالعلم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله عليه السلام راعنا
اي راقبنا وتأن بنا فيما نلقنه حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين
نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي
المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر
الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ
راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج
لما شابه قولهم راعنا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى

والللام في لقد علموا جواب القسم وفي لمن اشتراه ابتدائية
تعلق العلم وبئس ما شروا عطفا على جملة القسم وجوابه
او على الجواب وعطف الاثبات على الاخبار كثير سعد

جواب عما يقال كيف اثبت لهم العلم اولا ثم نفاه عنهم
وحاصله ان متعلق العلمين مختلف فلا اشكال ع

الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود واسمعوا ما امرتم به بجد حتى
لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون
مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك
يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية
للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم
والنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة
وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة
من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته
ما ننسخ من اية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه
بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره
كنسخ الظل للشمس ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت
الكتاب ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا
وانساؤها اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ
ابن عامر ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها
اي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اي ننسي احدا اياها او ننسها اي انت وتنسها على البناء
للمفعول ومنسكها باظهار المفعولين نأت بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع
والثواب او مثلها في الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله
على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والاية دلت
على جواز النسخ اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وتاخير الانزال وذلك
لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله
ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع
في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل وببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان
الناسخ هو الماتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل
اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك
في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما
من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم الم تعلم الخطاب للنبي عليه السلام والمراد
هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم ان الله له ملك السموات والارض
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ
ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي

لا خير نكرة في سياق النفي بالواسطة حيث وقع فاعلا لما هو
مفعول يود والداخل عليها الى فيه فيعم فيفيده من الاستغراق
زيادة في العموم وتأكيدا وليست في هذه جملة محققة سعد الدين

اشار الى ان المراد بالرحمة هو المراد بالخير فيكون من وضع المظهر
موضع المضمر في غير لفظه السابق للايذان بان الخير من
الرحمة وكذا اللفظ اسم وان يخصص الخير مقام ضمير ربكم
للايذان بان تخصيص البعض بالخير دون بعض بحسب الارادة
كما ان انزال الخير بسبب الربوبية طيبي

يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة
والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور • ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى
من قبل • ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء
كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة
والمراد ان يوصيهم بالثقة وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا
ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل
علينا كتابا نقرؤه • ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل • ومن ترك
الثقة بالايات البينة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر
بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد
عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل • ود كثير من اهل الكتاب
يعني احبارهم • لو يردونكم • ان يردوكم فان لو ينوب عن ان في المعنى دون اللفظ • من بعد
ايمانكم كفارا • مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين • حسدا • علة ود • من عند انفسهم
يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق
او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم • من بعد ما تبين لهم الحق • بالمعجزات
والنعوت المذكورة في التورية • فاعفوا واصفحوا • العفو ترك عقوبة المذنب والصفح
ترك تثريبه • حتى يأتي الله بامره • الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل
قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر
غير مطلق • ان الله على كل شيء قدير • فيقدر على الانتقام منهم • واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة • عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء الى الله تع بالعبادة
والبر • وما تقدموا لانفسكم من خير • كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم
تجدوه عند الله • اي ثوابه • ان الله بما تعملون بصير • لا يضيع عنده عمل وقرئ
بالياء فيكون وعيدا • وقالوا • عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى • لف بين قولي الفريقين كما في قوله تع وقالوا
كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعوذ وعائذ وتوحيد الاسم
المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى • تلك امانيهم • اشارة الى الاماني المذكورة
وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم
او الى ما في الاية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض
والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة • قل هاتوا برهانكم • على اختصاصكم
بدخول الجنة • ان كنتم صادقين • في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت • بلى
اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة • من اسلم وجهه لله • اخلص له نفسه او قصده
واصله العضو • وهو محسن • في عمله • فله اجره • الذي وعد له على عمله • عند ربه • ثابتا

ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت
موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه
ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم • ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون • في الاخرة • وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى
ليست اليهود على شيء • اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلعم
واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك • وهم يتلون الكتاب • الواو للحال
والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب • كذلك • مثل ذلك • قال
الذين لا يعلمون مثل قولهم • كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال
فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا
ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الاخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم
ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به • فالله يحكم بينهم • بين الفريقين • يوم القيمة فيما
كانوا فيه يختلفون • بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم
ويدخلهم النار • ومن اظلم ممن منع مساجد الله • عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل
مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله
او المشركين لما منعوا رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية • ان يذكر فيها
اسمه • ثاني مفعولي منع • وسعى في خرابها • بالهدم والتعطيل • اولئك • اي المانعون
ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين • ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع
فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين
ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين
بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول
في المسجد واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام
وغيره • لهم في الدنيا خزي • قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية • ولهم في الاخرة
عذاب عظيم • بكفرهم وظلمهم • ولله المشرق والمغرب • يريد بهما ناحيتي الارض اي
له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام
او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا • فاينما تولوا • ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة
فثم وجه الله • اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم
ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه • ان الله واسع • باحاطة الاشياء او برحمته يريد التوسعة
على عباده • عليم • بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في صلوة
المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا
خطاهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة
لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة • وقالوا اتخذ الله ولدا • نزلت لما قال اليهود

عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله
وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله تع ومن اظلم ممن منع وقرا ابن عامر بغير واو
سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان
الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون
لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض
رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض
الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن
مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له
ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون
على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما
ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد
اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من
ملك ولده عتق عليه لانه تع نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات
والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع يؤرقني واصحابي هجوع
او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد
المنفصل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق
منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق
بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير
وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى
امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله تع وقضى ربك او فعلا
كقوله تع فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء
من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة بمعنى احدث فيحدث
وليس المراد حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته تع بلا مهلة بطاعة
المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ
الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تع يستغني عن ذلك وقرا ابن عامر بالنصب واعلم
ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب
على الله تع باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الاب الاصغر والله سبحانه
هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك
تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون
اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله
كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تأتينا آية حجة على صدقك والاول

استكبار والثاني جحود وان ما اتاهم آيات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين
من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا
مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد
الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق
لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات
او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق متلبسا مؤيدا به
بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم
لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب ولا تسأل على انه نهي للرسول عن السؤال
عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع
لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم
يرضوا حتى تتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك
قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام
هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم الزائفة والملة
ما شرعه الله تع لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى
رأي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته
ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم
الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف
والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد
بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به
بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة
واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية
والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل
التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب
ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين
والكلمات قد تطلق على المعاني ولذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة
في قوله تع التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر الآيتين وقوله تع قد افلح المؤمنون
الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله تع فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشرة

او يوقنوا بها فيكون مجازا عن الاستعداد له

يعني ليس قوله تع ولن ترضى ابتداء اخبار منه تع بعدم رضاهم بل حكاية
عنهم انهم قالوا ذلك بطريق التكلم ليطابقه قوله ان هدى الله
على طريق الجواب عن مقالتهم لانهم ادعوا ان ملتهم هي الهدى
لا يرضون الا بها فقلبت عليهم القضية سعد

لان الذي اوحي اليه هو العلم
لا العلم سعد

يعني ان بناء الصفة على المبتدأ وان كان ... لا
يفيد الحصر مثل ... سعد

قوله عطف على من آمن عطف تلقين كانه قال وارزق من كفر ايضا فانه مجاب وما ذكر من ان المعنى وارزق بلفظ المتكلم تقرير لمعنى لا تقرير للفظ والذي يقتضيه النظر الصائب ان يكون هذا عطفا على محذوف اي ارزق من آمن ومن كفر بلفظ الخبر واجعلني اماما وبعض ذريتي بلفظ الامر فيحصل التناسب ويكون المعطوف والمعطوف عليه مقول واحد سعد آكري

التي هي من سننه وابتلاه بمناسك الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على عادته معاملة المختبر بهن وبما تضمنته الآيات التي بعدها وقرئ ابرهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام • فاتمهن • فاداهن كملا وقام بهن حق القيام كقوله تعالى وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه • قال اني جاعلك للناس اماما • استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكر من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من الجعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا باتباعه • قال ومن ذريتي • عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها ياء من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة • قال لا ينال عهدي الظالمين • اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته • واذ جعلنا البيت • اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا • مثابة للناس • مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد • وامنا • وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة رح • واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى • على ارادة القول وعطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد ام وهو امر استحباب ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه ام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اؤمر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه ام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تع وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها • وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل • امرناهما • ان طهرا بيتي • بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه • للطائفين • حوله • والعاكفين • المقيمين عنده او المعتكفين فيه • والركع السجود • اي المصلين جمع راكع وساجد • واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا • يريد البلد او المكان • بلدا آمنا • ذا امن كقوله تع في عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم • وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر • ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص • قال ومن كفر • عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط • فامتعه قليلا • خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه • ثم اضطره الى عذاب النار • اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس • وبئس المصير • المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب • واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت • حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساق قاعدة ما يوضع فوقه ورفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها • واسمعيل • كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب • ربنا تقبل منا • اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما • انك انت السميع • لدعائنا • العليم • بنياتنا • ربنا واجعلنا مسلمين لك • مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع • ومن ذريتنا امة مسلمة لك • اي واجعل بعض ذريتنا وانما خص الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا اصلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تع فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم

يجوز كسرها والجمع اذا اعتبر جانب الفاعل وفتحها اذا اعتبر جانب المفعول

قوله الحرم كله مقام ابراهيم لانه كان اتخذه مقاما ومسكنا حيث ذريته فيه فمعنى الامر الاستحباب واما العبادات فيه فلا تتيسر او حرب التوجه اليه للآفاق لكان قراءة واتخذوا بلفظ الماضي فانه يصح ان الناس كانوا يتعبدون فيه اليه سعد آكري

ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل
بين العاطف والمعطوف كما في قوله تع خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن • وارنا
من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين • مناسكنا • متعبداتنا في الحج
او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد
عن العادة وقرا ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة
منقولة عن الهمزة الساقطة دليل عليها • وتب علينا • استتابة لذريتهما او عما
فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما • انك انت التواب
الرحيم • لمن تاب • ربنا وابعث فيهم • اي في الامة المسلمة • رسولا منهم • ولم يبعث
من ذريتهما غير محمد ع م فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابرهيم ع م وبشرى عيسى
ورؤيا امي • يتلو عليهم اياتك • يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلايل التوحيد والنبوة
ويعلمهم الكتاب • القرآن • والحكمة • ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام • ويزكيهم
عن الشرك والمعاصي • انك انت العزيز • الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد • الحكيم
المحكم له • ومن يرغب عن ملة ابرهيم • استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته
الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته • الا من سفه نفسه • استمهنها واذلها واستخف
بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث
الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو
غبن رايه والم راسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش • اجب الظهر ليس له سنام
او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في
يرغب لانه في معنى النفي • ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة
والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه
بالجهل والاعراض عن النظر • اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين • ظرف
لاصطفيناه او تعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه
المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان
واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلايل المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام
روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم
سلمة وابى مهاجر • ووصى بها ابرهيم بنيه • التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح
وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله
بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تاويل الكلمة والجملة وقرا نافع وابن عامر
[illegible] والاول ابلغ • ويعقوب • عطف على ابرهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرى بالنصب
على انه ممن وصاه ابرهيم • يا بني • على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين

عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بالكسر
وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين
وبنو يعقوب اثنى عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون
ودان ونفتولي وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف • ان الله اصطفى لكم الدين
دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله • فلا تموتن الا وانتم مسلمون •
ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا
على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت
خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه
ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد وروي ان اليهود قالوا لرسول الله
صلعم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت • ام كنتم شهداء
اذ حضر يعقوب الموت • ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ
حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف
تقديره اكنتم غايبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك
وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر • اذ قال لبنيه • بدل من اذ حضر • ما تعبدون
من بعدي • اي شي تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم
على الثبات عليهما وما يسال به عن كل شي ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سيل
عن تعيينه وان سيل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب • قالوا نعبد الهك واله اباءك
ابرهيم واسمعيل واسحق • المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل
من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عم الرجل صنو ابيه كما قال
في العباس رضي الله عنه هذا بقية ابائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون
كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان
الها واحدا • بدل من اله اباءك كقوله تع بالناصية ناصية كاذبة وفايدته التصريح
بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب
على الاختصاص • ونحن له مسلمون • حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون
اعتراضا • تلك امة قد خلت • يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود
وسمي به الجماعة لان الفرق تؤمها • لها ما كسبت ولكم ما كسبتم • لكل اجر عمله والمعنى
ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم
كما قال عم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم • ولا تسألون عما كانوا يعملون
ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم • وقالوا كونوا هودا او نصارى
الضمير الغايب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود
كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى • تهتدوا • جواب الامر • قل بل

لها ما كسبت صفة او حال او استيناف صح

ملة ابرهيم • اي بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ
بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته • حنيفا • مائلا عن الباطل الى الحق
حال من المضاف او المضاف اليه كقوله تع ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا • وما كان
من المشركين • تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون
قولوا آمنا بالله • الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به • وما انزل الينا
القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره • وما انزل
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط • الصحف وهي وان نزلت الى ابرهيم
لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان
القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب وابناءه
وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق • وما اوتي موسى وعيسى • التورية والانجيل افردهما
بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع
فيهما • وما اوتي النبيون • المذكورون ومنهم غير المذكورين • من ربهم • منزلا عليهم
من ربهم • لا نفرق بين احد منهم • كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في
سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين • ونحن له • اي لله • مسلمون • مذعنون
مخلصون • فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا • من باب التعجيز والتبكيت كقوله تع
فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء
للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان
وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتأكيد كقوله تع جزاء سيئة بمثلها
والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله تع وشهد شاهد من بني
اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به • وان
تولوا فانما هم في شقاق • اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا
في شقاق الحق وهو المناوأة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق
الآخر • فسيكفيكهم الله • تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من
ناواهم • وهو السميع العليم • اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم
وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو
معاقبهم عليه • صبغة الله • اي صبغنا الله صبغة وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها
فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا
حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ
وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انه
مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم • ومن احسن من

الله صبغة • لا صبغة احسن من صبغته • ونحن له عابدون • تعريض بهم اي لا نشرك
به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله تع صبغة الله في مفعول قولوا
ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة
ابرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب • قل اتحاجوننا
اتجادلوننا في الله • في شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب
قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت • وهو ربنا وربكم • لا اختصاص
له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده • ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم • فلا يبعد
ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما
تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة
على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا
اعمال • ونحن له مخلصون • موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم • ام تقولون
ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى •
ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء يحتمل
ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية
والنصرانية على الانبياء • قل ءانتم اعلم ام الله • وقد نفى الامرين عنه ابرهيم
بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل
الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا • ومن اظلم ممن كتم
شهادة عنده من الله • يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية
والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا
هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عم بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن
للابتداء كما في قوله تع براءة من الله • وما الله بغافل عما تعملون • وعيد لهم وقرئ بالياء
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون • تكرير للمبالغة
في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما تقدم
لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني
اسلاف اليهود والنصارى • سيقول السفهاء من الناس • الذين خفت
احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين
واليهود والمشركين • وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب
ما ولاهم • ما صرفهم • عن قبلتهم التي كانوا عليها • يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحالة
التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة
قل لله المشرق والمغرب • لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره
مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان • يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

جزء

خيار جمع خير وهم خلاف الاشرار وقد يكون اخيارا سما في الاخير والوسط بالتحريك اسم لعين ما بين طرفيه كمركز الدائرة وبالسكون اسم لما بين الطرفين فهو من الاماكن المبهمة ولهذا يقع الا ظرفا تقول جلست وسط الدار بالفتح وجلست وسط الدار بالسكون سعد الدين

وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى
وكذلك اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اي كما جعلناكم مهتدين الى الصراط المستقيم
او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم
والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي يستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير
للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل
والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل بها على ان الاجماع حجة
اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل
عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا
ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات
فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم يوم القيمة
يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة
على المنكرين فيؤتى بامة محمد عم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك
باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلعم فيسأل عن حال
امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب
المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا
عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عم
كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس
كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل
الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك
بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم
من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من
يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه
ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه
وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه
باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله
والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او ليتميز الثابت عن المتزلزل كقوله
ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم
على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله
الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة

لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام
بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة
او التحويلة او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة الا على الذين
هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي
انه عم لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا
فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله
قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل قد نرى ربما نرى تقلب وجهك في السماء
اي تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلعم يقع في روعه ويتوقع
من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان
ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة
فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها
ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك
اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر
اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام
المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عم
كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب
روي انه عم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة
في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر
فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد
مسجد القبلتين وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا
لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتأكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان
الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل
بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل
عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء ولئن اتيت
الذين اوتوا الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم
ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المضمر وساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها
بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا
لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم
وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض
فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك

لتعصب كل حزب فيما هو فيه ● ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ● على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي ● انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء ● الذين آتيناهم الكتاب يعني علماءهم ● يعرفونه ● الضمير لرسول الله صلعم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القران او التحويل ● كما يعرفون ابناءهم ● يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبس عليهم بغيرهم وعن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله ام فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي واما ولدي فلعل والدته خانت ● وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ● تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن ● الحق من ربك ● كلام مستانف والحق اما مبتدا خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول والحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تع كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الحق الاول او مفعول يعلمون ● فلا تكونن من الممترين ● الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ● ولكل وجهة ● ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة ● هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله تع موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبرا لضعف العامل وقرا ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها ● فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة ● اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ● اي في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ● ان الله على كل شيء قدير ● فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ● ومن حيث خرجت ● ومن اي مكان خرجت للسفر ● فول وجهك شطر المسجد الحرام ● اذا صليت ● وانه ● وان هذا الامر ● للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ● كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تع ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز

بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة اخرى ● لئلا يكون للناس عليكم حجة ● علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابرهيم ويخالف قبلته ● الا الذين ظلموا منهم ● استثناء من الناس اي لا يكون لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمي هذه حجة كقوله تع حجتهم داحضة لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه ● فلا تخشوهم ● فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم ● واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم به ● ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ● علة محذوف اي امرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضه تمام النعمة الموت على الاسلام ● كما ارسلنا فيكم رسولا منكم ● متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني ● يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ● يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابرهيم باعتبار الفعل ● ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ● بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر ● فاذكروني ● بالطاعة ● اذكركم ● بالثواب ● واشكروا لي ما انعمت عليكم ● ولا تكفرون ● بجحد النعم وعصيان الامر ● يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر ● عن المعاصي وحظوظ النفس ● والصلوة ● التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجات رب العالمين ● ان الله مع الصابرين ● بالنصرة واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات ● اي هم اموات ● بل احياء ● بل هم احياء ● ولكن لا تشعرون ● ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما يعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فالتخصيص

تخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة • ولنبلونكم • ولنصيبنكم
اصابة من يختبر احوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء • بشيء من الخوف والجوع
اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم
او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه
نفوسهم • ونقص من الاموال والانفس والثمرات • عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي
الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات
ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلعم اذا مات ولد العبد
قال الله تع للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم
فيقول الله تع ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تع ابنوا لعبدي
بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد • وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا
لله وانا اليه راجعون • الخطاب للرسول او لمن تأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب
الانسان من مكروه لقوله عم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع
باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه
ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف
دل عليه قوله تع • اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة • الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله
التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صلعم
من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه • واولئك
هم المهتدون • للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تع • ان الصفا والمروة
هما علما جبلين بمكة • من شعائر الله • من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة • فمن حج البيت
او اعتمر • الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على
الوجهين المخصوصين • فلا جناح عليه ان يطوف بهما • كان اساف على الصفا ونائلة على المروة
وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون
ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف
في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله تع فلا جناح فانه يفهم
منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه
وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عم اسعوا فان
الله تع كتب عليكم السعي • ومن تطوع خيرا • اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما
فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه
صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى
اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف • فان
الله شاكر عليم • مثيب على الطاعة لا تخفى عليه • ان الذين يكتمون • كاحبار اليهود

اليهود • ما انزلنا من البينات • كالآيات الشاهدة على امر محمد صلعم • والهدى • وما يهدي
الى وجوب اتباعه والايمان به • من بعد ما بيناه للناس • لخصناه • في الكتاب
في التورية • اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون • اي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة
والثقلين • الا الذين تابوا • عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه • واصلحوا
ما افسدوا بالتدارك • وبينوا • ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة
ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم • فاولئك اتوب عليهم • بالقبول
والمغفرة • وانا التواب الرحيم • المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة • ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار • اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات • فاولئك عليهم لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين • استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول
لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله
لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة
خالدين فيها • اي في اللعنة او في النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا
او اكتفاء بدلالة اللعن عليها • لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون • لا يمهلون او لا ينتظرون
ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر الرحمة • والهكم اله واحد • خطاب عام اي المستحق منكم
العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها • لا اله الا هو • تقرير للوحدانية
وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة • الرحمن الرحيم
كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه
لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف قيل
لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت
ان في خلق السموات والارض • وانما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة
بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين • واختلاف الليل والنهار • تعاقبهما كقوله
جعل الليل والنهار خلفة • والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس • اي بنفعهم
او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه
سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما
البحر في غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل
او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين • وما انزل الله من السماء من ماء • من الاولى
للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو • فاحيى به الارض
بعد موتها • بالنبات • وبث فيها من كل دابة • عطف على انزل كانه استدل
بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيى فان الدواب
ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق • وتصريف الرياح • في مهابها
واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد • والسحاب المسخر بين السماء والارض

لا ينزل ولا ينقشع مع أن الطبع يقتضي أحدهما حتى يأتي أمر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه
في الجو بمشيئة الله تع واشتقاقه من السحب لأن بعضه يجر بعضا • لآيات لقوم يعقلون
يتفكرون فيها وينظرون إليها بعيون عقولهم وعنه عم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها
أي لم يتفكر فيها • واعلم أن دلالة هذه الآيات على وجود الإله ووحدته من وجوه
كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل أنها أمور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص
من وجوه محتملة وأنحاء مختلفة إذ كان من الجائز مثلا أن لا تتحرك السموات أو بعضها كالأرض
وأن تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وأن لا يكون لها
أوج وحضيض أصلا أو على هذا الوجه لبساطتها وتساوي أجزائها فلا بد لها من
موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره
إذ لو كان معه إله يقدر على ما يقدر عليه فإن توافقت إرادتهما فالفعل إن كان لهما
لزم اجتماع المؤثرين على أثر واحد وإن كان لأحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر
المنافي لإلهيته وإن اختلفت لزم التمانع والتطارد كما أشار إليه بقوله تع لو كان
فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله وحث
على البحث والنظر فيه • ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا • من الأصنام وقيل
من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
ولعل المراد أعم منهما وهو ما يشغله عن الله تع • يحبونهم • يعظمونهم ويطيعونهم • كحب الله
كتعظيمه والميل إلى طاعته أي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب
من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لأنه أصابها ورسخ فيها ومحبة العبد
لله تع إرادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد إرادة إكرامه واستعماله
في الطاعة وصونه عن المعاصي • والذين آمنوا أشد حبا لله • لأنه لا تنقطع محبتهم
لله بخلاف محبة الأنداد فإنها لأغراض فاسدة موهومة تزول بأدنى سبب
ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم إلى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم
يرفضونه إلى غيره • ولو يرى الذين ظلموا • ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الأنداد
إذ يرون العذاب • إذ عاينوه يوم القيمة وأجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله
ونادى أصحاب الجنة • أن القوة لله جميعا • ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو
محذوف أي لو يعلمون أن القدرة لله جميعا إذا عاينوا العذاب لندموا أشد الندم
وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا
أندادهم لا تنفع لعلموا أن القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر
ونافع ويعقوب ولو ترى على أنه خطاب للنبي أي ولو ترى ذلك لرأيت أمرا
عظيما وابن عامر إذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب إن بالكسر وكذا • وأن
الله شديد العذاب • على الاستئناف أو على إضمار القول • إذ تبرأ الذين

اتبعوا من الذين اتبعوا • بدل من إذ يرون أي إذ تبرأ المتبوعون من الأتباع وقرئ
بالعكس أي تبرأ الأتباع من الرؤساء • ورأوا العذاب • أي رائين له والواو
للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ • وتقطعت بهم الأسباب • يحتمل العطف على تبرأ أو رأوا
أو الحال والأول أظهر والأسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق
على الدين والأغراض الداعية إلى ذلك وأصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر
وقرئ تقطعت على البناء للمفعول • وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا
منا • لو للتمني ولذلك أجيب بالفاء أي ليت لنا كرة إلى الدنيا فنتبرأ منهم • كذلك
أي مثل ذلك الإراء الفظيع • يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم • ندامات وهي ثالث مفاعيل
يرى إن كان من رؤية القلب وإلا فحال • وما هم بخارجين من النار • أصله وما يخرجون
فعدل به إلى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والإقناط من الخلاص والرجوع إلى الدنيا
يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا • نزلت في قوم حرموا على أنفسهم رفيع الأطعمة
والملابس وحلالا مفعول كلوا أو صفة مصدر محذوف أو حال مما في الأرض
ومن للتبعيض إذ لا يؤكل كل ما في الأرض • طيبا • يستطيبه الشرع أو الشهوة المستقيمة
إذ الحلال دل على الأول • ولا تتبعوا خطوات الشيطان • لا تقتدوا به في اتباع الهوى
فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان
في جمع خطوة وهو ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وقلبت الواو همزة جعلت ضمة
الطاء كأنها عليها وبفتحتين على أنه جمع خطوة وهي المرة من الخطو • إنه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وإن كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا
في قوله تع أولياؤهم الطاغوت • إنما يأمركم بالسوء والفحشاء • بيان لعداوته ووجوب التحرز
عن متابعته واستعير الأمر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء
والفحشاء ما أنكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فإنه سوء لاغتمام
العاقل به وفحشاء باستقباحه إياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يجاوز الحد في القبح
من الكبائر وقيل الأول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد • وأن تقولوا على الله
ما لا تعلمون • كاتخاذ الأنداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع
من اتباع الظن رأسا وأما اتباع المجتهد لما أدى إليه ظنه مستندا إلى مدرك شرعي
فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الأصولية • وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله
الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كأنه التفت إلى العقلاء وقال
لهم انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون • قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا • ما وجدناهم عليه
نزلت في المشركين أمروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل الله من الحجج والآيات
فجنحوا إلى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلعم إلى الإسلام فقالوا
نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لأنهم كانوا خيرا منا وأعلم وعلى هذا فيعم ما أنزل الله التورية

لانها ايضاً تدعو الى الاسلام • اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون
الواو للحال او للعطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان اباؤهم
جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع
من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه
محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء • على حذف المضاف
تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل البهائم التي ينعق
والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما
يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس
بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع اباءهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم
التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو
التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله تع الا دعاء ونداء
لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب • صم بكم عمي • رفع على الذم • فهم
لا يعقلون • اي بالفعل للاخلال بالنظر • يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين
منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال • واشكروا لله • على ما رزقكم
واحل لكم • ان كنتم اياه تعبدون • ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم
فان عبادتكم لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو
عدم عند عدمه وعن النبي عم يقول الله تع اني والانس والجن في نبا عظيم اخلق
ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري • انما حرم عليكم الميتة • اكلها والانتفاع بها وهي التي
ماتت من غير ذكوة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد اخرجهما العرف
عنها او استثنى الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفاً حرمة التصرف فيها مطلقاً
الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ • والدم ولحم الخنزير • انما خص اللحم بالذكر لانه
معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له • وما اهل به لغير الله • اي رفع
الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال
واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رأى سمي ذلك اهلالاً ثم قيل
لرفع الصوت وان كان لغيره • فمن اضطر غير باغ • بالاستيثار على مضطر آخر وقرأ
عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون • ولا عاد • سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ
على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بسفره وهو ظاهر مذهب الشافعي
وقول احمد • فلا اثم عليه • في تناوله • ان الله غفور • لما فعل • رحيم • بالرخصة فيه فان قيل
انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه

مما استحلوه لا مطلقاً او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء
ما لم تضطروا اليها • ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً
عوضاً حقيراً • اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار • اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس
بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت دماً ان لم ارعك بضرة • بعيدة مهوى
القرط طيبة النشر • يعني الدية او في المآل اي لا ياكلون يوم القيمة الا النار ومعنى
في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم
تعفوا • ولا يكلمهم الله يوم القيمة • عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم
في الكرامة والزلفى من الله • ولا يزكيهم • ولا يثني عليهم • ولهم عذاب اليم • مؤلم • اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى • في الدنيا • والعذاب بالمغفرة • في الآخرة بكتمان
الحق للمطامع والاغراض الدنيوية • فما اصبرهم على النار • تعجب من حالهم في الالتباس
بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم
شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر
محذوف • ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق • اي ذلك العذاب بسبب ان الله
نزل الكتاب فرفضوه بالتكذيب او الكتمان • وان الذين اختلفوا في الكتاب • اللام
فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية
واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه
اي حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر و
اساطير الاولين • لفي شقاق بعيد • لفي خلاف بعيد عن الحق • ليس البر ان تولوا
وجوهكم قبل المشرق والمغرب • البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا
الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم
وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم
وللمسلمين اي ليس البر مقصوراً بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا
بشانه عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص ليس البر بالنصب • ولكن البر من آمن بالله
واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين • اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم
بر من آمن ويؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب
الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر • وآتى المال
على حبه • اي على حب المال كما قال عم لما سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح
شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال
ذوي القربى واليتامى • يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى
لان ايتاءهم افضل كما قال عم صدقتك على المساكين صدقة وعلى ذوي رحمك
اثنتان صدقة وصلة • والمساكين • جمع المسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله

وائم السكون كالمسكير لدائم السكر • وابن السبيل • المسافر سمي به لملازمته السبيل
كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به • والسائلين • الذين الجاهم
الحاجة الى السؤال وقال عم للسائل حق وان جاء على فرسه • وفي الرقاب • وفي تخليصها
بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها • واقام الصلوة
المفروضة • واتى الزكوة • يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله تع واتى المال الزكوة
المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث عليها
ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى
الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة • والموفون بعهدهم اذا عاهدوا •
عطف على من آمن • والصابرين في البأساء والضراء • نصب على المدح ولم يعطف
لفضل الصبر على ساير الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء
في الانفس كالمرض • وحين البأس • وقت مجاهدة العدو • اولئك الذين صدقوا
في الدين واتباع الحق وطلب البر • واولئك هم المتقون • عن الكفر وساير الرذائل
والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها
بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس
وقد اشير الى الاول بقوله تع من آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله تع واتى المال الى
وفي الرقاب والى الثالث بقوله تع واقام الصلوة آه ولذلك وصف المستجمع لها
بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته
مع الحق واليه اشار بقوله عم من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان • يا ايها الذين
آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى • كان
في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا
لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلعم
فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما
لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا
ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روي
علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول عم ونفاه سنة ولم يقده به وروي
عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما
كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم
دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في
القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير
يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه
وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك كل فعل جاء في القرآن • فمن

قوله ولكن الغرض من الاول آه يعني لا يكون القصد الى اداء الزكوة ليكون قوله وآتى الزكوة تكرارا بل الى بيان مصارفها التي هي اهم واكثر ثوابا على ان يكون ان تبين اشارة الى الفقراء ويشترط في ذوي القربى واليتامى الفقر والا فقد ترك ذكر البعض وذكر ما ليس من المصارف ولمن اوجب حقا سوى الزكوة ان يتمسك بهذه الآية وبقوله تع وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم وبالاحاديث الواردة في ذلك وبالاجماع على وجوب دفع حاجة المضطرين وان يجيب عن نسخ الزكوة وجوب كل صدقة بانه ليس في المال حق سوى الزكوة وبان المراد الواجبات المقدرة
سعد الدين

فمن عفي له من اخيه شيء • اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو
كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف
اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب
قال الله تع عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي
الى الجاني باللام وعليه ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم
وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه
فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان • اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به
وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان
وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر
باداءها على مطلق العفو وللشافعي فيه قولان • ذلك • اي الحكم المذكور في العفو والدية
تخفيف من ربكم ورحمة • لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى
النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقريرا للحكم
على حسب مراتبهم • فمن اعتدى بعد ذلك • قتل بعد العفو واخذ الدية • فله عذاب اليم
في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة • ولكم في القصاص حيوة • كلام في غاية الفصاحة
والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في
هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل
فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة
بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه
اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه
في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون
احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما
قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب • يا اولي الالباب •
ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس
لعلكم تتقون • في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا
عن القتل • كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت • اي حضر اسبابه وظهر اماراته • ان ترك
خيرا • مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم
فمنعه وقال قال الله تع ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضي الله عنها
ان رجلا اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة آلاف فقالت كم عيالك
فقال اربعة قالت انما قال الله تع ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك
الوصية للوالدين والاقربين • مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تأويل ان يوصي
او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله تع فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية

كانه في مذهب الشافعي واما عند ابي حنيفة فالواجب القصاص والدية بدل صلح لا يكون الا برضاء القاتل وكان المراد انه مخير في هذه الامور ونحوها بحيث لا يتعين احدها لكن لا يخفى ان النصوص صريحة في ايجاب القصاص على التعيين ثم تجويز العفو
سعد الدين

لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل
الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء
الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عم ان الله تع اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية
لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم
الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله
احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى الله تع من توريث الوالدين والاقربين
بقوله تع يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تع عليهم بالمعروف
بالعدل فلا يفضل الغني ولا يجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك
حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده
فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله لانه
هو الذي خان وخالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف
من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر موص جنفا ميلا بالخطأ في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى
لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف
الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل
من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم
يعني الانبياء والامم من لدن ادم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب
على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك
عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم
يكسر الشهوة التي مبدأها كما قال عم فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال
باداته لاصالته وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل
فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل
بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه
قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او
على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام
لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى
الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم
فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه
ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام
المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه
للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب

على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه
اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر
او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك
اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع
وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرأ
هشام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او
يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه
ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيّقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل
وتفيعل بمعنى يطوقونه ويتطوقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده
وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا لا منسوخا وقد اول به القراءة
المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو
اي التطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم
او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير
او منهما ومن التأخير للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة
وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم
ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره
ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف مضاف اي كتب عليكم الصيام صيام
شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف
او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر
وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب
للعلمية والتأنيث وقوله عم من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس
وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه
او لوقوعه ايام رمض الحر حيثما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل
فيه القران اي ابتداء فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا
ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شأنه القران وهو قوله تع كتب عليكم الصيام وعن النبي عم
نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل
لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر
فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه
سبب اختصاصه بوجوب الصوم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
حالان من القران اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدي
الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه

فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع
المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير
الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك
شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر
مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم
نسخه لما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم ولا
يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم
ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر
الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة
الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله
علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال
كل لفعلها او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز
ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله تع يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير
تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند
الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي هديكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد
واذا سالك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه
بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي
ان اعرابيا قال لرسول الله ص اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب
دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي
اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر
بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة
الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تع لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة
وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه خبير باحوالهم
سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام
الصوم فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا
اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان
عمر باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلعم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا
بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي تصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع
لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى
الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث
هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر

الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل
والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع
ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب
والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه
وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز
نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا
ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون
غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل
وقيل النهي عن غير الماتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض
في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله
من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل
ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر
فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت
ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى
اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة
الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام
الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة
والمراد بالمباشرة الوطي وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها
ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد
وان الوطي محرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله
اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل
فضلا ان يتخطى كما قال عم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك
ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه
كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر
والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا ياكل بعضكم مال البعض بالوجه الذي
لم يبحه الله وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام
عطف على النهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام
لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور

وفيه نظر لان معنى الآية هو النهي عن المباشرة في حال العكوف في المساجد ولا يلزم منه ان العكوف لا يكون الا في المساجد [illegible]

واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم • وانتم تعلمون • انكم مبطلون فان ارتكاب
المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي
قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله عم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرا عم
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض
الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عم انما انا
بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن
قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من النار • يسئلونك عن الاهلة • سأله
معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي
ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا فنزلت • قل هي مواقيت للناس والحج • فانهم سألوا
عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في
ذلك ان تكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة كالحج
يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت
جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة
امتداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض
لامر • وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها • وقرا ابو عمرو وورش وحفص
بضم الباء والباقون بالكسر • ولكن البر من اتقى • وقرا نافع وابن عامر بتخفيف لكن
ورفع البر كان الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون
ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر
وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين
او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم
لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم
النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال
ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال وتمثيل حالهم بحال من ترك
باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر
بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله • وأتوا البيوت من ابوابها • اذ ليس في العدول
بر فباشروا الامور من وجوهها • واتقوا الله • في تغيير احكامه والاعتراض
على افعاله • لعلكم تفلحون • لكي تظفروا بالهدى والبر • وقاتلوا في سبيل الله • جاهدوا
لاعلاء كلمة الله تع واعزاز دينه • الذين يقاتلونكم • قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال
المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال
ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة
كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا

وأتوا البيوت عطف على هي مواقيت وليس البر كأنه قيل
لما سألوا عن اشكال هذا او النظر وان فعلتكم واتوا البيوت
هذا اذا كان الكل مقول قل بطريق العطف واما اذا كان
المعنى قل هي مواقيت وقل ليس البر وقل واتوا البيوت
فلا اشكال سعد الدين

رسول الله عم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام
فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام
وكرهوا ذلك فنزلت • ولا تعتدوا • بابتداء القتال او بقتال المعاهد او المفاجاة به
من غير دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله • ان الله لا يحب المعتدين • لا يريد
بهم الخير • واقتلوهم حيث ثقفتموهم • حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق
في ادراك الشيء علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال
فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود • واخرجوهم من حيث اخرجوكم •
اي من مكة وقد فعل رسول الله صلعم ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح • والفتنة اشد من القتل •
اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها
وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه • لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام
فان قاتلوكم فاقتلوهم • فلا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم الذين هتكوا حرمته وقرا حمزة والكسائي
ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد • كذلك
جزاء الكافرين • مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا • فان انتهوا • عن القتال والكفر • فان الله
غفور رحيم • يغفر لهم ما قد سلف • وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة • شرك • ويكون الدين لله •
خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب • فان انتهوا • عن الشرك • فلا عدوان الا على الظالمين •
اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي
جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله تع فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم
للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء •
الشهر الحرام بالشهر الحرام • قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم
لعمرة القضاء فيه فكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته • فقيل لهم هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه
فلا تبالوا به • والحرمات قصاص • احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها
يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة
واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال • فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم •
وهو فذلكة التقرير • واتقوا الله • في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم • واعلموا
ان الله مع المتقين • فيحرسهم ويصلح شأنهم • وانفقوا في سبيل الله • ولا تمسكوا
كل الامساك • ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة • بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف
عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روي عن
ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا
واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك
المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء

وعدّي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك
والهلك واحد وهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك
وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول
واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين
واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على
وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روي جابر انه قيل يا رسول الله
العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا قال لعمر اني
وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال
انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما
لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس
وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده
لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره
العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند
مالك والشافعي لقوله تع فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر
الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عم من كسر
او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال لقوله عم لضباعة
بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي
فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد
ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عم
ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل عند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم
امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي
محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي
يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما
واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر
يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع الهدية
كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة
وقمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية
واما قدرها فقد روي انه عم قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله
قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق
ثلثة آصع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج
فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل

الضمير في بيده راجع الى اللام في المبعوث والجار والمجرور
متعلق بالمبعوث ويوم امارة مفعول يجعل والامارة
والامارة العلامة يريد انه يقول للمبعوث عليه
النحر يوم كذا فاذا جاء ذلك اليوم غلب على ظنه
انه نحر يتحلل حينئذ عصـ

وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج
فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم
بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي
فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره
بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر
وايام التشريق عند الاكثرين وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي
او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب
عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو
بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب
لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة
صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد
كامل اذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها عن الهدي ذلك
اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام
عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان
من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه
وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله
في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب
لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات
معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة
وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله
ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة
وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض الشهر اشهرا
اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه
على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب
اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام
ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال
ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلاثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها
حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلاة
والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ
ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث
بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب

فيقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شيء سوى الله وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منها فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التأنيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابرهيم عم فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله تع ثم افيضوا او مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل انها نافية واللام بمعنى

الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناسي بالكسر اي الناسي يريد به آدم من قوله تع فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم قوما اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله تع مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تأخر فلا اثم عليه فمن تأخر في النفر حتى رمي اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال

ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم
من اثم المتأخر لمن اتقى الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة
والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ
بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن
الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله
بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب
المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك
اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة
او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان
ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين
والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة
قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي
رسول الله صلعم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف
عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل
كما فعل الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما تفعله ولاة
السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته
العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من
قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم
علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم
مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن
الناس من يشري نفسه يبيعها يبذلها في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر
حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه قيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي
اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم
ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤوف
بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء
يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة
ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون
وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث
كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى
استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام

تاخذ منها في ابتدائه متعلق بتاخذ او معرضة
اي تاخذ منها ابدا ما تحبه وترضاه فلا تسام
من طول زمانها وتجرب بالعكس او يكفيك
اليسير منها وعدة جرع من شربها سعد آره

في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم
عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء
والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء
والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو
مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات
الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم
لا ينتقم الا بالحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان ياتيهم
الله اي ياتيهم امره وباسه كقوله تع او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا او ياتيهم الله
ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة
وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم
العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء
من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الوسائط
في اتيان امره او الآتون على الحقيقة بباسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام
وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه
وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قراه ابن كثير ونافع
وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرا الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب
على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول ام
او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية
في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة
ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد الى المبتدأ من الخبر وآية
مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آياته فانها سبب الهدى الذي هو
من اجل النعم يجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ
من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد
ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه
اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في
اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة
هو الله تع اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان
والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض
ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم
ويستهزؤون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا ابتداء السخرية
مبتدأه منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين

اشارة الى ان الآية بمعنى العلامة او آية الكتاب
وضع الظاهر موضع المضمر تصريحا لكونها نعمة لقصد
مزيد التقبيح وتبديلها اما تغيير متعلقها بان جعلوها
اسباب الضلالة بعد ما ظهرت لكونها اسباب
الهداية سواء اريد المعجزات او آيات الكتاب
واما تغيير ذواتها اذا اريد تغيير آيات الكتاب
سعد الدين

او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم
في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان
استعلاءهم للتقوى • والله يرزق من يشاء • في الدارين • بغير حساب • بغير تقدير
فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى • كان الناس امة واحدة •
متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس ونوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة
والكفر في فترة ادريس او نوح • فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين • اي فاختلفوا
فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء
مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القران باسم
العلم ثمانية وعشرون • وانزل معهم الكتاب • يريد الجنس ولا يريد انه انزل مع كل واحد
كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم • بالحق •
حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به • ليحكم بين الناس • اي الله او النبي المبعوث
او كتابه • فيما اختلفوا فيه • في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم • وما اختلف فيه •
في الحق او الكتاب • الا الذين اوتوه • اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر
فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه • من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم •
حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا • فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه • اي للحق
الذي اختلف فيه من اختلف • من الحق • بيان لما اختلفوا فيه • باذنه • بامره وارادته
ولطفه • والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم • لا يضل سالكه • ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
خاطب به النبي عم والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات
تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفتهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار • ولما ياتكم •
لم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد • مثل الذين خلوا من
قبلكم • حالهم التي هي مثل في الشدة • مستهم البأساء والضراء • بيان له على الاستيناف •
وزلزلوا • وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد • حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه • لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر
وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه • متى نصر الله •
استبطاء له لتأخره • الا ان نصر الله قريب • استيناف على ارادة القول اي فقيل
لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله
والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات
كما قال عم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات • يسئلونك ماذا ينفقون • عن
ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري كان شيخا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله
ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت • قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين
واليتامى والمساكين وابن السبيل • سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم

اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا
في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله تع ما انفقتم من خير • وما تفعلوا من خير •
في معنى الشرط • فان الله به عليم • جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي
ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به • كتب عليكم القتال وهو كره لكم •
شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ
بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه
لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها • وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم •
وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم • وعسى ان تحبوا شيئا
وهو شر لكم • وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما
ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها • والله يعلم • ما هو خير لكم • وانتم لا تعلمون •
ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها • يسئلونك
عن الشهر الحرام • روي انه عم بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الاخرة
قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا
اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه
من جمادى الاخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه
الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد
رسول الله العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلعم الغنيمة
وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا
وقيل اصحاب السرية • قتال فيه • بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل
قل قتال فيه كبير • اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية
على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم • وصد •
صرف ومنع • عن سبيل الله • اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات • وكفر به •
اي بالله • والمسجد الحرام • على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دواد
اكل امرئ تحسبين امرأ • ونار توقد بالليل نارا • ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله
وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء
في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار • واخراج اهله منه • اهل المسجد
وهم النبي عم والمؤمنون • اكبر عند الله • مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو
خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل مما يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث • والفتنة اكبر من القتل • اي ما ترتكبونه من الاخراج والشرك
افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي • ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم •

اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل
كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم
كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن
يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت
عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت
بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية
والآخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة
ان الذين آمنوا نزلت ايضا في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما
مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمت الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا
بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا
خطاء وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسئلونك عن الخمر والميسر روي
انه نزلت بمكة قوله تع ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا فاخذ
المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله
في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن
ابن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام احدهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص
في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه
انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا
فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل
مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي
سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة
نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر
والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى
يسئلونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى
الانتكاب عن المأمور به وارتكاب المحظورات وقرا حمزة والكسائي كثير بالثاء
ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر
خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروءة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد
التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة
اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسئلونك ماذا
ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف ثم سال

ثم سال عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو
ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلا
اتى النبي صلعم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه
حتى كرره مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها حذفا لو اصابته لشجته ثم قال يأتي احدكم
بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الآيات
اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب
صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب جمع
على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة اي في
امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم
اكثر مما ينفعكم ويسئلونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما
اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلعم فنزلت
قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم
حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط وقيل المراد بالمخالطة
المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح
اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي
كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب
يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن اي لا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب
مشركون لقوله تع وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
الى قوله سبحانه عما يشركون لكن خصت عنها بقوله تع والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
روي انه عم بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان
يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج
بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلعم فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة
اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم
بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا
تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم
تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من
المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم
ومصاهرتهم والله يدعوا اي واولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه
مقامه تفخيما لشأنهم الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء
بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس

لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول
من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسئلونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم
يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح
في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر
يسئلونك بغير واو ثلثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلثة
الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف العطف قل هو اذى اي الحيض
مستقذر موذ من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عم
انما امرتم ان تعتزلوا النساء مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت
كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن
ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة
ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع
ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطهّرن اي يتطهرن
بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضي تأخر جواز الاتيان عن الغسل
وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اي المأتى
الذي امركم الله به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين
المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى نساؤكم
حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور
فأتوا حرثكم اي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم
الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من
دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله عم فنزلت وقدموا لانفسكم
ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطي واتقوا الله بالاجتناب
عن المعاصي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين
في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلوات الله عليه ان ينصحهم ويبشر من صدق
وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
نزلت في الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة او في عبد الله بن رواحة
حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن نعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول
كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول لا تجعلوا الله
حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها لقوله عم
لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت بالذي هو خير وكفر عن يمينك
وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز
ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا

لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به
ولذلك ذم الحلاف بقوله تع ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي
اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله
والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع
لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي
لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا
بمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت
قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او
باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف
الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم
بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة
على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن
والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص
اربعة اشهر مبتدا وما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار
والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب
بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده
فان فاؤا اي رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما
توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق
وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء
في اربعة اشهر فما دونها وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطي ان قدر والوعد
ان عجز صح الفيء ولزم الواطي ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة
باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن
من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن
خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله
وكأن المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء يرحمك الله وبناؤه على
المبتدا يزيده فضل تأكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء
طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على الظرف او المفعول به
اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عم دعي الصلوة ايام اقرائك
وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال
من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قالت الحنفية
لقوله تع فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض

وأما قوله عليه السلام طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان
في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك
بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن تطلق لها النساء وكان
القياس أن يذكر بصيغة القلة التي هي الأقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد
من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الأقراء تضمن معنى الكثرة فحسن
بناؤها • ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن • من الولد والحيض استعجالا في العدة
وإبطالا لحق الرجعة وفيه دليل على أن قولها مقبول في ذلك • إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر
ليس المراد منه تقييد نفي الحل بإيمانهن بل التنبيه على أنه ينافي الإيمان وأن المؤمن لا يجترئ
عليه ولا ينبغي له أن يفعل • وبعولتهن • أي أزواج المطلقات • أحق بردهن • إلى النكاح والرجعة
إليهن ولكن إذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير أخص من المرجوع إليه ولا
امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة
أو مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به أو أقيم مقام المضاف المحذوف أي أهل بعولتهن
وأفعل ههنا بمعنى الفاعل • في ذلك • أي في زمان التربص • إن أرادوا إصلاحا • بالرجعة
لا إضرار المرأة وليس المراد منه شرطية قصد الإصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد
الإضرار • ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف • أي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم
عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس • وللرجال عليهن درجة •
زيادة في الحق وفضل فيه لأن حقوقهم في أنفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار
ونحوها أو شرف وفضيلة لأنهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركوهن في غرض الزواج
ويخصون بفضيلة الرعاية والإنفاق • والله عزيز • يقدر على الانتقام ممن خالف الأحكام
حكيم • يشرعها لحكم ومصالح • الطلاق مرتان • أي التطليق الرجعي اثنتان لما روي أنه عليه السلام
سئل أين الثالثة فقال عليه السلام أو تسريح بإحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة
على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة • فإمساك بمعروف •
بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الأول • أو تسريح بإحسان • بالطلقة الثالثة
أو بأن لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الأخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقيب تعليمهم كيفية التطليق
• ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا • أي من الصدقات روي أن جميلة بنت
عبد الله بن أبي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فأتت رسول الله عليه السلام
وقالت لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله لا أعيبه في دين ولا خلق
ولكني أكره الكفر في الإسلام ما أطيقه بغضا إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة
فإذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت واختلعت منه بحديقة
أصدقها والخطاب مع الحكام وإسناد الأخذ والإيتاء إليهم لأنهم الآمرون بهما
عند الترافع وقيل إنه خطاب الأزواج وما بعده خطاب الحكام وهو يشوش النظم على القراءة

على القراءة المشهورة • إلا أن يخافا • أي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف
بالظن • ألا يقيما حدود الله • ترك إقامة أحكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب
يخافا على البناء للمفعول وإبدال أن بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب
• فإن خفتم • أيها الحكام • ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به • على الرجل
في أخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة في إعطائه • تلك حدود الله • إشارة
إلى ما حد من الأحكام • فلا تعتدوها • فلا تتعدوها بالمخالفة • ومن يتعد حدود الله فأولئك
هم الظالمون • تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم أن ظاهر الآية يدل
على أن الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج إليها فضلا
عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام أيما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير بأس
فحرام عليها رائحة الجنة وما روي أنه عليه السلام قال لجميلة أتردين عليه حديقته فقالت أردها
وأزيد عليها فقال عليه السلام أما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فإن المنع عن العقد
لا يدل على فساده وأنه يصح بلفظ المفاداة فإنه سماه افتداء واختلف في أنه إذا جرى
بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ أو طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله • فإن طلقها • فإن تعقيبه
للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي أن يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والأظهر أنه
طلاق لأنه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله تعالى فإن طلقها متعلق بقوله
الطلاق مرتان تفسير لقوله تعالى أو تسريح بإحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على أن الطلاق
يقع مجانا تارة وبعوض أخرى والمعنى فإن طلقها بعد الثنتين • فلا تحل له من بعد • من بعد ذلك
الطلاق • حتى تنكح زوجا غيره • حتى تتزوج غيره والنكاح يسند إلى كل منهما كالتزوج وتعلق
بظاهره من اقتصر على العقد كسعيد بن المسيب واتفق الجمهور على أنه لا بد من الإصابة لما روي
أن امرأة رفاعة قالت لرسول الله عليه السلام إن رفاعة طلقني فبت طلاقي وإن عبد الرحمن
ابن الزبير تزوجني وإن ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلعم أتريدين أن ترجعي إلى
رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها
السنة ويحتمل أن يفسر النكاح بالإصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة
في هذا الحكم الردع عن التسرع إلى الطلاق والعود إلى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح
بشرط التحليل فاسد عند الأكثر وجوزه أبو حنيفة مع الكراهة ولقد لعن رسول الله صلعم المحلل
والمحلل له • فإن طلقها • الزوج الثاني • فلا جناح عليهما أن يتراجعا • أن يرجع كل من المرأة
والزوج الأول إلى الآخر بالزواج • إن ظنا أن يقيما حدود الله • إن كان في ظنهما أنهما
يقيمان ما حدده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد
لأن عواقب الأمور غيب تظن ولا تعلم ولأنه لا يقال علمت أن يقوم زيد لأن أن الناصبة
للتوقع وهو ينافي العلم • وتلك حدود الله • أي الأحكام المذكورة • يبينها لقوم يعلمون •
يفهمون ويعملون بمقتضى العلم • وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن • أي آخر عدتهن

والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي
مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه
على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن
بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن
حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة الحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن
ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف
الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا
على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء
واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب
ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم
لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهى عن الهزء واراد به الامر بضده وقيل
كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عم ثلث جدهن جد
وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية
وبعثة محمد عم بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن
والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا
ان الله بكل شيء عليم تأكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت
عدتهن وعن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن
ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل
اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج
نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب
توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن
يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله تع واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل
الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا
كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج
اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف
بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروة حال عن الضمير المرفوع او صفة لمصدر محذوف اي تراضيا
كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفؤ غير منهي ذلك اشارة
الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تأويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب
والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول عم على طريقة قوله تع
يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به
من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى

بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح
وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة
ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد ظئر او
عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام
فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم
الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن
فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة
الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنهما وعلى المولود له
اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة
الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن
واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح
بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب
المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تع لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع
امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقرير اي لا يكلف
كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر
على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر
والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ
لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره
واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا
على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث
مثل ذلك عطف على قوله تع وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض
والمراد به الوارث وارث الاب وهو الصبي اي يمان المرضعة من ماله اذا مات الاب
وقيل الباقي من الابوين من قوله عم واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب
الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى
وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة
الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور
اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة
والمشورة استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك
وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض
او غيره وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم

يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته
اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل
على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع
ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تع اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه
احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله تع واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف
صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه
ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل
واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله
بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء
اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام
ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا
ويشهد له قوله تع ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان
الجنين في غالب الامر يتحرك في ثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر
اقصى الاجلين وزيد عليها العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا تحس بها
وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الش والحرة والامة كما قاله
الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه
لقوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد باقصى
الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة
والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليهن للعدة
بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن
فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم
به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا
كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه
كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان
المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة
وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك
او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم
ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ
ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي

اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه مما يسر
ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة
في السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا
والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة
بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن
الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت
معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة
النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل
معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي
ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا
تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم
بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس
وقيل كان النبي عم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن
اي ما لم تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القران او تفرضوا
لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة
نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل
المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة
ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن
سمي لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها
يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن
والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال
ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عم لانصاري طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها
بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وخمار وملحفة على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك
فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج
والحق بها الش في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم
وقرا حفص وحمزة والكسائي وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف
بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا
على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات
بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد
فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اي فلهن او فالواجب

نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها
الا ان يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق
ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير
والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده
عقدة النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها
كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض
اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يعقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو
قول قديم للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على
وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة
واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف
فاذا لم يسترده فقد عفى عنه وعن جبير بن مطعم رض انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول
فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تنسوا ان يتفضل
بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات
بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج
لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها
خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عم يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر
ملا الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر
لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عم افضل العبادات
احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوات النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها
مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين
واقعتين في طرفي الليل وعن عائشة رض انه عم كان يقرا والصلوة الوسطى وصلوة العصر
فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص
وقوموا لله اي في الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه
وقيل خاشعين وقال سعيد بن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره
فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم
وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال
ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم
فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم
من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية
او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين

والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم
الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول
مكانه وقرا الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين
يتوفون منكم اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا
الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قراه لانه بمعنى
التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من
ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم
بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت
المدة بقوله تع اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول
وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة
فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن
كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب
عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة
وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم يراعي مصالحهم وللمطلقات
متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها لواحدة
منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك
اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد
بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرير القصة كذلك
اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته وعد بانه سيبين
لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها
فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ
وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد
اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم
ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله تع وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم
الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اي الوف
كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع آلف او الف كقاعد
وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا
فماتوا كقوله تع كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله تع ومشيئته
وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تع تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل
على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله تع
اليه نادهم ان قوموا باذن الله تع فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت

وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام
للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم
حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يكون
المراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار
عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل
والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق
عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة
الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله تع مثل لتقديم العمل
الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا
حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف
جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقراءة عاصم بالنصب على جواب الاستفهام
حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرأ ابن كثير
يضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثيرة لا يقدرها
الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعاف جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول
الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع
والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه
بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملأ
من بني اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد
موسى من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل
ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر
فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين
القتال ويقاتل بالياء مجزوما او مرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم
ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال
ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ
نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان
والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل
بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم
واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم
ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد
وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا

فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا
يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا
من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال
انا احق بالملك منه وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت
كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك
وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين
خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء
والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة
فيه اصطفاء الله تع وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه
وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب
واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله تع فيهما وكان
الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بانه تع مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه
من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب
وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم
ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه
وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدل منه كما ابدل من تاء التأنيث
لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب
نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم
وطمأنينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى ع اذا قاتل قدمه
فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت
لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو
وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد ع
وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه تصيير قلبه مقر العلم والوقار
بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه
وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما وآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل
لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه
وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت
الى ان ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت
فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين
يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي ع وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت
بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله

جار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه
ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري
الله لهم نهرا • قال ان الله مبتليكم بنهر • معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه • فمن شرب
منه فليس مني • فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي • ومن لم يطعمه فانه مني • اي من لم
يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا
وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي عم • الا من اغترف غرفة بيده
استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم والصابئون
على الخبر في قوله تع ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير
وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين • فشربوا منه الا قليلا منهم • فكرعوا اذ الاصل
في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا
منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله تع فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا
ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة الاف وقيل الف روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه
واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا
لقاصد الآخرة • فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه • اي القليل الذين لم يخالفوه • قالوا
اي بعضهم لبعض • لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده • لكثرتهم وقوتهم • قال الذين يظنون
انهم ملاقوا الله • اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم
يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا
للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيرا للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله • بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الاستفهام والخبر
ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فاوت رأسه اذا شققته او من فاء
اذا رجع فوزنها فعة او فلة • والله مع الصابرين • بالنصر والاثابة • ولما برزوا لجالوت
وجنوده • اي ظهروا لهم ودنوا منهم • قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين • التجأوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر
في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب منه ثم النصر
على العدو المرتب عليهما غالبا • فهزموهم باذن الله • فكسروهم بنصره او مصاحبين
لنصره اياهم اجابة لدعائهم • وقتل داود جالوت • قيل كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة
من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تع الى نبيهم انه الذي
يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمته في الطريق ثلثة احجار وقالت له انك بنا تقتل
جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته • وآتاه الله الملك
اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك • والحكمة • النبوة • وعلمه مما يشاء
كالسرد وكلام الدواب والطير • ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض

الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين • اي ولولا انه تع يدفع بعض الناس ببعض وينصر
المسلمين على الكافرين ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او
لفسدت الارض بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع الله • تلك آيات الله •
اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت
وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت • نتلوها عليك بالحق • بالوجه المطابق
الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ • وانك لمن المرسلين • لما اخبرت
بها من غير تعرف واستماع • تلك الرسل • اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها
في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل عليهم السلام واللام للاستغراق
فضلنا بعضهم على بعض • بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره • منهم من كلم الله • تفضيل له
وهو موسى وقيل محمد وموسى عليهما السلام كلم الله موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة
المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم
الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه • ورفع بعضهم
درجات • بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد عم فانه
خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة
بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم
المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابرهيم خصه بالخلة التي هي اعلى المراتب
وقيل ادريس لقوله تع ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل • وآتينا
عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس • خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى
في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها
غيره • ولو شاء الله • هدى الناس جميعا • ما اقتتل الذين من بعدهم • من بعد الرسل
من بعد ما جاءتهم البينات • المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم
بعضا • ولكن اختلفوا فمنهم من آمن • بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا • ومنهم من كفر
لاعراضه عنه بخذلانه • ولو شاء الله ما اقتتلوا • كرره للتأكيد • ولكن الله يفعل ما يريد • فيوفق
من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز
تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله
تابعة لمشيته خيرا كان او شرا كفرا كان او ايمانا • يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم
ما اوجبت عليكم انفاقه • من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة • من قبل ان يأتي يوم
لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون
به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحونكم به ولا شفاعة الا لمن اذن
له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء يشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلثتها
مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو

ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد التاركون للزكوة هم الذين
ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه
تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان ومن لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات
الكفار كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر
والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود
او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه
عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام
بالامر اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع
وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من
من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس
الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود
والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان موف الحيوة
قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة التي بعده له ما في السموات
وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما
داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه
يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا عن ان يعاوقه عنادا او مناصبة
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر
الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا
يدركونه والضمير لما في السموات وما في الارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا
من الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا
وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته
وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل
كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك
سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عم ما السموات السبع والارضون مع الكرسي الا
كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك
المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب
الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما
حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي
عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية

وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تع موجود واحد
في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه
المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه
ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد
الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها
واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان
متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عم ان اعظم اية في القران اية الكرسي
من قراها بعث الله ملكا يكتب حسناته ويمحو سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عم
من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها
الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات
حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن
قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلائل على
ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل
متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه
والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله تع جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان
تنصرا قبل البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا
الى الرسول عم فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله
او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق
الرسل عم فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق
وهي مستعارة لمتمسك المحق من النظر الصحيح والراي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها
يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على
النفاق الله ولي الذين امنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت
في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول
الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة
خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان
وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر
وفساد الاستعداد او والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك
والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار
التسبب لا يابى تعلق قدرته تع وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم • الم تر الى الذي حاج
ابرهيم في ربه • تعجيب من محاجة نمرود وحماقته • ان آتاه الله الملك • لان آتاه اي
ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاديتني
لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله
الملك الكافر من المعتزلة • اذ قال ابرهيم • ظرف لحاج او بدل من آتاه الله على الوجه الثاني
ربي الذي يحيي ويميت • يخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء
قال انا احيي واميت • بالعفو عن القتل والقتل • قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس
من المشرق فأت بها من المغرب • اعرض ابرهيم عم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة
الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول
عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى
ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله تع فنقضه ابرهيم عم بذلك وانما حمله
عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه
ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعوا اليه وحاجه فيه • فبهت الذي كفر • فصار مبهوتا وقرئ
فبهت اي فغلب ابرهيم الكافر • والله لا يهدي القوم الظالمين • الذين ظلموا انفسهم
بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة
يوم القيمة • او كالذي مر على قرية • تقديره او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه
وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف
مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل
انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابرهيم
ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن
شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه
بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو
الجمع • وهي خاوية على عروشها • خالية ساقطة حيطانها على سقوفها • قال انى يحيي هذه
الله بعد موتها • اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي
ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا واني في موضع نصب على الظرف
بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف • فاماته الله مائة عام • فالبثه ميتا مائة عام او اماته الله
فلبث ميتا مائة عام • ثم بعثه • بالاحياء • قال كم لبثت • القائل هو الله تع وساغ ان يكلمه
وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي • قال لبثت يوما
او بعض يوم • كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل المغرب فقال قبل النظر
الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب • قال بل لبثت
مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه • لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة

من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله
لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد
الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا
او لبنا وكان الكل على حاله • وانظر الى حمارك • كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في
مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل
على الحال واوفق لما بعده • ولنجعلك آية للناس • اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي
انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه
بذلك وقالوا هو ابن الله تع وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا
حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة • وانظر الى العظام • يعني عظام الحمار او الاموات
الذين تعجب من احيائهم • كيف ننشزها • كيف نحييها او نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف
منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر • ثم نكسوها لحما
فلما تبين له • فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير
قال اعلم ان الله على كل شيء قدير • فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله اي فلما
تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه او هو نفسه
خاطبها به على طريقة التبكيت • واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى • انما سأل ذلك
ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احياء الله تع برد الروح الى بدنها
فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن
قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى • قال اولم تؤمن • باني قادر على الاحياء باعادة التركيب
والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون
غرضه • قال بلى ولكن ليطمئن قلبي • اي بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب
بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال • قال فخذ اربعة من الطير • قيل طاوسا وديكا
وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية
انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك
وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بها الحمامة
وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب
فصرهن اليك • فاملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا تلتبس عليك بعد الاحياء
وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال
وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح • وقرئ فصرهن بضم الصاد
وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا • اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك

كانت اربعة وقيل سبعة وقرا ابو بكر وحمزة جزؤا بضم الزاء ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله
يأتينك سعيا ساعيات طيرانا او مشيا روى انه امر بان يذبحها وينتف ريشها
ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها فيوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك
فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان
من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها
ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل والشرع وكفى لك
شاهدا على فضل ابراهيم عم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تع اراه
ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ما اماته مائة عام واعلم ان الله
عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف
انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب
كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تع والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب
منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهذا تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة
والدخن وفي البر في الارض المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله
وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع
لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان فانه جهز جيش
العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم
باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول
عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت ما بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى
الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل
ومغفرة تجاوز عن السائل الحاجة او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره
ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها
بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة
يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي
ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه
لا يريد به رضاء الله ولا ثواب الآخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب
على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا رئاء
فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم
القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا

بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع
كما في قوله وان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير
والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن
ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم
وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض
نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدئا من اصل
انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة
اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى
ثمرا وقرا ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثتها لغات فيها اصابها
وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون
للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج
الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا
فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها طل او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها
وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية
عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون
التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم
بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرئاء وترغيب في الاخلاص ايود
احدكم الهمزة للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها
من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما
ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد
بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو
للحال وللعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابها
او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود
والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرئاء وايذاء في الحسرة والاسف
اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به
من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه
الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات
لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات
ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا
من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا

الردي منه اي من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا
تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون منه حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق منه به
ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم بآخذيه اي وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم
لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ
تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم
حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير
والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل
والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق
مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الآخرة والله واسع اي
واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء
مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود
وقرأ يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين
وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله
في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون
الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او
نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه
وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات
ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات
فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين
على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر النون
واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء
فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره
افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا
وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم
قرأه ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر او الاخفاء وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة او
اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل
الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير
ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما
عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث

الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله تعالى وبمشيئته وانها تخص
بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به
غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكأنه قال
وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله
اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي
وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة او ما يخلف
للمنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين
كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوا
عليهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكفار وانتم لا تظلمون
اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا
ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد
لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة
كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم
والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلعم يحسبهم الجاهل بحالهم
وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال
تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسألون
الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي
اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل
هو نفي للامرين كقوله على لا حب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال
او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال
بالخير نزلت في ابي بكر تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر
وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم
نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل
للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين يأكلون
الربوا اي الاخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شائع في
المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض
بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف
بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع

والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم
ان الجني يمسه فيختبط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون
من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى ما في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك
بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك
واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس
للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم
ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او
توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس
لمعارضة النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا
فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع
الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه
اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة
وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام
فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب
بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما
اخرجت منه وعنه عم ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عم ما نقصت
زكاة من مال قط والله لا يحب لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات
اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون من فائت يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين
بقلوبكم فانه دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم
عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا
بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرا حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا اي فاعلموا بها
غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل
المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت
قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس
اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا
فليس لهم راس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان
ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي فان كان الغريم ذا عسرة

فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر اي فالمستحق ناظره
بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة
يسار وقرا نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين
بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء
خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق
الانظار لقوله عم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون
ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت
فتاهبوا لمصيركم اليه وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت
من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها آخر آية
نزل بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله عم
بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين
امنوا اذا تداينتم بدين اي اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا
او آخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال
فانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر
لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب
وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم
كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار
كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد
من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس
بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله تع واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة
المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي
عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق
لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب
ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق شيئا او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق
سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع
للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من
قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار
ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على
الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه
ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة يسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين
فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامراتان

وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون
من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد
اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة
التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء
عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان
عقلهن وقلة ضبطهن وقرا حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو
ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل
وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا
من كثرة مداياتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه
صفة المنافق ولذلك قال عم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق
او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به
المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة
واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير القياس او من
قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى
ان لا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك
الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها استثناء
عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم
اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان
ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة
كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على
انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا
لانه احوط والاوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف
في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر
بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي
عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلف الخروج عما حد لهما او لا يعطى الكاتب جعله والشهيد
مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار او ما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة
لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم
والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى
والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم
على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان
او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان

في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا
من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتب في السفر الذي هو
مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف
وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم
بعضا اي بعض الداينين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي
اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذيتمن
بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها
فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة
ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه
اي يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره
العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال
وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه
بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا
وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة
والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض
فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد
رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط
ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا
تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في مثله
والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
شهادة وتنصيص من الله تع على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول
فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير
للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه
او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرا حمزة والكسائي
وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس والجمع
في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق
وقرا يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل
اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين
ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا
اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت

وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة
او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها لقوله يريد الله بكم اليسر وهو
يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها
ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب
بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله
واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا
الى نسيان او خطاء من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا
فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطاء فتعاطي
الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم تكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه
رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك
مفهوم قوله عم رفع عن امتي الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه
اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين
من قبلنا حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد
به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة
وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز
التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول
ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا
وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولينا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من
حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه صلعم لما دعا بهذه
الدعوات قيل له فعلت وعنه عم انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل
ان يخلق الخلق بالفي سنة من قراهما بعد العشاء الاخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عم
من قرا الايتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو رد قول من استكره ان يقال
سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عم السورة التي فيها
يذكر البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة
قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء
حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم
في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف
ولذلك لم تحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرا ابو بكر بسكونها

بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عم قال ان اسم الله الاعظم
في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم
وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل او
بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه
من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الوري والنجل
ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو
ليس من ابنية العرب وقرا ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع القرآن
ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه يقرا بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل تنزيل
القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما
وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد
ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور
او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه
وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بايات الله
من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب
ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو
وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا
عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم
كليا كان او جزئيا ايمانا وكفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض
ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا
وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية
والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم
لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم
اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران
لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية
تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس
امهات فافرد على تأويل كل واحدة منها او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات
محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء
ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد
فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي
الدرجات واما قوله الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ

وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى
وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس
ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف او عن آخر من ● فاما الذين في قلوبهم زيغ
عدول عن الحق كالمبتدعة ● فيتبعون ما تشابه منه ● فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ●
ابتغاء الفتنة ● طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم
بالمتشابه ● وابتغاء تاويله ● وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع
مجموع الطلبتين او كل منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل
وما يعلم تاويله ● الذي يجب ان يحمل عليه ● الا الله والراسخون في العلم ● اي الذين ثبتوا
وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا
ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره
غير مراد ولم يدل على ما هو المراد ● يقولون آمنا به ● استئناف موضح لحال الراسخين او
حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ ● كل من عند ربنا ● اي كل من المتشابه والمحكم من عنده ● وما يذكر
الا اولوا الالباب ● مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به
للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها
في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث
النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله
فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها كما
صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ● ربنا لا تزغ قلوبنا ● من مقال الراسخين
وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه
قال عم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه
عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا ● بعد اذ هديتنا ● الى الحق والايمان بالقسمين
وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان ● وهب لنا من لدنك
رحمة ● تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب
انك انت الوهاب ● لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله تعالى وانه
متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ● ربنا انك جامع الناس ليوم ● لحساب يوم الجزاء
او لجزاء
لا ريب فيه ● في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين
ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ● ان الله لا يخلف الميعاد ● فان الالهية تنافيه
وللاشعار به وتعظيم الموعود به لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد
الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ● ان
الذين كفروا ● عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا ● اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية

البدلية او من عذابه ● واولئك هم وقود النار ● حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها
كدأب آل فرعون ● متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد
باولئك او استئناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو
مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن ● والذين من قبلهم ● عطف على آل فرعون
وقيل استئناف ● كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم ● حال باضمار قد او استئناف بتفسير
حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم ● والله شديد العقاب ● تهويل للمؤاخذة وزيادة
تخويف للكفرة ● قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم ● اي قل لمشركي مكة ستغلبون
يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عم جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل
بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس
فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم
وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من
وعيدهم بلفظه ● وبئس المهاد ● تمام ما يقال لهم او استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه
لانفسهم ● قد كان لكم آية ● الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين ● في فئتين التقتا ●
يوم بدر ● فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم ● يرى المشركون المؤمنين
مثلي عدد المشركين وكان قريبا من الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر
وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى
غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم
ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله تع ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله
او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل
التقتا ● رأي العين ● رؤية ظاهرة معاينة ● والله يؤيد بنصره من يشاء ● نصره كما ايد اهل بدر
ان في ذلك ● اي التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون
الواقعة آية ايضا يحتملها ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول ● لعبرة لاولي الابصار ● لعظة
لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم ● زين للناس حب الشهوات ● اي المشتهيات سماها شهوات
مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين
هو الله تع لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة
الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان
فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم ● من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ● بيان للشهوات والقنطار
المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة
مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية

من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم • ذلك متاع الحيوة
الدنيا • اشارة الى ما ذكر • والله عنده حسن الماب • اي المرجع وهو تحريض على استبدال
ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية • قل اؤنبئكم بخير من ذلكم
يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا • للذين اتقوا عند ربهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها • استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام
بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير • وازواج مطهرة
مما يستقذر من النساء • ورضوان من الله • قراءة عاصم برواية ابي بكر في جميع القران
بضم الراء وهما لغتان • والله بصير بالعباد • اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء
او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الاية على نعمة فادناها
متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها
الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار • صفة للمتقين
او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه
كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها • الصابرين والصادقين والقانتين
والمنفقين والمستغفرين بالاسحار • حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته
مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل
والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة
الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب وهو الاستغفار لان المغفرة
اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها
وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة
لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون
الى السحر ثم يستغفرون ويدعون • شهد الله انه لا اله الا هو • بين وحدانيته بنصب الدلائل
الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها • والملائكة • بالاقرار • واولوا العلم • بالايمان بها
والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد • قائما بالقسط • مقيما
للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد
وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها
معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف
للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط
على البدل من هو او الخبر لمحذوف • لا اله الا هو • كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة
ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله • العزيز الحكيم • فيعلم انه الموصوف
بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة
لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه صلى الله عليه وسلم قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول

فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة
وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله • ان الدين عند الله الاسلام •
جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع
بالشرع الذي جاء به محمد عم وقرئ الكسائي بالفتح على انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان
او بما يتضمنه او بدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل
على الثاني واعتراض ما بينهما او اجرى شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما • وما
اختلف الذين اوتوا الكتاب • من اليهود والنصارى ومن ارباب الكتب المتقدمة في دين
الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد
فتثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم
النصارى اختلفوا في امر عيسى • الا من بعد ما جاءهم العلم • اي بعد ما علموا حقيقة الامر
او تمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج • بغيا بينهم • حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة
وخفاء في الامر • ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب • وعيد لمن كفر منهم • فان
حاجوك • في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج • فقل اسلمت وجهي لله • اخلصت نفسي
وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه الآيات
والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس
• ومن اتبعن • عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه • وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب • ءاسلمتم • كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد
على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة • فان اسلموا
فقد اهتدوا • فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال • وان تولوا فانما عليك
البلاغ • اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت • والله بصير بالعباد • وعد
ووعيد • ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين
يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم • هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل
اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي عم والمؤمنين ولكن الله عصمهم
وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين ومنع سيبويه ادخال
الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر • اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا
والآخرة • كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما • وما لهم
من ناصرين • يدفع عنهم العذاب • الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب • اي التورية
او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير
• يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم • الداعي محمد صلوات الله عليه وكتاب الله القران او التورية
لما روي انه عم دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت
فقال على دين ابرهيم فقالا له ان ابرهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا

وبينكم فإنها نزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف
فيما بينهم وفيه دليل على أن الأدلة السمعية حجة في الأصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد
لتوليهم مع علمهم بأن الرجوع إليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الإعراض
والجملة حال من فريق وإنما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك إشارة إلى التولي والإعراض
بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم
لهذا الاعتقاد والزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من أن النار
لن تمسهم إلا أياما قلائل أو أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم أو أنه تعالى وعد يعقوب عم
أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام
لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودات روي أنه
أول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الأشهاد
ثم يأمر بهم إلى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على أن العبادة لا تحبط
وأن المؤمن لا يخلد في النار لأن توفية إيمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فإذن
هي بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير راجع لكل نفس على المعنى لأنه في معنى كل إنسان
قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه
مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل أصله يا الله أمنا بخير فخفف بحذف حرف النداء
ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك
فيما يملكون وهو نداء ثان عند سيبويه فإن الميم عنده يمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منه ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الأول عام والآخران
بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم إلى قوم وتعز من تشاء وتذل
من تشاء في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما بالنصر والإدبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير
إنك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لأنه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض إذ لا يوجد
شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا أو لمراعاة الأدب في الخطاب أو لأن الكلام وقع فيه إذ
روي أنه عم لما خط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون فظهر فيه
صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله يخبره فجاء فأخذ المعول منه
فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت
مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب
ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة
فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال
المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة وأنها
تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على أن الشر أيضا بيده بقوله
إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت و

ويخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة
الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله دلالة على أن من قدر على ذلك قدر على
معاقبة الذل والعز وإيتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وإيلاج الليل
والنهار إدخال أحدهما في الآخر بالتعقيب أو الزيادة والنقص وإخراج الحي من الميت
وبالعكس إنشاء الحيوانات من موادها وإماتتها أو إنشاء الحيوان من النطفة والنطفة
منه وقيل إخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء
نهوا عن موالاتهم لقرابة وصداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم إلا في الله أو
عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الأمور الدينية من دون المؤمنين إشارة
إلى أنهم الأحقاء بالموالاة وأن في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك
أي اتخاذهم أولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء يصح أن يسمى ولاية فإن موالاة
المتعادين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب
إلا أن تتقوا منهم تقاة إلا أن تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه أو اتقاء والفعل معدى
بمن لأنه في معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا أو باطنا
في الأوقات كلها إلا وقت المخافة فإن إظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عم
كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة
أحكامه وموالاة أعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم أن
المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل إن تخفوا ما في صدوركم
أو تبدوه يعلمه الله أي أنه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها إن تخفوها أو تبدوها
ويعلم ما في السموات وما في الأرض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على
عقوبتكم إن لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه فكأنه قال ويحذركم
نفسه لأنها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات
بأسرها فلا تجسروا على عصيانه إذ ما من معصية إلا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يوم منصوب
بتود أي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها أو جزاء أعمالها من الخير والشر حاضرة لو أن
بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أو بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت أو خبر
لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ
ودت وعلى هذا يصح أن تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر أوقع معنى لأنه حكاية كائن وأوفق
للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد والتذكير والله رؤف بالعباد
إشارة إلى أنه تعالى إنما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم أو أنه لذو مغفرة وذو
عقاب فيرجى رحمته ويخشى عذابه قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس
إلى الشيء لكمال أدرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه إليه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله

وانه كل ما يراه كمالا لنفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي
ذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة
وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته • يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم • جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم
من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة
والله غفور رحيم • لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود
نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل
في اقوام زعموا على عهده عم انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل
قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا • يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا • فان الله
لا يحب الكافرين • لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة
على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين •
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين • بالرسالة والخصائص
الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين
انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم
على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلعم وآل عمران
موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم
بنت عمران بن ماثان بن اليعازر بن ابي يود بن رب بابل بن سالتان بن يوحنا بن
اوشا بن اموص بن حازقا بن احاذ بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن
بن راحيعم بن سليمان بن داود بن ايشي بن عوبيد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عم
عماد بن رام بن حصروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف
وثمانمائة سنة • ذرية بعضها من بعض • حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح
اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد
يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو
ياء وادغمت • والله سميع عليم • باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل
او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها • اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في
بطني • فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى عم وكانت
لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون فظن ان المراد زوجته وترده كفالة
زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب
محررا • معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال روي انها كانت عاقرا
عجوزا فبينا هي في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان
لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم

بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها بنت الامر
على التقدير او طلبت ذكرا • فتقبل مني • ما نذرته • انك انت السميع العليم • لقولي ونيتي
فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى • الضمير لما في بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز
انتصاب انثى حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على
تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا او تحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد
ذكرا ولذلك نذرت تحريره • والله اعلم بما وضعت • اي بالشيء الذي وضعت وهو
استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم
ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي لعل لله فيه سرا او الانثى كان
خيرا وقرئ وضعت على خطاب الله لها • وليس الذكر كالانثى • بيان لقوله والله اعلم
اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها
بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس • واني سميتها مريم
عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا
لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل
على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة • واني اعيذها بك • اجيرها بحفظك • وذريتها
من الشيطان الرجيم • المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلعم ما من مولود يولد الا والشيطان
يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث
يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تع عصمها ببركة هذه الاستعاذة • فتقبلها ربها • فرضي
بها في النذر مكان الذكر • بقبول حسن • بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر
او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة
وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها
كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤوس بني اسرائيل وملوكهم
فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى
فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير
مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي اخذها في اول
امرها حين ولدت بقبول حسن • وانبتها نباتا حسنا • مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها
وكفلها زكريا • شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش
على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون
ومدوا زكريا مرفوعا • كلما دخل عليها زكريا المحراب • اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او
اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع
من بيت المقدس • وجد عندها رزقا • جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره
واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس

قال يا مريم أنى لك هذا من أين لك هذا الرزق الآتي في غير أوانه والأبواب مغلقة
عليك وهو دليل جواز الكرامة للأولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الأمر عليه
قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل
عليها من الجنة إن الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته أو بغير استحقاق تفضلا
به وهو يحتمل أن يكون من كلامها وأن يكون من كلام الله تعالى روي أن فاطمة أهدت لرسول الله
صلعم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها إليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء
خبزا ولحما فقال لها أنى لك هذا فقالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب
فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين
وجميع أهل بيته وبقي الطعام كما هي وأوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك
المكان أو الوقت إذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى
قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه
في غير أوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لي من لدنك لأنه لم يكن
على الوجوه المعتادة وبالأسباب المعهودة إنك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة
أي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فإن المنادي كان جبرائيل وحده وقرأ حمزة والكسائي
فناديه بالإمالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب أي قائما في الصلوة ويصلي صفة
قائم أو خبر أو حال آخر أو حال عن الضمير في قائم أن الله يبشرك بيحيى أي بأن الله
وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على إرادة القول أو لأن النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي
يبشرك ويحيى اسم أعجمي وإن جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله
أي بعيسى سمي بذلك لأنه وجد بأمره تعالى دون أب فشابه البدعيات التي هي عالم
الأمر أو بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم
وكان فائقا للناس كلهم في أنه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات
والملاهي روي أنه مر في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا
من الصالحين ناشئا منهم أو كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب أنى
يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة أو استعظاما وتعجبا أو استفهاما عن كيفية
حدوثه وقد بلغني الكبر أدركني كبر السن وأثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته
ثمان وتسعون وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لأنها ذات عقر من الأولاد
قال كذلك الله يفعل ما يشاء أي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو إنشاء
الولد من شيخ فان وعجوز عاقر أو كما أنت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء
من خلق الولد أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان
له أو كذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك والله يفعل ما يشاء بيانه قال رب اجعل لي آية
علامة أعرف بها الحبل لأستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك

قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام أن لا تقدر على تكلم الناس ثلاثا وإنما حبس لسانه عن
تكلمهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك أن يحبس
لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب ما اشتق من السؤال إلا رمزا إشارة بنحو يد أو رأس
وأصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل
على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على أنه حال منه ومن الناس
بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف أليتيك وتستطارا واذكر
ربك كثيرا في أيام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الأمر بالكثرة يدل
على أنه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال إلى الغروب وقيل من العصر أو الغروب
إلى ذهاب صدر الليل والإبكار من طلوع الفجر إلى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر
وأسحار وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء
العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن أنكر الكرامة زعم أن ذلك كانت معجزة زكريا
أو إرهاصا لنبوة عيسى فإن الإجماع على أنه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما أرسلنا قبلك
إلا رجالا وقيل ألهموها والاصطفاء الأول تقبلها من أمها ولم يقبل قبلها أنثى وتفريغها للعبادة
وإغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وإرسال
الملائكة إليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرئتها عما قذفته اليهود
بإنطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين
أمرت بالصلوة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع
إما لكونه كذلك في شريعتهم أو للتنبيه على أن الواو لا توجب الترتيب أو ليقترن اركعي بالراكعين
للإيذان بأن من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت إدامة الطاعة
كقوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة لقوله وأدبار السجود
وبالركوع الخشوع والإخبات ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك أي ما ذكرنا من القصص
من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أقداحهم للاقتراع
وقيل اقترعوا بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل
التهكم بمنكريه فإن طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة
فيه عندهم فبقي أن يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل أيهم يكفل مريم متعلق
بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أي يلقونها ليعلموا أو يقولوا أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم
إذ يختصمون تنافسا في كفالتها إذ قالت الملائكة بدل من إذ قالت الأولى وما بينهما
اعتراض أو من إذ يختصمون على أن وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا
يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الألقاب المشرفة
كالصديق وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح
لأنه مسح بالبركة أو بما طهره من الذنوب أو مسح الأرض ولم يقم في موضع أو مسحه جبريل أو من العيس

وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء
نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد
ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له عمن
سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم
والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب
الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة وهي
وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة
الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء
وصحبته للملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء
من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد
وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه بمعزل عن الالوهية
ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي
ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام على انه يكون بتزوج او غيره
قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبرئيل او الله تعالى وجبرئيل حكى لها قوله تع اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تع كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب
ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل
كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج
او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان بالذكر لفضلهما
وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب
بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال
المتقدمة مضمنا معنى النطق وكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص
بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب
بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا
مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله
فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه وقرأ نافع هنا وفي المائدة
طائرا بالالف والهمزة وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي
انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما
يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله تع دفعا لوهم الالوهية
فان الاحياء ليس من جنس افعال البشر وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم
بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين
للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين

لما بين يدي من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم
اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله باني قد جئتكم باية او معطوف
على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اي
في شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان
شرعه كان ناسخا لشرع موسى م ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القران
بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان
وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
اي وجئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها
فيما بين الرسل الفارق بين النبي والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله تع
فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى
مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله
فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والايات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة
واطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي
وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال
فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر
والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له
بالاستقامة ونظيره قوله م قل آمنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم
عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما
اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم
الى الله في نصري وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون حواري الرجل
خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب
عيسى م لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى م من اليهود
وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دينه آمنا بالله
واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا آمنا
بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء
الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد م فانهم شهداء على الناس ومكروا اي الذين
احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى
شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه حيلة في الاصل يجلب بها غيره الى مضرة
لا يسند الى الله تع الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا
واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين
او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى

عاصماً اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي ومتوفيك نائماً اذ روي
انه رفع نائماً او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله
سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى ورافعك الى الى محل كرامتي
ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة او بالسيف في غالب الامر ومتبعوه
من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم
ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلب المخاطب على الغائبين
فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذاباً شديداً
في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير
لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك
وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالاً على ان العامل
معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم
او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم
ان شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه
وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب ولا ام شبه حاله بما هو اغرب افحاماً
للخصم وقطعاً لمواد الشبهة والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اي انشأه بشراً
كقوله ثم انشأناه خلقاً آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي
الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق
وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب
للنبي على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى
فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا
بالرأي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع
كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على
النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن
الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا
تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا
الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال
والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبياً
الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله وقد
غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعو

دعوت فأمنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لأرى وجوهاً لو سألوا الله ان
يزيل جبلاً من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية
الفي حلة حمراء وثلاثين درعاً من حديد فقال عم والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا
قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر
وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبأ عيسى ومريم
لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شأن عيسى ومريم حق دون
ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخل فيه لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل
المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيداً للرد على النصارى
في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة
البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر
موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد
المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل
يريد وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل
والكتب وتفسيرها ما بعدها الا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك
به شيئاً ولا نجعل غيره شريكاً في استحقاق العبادة ولا نراه اهلاً لان يعبد ولا
يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله
ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلاً منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه
لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا
نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال
هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا
بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل
تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين
اولاً احوال عيسى وما تعاقب عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح
شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا
عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقاً اسهل والزم بان دعاهم
الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضاً عليهم وعلم
ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب
لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى
في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية
حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى
بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم

علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم
مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم
انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه
فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين
وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء
والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا
ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة
مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان
من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم
على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب
للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين امنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على
الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله
ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون
الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او
ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب
لم تكفرون بايات الله بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلعم وانتم
تشهدون انها ايات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون
بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته
او بالتقصير في الميز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق
مع الباطل كقوله صلعم كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد صلعم ونعته وانتم تعلمون عالمين
بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار
اي اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون واكفروا اخره
لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى
الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد
رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار
ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في
التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق
قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم
ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى

ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد
حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم
ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام
وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان
هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أان يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه
الاول اي لان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها ان النافية فيكون من كلام الطائفة
اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم
عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا
حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما
زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام
استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده
اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير
النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة
الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي
والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم
قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شأن من ليسوا من اهل الكتاب
ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم
يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية
حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث
تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلعم انه قال عند نزولها كذب اعداء
الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر
بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين
استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب
الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء
الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله
بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به
من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم
في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة اولا
ينتفعون بكلمات الله واياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم
يوم القيامة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه

لما ان هذا عند بغيره بقا وله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب
اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد وحكم الامانات
وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف
لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر
او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي
يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها
بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على
الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله
يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو
من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون
ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد
فعل الله تع ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله
والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا
عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد
النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان
نامر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله
نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله
ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين
والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل
في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب
وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد
والعمل قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون
من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان تكون القراءة
المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا
مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر
باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر
باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف
ويحتمل الحال ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون
دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه

ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل
معناه انه تع اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة
الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه
الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او
سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون
كانوا منا واللام في لما توطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية
ولتؤمنن به ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرا حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية
اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به
ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ
لما بمعنى حين اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات
الثلاث استثقالا قال ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر
اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا
قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم
من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى
بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون
المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة
بينهما للانكار او محذوف تقديره اتتولون فغير دين الله تبغون وتقديم المفعول لانه
المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء
عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي
طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك
الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين او مسخرين كالكفرة
فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم واليه يرجعون وقرئ بالياء على ان الضمير
لمن قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول عم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان
والقران كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع
قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى
لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل علينا على المنزل على سائر الرسل
لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له
مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد
والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان
المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة

التي فطر الناس عليها واستدل به على أن الإيمان هو الإسلام إذ لو كان غيره لم يقبل والجواب
أنه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين أيضا للأعمال كيف يهدي
الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد
لأن يهديهم الله فإن الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد
وقيل نفي وإنكار له وذلك يقتضي أن لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في إيمانهم
من معنى الفعل ونظيره فأصدق وأكن أو حال بإضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل
على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا أنفسهم بالإخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الإيمان فكيف من جاءه الحق
وعرفه ثم أعرض عنه أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق أنهم مطبوعون
على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس
المؤمنون أو العموم فإن الكافر أيضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف
الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة أو العقوبة أو النار وإن لم يجر ذكرهما لدلالة
الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك
أي من بعد الارتداد وأصلحوا ما أفسدوا ويجوز أن لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا
في الصلاح فإن الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل إنها نزلت في الحارث بن سويد
حين ندم على ردته فأرسل إلى قومه أن سلوا هل لي من توبة فأرسل إليه أخوه الجلاس
بالآية فرجع إلى المدينة فتاب إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود
كفروا بعيسى عم والإنجيل بعد الإيمان بموسى عم والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد عم والقرآن
أو كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالإصرار والعناد والطعن فيه والصد
عن الإيمان ونقض الميثاق أو كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم
نتربص بمحمد ريب المنون أو نرجع إليه وننافقه بإظهاره لن تقبل توبتهم لأنهم لا يتوبون
أو لا يتوبون إلا إذا أشرفوا على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا
في شأنهم وإبرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة أو لأن توبتهم لا تكون إلا
نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه وأولئك هم الضالون
الثابتون على الضلال إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض
ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية أدخل الفاء ههنا للإشعار به
وملء الشيء ما يملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء أو الخبر لمحذوف
ولو افتدى به محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض
أو معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا لو تقرب به في الدنيا
ولو افتدى به من العذاب في الآخرة أو المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو أن للذين

للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لأن المثلين في حكم
شيء واحد أولئك لهم عذاب أليم مبالغة في التحذير وإقناط لأن من لا يقبل منه الفداء
ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر
أي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير أو لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى
والجنة حتى تنفقوا مما تحبون أي من المال أو ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن
في طاعة الله والمهجة في سبيله روي أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله إن أحب
أموالي إلي بيرحاء فضعها حيث أراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح أو رائح وإني أرى
أن تجعلها في الأقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل
عليها رسول الله صلعم أسامة فقال زيد إنما أردت أن أتصدق به فقال عم إن الله قد
قبلها منك وذلك يدل على أن إنفاق أحب الأموال على أقرب الأقارب أفضل وأن الآية
تعم الإنفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهذا يدل على أن من للتبعيض ويحتمل
التبيين وما تنفقوا من شيء أي من أي شيء محبوب أو غيره ومن لبيان ما فإن الله به
عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام أي المطعومات والمراد أكلها كان حلا لبني إسرائيل حلالا
لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تع لا هن
حل لهم إلا ما حرم إسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الإبل وألبانها قيل كان به عرق النسا
فنذر إن شفي لم يأكل أحب الطعام إليه وكان ذلك أحبه إليه وقيل فعل ذلك للتداوي بإشارة
الأطباء واحتج به من جوز للنبي أن يجتهد وللمانع أن يقول ذلك بإذن الله فهو كتحريمه ابتداء
من قبل أن تنزل التورية أي من قبل إنزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا
وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بأن قالوا لسنا أول من حرمت
عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبرهيم ومن بعده حتى انتهى الأمر إلينا فحرمت علينا كما حرمت
على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول موافقة إبرهيم بتحليله لحوم الإبل وألبانها
قل فأتوا بالتورية فاتلوها إن كنتم صادقين أمر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من أنه قد
حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي أنه عم لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التورية
وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه أنه حرم ذلك قبل
نزول التورية على بني إسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة فأولئك هم
الظالمون الذين لا ينصفون من أنفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض
بكذبهم أي ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون فاتبعوا ملة إبرهيم حنيفا أي
ملة الإسلام التي هي في الأصل ملة إبرهيم أو مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم إلى التحريف
والمكابرة لتسوية الأغراض الدنيوية وألزمتكم تحريم طيبات أحلها لإبرهيم ومن تبعه
وما كان من المشركين فيه إشارة إلى أن اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة

في الدين والتحنف عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس
اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل
للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب
ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق
الجبابرة روي انه عم سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس
وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم
ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم
وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه
ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم
ظاهر الآية وقيل المراد انه اول بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره
واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم
ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال فيه ايات بينات كانحراف الطيور عن موازاة
البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها
وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم
مبتدا محذوف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان
على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها
بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه
الوف سنة ويؤيده انه قرئ اية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة
قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان امنا جملة ابتدائية
او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي منها امن من دخله او فيه ايات
او فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر
غيرهما كقوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما
غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عم من مات
في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعند ابي حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص وغيرهما لم يتعرض
له ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرا
حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا
بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلعم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي
انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك
انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين
والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله غني عن العالمين
وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عم من مات ولم يحج فليمت

فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه
بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله في رقاب
الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية
ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان
وقوله عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان
والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال
والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلعم
ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت خمس ملل
فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي باياته السمعية والعقلية الدالة
على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم
اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد
على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاسرار
قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة
في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب
العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين
ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من التعادي
والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين
طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيها عوجا عن الحق بمنع النسخ
وتغيير صفة رسول الله ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم
وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال وانتم عدول عند اهل ملتكم
يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان
المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الآية
صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي
فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم
بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا
وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلعم واصحابه
وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية
والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا
وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول عم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول

بأن يخاطب أهل الكتاب إظهاراً لجلالة قدرهم وإشعاراً بأنهم هم الأحقاء بأن يخاطبهم الله
ويكلمهم • وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله • إنكار وتعجيب لكفرهم
في حال اجتمع لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان الصارفة عن الكفر • ومن يعتصم بالله • ومن
يتمسك بدينه أو يلتجئ إليه في مجامع أموره • فقد هدي إلى صراط مستقيم • فقد اهتدى
لا محالة • يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته • حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ
الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن
ابن مسعود رضي الله عنه هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو أن ينزه
الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الأمر تأكيد للنهي عن طاعة
أهل الكتاب وأصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء ألفاً
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون • أي لا تكونن على حال سوى الإسلام إذا أدرككم الموت
فإن النهي عن المقيد بحال أو غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد أخرى وقد يتوجه
نحو المجموع دونهما وكذلك النفي • واعتصموا بحبل الله • بدين الإسلام أو بكتابه لقوله ﷺ القرآن
حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث إن التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما أن التمسك
بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحاً للمجاز
جميعاً • مجتمعين عليه • ولا تفرقوا • أو لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب
أو لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضاً أو لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الألفة
واذكروا نعمة الله عليكم • التي من جملتها الهداية والتوفيق للإسلام المؤدي إلى التآلف وزوال
الغل • إذ كنتم أعداء • في الجاهلية متقاتلين • فألف بين قلوبكم • بالإسلام • فأصبحتم بنعمته
إخواناً • متحابين مجتمعين على الأخوة في الله وقيل كان الأوس والخزرج أخوين لأبوين فوقع
بين أولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله بالإسلام
وألف بينهم برسوله ﷺ • وكنتم على شفا حفرة من النار • مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم
إذ لو أدرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار • فأنقذكم منها • بالإسلام والضمير للحفرة
أو النار أو للشفا وتأنيثه لتأنيث ما أضيف إليه أو لأنه بمعنى الشفة فإن شفا البئر
وشفتها طرفها كالجانب والجانبة وأصله شفو قلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث
كذلك • مثل ذلك التبيين • يبين الله لكم آياته • دلائله • لعلكم تهتدون • إرادة
ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه • ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر • من للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية
ولأنه لا يصلح له كل أحد إذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الأمة كالعلم بالأحكام
ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم
ليدل على أنه واجب على الكل حتى لو تركوه رأساً أثموا جميعاً ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا
كل ما هو فرض كفاية أو للتبيين بمعنى وكونوا أمة تأمرون كقوله كنتم خير أمة أخرجت

أخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء إلى الخير يعم الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني
أو دنيوي فعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للإيذان
بفضله • وأولئك هم المفلحون • المخصوصون بكمال الفلاح روي أنه ﷺ سئل من خير الناس
فقال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم والأمر بالمعروف
يكون واجباً ومندوباً على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لأن جميع ما أنكره الشرع
حرام والأظهر أن العاصي يجب أن ينهى عما يرتكبه لأنه يجب عليه تركه وإنكاره فلا يسقط بترك
أحدهما وجوب الآخر • ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا • كاليهود والنصارى اختلفوا
في التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة على ما عرفت • من بعد ما جاءهم البينات • الآيات
والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والأظهر أن النهي فيه مخصوص بالتفرق في الأصول دون الفروع
لقوله ﷺ اختلاف أمتي رحمة ولقوله من اجتهد وأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد
وأولئك لهم عذاب عظيم • وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم • يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه • نصب بما في لهم من معنى الفعل أو بإضمار اذكر وبياض الوجه وسواده
كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة
وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك • فأما الذين
اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم • على إرادة القول أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ
والتعجيب من حالهم وهم المرتدون أو أهل الكتاب كفروا برسول الله بعد إيمانهم به قبل مبعثه
أو جميع الكفار كفروا بعد ما أقروا حين أشهدهم على أنفسهم أو تمكنوا من الإيمان بالنظر
في الدلائل والآيات • فذوقوا العذاب • أمر إهانة • بما كنتم تكفرون • بسبب كفركم
أو جزاء لكفركم • وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله • يعني الجنة والثواب المخلد
عبر عن ذلك بالرحمة تنبيهاً على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة
إلا برحمته وفضله وكان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم لكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه
حلية المؤمنين وثوابهم • هم فيها خالدون • أخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل كيف
يكونون فيها فقال هم فيها خالدون • تلك آيات الله • الواردة في وعده ووعيده • نتلوها
عليك بالحق • ملتبسة بالحق لا شبهة فيها • وما الله يريد ظلماً للعالمين • إذ يستحيل الظلم منه
لأنه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لأنه المالك على الإطلاق كما قال
ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور • فيجازي كلاً بما وعد له وأوعد • كنتم
خير أمة • دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفوراً رحيماً وقيل كنتم
في علم الله أو في اللوح أو فيما بين الأمم المتقدمين • أخرجت للناس • أظهرت لهم • تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر • استئناف بين به كونهم خير أمة أو خبر ثان لكنتم • وتؤمنون بالله
يتضمن الإيمان بكل ما يجب أن يؤمن به لأن الإيمان به إنما يحق ويعتد به إذا حصل الإيمان بكل ما أمر
أن يؤمن به وإنما أخره وحقه أن يقدم لأنه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمروا بالمعروف

وتنهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع
حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق
فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك • ولو آمن اهل الكتاب • ايمانا كما ينبغي لكان
خيرا لهم • لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه • منهم المؤمنون • كعبد الله بن سلام واصحابه
واكثرهم الفاسقون • المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد
لن يضروكم الا اذى • ضررا يسيرا كطعن وتهديد • وان يقاتلوكم يولوكم الادبار • ينهزموا
ولا يضروكم بقتل واسر • ثم لا ينصرون • ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم
عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة
عليهم ثم اخبر بانه تكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على
ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي
وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر • ضربت عليهم
الذلة • هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية • اينما ثقفوا • وجدوا
الا بحبل من الله وحبل من الناس • استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة
الاحوال الا معتصمين او متلبسين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدينه
الاسلام واتباع سبيل المؤمنين • وباءوا بغضب من الله • رجعوا به مستوجبين له • وضربت
عليهم المسكنة • فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين
ذلك • اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب • بانهم كانوا يكفرون
بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق • بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق
مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا • ذلك • اي الكفر والقتل
بما عصوا وكانوا يعتدون • بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر
يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب
الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم
مخاطبون بالفروع ايضا • ليسوا سواء • في المساوي والضمير لاهل الكتاب • من اهل الكتاب امة
قائمة • استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم
الذين اسلموا منهم • يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون • يتلون القرآن في تهجدهم
عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة
العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه ص اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة
فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم • يؤمنون بالله واليوم
الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات • صفات اخر لامة
وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون
بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب

في الاحتساب متباطئون عن الخيرات • اولئك من الصالحين • اي الموصوفون بتلك الصفات
ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه • وما يفعلوا من خير فلن يكفروه • فلن يضيع
ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى
الحرمان وقرا حفص وحمزة والكسائي ما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء • والله عليم
بالمتقين • بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل
التقوى • ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا • من العذاب او من الغناء
فيكون مصدرا • واولئك اصحاب النار • ملازموها • هم فيها خالدون • مثل ما ينفقون • ما ينفق
الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا • في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها
صر • برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت
وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد • اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم • بالكفر والمعاصي
فاهلكته • عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار
ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك
لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث • وما
ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون • اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها
بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة
وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر
كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق • يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة • وليجة وهو الذي يعرفه
الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عم الانصار شعار والناس دثار
من دونكم • من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وهو صفة بطانة اي بطانة
كائنة من دونكم • لا يألونكم خبالا • لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى
بالحرف وعدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص • ودوا ما عنتم
تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية • قد بدت البغضاء من افواههم • اي في
كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم • وما تخفي صدورهم اكبر • مما بدا لان بدوه
ليس عن روية واختيار • قد بينا لكم الآيات • الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين
ومعاداة الكافرين • ان كنتم تعقلون • ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل
ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة • ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم • اي انتم اولاء
الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ثان او
خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة
ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا • وتؤمنون بالكتاب كله • بجنس الكتاب
كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم
وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم • واذا لقوكم قالوا آمنا

نفاقا وتعزيزا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا
الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام
واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو
يحتمل ان يكون من المقول اي قل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان
يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى
من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم
الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة
وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم وما حرم الله عليكم
لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظ الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر
المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما تعملون من الصبر
والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم
عالم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة رضي الله عنها
تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف
واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد صدق وقوله
قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد
يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله اصحابه وقد دعا
عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج
اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف
وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان
بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عم رايت في منامي بقرا مذبوحة
حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع
حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم
الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل ولبس لامته فلما راوا ذلك
ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته
فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي
وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا
بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان
منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا
وتضعفا روي انه عم خرج في زهاء الف رجل ووعد لهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل
ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري

الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم
الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسوله والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما
اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما يفشلان وعلى الله
فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله
ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة
حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب
والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم
الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم
وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى
عن المخالفة فلما لم يصبروا وعن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم
ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم
كانوا كالايسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا
بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف وقرا ابن عامر منزلين
بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر
والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا وياتوكم اي المشركون
من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة
ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان ياتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة
الاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير مسومين معلمين من التسويم الذي
هو اظهار سيما الشيء لقوله عم لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم
بمعنى الاسامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل
امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف
وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما
امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر
وحثا على ان لا يبالوا بمن تاخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر
ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم
او وما النصر ان كان اللام للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر اخرين وهو ما كان يوم بدر
من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن
يقع في القلب او للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الامال ليس لك
من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم
فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء
وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان

اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم
او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اي ليس لك شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم
فتتشفى منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه
بان فيهم من يؤمن ● فانهم ظالمون ● قد استحقوا التعذيب بظلمهم ● ولله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا فله الامر كله ● يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ● صرح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة
وعدمها كالمنافي له ● والله غفور رحيم ● لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم ● يا ايها الذين آمنوا
لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة ● لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ
كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة ● واتقوا الله ● فيما نهيتم عنه ● لعلكم تفلحون ● راجين
الفلاح ● واتقوا النار التي اعدت للكافرين ● بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان
النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة ● واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ● اتبع الوعيد
بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في مثل ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له
وسارعوا بادروا واقبلوا ● الى مغفرة من ربكم ● الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص
وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو ● وجنة عرضها السموات والارض ● اي عرضها كعرضهما
وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات
وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض ● اعدت للمتقين ● هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها
خارجة عن هذا العالم ● الذين ينفقون ● صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع ● في السراء
والضراء ● في حالتي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي
لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير ● والكاظمين الغيظ ● الممسكين عليه الكافين
عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي صلعم من كظم غيظا
وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا ● والعافين عن الناس ● التاركين عقوبة من استحقوا
مؤاخذته وعن النبي عم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت
والله يحب المحسنين ● يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم ● والذين اذا
فعلوا فاحشة ● فعلة بالغة في القبح كالزنا ● او ظلموا انفسهم ● بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل
الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ●
ذكروا الله ● تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم ● فاستغفروا لذنوبهم ● بالندم والتوبة ● ومن
يغفر الذنوب الا الله ● استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى
بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ● ولم يصروا على ما فعلوا
ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة
وهم يعلمون ● حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به ● اولئك جزاؤهم مغفرة من

من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ● خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة
مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين
والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم
ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين
بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلتين انه فصل آيتهم
بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تع وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا
الى التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله ● ونعم اجر العاملين ● لان المتدارك لتقصيره
كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل
تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين
ذلك يعني المغفرة والجنات ● قد خلت من قبلكم سنن ● وقائع سنها الله في الامم
المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال الشاعر ● ما عاين الناس
من فضل كفضلكم ● ولا ارى مثله في سالف السنن ● فسيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين ● لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم ● هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين ● اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين
فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت
اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ● ولا تهنوا ولا تحزنوا ● تسلية
لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم
وانتم الاعلون ● وحالكم انكم اعلى منهم شأنا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة
وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما
اصابوا منكم اليوم او انتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ● ان
كنتم مؤمنين ● متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله
او بالاعلون ● ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ● قرأ حمزة والكسائي وابن عياش
عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح
وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا
ولم يجبنوا فانتم اولى ان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين
كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول ● وتلك الايام نداولها
بين الناس ● نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا
ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه
والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر
والغلبة ● وليعلم الله الذين آمنوا ● عطف على علة محذوفة اي نداول ليكون كيت وكيت
وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم

او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعل ذلك
والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تع ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه
على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا • ويتخذ منكم
شهداء • ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف
منهم من الثبات والصبر على الشدائد • والله لا يحب الظالمين • الذين يضمرون خلاف ما
يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تع لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم
احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين • وليمحص الله الذين آمنوا • ليطهرهم ويصفيهم من
الذنوب ان كانت الدولة عليهم • ويمحق الكافرين • ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق
نقص الشيء قليلا قليلا • ام حسبتم ان تدخلوا الجنة • بل احسبتم ومعناه الانكار • ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم • ولما تجاهدوا وفيه دليل على انه فرض على الكفاية والفرق بين لما ولم
ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون • ويعلم
الصابرين • نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما
تجاهدوا وانتم صابرون • ولقد كنتم تمنون الموت • اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت
بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلعم مشهدا
لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج • من قبل ان تلقوه • من قبل ان
تلقوه • من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته • فقد رأيتموه وانتم تنظرون • اي فقد رأيتموه
معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا
لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار • وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل • فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل • افان مات او قتل
انقلبتم على اعقابكم • انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت
او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا
خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي
رسول الله صلعم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية
حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل النبي عم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل
فانكفأ الناس وجعل الرسول عم يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه
حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان
وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر
عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد صلعم فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة
بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه
وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت • ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا • بارتداده
بل يضر نفسه • وسيجزي الله الشاكرين • على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه

واضرابه • وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله • الا بمشيته تع او باذنه لملك الموت
في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتاخير
الاجل • كتابا • مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا • مؤجلا • صفة له اي مؤقتا لا يتقدم
ولا يتاخر • ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها • تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين
حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك اقبلوا على النهب
وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم • ومن يرد ثواب الآخرة
نؤته منها • اي من ثوابها • وسنجزي الشاكرين • الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء
من الجهاد • وكاين • اصله اي دخل الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت
في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة
كقولهم رعملي في لعمري فصار كيئن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى
الفا كما ابدلت من طائي • من نبي • بيان له • قاتل معه ربيون كثير • ربانيون علماء اتقياء
او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ
ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون
حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو
من تغييرات النسب كالكسر • فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله • فما فتروا ولم ينكسر
جدهم لما اصابهم من قتل النبي وبعضهم • وما ضعفوا • عن العدو او في الدين • وما استكانوا
وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده
والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع
له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عم • والله يحب الصابرين • فينصرهم
ويعظم قدرهم • وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا
وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين • اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم
في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم
هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن
الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل
قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث • فآتاهم الله
ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين • فآتاهم الله بسبب الاستغفار
واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص
ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده • يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين
كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين • نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة
ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه

وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر
الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو
خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى
ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا
وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في
قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا
بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل
عليهم به سلطانا وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة
اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع
الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط
التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم
والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه
تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص
من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم
فما موقفنا هاهنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة
ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة
وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون
المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم
عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان
عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين
يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون
متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال
اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول
يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في
ساقتكم او جماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم
والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين
والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا
على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى
لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير
في فاثابكم للرسول اي فاساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم

على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة
والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا
انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان
السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا
بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي
امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى
طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون
حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم
انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال
او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الظن
الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها
يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله
ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا
تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر
شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون
او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون
طالبون النصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى
بعض وهو بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد
محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نبرح كما كان
رأي ابن ابي وغيره ما قتلنا هاهنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في
بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب
في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها
في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها
من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي
لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم
وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها
وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار
حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما
كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب
منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة لمخالفة النبي

فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت
لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا
القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم
ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم
في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها
وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعفى
جمع عاف لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين
ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون
لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله
حسرة في قلوبهم خاصة وذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل
عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم
مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر
فانه تع قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد
للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا
ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيل الله وقرا نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات
يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر
والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة
والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرا حفص بالياء ولئن متم او
قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم
مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرا نافع وحمزة والكسائي
متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه
لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه
ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك
ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في
امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة
المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله
في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت
لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم
الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم
كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه

اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله
وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان
لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي
الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة
الرسول عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلعم
اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلعم
من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلائع
فغنم رسول الله صلعم فقسم على من معه ولم يقسم على الطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض
المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب
ان يغل على البناء للمفعول والمعنى ما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت
بما غل يوم القيمة يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه
ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى
ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب
مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب
عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي ومأويه
جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك
المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب
او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم
على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان
نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدا محذوف مثل منه
وبعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة
ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم
لانه عم كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلوا عليهم آياته اي القرآن بعد ما كانوا
جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم
الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام
هي الفارقة والمعنى وان الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم
مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة على ما سبق
من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم
مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين
واسر سبعين منهم انى هذا من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته
انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او

او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على
كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان
جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار
سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون
فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا
قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او الدفع عن الانفس
والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد
مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم
فيه ولكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما
قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما
اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان
اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول
الى الافواه تأكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه
مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب
على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده
لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا
حال مقدر بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل وقرأ
هشام ما قتلوا بالتشديد في التاء قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم
صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه
احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا
للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله عم او لكل احد وقرأ هشام
بالتاء كالباقين وبالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول
الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جاز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد
لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم
ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تأكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو
شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون
يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم
من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين
والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو

وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات
محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى
بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون
النار يعرضون عليها الآية وما روي ابن عباس انه عم قال ارواح الشهداء في اجواف طير
خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك
ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا بها في الحال لتحققها ودنوها
او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد
الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون
كرره للتوكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا
بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى
وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على
فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم
مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد
ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا
اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين
كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع
فبلغ ذلك رسول الله عم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس
فخرج صلعم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح
فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت
الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي
واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد او لانه
انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ان
ابا سفيان بن حرب واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر
القابل ان شئت فقال عم ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران
فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط
لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك
والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت
منكم احد الا شريدا افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عم والذي نفسي بيده
لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا
الضمير المستكن للمقول او المصدر قالوا او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى
انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا

واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رض قلنا
يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه
النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد
بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه
ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك رجل حسبك ونعم الوكيل اي
ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة
فيه وفضل وربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء
من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم
والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب
في الدين واظهار الجراة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى
انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطية رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم
الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته
وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس
عليه اللعنة يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول عم او يخوفكم اولياءه الذين هم
ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني
وخافون من مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار
خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا
عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك
ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله شيئا بمسارعتهم في الكفر
وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاي
حيث وقع ما خلا قوله في الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاي فيه والباقون
كذلك في الكل يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل
على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد
ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون
لهم حظ في الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر
بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتأكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق
من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب
للرسول صلعم او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد
لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني
على تقدير مضاف مثل ولا يحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا يحسبن
حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت

وقعت في الامام متصلة فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء
على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة
والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى
كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام
لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى
ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي
لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين
على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو في ليزدادوا اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين
والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق
من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا
الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على
عقائدكم وقرأ حمزة والكسائي حتى يميز هنا وفي الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها
والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله
يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان
ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا
بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين
لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا
فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عم قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي
ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت
وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين
يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق
مفعولاه اي لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير
الرسول او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي
ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق
وعنه عم ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث
السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله وبانه يرث منهم
ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون
من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات
وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود

لما سمعوا من قال الذي يقرض الله وروي انه عم كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم
الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء
ان الله فقير حين سأل القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت
عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب
سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحايف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله
لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه
تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا
القول ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق
وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات
والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك على المال
وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل
مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر
معاصيهم وعبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد
عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن
ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهودا
ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار
بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو
ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا
من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر
المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم
ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاءوهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق
وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم
عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد
كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول صلعم من تكذيب
قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته
والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين
في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر
وهشام وبالكتاب باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس
ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين
وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا
كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها

قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن
زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد
فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي عم من احب ان يزحزح عن النار
ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى
اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي
يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له
متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق
وما يصيبها من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف
والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك
قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها
وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى
من عزم الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به
وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت
اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد العلماء به لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم
وقرأه ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم
الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء
ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات
ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام
الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي عم من كتم علما عن اهله الجم بلجام
من نار وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا
لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
الخطاب للرسول صلعم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون
والثاني بمفازة وان قوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس
وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق
بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر
لا يحسبن بالياء وقرأ ابن كثير وابو عمرو فلا يحسبنهم بالياء وضم الباء ايضا على ان الذين فاعل
ومفعولا يحسبن محذوف وفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وهو يحسبنهم الثاني وكانه قيل لا يحسبن الذين
يفرحون بما اتوا لا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تأكيد للفعل
وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عم سأل اليهود عن شيء
مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل

نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل
نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم
يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير
فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لايات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه
وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة
ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة
لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل
صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي عم ويل لمن قراها ولم يتفكر
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات كلها
قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل
معناه يصلون على الهيآت الثلث حسب طاقتهم لقوله لعمران بن حصين صل قائما فان
لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة للشافعي في ان المريض يصلي
مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا
واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عم لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود
من الخلق وعنه عم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد
ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل
اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة
الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى
المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ
لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة
الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل
وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء
هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان
فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه
اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع
المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص
منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي
للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه
على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول

الرسول وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعديان بالى واللام لتضمنهما معنى الانتهاء
والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا اي بان آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب
الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على
انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب
واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب
لما اظهر امتثاله لما امر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين
لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا او استكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف
تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا
يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة
على استقلال المطالب وعلو شانها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله
مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني
لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى
بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد
او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة
النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال
في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى اخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم
من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشائر
للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا
الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا والثاني
افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر
قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار
ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله
عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب
للنبي والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى
للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة
عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي
ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما
نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك
التقلب متاع قليل لقصر مدته او في جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عم ما الدنيا في الآخرة الا

الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم مأويهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل
والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا
جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه
مصدر موكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه
الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه
وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل
في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلعم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا
الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف
وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن
وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما فعله المحرفون من احبارهم اولئك
لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعده في قوله تع اولئك يؤتون اجرهم مرتين
ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما تستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط
والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها
الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا
اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر
بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة
كما قال عم من الرباط انتظار الصلوة وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام
شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون
فاتقوه بالتبرء عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات
الثلث المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات
ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي
من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم وعنه عم من قرا السورة التي
يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بني ادم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي ادم
وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع من اضلاعه
او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج
المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة
تقتضي ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها

لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب
طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه
على ما دلت عليه الايات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدا تقديره وهو
خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسال بعضكم بعضا به فيقول اسالك
بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرا عاصم وحمزة والكسائي
بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او
على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرا حمزة بالجر عطفا على الضمير
المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام
كذلك اي مما يتقى او يتسا ءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان
منه وعنه عم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله
كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا واتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم
وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى
الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى
لانه من باب الافات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه
على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده في الاية اما للبلغ على الاصل
او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان تدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم
هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه
قال واتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ
له يتيم فلما بلغ طلب منه المال فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله ونعوذ بالله
من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم
او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من
اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم
ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام
وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تع فلياكل بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا
ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم ان
لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء
اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال
فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم
ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا
مقدار ما يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج الذنوب كلها على ما روي انه
تع لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن

نزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا
في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة واجراء لهن مجرى
غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة
اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلث ثلث
واربع اربع غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها
وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها
الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا
هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد
دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم ان لا تعدلوا
بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع
على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فتكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم
سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن
ذلك اي التقليل منهن واختيار الواحدة او التسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا
يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة
وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة
المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد
بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج
لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع واتوا النساء صدقاتهن
مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة
كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا
اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الاية
لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات
اي اتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من
الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات
اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور موليتهم
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة
كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد
والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن
لتضمن معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه
حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غصص اقيما مقام مصدريهما
او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما يحمد عاقبته

عاقبته روي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها
وانما اضاف الاموال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للايات
المتقدمة والمتاخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امراته واولاده
ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم
وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون وتنتعشون بها وعلى الاول اول
بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ
بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم
وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة
جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما
لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط
المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه
حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه السلام
اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه واقيمت عليه الحدود وثماني عشرة عند ابي حنيفة
وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان انستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم
رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الاية
ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى
وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع
اليهم ما لم يونس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي
مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يونس
منه الرشد ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم
ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف
بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي
وعنه عليه السلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق
مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا
على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى
للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة
وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافا لابي حنيفة وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما
امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما
ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة
العامل نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم

مفروضا نصبا وعلى الاختصاص بمعنى اعنى نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث
لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس بن الصامت الانصاري خلف زوجته ام كحة
وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية
فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة
فجاءت ام كحة الى رسول الله صلعم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله
فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين
حتى يبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو
دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث
واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا
عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك الوالدان
او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا
يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان
يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم
او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم
شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر
القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا
خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية
ولو بما في خبره جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية
ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على
الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله
وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى
اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة
وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة
الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي
الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه
الظلم انما ياكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة رض
انه صلعم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون
نارا اي نار وقرا ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا تقول
صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت
النار اذا الهبتها يوصيكم الله يامركم ويعهد اليكم في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال

اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه
وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل
فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي
ان كان الاولاد خلصا نساء ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تاويل المولودات
فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى
منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة واحدة
وقرا نافع بالرفع على كان التامة واختلف في البنتين فقال ابن عباس رض حكمهما حكم الواحدة
لانه تع جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تع لما بين ان حظ الذكر
مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم
ذلك ان يزيد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد
ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان
البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه
اي ولابوي الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق
كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا السدس مما ترك ان كان له
ولد ذكرا او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض
ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك انما ذكر
حصة الام ولم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم
ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث معهما احد
الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس رض فانه يفضي الى
تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان
له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا
لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور
على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات
قال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر
وقرا حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها
او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان
من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان
في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين او مفردين وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة
في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور
وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب
لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم واجلكم

فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان
ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم أمن اوصى منهم
فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة
او تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض
عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم
ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها
او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او
دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية
توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس
كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي
الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث منه
من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف
ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون
الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء
للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له
وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة
فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث
بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امرأة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى
بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة
ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في آخر السورة ان للاختين الثلثين
وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها
فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر
والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لا يرثون ذلك مع الام
والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين
غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة
والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله
يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله
مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة
اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف
في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك
اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه

شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ
والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل
معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير
لانهما جريا على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى
الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان
شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن
الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في
اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري
عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني
او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح واللذان
يأتيانها منكم يعني الزانية والزاني وقرأ ابن كثير واللذانّ بتشديد النون وتمكين مد الالف
والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا
واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله
كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا
وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين
والزانية والزاني في الزناة انما التوبة على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى
وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب
الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته ثم يتوبون من قريب
من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عم ان الله يقبل
توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب كقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل او قبل
ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء
من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك
يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان
الله عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون
وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات
على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء
وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون

السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك
اعتدنا لهم عذابا اليما تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم ولا يعجزه عذابهم
متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال
الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله
عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها
غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل
لا يحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ
حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزوج واصل
العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء
من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج
ونهاهم عن العضل الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف
والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان
يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة الا ان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة
هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف
بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله
فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد
تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى للخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم
مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم
استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن اي احدى
الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا منه شيئا اي
من القنطار أتأخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي أتأخذونه باهتين
وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم
واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى
الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي
يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هنا بالظلم وكيف تأخذونه
وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها
وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق
الله عليهم في شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلعم بقوله
اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي
نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر

من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم
للنهي وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم
والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم
الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه ولكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة
عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه
لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا
سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ
وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر
الى الفهم كتحريم الاكل في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم
تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها
وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد
ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت
تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة
منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد
الطفل الذي در عليه اللبن قال ع م يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل
وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب
وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا المحرمات
بالنسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج
والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل
بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة
للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب
كانت ابتدائية وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة
لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله اذا حاولت في اسد فجورا
فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلعم
فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له
ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون
الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها
والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم
وصارت احقاء بان تجروها مجرى اولادكم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه
جعله شرطا والامهات والربائب تتناول القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن
الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر في الحرمة ما ليس بزنا في مذهبنا كالوطي بالشبهة او ملك يمين

وعند أبي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد إشعار
دفعا للقياس وحلائل أبنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها أو لحلولها مع الزوج
الذين من أصلابكم احتراز عن المتبنى لا عن أبناء الولد وأن تجمعوا بين الأختين في موضع الرفع
عطفا على المحرمات والظاهر أن الحرمة غير مقصورة على النكاح فإن المحرمات المعدودة كما هي محرمة
في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما آية وأحلتهما آية
يعنيان هذه الآية وقوله أو ما ملكت أيمانكم فرجح علي رضي الله عنه التحريم وعثمان رضه التحليل وقول علي
أظهر لأن آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عم ما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرام
إلا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى أو منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله إن الله
كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الأزواج أحصنهن التزوج أو الأزواج وقرأ الكسائي
بكسر الصاد في جميع القرآن غير هذا الحرف لأنهن أحصن فروجهن إلا ما ملكت أيمانكم يريد ما ملكت
أيمانهم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول
أبي سعيد رضه أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا النبي عم فنزلت
الآية فاستحللناهن وإياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل أنكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق
وقال أبو حنيفة رح لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي وإطلاق الآية والحديث حجة عليه
كتاب الله عليكم مصدر مؤكد أي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع
أي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل وأحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب
كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء
ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع
والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى
وأحل لكم ما وراء ذلكم إرادة أن تبتغوا النساء بأموالكم بالصرف في مهورهن أو أثمانهن في
حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز أن لا يقدر مفعول تبتغوا فكأنه قيل إرادة أن تصرفوا أموالكم
محصنين غير مسافحين أو بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على أن المهر لا بد وأن يكون
مالا ولا حجة فيه والإحصان العفة فإنها تحصين النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو
صب المني فإنه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات أو فما استمتعتم به منهن من
جماع أو عقد عليهن فآتوهن أجورهن مهورهن فإن المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال
من الأجور بمعنى مفروضة أو صفة مصدر محذوف أي إيتاء مفروضا أو مصدر مؤكد ولا جناح
عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضي أو فيما تراضيا به من نفقة
أو مقام أو فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتحت مكة ثم نسخت لما روي
أنه صلعم أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا إن الله
حرم ذلك إلى يوم القيامة وهي النكاح المؤقت إلى وقت معلوم سمي بها إذ الغرض منها مجرد
الاستمتاع بالمرأة أو تمتيعها بما تعطى وجوزها ابن عباس رضه ثم رجع عنه إن الله كان عليما

عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الأحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء وأصله
الفضل والزيادة أن ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا أو بفعل مقدر صفة له
أي ومن لم يستطع منكم أن يعتلي نكاح المحصنات أو من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني
الحرائر لقوله فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الإماء المؤمنات وظاهر الآية
حجة عند الشافعي رح في تحريم نكاح الأمة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الأمة الكتابية
مطلقا وأول أبو حنيفة طول المحصنات بأن يملك فراشهن على أن النكاح هو الوطء وحمل قوله من
فتياتكم المؤمنات على الأفضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن أصحابنا من حمله أيضا
على التقييد وجوز نكاح الأمة لمن قدر على نكاح الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة
الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الأمة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج
والله أعلم بإيمانكم فاكتفوا بظاهر الإيمان فإنه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الإيمان فرب
أمة تفضل الحرة فيه ومن حقكم أن تعتبروا فضل الإيمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الإماء
ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض أنتم وأرقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم
ودينكم الإسلام فانكحوهن بإذن أهلهن يريد أربابهن واعتبار إذنهم مطلقا لا إشعار له
على أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن أجورهن أي أدوا إليهن
مهورهن بإذن أهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره أو إلى مواليهن فحذف المضاف للعلم بأن المهر
للسيد لأنه عوض حقه فيجب أن يؤدى إليه وقال مالك المهر للأمة ذهابا إلى الظاهر بالمعروف
بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات
أخدان أخلاء في السر فإذا أحصن بالتزويج فإن أتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات
يعني الحرائر من العذاب من الحد كقوله تع وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل
على أن حد العبد نصف حد الحر وأنه لا يرجم لأن الرجم لا يتنصف ذلك أي نكاح الإماء لمن خشي
العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الأصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر
ولا ضرر أعظم من مواقعة الإثم بأفحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الإماء
وأن تصبروا خير لكم أي صبركم عن نكاح الإماء متعففين خير لكم وقال عم الحرائر صلاح البيت
والإماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بأن رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به
من الحلال والحرام أو ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن أعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة
لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للإرادة كما في قول قيس بن سعد أردت لكيما يعلم الناس أنه
سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له أي يريد الحق لأجله
ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من أهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم
ويغفر لكم ذنوبكم أو يرشدكم إلى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة أو إلى ما يكون كفارة
لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد أن يتوب عليكم كرره للتأكيد والمبالغة
ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فإن اتباع الشهوات الائتمار لها وأما المتعاطي

لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم
يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم
في اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور
غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم ولهذا شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص
لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل
مشاق الطاعات وعن ابن عباس ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت
عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله
لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم
بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم
استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض
صفة لتجارة اي صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من بين الوجوه التي بها يحل
تناول مال الغير لانه اغلب واوفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل
المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون
تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا
انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص
تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عم او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها
ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة
جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم
ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما
اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل
بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا
وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير
وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى
وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب
الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم
نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه
حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلعم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي
حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن
ابن عباس رض الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد ههنا انواع الشرك
لقوله تع ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى

ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها
الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه
لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا
ترى انه تع عاتب نبيه عم في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها
وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم
وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية
كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن
عدم الرضى بما قسم الله وانه تشهي لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر
له معارضة لحكم القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع
ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال
والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال
عم ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم
لكل منهم على حسب ما عرف له من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسألوا الله
من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي
هو الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما
وهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله
يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما
ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونه ويحرزونه ومما ترك بيان
لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث
وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان
الاقربين لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك
الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة
من مبتدأ وخبر والذين عقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس
من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رح لو اسلم رجل على
يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح
وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك
زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير
للموالي وقرأ الكوفيون والذين عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم
الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان على كل شيء
شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة
على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله

الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا
بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب
الجهاد والجمعة ونحوهما والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا
من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة وروي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه
امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلعم فشكا فقال ع
لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات
مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة
الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عم خير النساء امراة اذا نظرت اليها سرتك
وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم
بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له
او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما
حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر
الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن
عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع
في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المبايت اي
لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح والاشائن والامور الثلثة مترتبة ينبغي ان يدرج
فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا
ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه
فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم
احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا
بين المراة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما
لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من
اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين
رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال
واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج
والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او تبيين الامر
ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه
ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا
الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح
يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال
الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله

اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع
الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا
وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين
والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين
وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وقال عم
الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام
وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم
وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل الزوجة وابن السبيل المسافر او الضيف
وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه
واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل
بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف تقديره
الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون الناس بالبخل وقرا حمزة والكسائي بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة
ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم احقاء بكل ملامة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة
فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون
للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين يكتمون صفة محمد صلعم والذين
ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم
والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط
سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان
ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل
المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك
وزينه لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة
ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم
الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق
في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض
على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه
على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان
ههنا واخره في الآية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثمة وكان الله بهم
عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة
وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه
وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة وان يكن مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر

او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرا ابن كثير
ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر
ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويؤت صاحبها من عنده على سبيل التفضل
زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة
بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتداء
والخبر من هول الامر وعظم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء
الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة
المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين كقوله تع لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ
اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم
الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا
ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض
وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي
انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى
بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي
تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا
ما تقولون في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف رضه صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين
كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم
فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي
السكران عن قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ
سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى او سكرى كحبلى على انها صفة
الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذي
اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري
سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة
الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا
اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر
عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور
في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة
وفي الآية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يحترز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه

عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه
عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج
الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن
ببشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرا حمزة والكسائي
لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه
كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر
مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث
بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه
قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت
الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزاه وقال اصحابنا لا بد ان يعلق باليد شيء من التراب
لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم
من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روي انه عم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه
والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا
فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم
او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية لان
المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه
او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلعم وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا
ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء
وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا
به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين
هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة
لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه
اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته
عنها واثبات غيره فيها او يأولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف
وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع
اي مدعوا عليك بلا سمعت لصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه
او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم
اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم
فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا
وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون

من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع
وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم
واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله
بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا
لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي
للمهم يصيبه او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا
مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على
هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام
المائلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه
من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى
حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد
بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع
عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت
او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير
لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس
بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا
قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله
بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان
لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه وان ذنبه لا ينمحي عنه اثره
فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء
تفضلا عليه واحسانا واول المعتزلة الفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب
ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة
اولى من عموم آيات الوعد ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب
قبل التوبة والصفح بعدها والآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب
شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر
دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق
على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل
الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول الله
صلعم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا
بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء
تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن

او قبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا
ولا يظلمون بالذم والعقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط
الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب
في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى
كونه مأثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا اليه محمد صلعم وقيل
في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة
رسول الله صلعم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا
لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله
وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود
او غيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا
سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا
يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون
لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا
اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة
وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفقرين
ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا
واذن اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ
فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله صلعم واصحابه او العرب
او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم
الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله
يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم الذين
هم اسلاف محمد صلعم وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله
مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد صلعم او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه
اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره
فكذلك لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا
بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان
والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة
اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال
ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب في الحقيقة
للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده

حكيماً يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام
فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه
ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل
لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى
اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار
لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى
علي يده واخذ منه وفتح فدخل رسول الله صلعم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح
ويجمع له السقاية والسدانة فامره الله ان يرده اليه فامر عليا رضي الله عنه بان يرده ويعتذر اليه وصار
ذلك سببا لاسلامه ونزول الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس
ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى
بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم
به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح
محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا
باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول ع م وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة
وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا
على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تع ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول
اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة
الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة
الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا انه تع اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة
دون القياس واجيب بان رد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد
ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب
ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان
يوجب ذلك ذلك اي الرد خير لكم واحسن تأويلا عاقبة او احسن تأويلا من تأويلكم بلا رد
الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلعم ودعاه المنافق
الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلعم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال
نتحاكم الى عمر رض فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر
للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به

به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل
ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه
من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه
تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان
ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه
حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا وهو
مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون
في موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله
بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار
عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا
الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد
مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى
صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني
عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم
او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم
او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافي عن ذنوبهم
والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف
ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ
في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض
بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع
كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان
واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك
حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل
اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله
توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما
بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر لا في
قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تع لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما
شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا

مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما
وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها
للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا
او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا
بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بالضم للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا
الفضل بينكم وقرا عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة
بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا
حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد
مصدري الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا
ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم
واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز
والآية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن
ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى
جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل
وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذن لو تثبتوا لآتيناهم لان اذن جواب وجزاء ولهديناهم
صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عم من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب
في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين بيان للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل
وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون
حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج
والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء
واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعات والجد في
اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته
واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا
بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا
مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى
الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم
العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها
نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم

يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي
ان ثوبان مولى رسول الله صلعم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فساله عن حاله فقال ما بي من
وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة
فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل
دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين
من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل
صفته من الله خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما
بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم
تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح
فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تثبية اذا ذكرت
متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة
واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات
كلها كيفما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلعم المؤمنين منهم
والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطؤ بمعنى ابطا وهو لازم
او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطا منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى
للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه
ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة
قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم
فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير
على معنى من كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم
فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما
يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ
لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن
بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة
بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من المثقلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرا ابن كثير
وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف
اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير
فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا
بالآخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطا هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون
انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم
على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر

العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما
فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر
والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم
مبتدا وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل
والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم
عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص
فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها
من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد
المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها
على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء
حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا
من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي
منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلعم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد
فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه
فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه
الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون في
سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين
امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي
ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان
اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم
يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا
للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدا منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول
وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه
او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده
لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض
اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله
او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب
استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به لكن قالوا
في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون

ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة
وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي لا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ
بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدا وانما
متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل
بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها
كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه
من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية
تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم
بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت
ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه
لعلموا ان الكل من الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا
فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة
فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره
ولذلك قال عم ما يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة
من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله كل من عند الله
فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما
قالت عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله
الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس
رسولا حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا
كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام
وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة
مبلغ والآمر هو الله روي انه صلعم قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله
فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى
عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم
عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم امرا طاعة
اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا
من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي زورت خلاف ما قلت لها او ما قلت
لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر
او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج
والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض

فأعرض عنهم قلل المبالاة بهم أو تجاف عنهم وتوكل على الله في الأمور كلها سيما في شأنهم
وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم أفلا يتدبرون القرآن يتأملون في معانيه
ويتبصرون ما فيه وأصل التدبر النظر في أدبار الشيء ولو كان من عند غير الله ولو كان كلام البشر
كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم فكان بعضه فصيحا
وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه تسهل ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع
دون بعض وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة
البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل
لاختلاف الأحوال في الحكم والمصالح وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف مما يوجب الأمن
أو الخوف أذاعوا به أفشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلعم
أو أخبرهم الرسول بما أوحي إليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة أذاعوا به لعدم حزمهم وكانت
إذاعتهم مفسدة والباء مزيدة أو لتضمن الإذاعة معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر
إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم إلى رأيه ورأي كبار أصحابه البصراء بالأمور أو الأمراء لعلمه
على أي وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأنظارهم وقيل كانوا
يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه إلى الرسول
وإلى أولي الأمر منهم حتى يسمعوه منهم ويعرفوا أنه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطو
من الرسول وأولي الأمر أي يستخرجون علمه من جهتهم وأصل الاستنباط إخراج النبط وهو الماء
يخرج من البئر أول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بإرسال الرسول وإنزال الكتاب لاتبعتم
الشيطان بالكفر والضلال إلا قليلا إلا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به إلى الحق
والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل أو إلا اتباعا
قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله إن تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف إلا نفسك إلا
فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فإن الله ناصرك
لا الجنود روي أنه عم دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه إلا
سبعون لم يلو على أحد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل أي لا نكلفك
إلا فعل نفسك لا أنا لا نكلف أحدا إلا نفسه لقوله وحرض المؤمنين على القتال إذ ما عليك
في شأنهم إلا التحريض عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل بأن ألقى
في قلوبهم الرعب حتى جبنوا والله أشد بأسا من قريش وأشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو
تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا أو جلب
إليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عم من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له
وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب إلى الخير الواقع
بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها
في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من أقات على الشيء إذا قدر قال وذي ضغن

وذي ضغن كففت الضغن عنه وكنت على إساءته مقيتا أو شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت
فإنه يقوي البدن ويحفظه وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها الجمهور على أنه في السلام
ويدل على وجوب الجواب إما بأحسن منه وهو أن يزيد عليه ورحمة الله فإن قاله المسلم زاد وبركاته
وهي النهاية وإما برد مثله لما روي أن رجلا قال لرسول الله صلعم السلام عليك فقال وعليك
السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته
وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله
وتلا الآية فقال إنك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه أقسام المطالب
السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل أو للترديد بين أن يحيي المسلم ببعض التحية
وبين أن يحيي تمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة
القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الأصل مصدر حياك الله على الإخبار من الحياة
ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية وأوجب
الثواب أو الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي رحمه الله إن الله كان على كل شيء حسيبا
يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا إله إلا هو مبتدأ وخبر أو الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم إلى
يوم القيمة أي الله والله ليحشرنكم من قبوركم إلى يوم القيمة أو مفضين إليه أو في يوم القيمة
ولا إله إلا هو اعتراض والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور
أو للحساب لا ريب فيه في اليوم أو في الجمع فهو حال من اليوم أو صفة للمصدر ومن أصدق
من الله حديثا إنكار أن يكون أحد أكثر صدقا منه فإنه لا يتطرق الكذب إلى خبره بوجه لأنه
نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في أمر المنافقين فئتين
أي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك أن ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلعم في الخروج
إلى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فاختلف المسلمون في إسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم أحد أو في قوم هاجروا ثم رجعوا
معتلين باجتواء المدينة والاشتياق إلى الوطن أو في قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة
وفئتين حال عاملها لكم أو عاملها ما لكم كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين أي
متفرقين فيهم أو من الضمير أي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله
أركسهم بما كسبوا ردهم إلى حكم الكفرة أو نكسهم بأن صيرهم للنار وأصل الركس رد الشيء مقلوبا
أتريدون أن تهدوا من أضل الله أن تجعلوه مهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
إلى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا أن تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون
معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم
أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا إيمانهم بهجرة هي لله ورسوله
لا لأغراض الدنيا وسبيل الله ما أمر بسلوكه فإن تولوا عن الإيمان المظاهر بالهجرة أو
عن إظهار الإيمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم

ولياً ولا نصيراً اي جانبوهم رأساً ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم
بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى
قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عم وادع وقت خروجه
الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل
بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال
قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول
صلعم وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين
او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف
على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار
قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات وحاصرات صدورهم او بيان لجاؤكم
وقيل صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلعم
غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن ان او لان
او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم
وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا
لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم
في قتلهم واخذهم ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان
وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا
كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر والى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها
وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم
عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي
التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة للتعرض لهم بالقتل والسبي لظهور
عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن
وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضته ونصبه على الحال
او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه
صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن
ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او لا يقصد به زهوق
الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون
فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن
ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش
فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر
كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لانه الكريم في الاحرار والرقيق

والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة
ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كساير المواريث لقول ضحاك بن سفيان
الكلابي كتب الي رسول الله صلعم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي
على العاقلة وان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه
بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي عم كل معروف صدقة وهو
متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها على اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه
فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو
مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم
ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم
محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة
اي وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة
والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة
بان لا يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام
شهرين توبة نصب على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او
على المصدر اي وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله
صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضي
لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص
بمن لم يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة
وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله
فامرهم رسول الله صلعم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد
بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم
يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان
الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين من التثبت هنا وفي الحجرات
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
السلم بغير الالف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك
متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون
ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة
وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اي اول
ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان يعلم
مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا

وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء
وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتب
الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل
واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلعم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه
فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله
محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد و
مر رجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل
على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الجهاد
من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع
صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن عامر والكسائي
بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت
انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم كيف وانا اعمى فغشي رسول الله
صلعم الوحي فوقعت فخذه على فخذي فخشيت ان يرضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة
بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد
في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة جملة موضحة لما نفي من الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع
الخافض اي بدرجة او نصب على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال
بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة
لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله
المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل معنى اجر او المفعول الثاني
له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة
ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينصب درجات على المصدر كقوله ضربه اسواطا واجرا
على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين
وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة
والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الاخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله
وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني
هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون
من جاهد نفسه وعليه قوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا
لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع
وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيستوفونها اي

اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة
الكفرة وانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا
اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في
الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته
قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا لتركهم الواجب الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها
الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك ماواهم جهنم لتركهم الواجب
ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة
باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة
منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل
فيه من اقامة دينه وعن النبي عم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت
له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما السلام الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان
استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد
به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب
الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم
متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه
او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه
واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع
ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة
ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا
متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم
وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ثم هو يدركه
وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا
رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والآية
نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت
فصفق يمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك
فمات فيه واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة
بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عم اتم في السفر
وان عائشة رضها اعتمرت مع رسول الله صلعم وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت
فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة رح لقول عمر رض صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على
لسان نبيكم ولقول عائشة اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر

وظاهرهما يخالف الآية فان صحا فالاول مأول بانه كان التام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي
جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان
ركعتي السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب انفسهم واقل
سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة
صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا ومن زائدة عند الاخفش
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار الغالب
في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله
فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن
وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره
واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول عم
لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده وانهم نواب
عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك
يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل
الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين
فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي عم ومن يصلي معه فغلب المخاطب
على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهر
هذه الآية تدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عم ببطن النخل وان اريد به ان يصلي
بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم
منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا
حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلعم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة رح يصلي
بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتي الاخرى فتصلي معه ركعة ويتم صلوته
ثم تعود الى وجه العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها
وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في
وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان ود الذين كفروا
لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في
صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح
عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل
عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب
وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين
عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكافرين بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا
ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على

مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة اي اديتم وفرغتم منها
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم
اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيفما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين
وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا
اركانها وشرائطها واتوا بها تامة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا
محدودا الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر
الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان
بها كيفما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم
في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون
الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون
من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان تكونوا ارغب
منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون
قوله فانهم يألمون علة النهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما
باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس
نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق
فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة
فلم توجد وحلف ما اخذها وما له علم بها فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي
فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله
فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلعم
ان يفعل بما اراك الله بما عرفك الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى
ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبرآء واستغفر الله
مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير
لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على برائته وخاصموا عنه
ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة
هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس
يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو احق بان يستحيى ويخاف منه
وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون
ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور
وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم
في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع هؤلاء خبرا او صلته عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله

عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء
به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك
وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه
وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه
وباله لقوله وان اسأتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته
ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى
طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البريء وتبرئة النفس
الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر ولولا
فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هموا عليه بالوحي لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر
ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم
فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك
من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم
ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك
عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجويهم من متناجيهم كقوله تع واذ هم
نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اي الا نجوى
من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه
الشرع ولا ينكره العقل ويندرج فيه القرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به
او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله
فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل
الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر
من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله لان الاعمال بالنيات وان
من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظيم تنبيها على حقارة ما فات
في جنبه من اعراض الدنيا ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في
شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير
سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال
ونخل بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت
مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تع رتب الوعيد الشديد على المشاقة
واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني
باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة
ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان

لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد
الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
كرره للتأكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلعم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب
الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة
وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت
ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب
والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم
نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله تع ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى
ومنات ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها
كما قال وما ذكر فان يسمن فانثى شديد الازم ليس له ضروس فانه عنى القراد وهو ما كان
صغيرا يسمى قرادا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها
ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تع ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه
اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم
وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى
وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو
جمع وثن كاسد واسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمها همزة وان يدعون
وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها
فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه
صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر اوراقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال
لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله
وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال
في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية
غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان
وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى
فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته سوى
الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شأنه
غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له
في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا
عقاب ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يشققونها لتحريم ما احله الله وهي عبارة عما كانت
العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة
ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي

وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواطة والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله تع
التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله
زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع
حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار
ما يدعوه اليه على ما امره الله تع به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا
اذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجزه ويمنيهم ما لا ينالون
وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة
او بلسان اوليائه اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص
يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة
الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله
بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا
جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله
الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني
اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب
وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه
العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل
كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي
على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر
باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما زعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم
واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا وآجلا
لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عم اما تحزن اما
تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا
ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه
ومن يعمل من الصالحات بعضها او شيئا منها فان كل واحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها
من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة
من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب
المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا
بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان

لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وابو بكر يدخلون الجنة ههنا وفي مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له
في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن
آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها
حنيفا مائلا عن سائر الاديان الى دين الاسلام وهو حال من المتبع او الملة او ابرهيم واتخذ الله
ابرهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمره
تفخيما وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل
فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان
في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استيناف جيء بها للترغيب
في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابرهيم عم بعث الى
خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه
لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا
منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم عم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة
الى غرارة منها فاخرجت حواري واختبزت فاستيقظ ابرهيم عم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين
لكم هذا فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله فسماه الله خليلا ولله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء وقيل متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته
على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا
احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء
في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي عم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة
النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عم كذلك امرت
قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف
على اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن
من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين مختلفين باعتبارين مختلفين ونظيره
اغناني زيد وعطاؤه او استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي
الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض
على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله
لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شانهن
والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول
كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى
بياءين على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث

وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن
ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال
والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها
والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء
وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اي يفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت
في يتامى صلة لاحدهما وان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب
وان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم
او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير
في ذلك وان امراة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامراة فاعل فعل
يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا
بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له
بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرا الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين
وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة
الاولى والمفعول بينهما او محذوف وقرئ يصّلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة
وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة شر
من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما
في الاسمية والفعلية والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى
احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المراة تسمح بالاعراض عنها والتقصير
في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا
في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان
والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم
عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلعم يقسم بين نسائه
فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري
ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا
يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلعم من كانت
له امراتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن
وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ
وان يتفارقا اي ان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلوة
من سعته من غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه
ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا

اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة
بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين
ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان تكون مفسرة لان التوصية في معنى القول
وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم
ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم
وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم
حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه
غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع الخصائص
والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه تع
توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشا يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشا محذوف
دل عليه الجواب ويات باخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس
وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا
تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلعم
من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزلت ضرب رسول الله صلعم
يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة
ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث
الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته الآية وكان الله سميعا بصيرا عارفا
بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين
على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان
او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة
بيان الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم
ان يكن اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة
الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو
لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما
راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنس الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله
اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل
وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بمعنى ان وليتم اقامة الشهادة
او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا
خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا

يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا
بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على
الايمان بذلك وداوموا عليه وآمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بالسنتكم او آمنوا ايمانا عاما يعم
الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثاني الجنس
ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا
بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم
كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا
بمحمد او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا وتمادوا في الغي لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان
قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر
لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين
بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر
مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر
مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب
او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم
فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه الله وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن
وقرئ نزل القائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم
يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا
معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا
غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار بما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون
في آياتنا الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم
في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك ولان الذين
يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع
المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها
بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء
بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون
الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين
والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم
مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال
قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ

والاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل
ونمنعكم من المؤمنين بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فأشركونا
فيما اصبتم وانما سمى ظفر المؤمنين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر
دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا رحمهم الله على فساد شرى
الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد
الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه
في اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل
وقرئ كسالى بالفتح وهما جمع كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة
بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه ولا يذكرون
الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يراه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان
قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون
فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون الله
اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين
بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصل الذب بمعنى الطرد وقرئ
بالكسر بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال
الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى
هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تع ومن لم يجعل الله له نورا
فما له من نور يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع
المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة
فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر
استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى
وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه
والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض
وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه جمع على ادراك ولن
تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم
واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله
لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف
يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ايتشفى

به غيظا او يدفع به ضرا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر
بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقى نفسه تخلص
عن تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف
المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم او التظلم منه روي
ان رجلا اضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل
فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم
عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء
لكم المؤاخذة عليه هو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله
فان الله كان عفوا قديرا يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك
وهو حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان
بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك
كالكافر بالكل في الضلال كما قال الله تع فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون
هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين
بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين
آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد
وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك سوف يؤتيهم اجورهم
الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تاخر وقرأ
حفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما
عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار
اليهود قالوا ان كنت صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عم وقيل كتابا
محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا
بانك رسول الله فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما
سألوه فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال وان كان من ابائهم اسند اليهم لانهم كانوا
آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس
باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين
معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو
تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحالة التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا

مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها
ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تاتهم بعد فعفونا عن
ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم
توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم
ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى عم والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت
على لسان داود عم ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت
ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدوا على ان
اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو
قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم
وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات
فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها
فلا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور
فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق
وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم
فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر في المواعظ
فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم
بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا
وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى
ثم كفروا بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم
انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن
مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه
وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تع بانه يرفعه
الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى
عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب
وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه
عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله
بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم
هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين
عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله وشاع بين الناس
او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شأنه

عيسى عم فلما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه
حقا وتردد آخرون وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه
وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء رفع الى السماء
وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق
على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله
ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك
بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه
يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله
كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء وتخبرته علما اذا
تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا
لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى عم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته
اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد
ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان
عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين ان تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك
ان قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم
والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى
والمعنى انه اذا نزل من السماء امن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال
فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع
الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات
ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم
شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين
هادوا اي فبأي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين
هادوا حرمنا الاية وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا
وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم
واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم
عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه
والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
خبر المبتدا والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف
على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا
على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة
رفعه لاحد الوجوه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبياء

بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم اجرا
عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره
في الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب
ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول
اولي العزم منهم وعيسى اخرهم والباقون اشراف الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود
زبورا وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك
اي كما ارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا
لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله
محمدا عم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح
او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا
ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات
المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين
وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد
ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص
كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن المفهوم مما قبله وكأنه لما تعنتوا
عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون
ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من القران المعجز
الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه
انزله ملتبسا بعلمه الخاص وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة
ويستأهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم والجار
والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتقرير والتفسير
لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة
دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان
الى العلم به في امثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا
بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام من الحجج على
صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا
بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد
عن الانقطاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا صلى الله عم بانكار نبوته او الناس بصدهم
عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والاية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع

اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق
جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد
في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها
الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم
بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد
على الرد فآمنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره
يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه
يؤدي الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني
وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات
والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم
يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى عم حتى رموه
بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه
اوفق بقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح
عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح
وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه يحيي
الاموات والقلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة اي الآلهة ثلثة الله والمسيح ومريم
ويشهد عليه قوله أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان
صح انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات
وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصب بما سبق انما الله
اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا
من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض
ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد
فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن
عما يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا
يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى
به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلعم
لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله
قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح
اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء
وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف عليه
اعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية للرد

على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف
المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد
به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش او من هو
اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر
مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف
ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق
فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله
وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم
اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب
لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عني
بالبرهان المعجزات وبالنور القران اي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة
وقيل البرهان الدين او رسول الله صلعم او القران فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به
فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل
واحسان زائد عليه ويهديهم اليه اي الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام
والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة يستفتونك اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب
عليها روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله فقال اني كلالة فكيف اصنع
في مالي فنزلت وهي آخر ما نزلت في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اول
السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر
وليس له ولد صفة له او حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد
بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد
على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رض لكنها لا ترث
النصف وهو يرثها اي المرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد
ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ
والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة
على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت
فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى
وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما
وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات
فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم
لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا

فحذفت لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات
عن النبي صلعم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي
من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث او اثنتان او مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد
العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله
على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات
ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم
بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام
للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء
وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب
واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت
عليكم او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا
وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال مما استكن في
محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل او تحريم يا ايها الذين آمنوا
لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال
الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله
اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او النسيء ولا الهدي
ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد اي ذوات القلائد
من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها
والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد
جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له
ولا آمين البيت الحرام بالقتال قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا
ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له لانه عامل
والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار ان يتعرض من هذا شأنه والتنبيه
على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الآية
نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم
شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون
على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم

ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا
وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا واحللتم يقال حل المحرم
واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر
اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون
النون وهو ايضا مصدر كالليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان
صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة
على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام وهو ثاني مفعولي يجرمنكم
فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى
مفعول واحد بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء
ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام
واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم
والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان
اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت
لغير الله كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة
المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو
او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع
اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل
الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع
والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمريء بمحدد وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب
وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام
وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب
وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا
ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج
الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام
طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء
المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه
فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي
وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به
يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت
بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم
عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون

واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص
على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي
بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام
اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات
وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين
الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات
في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا
حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسألونك
ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول وقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما
قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين شائع في امثاله
والمسؤول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات
ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل النص ولا
قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد
ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها
من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح
ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون اكثر فيه وآثر او لان كل سبع يسمى كلبا
لقوله عم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم
تعلمونهن حال ثانية او استئناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها الهام
من الله او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه تع او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه
وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو
ما لم ياكل منه لقوله عم لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب
اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر
وقال آخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله
او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب
فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم
يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه
نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم
المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله عم سنوا بهم سنة اهل الكتاب
غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو
حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث على
ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال

وقال ابن عباس لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها
لتأكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح
غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر
والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرائع
الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اي
اذا اردتم القيام كقوله تع فاذا قرأت القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل
المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل
عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الآية
يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه عم
صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رض صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق
اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر
ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عم المائدة من آخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها
فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق
الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تع ويزدكم قوة الى
قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى
التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما
دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان
الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها
والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية
ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤوسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه
الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى
الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا
رؤوسكم فانه كقوله تع فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع
عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رح مسح ربع الرأس لانه عم مسح على ناصيته وهو قريب من الربع
ومالك رح مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص ويعقوب
عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره
الباقون على الجوار ونظيره كثير في القران والشعر كقوله تع عذاب يوم محيط وحور عين بالجر في قراءة
حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان
يقتصد في صب الماء عليها وتغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخويه ايماء على وجوب
الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى
او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا

بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد
ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم
التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله
ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر
بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم
في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والاية مشتملة على سبعة
امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل
غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر
وان المبيح للعدول الى البدل مرض وسفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة
واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم
به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلعم
على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان
واتقوا الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم
عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم
للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية
ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى صرح
لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان
هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون
فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود
او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه
استيناف مبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين
حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين رأوا رسول الله صلعم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر
معا فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله
كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عم اتى
بني قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما
مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن

عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبرئيل فاخبره فخرج وقيل
نزل رسول الله صلعم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل
سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبرئيل من يده واخذه الرسول عم وقال من
يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه
فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا
يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر
امرهم الله تع بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني
كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ
من كل سبط نقيبا يكون كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء
وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم
فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا
من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة
لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب
ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول
لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم
جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم
منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه فلا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن
ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم
او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرا حمزة والكسائي
قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا
من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف السين يحرفون
الكلم عن مواضعه استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله تع والافتراء
عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا
نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلعم والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم
مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي
ان ابن مسعود رض قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة
منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والهاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم
وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم

وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا او عاهدوا
والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث
عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا
نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره
ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا
انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري بالشيء
اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية
وملكائية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب
يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين
لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد صلعم وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل
ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال
والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلعم يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما
واحد او لانهما في الحكم كواحد من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام
طرق السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام
باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد
اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم
وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون
هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا
فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا
احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن
كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على
كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تع قادر على الاطلاق يخلق
من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم
وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحواء او من انثى وحدها كعيسى او منهما
كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه
عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم
وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم
فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل
والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه
الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم

يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء
في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره
ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موقع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا
لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي
او بمبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك
وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم والله
على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما
الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان
بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب
خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث الرسول اليهم حين انطمست آثار الوحي
وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا
اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيكم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل
عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم
سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض
بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله
وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب
في اللوح انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم
ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا
وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان
وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم
على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى
مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال
رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كان رجلين
من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف
اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى
الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله
عليهما بالايمان والتثبت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم

أي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الإصحار فإذا دخلتموه فإنكم غالبون
لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم أجسامهم ولأنهم أجسام لا قلوب فيها ويجوز أن يكون
علمهما بذلك من إخبار موسى عم وقوله كتب الله لكم أو مما علماه من عادته تع في نصرة رسله وما عهدا
من صنعه لموسى عم في قهر أعدائه وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين أي مؤمنين به ومصدقين لوعده
قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد ما داموا فيها بدل من
أبدا بدل البعض فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة
بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب أنت وربك يعينك قال رب إني لا أملك
إلا نفسي وأخي قاله شكوى بثه وحزنه إلى الله لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق
يثق به غير هرون عم والرجلان المذكوران وإن كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون
قومه ويجوز أن يراد بأخي من يؤاخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي أو
على اسم إن ورفعه عطفا على الضمير في لا أملك أو على إن واسمها وجره عند الكوفيين عطفا
على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بأن تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم
بما يستحقون أو بالتبعيد بيننا وبينهم قال فإنها فإن الأرض المقدسة محرمة عليهم وتخليصنا من صحبتهم
لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم أربعين سنة يتيهون في الأرض عامل الظرف
إما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك
ما روي أن موسى عم سار بعد بمن بقي من بني إسرائيل ففتح أريحا وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض
وقيل إنه قبض في التيه ولما احتضر أخبرهم بأن يوشع بعده نبي وأن الله أمره بقتال الجبابرة فسار بهم
يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني إسرائيل وإما يتيهون أي يسيرون فيها متحيرين
لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها
بل هلكوا في التيه وإنما قاتل الجبابرة أولادهم روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون
من الصباح إلى المساء فإذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع
بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والأكثر على أن موسى
وهرون كانا معهم في التيه إلا أنه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وأنهما
ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع أريحا بعد ثلاثة أشهر ومات النقباء فيه بغتة
غير كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم
وبين أنهم أحقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل أوحى الله تع إلى آدم أن يزوج
كل واحد منهما توأم الآخر فسخط منه قابيل لأن توأمه كانت أجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن
تقبل تزوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد
بهما ابني آدم لصلبه وأنهما رجلان من بني إسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني إسرائيل بالحق
صفة مصدر محذوف أي تلاوة ملتبسة بالحق أو حال من الضمير في اتل أو من نبأ أي ملتبسا بالصدق
موافقا لما في كتب المرسلين إذ قربا قربانا ظرف لنبأ أو حال منه أو بدل على حذف مضاف

مضافا أي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به إلى الله من ذبيحة
أو غيرها كما أن الحلوان اسم ما يحلى أي يعطى وهو في الأصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره
إذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب أردأ قمح عنده وهابيل صاحب
ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر لأنه سخط حكم الله ولم يخلص النية
في قربانه وقصد إلى أخس ما عنده قال لأقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك
قال إنما يتقبل الله من المتقين في جوابه أي إنما أتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني
وفيه إشارة إلى أن الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا
لا في إزالة حظه فإن ذلك مما يضره ولا ينفعه وأن الطاعة لا تقبل إلا من مؤمن متق لئن
بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين قيل
كان هابيل أقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لأن الدفع لم يبح بعد أو تحريا لما
هو الأفضل قال عم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وإنما قال ما أنا بباسط في
جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من أن يوصف به ويطلق عليه ولذلك
أكد النفي بالباء إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين
تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى إنما أستسلم لك إرادة أن تحمل إثمي لو
بسطت إليك يدي وإثمك ببسطك يدك إلي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم
وقيل معنى بإثمي بإثم قتلي وبإثمك الذي لم يتقبل من أجله قربانك وكلاهما في موضع الحال أي ترجع
ملتبسا بالإثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية أخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام إلى أن
ذلك إن كان لا محالة واقعا فأريد أن يكون لك لا لي فالمراد بالذات أن لا يكون له لا أن يكون
لأخيه ويجوز أن يكون المراد بالإثم عقوبته وإرادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه
قتل أخيه فسهلت له ووسعته من طاع له المرتع إذا اتسع وقرئ فطاوعت على أنه فاعل بمعنى
فعل أو على أن قتل أخيه كأنه دعاه إلى الإقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت
لزيد ماله فقتله فأصبح من الخاسرين دينا ودنيا إذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل
هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم فبعث الله
غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه روي أنه لما قتله تحير في أمره ولم يدر ما يصنع
به إذ كان أول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره
ورجليه ثم ألقاه في الحفرة والضمير في ليريه لله أو للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة
ثاني مفعولي يرى والمراد بسوأة أخيه جسده الميت فإنه مما يستقبح أن يرى قال يا ويلتى
كلمة جزع وتحسر والألف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا أوانك والويل
والويلة الهلكة أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي لا أهتدي إلى ما
اهتدى إليه وقوله فأواري عطف على أكون وليس جواب الاستفهام إذ ليس المعنى لو عجزت
لواريت وقرئ بالسكون على فأنا أواري أو على تسكين المنصوب تخفيفا فأصبح من النادمين

على قتله لما كان بدا فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه
وتبرؤ ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال
بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر
بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل
مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته
اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه
من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض
او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء
وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجمع سواء في استجلاب غضب الله
والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو
او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه
تعظيم قتل النفس واحياؤها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد
جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم
هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا
للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا
اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل
الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون
في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه
قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا
اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا
ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم
اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا
من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الآية على هذا
للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا
ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل
قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة
يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين
لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك

المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا
في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته
ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به
ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير
لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة
في قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه
خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح
بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم
وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة
اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي
سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار
وتأويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع
دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث
وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده
قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء
بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور
على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول
او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته
واصلح امره بالتقصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور
رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء
والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب
مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا
آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل
الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر محذوف
اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره
اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتأكيد او لتضمين السماع معنى القبول
اي قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك
فيها سماعون لقوم آخرين لم يأتوك اي لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك

تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك
لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني تكرير للتاكيد
اي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي
وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده
والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع له او في موضع
الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف
فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اي فاحذروا قبول
ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط
منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلعم وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم
فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله
الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم
كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان
ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلعم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته
ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي
هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير
للذين هادوا ان استانف بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره
للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرأ
ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين
على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلعم اذا تحاكموا اليه
بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي
والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم
والآية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا
بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
بالعدل الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم
التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب
الذي عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون
اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان رفعتها بالظرف
وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا
كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد التحكيم
وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه

عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التورية فيها هدى يهدي الى الحق
ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن
بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين اسلموا
صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل
عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في
تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم
السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله
اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا
عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا
فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم
او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة
والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم
وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وفسقهم
بالخروج عنه وظلمهم بالحكم على خلافه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال
انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم
والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها
في التورية ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف
والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى
وكانه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل
كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن
مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله
بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى وقرأ
نافع والاذن بالاذن وفي اذنيه باسكان الذال حيث وقع والجروح قصاص اي ذات قصاص
وقراءة الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل
فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق
يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته
التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره
فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة
الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون بعيسى بن مريم مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء مصدقا
لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب
بالحال ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين

ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف وتعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل
الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم وقرئ وان
ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله امرتك بان قم اي وامرناه بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على
ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عم وانه كان مستقلا بالشرع
وحملها على وليحكموا بما انزل فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك
الكتاب بالحق اي القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام
الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظها عن التغيير
ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اي هومن عليه وحوفظ من التحريف
والحافظ له هو الله تع او الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اي بما انزل اليك ولا تتبع
اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف
او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة
شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية
وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل
على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على
دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب
وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع
المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى
الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها
انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل
الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء
الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب
اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اي انزلنا بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير
وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي ان يضلوك
ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذرهم فتنتهم او مفعول له اي احذرهم
مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا
يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك تبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا
خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلعم
فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم
يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها
معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها

حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه افحكم الجاهلية
يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة
الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلعم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية
من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه
في الصلة في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية
اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم
افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في
قوله هيت لك اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون
الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء
الى علة النهي اي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجماعهم
على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا للتشديد
في وجوب مجانبتهم كما قال عم لا تتراءى ناراهما او لان الموالي لهم كانوا منافقين ان الله
لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة
اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم اي في
موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان
تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار روي ان عبادة
بن الصامت قال لرسول الله صلعم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله
ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من
ولاية موالي فنزلت فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من
عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم
فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول فضلا
عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي
على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل
يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابو عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتي باعتبار المعنى
فكانه قال عسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى
مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان
بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم
لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين
حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل
مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر

مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا
خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه
قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قراءة على الاصل
نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله
عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلعم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم
ذو الحمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلعم
من غدها واخبر الرسول صلعم في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة
اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلعم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض
نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه
وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلعم خالدا فهرب بعد القتال الى
الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر رض سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم
قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض
تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل
بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر رض غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر
وسار الى الشام فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روي انه صلعم اشار الى
ابي موسى وقال قوم هذا وقيل الفرس لانه صلعم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه
وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلثة آلاف
من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد
ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له ارادة
طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول
فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو
طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين شداد متغلبين
عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم
او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون
بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف المنافقين
فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم
فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى
ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم
بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه
من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله

ولرسوله وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين
آمنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون
في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة حال ركوعهم في الصلوة
حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع
في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور
والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه
نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على
ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله
والذين آمنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن
وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله
هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي
غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت
في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما
وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان
من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة
من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف
كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان
ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله
بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده
ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة او المناداة
وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول
اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام
فتطاير شرر في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى
الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون
يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهي لغة الا ان آمنا
بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف
على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا
الايمان وانتم خارجون عنه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف
او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة
والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه

هل تنقمون منا اي وما تنقمون الا ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت
معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب ليهود سألوا
رسول الله صلعم عمن يؤمن به فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا
حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم
مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها
على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه
وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله
او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله
من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة
وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب
السبت مسخت شبانهم قردة ومشائخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا
عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعَبُد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع
محذوفا اي فيهم او منهم ومن قرأ وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عَبَدة
او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة
ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من
اطاعوه في معصية الله وقرأ حمزة وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء والباقون بفتح الباء
ونصب التاء اولئك اي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة
على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو
النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين
في الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله صلعم او
في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا
لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا
وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع
ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم كان الرسول ظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون
اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اي من اليهود او المنافقين يسارعون في الاثم
اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي
وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة
لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم
السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضي افاد التوبيخ
واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا
يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم

خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك
ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك
يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط
ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده
ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله تع قد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر
والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلّون اسارى في الدنيا ومسحبين الى النار في الاخرة فيكون
المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان
ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان
يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام
ينفق كيف يشاء تأكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته
ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما
بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت
في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم
محمدا صلعم واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن
كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيمة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله
كلما ارادوا حرب الرسول صلعم واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه
شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر
ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط
عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد
وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين
فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب آمنوا بمحمد صلعم وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم
ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم
ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب
ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
باذاعة ما فيهما من القيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها
من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض او بكثرة ثمرة الاشجار وغلة
الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط على

على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا
واتقوا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية
ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلعم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء
ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوء عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق
والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع
ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك
فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض
اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس
جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرا نافع وابن عامر
وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه
من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون
بك وعن النبي صلعم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك
وضمن لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله صلعم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم
فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل
ولعل المراد بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية
ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل
حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد صلعم والاذعان
لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان لمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له
والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم
فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين آمنوا والذين
هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء
وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا
والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا
انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور
ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم
اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر ان مقدر دل
عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف ولا يجوز عطفه على
محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان
معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين
هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل والصابئون منصوب

منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا
كما مر والراجع محذوف اي من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ
والصابيين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال
الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد
اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم
رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا
وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل
الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء يقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال
الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا و
محافظة على رؤس الاي وحسبوا ان لا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء
وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع على ان
ان هي المخففة من المثقلة واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة
العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل
والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي
ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم
اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل
والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدا محذوف اي العمى والصم كثير منهم وقيل
مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم
وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا
الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله
في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما
يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين وماواه النار فانها المعدة للمشركين وما
للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم
ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تعالى
نبههم على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك
بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية
والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد
وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات
الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا
عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم

على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها
على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله
ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرون بالتوحيد
والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله
ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى
العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام
وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا
يأكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا
يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية
ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال
هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون
عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها
اعجب قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك
بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به
من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه رأسا وتنبيها على
انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر
لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا
فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى
الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا
اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلعم في شريعتهم
واضلوا كثيرا ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي
هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني
اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم
اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود
فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا
خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب
عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا
عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون
عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع عنه لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء
فعلهم مؤكدا بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون

المشركين بغضا لرسول الله صلعم والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا
قدموه ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص
بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس
شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كان
الآية في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك
ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع
الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم
ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم
وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل
على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كان في كافر
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان
لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن
امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بانفسها
مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى
انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد فاكتبنا
مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم
يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين
والدخول مداخلهم وجواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى
الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله
فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو
للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا
اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور
والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلعم بكتابه فقرأه
ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين وامر جعفرا ان يقرأ
عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثمانين او سبعين رجلا من قومه
وفدوا على رسول الله صلعم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى

بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين
آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على
ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله
بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا
حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد
بينهما روي ان رسول الله صلعم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان
بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم
والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا
مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلعم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا
وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتي النساء
فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب
مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون
من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حال من الموصول والعائد المحذوف
او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة
واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء
بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك
ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رح وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرا حمزة والكسائي وابن عياش
عقدتم بالتخفيف وابن عامر عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة
التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا
للحنفية لقوله عم من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليات الذي هو خير
اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل
مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان
تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون
وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي
في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان
جعل من بدلا وهي ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف
وهو لغة كقدوة وكاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم
وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او
تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي رح فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى

ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا
منها فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة رح فيه التتابع لانه قرئ
ثلثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم ترد سنة ذلك
اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها
لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اي
مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمه
الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر
والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اول السورة
رجس قذر تعاف عنه العقول وافرده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف
محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه
فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم
انه تع اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام
وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب
عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية
المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال
تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة
والشرارة لقوله عم شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار
بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد
الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف فقال فهل انتم
منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله
واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا
البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم
به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا
وآمنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا
ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي
واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله
فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير
باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان
بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة
الثالثة اشارة الى ما قال عم في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى

او باعتبار ما يتقي فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا للنفس عن الوقوع
في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة (عطف على المحرمات) والله
يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا
يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم
الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا
برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام
كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عندما هو اشد منه ليعلم الله
من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف
قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك
بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل
ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين آمنوا
لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح
والذكاة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عم خمس يقتلن
في الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب والفأرة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية
بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق
مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب
ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد
وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله تع ومن عاد فينتقم
الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر
برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه
او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق
المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر
الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء
مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة
باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة رح وقال يقوم الصيد حيث صيد
فان بلغت ثمن هدي تخير ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين
نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير
بين الاطعام والصوم واللفظ للاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون
حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى
نظر واجتهاد تحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل
على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة او بدل

او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية
ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال ابو حنيفة رح يذبح بالحرم ويتصدق به
حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين
عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام
بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي رح او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي
قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم
فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما
عدل بالشيء في المقدار كعدلي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق
وبال امره متعلق بالمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء
عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام
الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة
ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد
كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر
ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله صلعم في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته
وقال ابو حنيفة رح لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه
او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة
اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول
يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله صلعم لحم الصيد
حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام
واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت
الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي
سببا لانتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار
ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر
على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد
سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدي فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل
الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله
يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع
المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة
بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه
ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام
بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذرا في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون

عند الله
من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة
بين الردي من الأشخاص والأعمال والأموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال
ولو أعجبك كثرة الخبيث فإن العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فإن المحمود القليل
خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا أولي الألباب
أي فاتقوه في تحري الخبيث وإن كثر وآثروا الطيب وإن قل لعلكم تفلحون راجين أن تبلغوا
الفلاح روي أنها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عنه وإن كانوا
مشركين يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين
ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لأشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله
عن أشياء إن تظهر لكم تغمكم وإن تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع
السؤال وهو أنه مما يغمكم والعاقل لا يفعل ما يغمه وأشياء اسم جمع كطرفاء غير أنه قلبت لامه فجعلت لفعاء
وقيل أفعلاء حذفت لامه جمع لشيء على أن أصله شيّء كهيّن أو شيء كصديق فخفف وقيل أفعال
جمع له من غير تغيير كبيت وأبيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة أخرى أي عن أشياء عفا الله
عنها ولم يكلف بها إذ روي أنه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك
أكل عام فأعرض عنه رسول الله صلعم حتى أعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم
فاتركوني ما تركتكم فنزلت أو استئناف أي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها
والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس أنه عم كان يخطب
ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا أسأل عن شيء إلا أجبت فقال رجل
أين أنا فقال في النار وقال آخر من أبي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم
الضمير للمسألة التي دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن أو لأشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق
بسألها وليس صفة لقوم فإن ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها
ثم أصبحوا بها كافرين أي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا أو جحدوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة
ولا وصيلة ولا حام رد وإنكار لما ابتدعه الجاهلية وهو أنهم إذا نتجت الناقة خمسة أبطن
آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول إن شفيت
فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت
ذكرا فهو لآلهتهم وإن ولدتهما وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح لها الذكر وإذا نتجت من صلب الفحل
عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع
ولذلك تعدى إلى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
بتحريم ذلك ونسبته إليه وأكثرهم لا يعقلون أي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم أو الآمر
ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه أن منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء
أن يعترفوا به وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا
بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وأن لا سند لهم سواه أولو كان آباؤهم لا يعلمون

شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لإنكار الفعل على هذه الحال
أي أحسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بمن
علم أنه عالم مهتد وذلك لا يعرف إلا بالحجة فلا يكفي التقليد يا أيها الذين آمنوا عليكم
أنفسكم أي احفظوها والزموا إصلاحها والجار والمجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب
أنفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل إذا اهتديتم لا يضركم الضلال إذا كنتم
مهتدين ومن الاهتداء أن ينكر المنكر بحسب طاقته كما قال عم من رأى منكم منكرا واستطاع
أن يغيره بيده فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان
المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون إيمانهم وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفهت
آباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على أنه مستأنف ويؤيده أن قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب
أو النهي لكنه ضمت الراء إتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة
من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره إلى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على أن أحدا لا يؤاخذ بذنب غيره
يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم أي فيما أمرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الإشهاد
في الوصية وإضافتها إلى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم
إذا حضر أحدكم الموت إذا شارفه وظهرت أماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه
وفي إبداله تنبيه على أن الوصية مما ينبغي أن لا يتهاون فيه أو ظرف حضر اثنان فاعل شهادة
ويجوز أن يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم من أقاربكم أو من المسلمين وهما
صفتان لاثنان أو آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير بأهل الذمة جعله منسوخا
فإن شهادته على المسلم لا تسمع إجماعا إن أنتم ضربتم في الأرض أي سافرتم فيها فأصابتكم
مصيبة الموت أي قاربتم الأجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط
بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله أو آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على أنه ينبغي أن
يشهد اثنان منكم فإن تعذر كما في السفر فمن غيركم أو استئناف كأنه قيل كيف نعمل إن ارتبنا بالشاهدين
فقال تحبسونهما من بعد الصلاة صلوة العصر لأنه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل
وملائكة النهار وقيل أي صلوة فيقسمان بالله إن ارتبتم إن ارتاب الوارث منكم لا نشتري
به ثمنا مقسم عليه وإن ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم
أو بالله تعالى عرضا من الدنيا أي لا نحلف بالله كاذبا للطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له
قريبا منا وجوابه أيضا محذوف أي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله أي الشهادة التي أمرنا
بإقامتها وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض
حرف الاستفهام منه وروي عنه بغيره كقولهم الله لأفعلن إنا إذا لمن الآثمين أي إن كتمنا
وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام النون فيها فإن عثر فإن اطلع
على أنهما استحقا إثما أي فعلا ما أوجب إثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان

مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اي من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما يميننا اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي بن بداء خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوش بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلعم فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلعم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلعم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر فيقول للرسل ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال للتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم مما اجابونا واظهروا

واظهروا لنا وما لا نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص والنداء وقرأ ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تع يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طايفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل عم او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية وتطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولية والكهولية على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عم واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك او انهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا

اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا للمتقدمين منا والمتأخرين روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لأولانا وأخرانا بمعنى الامة او الطائفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها اي آية كائنة منك على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او العذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى ع وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا ويجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثمئة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تع ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا

واذ قال الله يا عيسى بن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه

كانه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله فكأنه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يأول القول بالامر فكأنه قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء كقوله اني متوفيك ورافعك الي والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تع الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد والى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اي تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي من كلام عيسى ع واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النفع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم غير اولي العقل اعلاما بانهم في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية (وافراد النور لقصد الجنس نسخه) وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به تعالى هو الذي خلقكم من طين ابتداء خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر واسم الله بدل

بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم عليه ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قادر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله تعالى وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوه لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى لو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل عليه السلام في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما رآهم

كذلك الا افراد من الانبياء لقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي لو جعلناه رجلا للبسنا اي
لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرى لبسنا بلام واحد وللبسنا بالتشديد
للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم على ما يرى من قومه فحاق
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله
او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين
كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله تع قل سيروا في الارض
فانظروا ان السير ثمه لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها
وايجاب النظر في اثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سوال
تبكيت قل لله تقريرا لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا
غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن
ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر
ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور
مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة
بدل البعض فانه من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين خسروا
انفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم
او رفع على الخبر اي انتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على
عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد
واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على لله
ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى
ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الاخر وهو السميع
لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شي ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم
وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك
قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض
مبدعهما وعن ابن عباس رضه ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما
انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرى فطر وقرى بالرفع
والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه
وقرى ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو
فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبناؤهما للفاعل على ان الثاني من اطعم
بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون
اول من اسلم لان النبي صلعم سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن
ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع

اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به
وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقراء
حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره
والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز
المبين اي الصرف والرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له الا
هو فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شي قدير فكان
قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه لقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق
عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير
بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شي اكبر شهادة نزل حين قال قريش يا محمد لقد سالنا
عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك
رسول الله والشي يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اي
الله اكبر شهادة ثم ابتدى شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد
هو الجواب لانه تع اذا كان الشهيد كان اكبر شي شهادة واوحي الي هذا القران لانذركم
به اي بالقران واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين
اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم
ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القران تعم الموجودين
وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله
الهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله
واحد اي بل اشهد ان لا اله الا هو وانني بري مما تشركون يعني الاصنام الذين
اتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلعم بحليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون
ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون
لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله
وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب باياته كانوا كذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا
وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بلغ غاية الافراط في الظلم
على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم
جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اي الهتكم التي
جعلتموها شركاء لله وقرا يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم
شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين الهتهم
حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم
فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي
يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب

او لانهم قصدوا به الخلاص وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على
انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث
للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون
ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها
وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف
كذبوا على انفسهم اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخالف النظم ونظير ذلك قوله
قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرا حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء
او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران
والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا
رسول الله صلعم يقرا فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه
يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان
وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد
مر تحقيق ذلك في اول سورة البقرة وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام
التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاؤك يجادلونك
وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا
الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك
حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول
تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط
وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القران او الرسول والايمان به وينأون عنه
بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلعم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب
وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم
ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى
يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا
وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى
الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الاثبات
كقولهم دعني ولا اعود اي وانا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه
فيكون في حكم المتمني وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب و
حفص على الجواب باضمار ان بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرا ابن عامر برفع الاول
على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة
الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا
ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لامنوا ولو ردوا اي الى الدنيا بعد الوقوف والظهور

والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم
وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا
ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز
عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم وجزائه او عرفوه حق التعريف
قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة
الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة
غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجاءة ونصبها على الحال او المصدر فانها
نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اي تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحيوة الدنيا
اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شانها والايمان بها وهم يحملون
اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم اصار الاثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه
وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اي وما اعمالها الا لعب ولهو تلهي الناس وتشغلهم
عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الاخرة
خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان
ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرا ابن عامر ولدار الاخرة افلا تعقلون اي الامرين
خير وقرا نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على
الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه
قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك
في الحقيقة وقرا نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ولكنهم يجحدون ايات الله ويكذبونه فوضع الظالمين
موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى
التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به
فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك
ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم
واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده
من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الايات ولقد جاءك من نبأ المرسلين اي من
قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان
بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية منفذا تنفذ فيه
الى جوف الارض فتطلع لهم اية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها اية وفي الارض صفة لنفقا
وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني

محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه
وانه لو قدر ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى اى لو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يومنوا ولكن لم تتعلق به
مشيته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة ولكن
لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن الصبر
فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل
كقوله او القى السمع وهو شهيد وهولاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله
فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه اى
اية مما اقترحوه او اية اخرى سوى ما انزل من الايات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا
قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه او اية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او اية ان جحدوها
هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم
فيما انزل مندوحة عن غيره وقرا ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة فى الارض
تدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه فى الهواء وصفه قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا
طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها والمقصود
من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل
اية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا فى الكتاب من شئ يعنى اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجرى فى العالم
من جليل ودقيق ولم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القران فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين
مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشئ فى موضع المصدر لا المفعول فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدى
بفى الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعنى الامم كلها فينصف بعضها من
بعض كما روى انه ياخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا باياتنا صم
لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتاثر به نفوسهم وبكم
لا ينطقون بالحق فى الظلمات خبر ثالث اى خابطون فى ظلمات الكفر او فى ظلمة الجهل وظلمة العناد
وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى الخبر من يشا الله يضلله من يشا الله اضلاله
يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشا يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى
الهدى ويحمله عليه قل ارايتكم استفهام تعجب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له
من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت
الفعل الى ثلثة مفاعيل ولزم فى الاية ان يقال ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف
تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرا نافع ارايتكم وارايت وارايتم واشباهها اذا كان
قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التى بعد الراء فى رواية قالون وبابدالها الفا فى رواية ورش
والكسائى يسقطها اصلا والباقون يحققونها وحمزة اذا وقف وافق نافعا ان اتاكم عذاب الله
كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم

ان كنتم صادقين ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اى فادعوه بل اياه تدعون
بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون
اليه اى ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم عليكم ولا يشاء فى الاخرة وتنسون
ما تشركون وتتركون الهتكم فى ذلك الوقت لما ركز فى العقول على انه القادر على كشف الضر
دون غيره او وتنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اى قبلك ومن
مزيدة فاخذناهم اى فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالباساء بالشدة والفقر
والضراء الضر والافات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا
ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت
مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى
وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التى
زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب
كل شئ من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتى الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما
للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روى انه عم قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرا ابن عامر
فتحنا بالتشديد فى جميع القران ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذى فى الاعراف حتى اذا
فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه
اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون ايسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى اخرهم
بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم
فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة
يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان
يغطى عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله ياتيكم به اى بذاك او بما اخذ وختم عليه او
باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الايات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة
من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون
عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة
من غير مقدمة او جهرة بتقدم امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة او جهرة
هل يهلك اى ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ
منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المومنين بالجنة ومنذرين الكافرين
بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن امن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف
عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب
جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون
بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندى خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه
ولا اعلم الغيب ما لم يوح الى ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم انى ملك

أي من جنس الملائكة أو أقدر على ما يقدرون عليه إن أتبع إلا ما يوحى إلي تبرأ عن دعوى الألو
والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد
مدعاه قل هل يستوي الأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي والجاهل والعالم أو مدعي المستحيل
كالألوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة أفلا تتفكرون فتهتدوا أو فتميزوا بين ادعاء
الحق والباطل أو فتعلموا أن اتباع الوحي مما لا محيص عنه وأنذر به الضمير لما يوحى إلي الذين يخافون
أن يحشروا إلى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل أو المجوزون للحشر مؤمنا كان أو كافرا
مقرا به أو مترددا فيه فإن الإنذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فإن المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون
لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما أمره بإنذار غير المتقين ليتقوا
أمره بإكرام المتقين وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية لقريش روي أنهم قالوا لو طردت هؤلاء
الأعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا إليك وحادثناك فقال
ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا إذا جئناك قال نعم وروي أن عمر قال له لو فعلت حتى ننظر
إلى ما ذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام
وقيل صلاة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفي الكهف يريدون وجهه حال من
يدعون أي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالإخلاص تنبيها على أنه ملاك الأمر ورتب النهي
عليه إشعارا بأنه يقتضي إكرامهم وينافي إبعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم
من شيء أي ليس عليك حساب إيمانهم فلعل إيمانهم عند الله أعظم من إيمان من تطردهم بسؤالهم طمعا
في إيمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم وإخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وإن كان
لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك
عليك لا يتعداك إليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم أي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى
لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك إيمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم
فتبعدهم فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر
وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف أحوال الناس في أمور الدنيا فتنا
أي ابتلينا بعضهم ببعض في أمر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على أشراف قريش بالسبق إلى الإيمان
ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أي أهؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما
يسعدهم دوننا ونحن الأكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو إنكار لأن يخص هؤلاء
من بينهم بإصابة الحق والسبق إلى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا إليه واللام للعاقبة أو
للتعليل على أن فتنا متضمن معنى خذلنا أليس الله بأعلم بالشاكرين بمن يقع منه الإيمان
والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم
كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالإيمان بالقرآن
واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وأمره بأن يبدأ بالتسليم أو يبلغ سلام الله

سلام الله إليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم إيذانا بأنهم الجامعون
لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله
بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل إن قوما جاؤوا إلى النبي صلعم فقالوا إنا أصبنا ذنوبا
عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت أنه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ
نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال أي من عمل
ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضي الله عنه فيما أشار إليه أو ملتبسا بفعل الجهلة
فإن ارتكاب ما يؤدي إلى الضرر من أفعال أهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل والسوء
وأصلح بالتدارك والعزم على أن لا يعود إليه فأنه غفور رحيم فتحه من فتح الأول غير نافع على
إضمار مبتدأ أو خبر أي فأمره أو فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات
آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والأوابين ولتستبين سبيل المجرمين
قرأه نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا
هذا التفصيل وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين
سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فإنه يذكر ويؤنث ويجوز أن يعطف على علة مقدرة
أي نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين قل إني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة
وأنزل علي من الآيات في أمر التوحيد أن أعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما
تعبدون من دون الله أو ما تدعونها آلهة أي تسمونها قل لا أتبع أهواءكم تأكيد لقطع
أطماعهم وإشارة إلى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم
وأن ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على أن يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت إذا
أي إن اتبعت أهواءكم فقد ضللت وما أنا من المهتدين في شيء من الهدى حتى أكون من عدادهم
وفيه تعريض بأنهم كذلك قل إني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة
الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي أو الحجج العقلية أو ما يعمها
من ربي من معرفته وأنه لا معبود سواه ويجوز أن يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي أي كذبتم
به حيث أشركتم به غيره أو للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه
بقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم إن الحكم إلا لله في تعجيل العذاب وتأخيره
يقضي الحق أي القضاء الحق أو يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع إذا صنعها فيما يقضي
من تعجيل وتأخير وأصل القضاء الفصل بتمام الأمر وأصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل وقرأ ابن كثير
ونافع وعاصم يقص من قص الأثر أو قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو أن عندي
أي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الأمر بيني وبينكم لأهلكتكم عاجلا غضبا
لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الأمر
إلى الله وهو أعلم بمن ينبغي أن يؤخذ وبمن ينبغي أن يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع
مفتح بفتح الميم وهو المخزن أو ما يتوصل به إلى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح

بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها
لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت
مشيته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق
علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة
في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة
وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله
او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او رفعا على الابتداء والخبر
الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم
لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار
كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث
ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه
مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى انكم
ملقون كالجيف بالليل كاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان
ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه
لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو
القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه
ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد
اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه
حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة توفاه بالف ممالة
وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان
ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم
الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره وهو اسرع الحاسبين
يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم
مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرا يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى
واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر
لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون لئن انجيتنا وقرا
الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده
الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك
ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة
الله فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم

بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل
من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا
متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها
يدي ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد
لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقران وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق
قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله
الحفيظ لكل نبا خبر يريد انباء العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف
تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الاخرة واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا بالتكذيب
والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره
اعاد الضمير على معنى الايات لانها القران واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته
حتى تنسى النهي وقرا ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم
الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء
موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم
واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى
ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل
النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم
يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء
او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم
بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقران لم نستطع ان نجلس
في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي
وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا واجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا
دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم
زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم
كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك
التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقران ان تبسل نفس
بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه
اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك
اي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل
وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر
لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى
اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة

لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر
في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا
يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله
فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن
في المهامه استفعال من هوى يهوي اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف
النصب على الحال من فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته او على المصدر اي ردا مثل رد
الذي استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة
يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية
للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى
وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله
واللام لتعليل الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة وان اقيموا الصلوة
واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم
وان اقيموا روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر رض دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا
كان امره الرسول صلعم بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي
كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق
قايما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله الحق
يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ
في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات والهاء في واتقوه او بمحذوف دل عليه
بالحق وقوله الحق مبتداء وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه كن
فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين يقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات
واحياها وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب
والشهادة اي هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابرهيم لابيه آزر
هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارح فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب
وقيل العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت
مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده
فلقب به للزومه عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره
ما بعده اي اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما الهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ ءازرا تتخذ
اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم
اني اراك وقومك في ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نري ابرهيم ومثل هذا التبصير
نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية
ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك

اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اي ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون
فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك
نري اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم
ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان
الزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على وفق قول الخصم يحكيه على ما يقوله
الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول
اوان بلوغه فلما افل اي غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال
والاحتجاب بالاستار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية فلما رأى القمر بازغا مبتدئا
في الطلوع قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه
واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر
ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا
ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة الرب عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا
واظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة
الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذي
دلت هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من
المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى
الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد
قال اتحاجوني في الله في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى
توحيده ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع
الا ان يشاء ربي شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن الهتهم وتهديد
لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون
في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز
وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف
منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع
ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن
اي الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا ام انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون
ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استئناف
منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الاية لما نزلت
شق ذلك على الصحابة قالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلعم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمن لابنه
يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط
بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم على قومه من

من قوله فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني الى قوله حجتنا آتيناها ابراهيم ارشدناه
اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اي آتيناها
ابراهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين
ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق
ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابراهيم عدّ هداه نعمة على
ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم
اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم
اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها والمذكورون في الآية الثالثة
عطف على نوحا داود وسليمن وايوب ايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف
وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين اي نجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته
وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية
تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية
الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح
وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة
والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد في قوله رأيت
الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا
هو ابن هاران بن اخي ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على
من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا
كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا
واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه
ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل
بالهداية ولو اشركوا اي ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شأنهم لحبط عنهم
ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب
يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها
اي بهذه الثلثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين
وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبي صلعم او كل من آمن به
او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم
اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين
دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسي بهم جميعا
فليس فيه دليل على انه صلعم متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة
كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف وحذف الهاء في الوصل خاصة

خاصة حمزة والكسائي واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر وكسرها
بغير اشباع برواية هشام قل لا اسألكم عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا جعلا
من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ
او القرآن او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكير وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره
وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء
حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار
وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة
في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء
به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا
بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمين ذلك توبيخهم
على سوء حملهم للتورية وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء
بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي
انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم
المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك
كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد ما لم تعلموا
انتم ولا آباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا
اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل
الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم
اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب
ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول
والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف
متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه
يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات
ولتنذر او على محذوف اي لتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة — او علة محذوفة نسخه
اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان
اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب ومن حولها
اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون
فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن
بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين
وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي
او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن

سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلعم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل
خلق الانسان فقال عم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد
اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله
كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف
عليه اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة
باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون
لهم اخرجوا الينا ارواحكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا
اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب
الهون اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته
وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك ودعوى النبوة
والوحي كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا
للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما اثرتموه من الدنيا
او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى
وقرئ فرادا كرجال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة
التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي
مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم
ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه
شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء
لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم
والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع
والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على
اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به
وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله
فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الانشقاق الذي في الحنطة والنوى
يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطفة
والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا
على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اي فذلكم المحيي المميت
هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق
عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه
والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع

على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته
فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل
دل عليه جاعل لا به فانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه
فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة
وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن
نصبهما بجعل مقدرا وقرئا بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي
على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان
الحسبان بالكسر مصدر حسب بالكسر وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما
حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه
المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم
خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما
للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها
بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الايات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم
المنتفعون به وهو الذي انشاكم من نفس واحدة هو آدم فمستقر ومستودع اي فلكم
استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار
واستيداع وقرا ابن كثير والبصري بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اي فمنكم
قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون
ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم
من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق
نظر وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب
المسمى بالالتفات به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة
في انبات الانواع المتفننة بماء واحد كما في قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج
من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان
اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل
خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان
جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية
الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها
لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع
على الابتداء اي ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج
من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين

الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه
غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ
حمزة والكسائي بضم الثاء وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج
ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى نضيجه كيف يعود ضخما ذا نفع
ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ
بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود القادر
الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من اصل واحد ونقلها من حال
الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا
يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال
وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم
جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو
رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق
بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين
وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق
وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم
للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير
وقرئ وحرفوا اي وزوروا له بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا
ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى
عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع
وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد
اي من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او
لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل
به لتطرق التخصيص الى الاول في الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه مبدع
السموات والارضون وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول
مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين
والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل
ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع
ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل

كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم
مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اي
وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب
على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر
وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف
اذ ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض
الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع
وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار
كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك
الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها
قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت به الدلالة
لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اي ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها
ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ
عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا الكلام ورد على لسان الرسول عم وكذلك نصرف
الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف
وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اي وليقولوا درست صرفنا واللام
لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست
اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الآيات
وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست
على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا صلعم
وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد صلعم
ودارسات اي قديمات او ذات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله
لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما
او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به
لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية
واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى رأيهم ومن جعله منسوخا باية السيف
حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا
وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا
رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي ولا
تذكروا آلهتهم التي يدعونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل
بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا

وعدوًّا أو عدآءً وعدوانا روي أنهم كانوا يطعنون في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا
أو لنهجون إلهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله
وفيه دليل على أن الطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشر شر
كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز
تخصيص العمل بالشر وكل أمة بالكفرة لأن الكلام فيهم والمشبه تزيين سب الله لهم ثم إلى
ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه وأقسموا بالله جهد أيمانهم
مصدر في موقع الحال والداعي لهم إلى هذا القسم التأكيد فيه التحكم على الرسول صلعم في طلب الآيات
واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله
هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وإرادتي وما يشعركم وما يدريكم
استفهام إنكار أنها أن الآية المقترحة إذا جاءت لا يؤمنون أي لا تدرون أنهم
لا يؤمنون أنكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على أنه إنما لم ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت
لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل أن بمعنى لعل إذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر
عن عاصم ويعقوب إنها بالكسر كأنه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بما علم منهم والخطاب
للمؤمنين فإنهم يتمنون مجيء الآية طمعا في إيمانهم فنزلت وقيل للمشركين إذ قرأ ابن عامر وحمزة
لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم فيكون إنكارا لهم على حلفهم أي وما يشعرهم
أن قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها
ونقلب أفئدتهم وأبصارهم عطف على لا يؤمنون أي وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم عن الحق
فلا يفهمونه وأبصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به أي بما أنزل من الآيات
أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ
ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والإسناد إلى الأفئدة ولو أننا نزلنا
إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا أنزل علينا
الملائكة فأتوا بآبائنا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل أي كفلاء بما بشروا
به وأنذروا أو جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات أو مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو
قراءة نافع وابن عامر وعلى الوجوه حال من كل وإنما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا
لما سبق عليهم القضاء بالكفر إلا أن يشاء الله استثناء من أعم الأحوال أي لا يؤمنون
في حال إلا حال مشيئة الله إيمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن أكثرهم يجهلون
أنهم لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون ولذلك أسند
الجهل إلى أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعمهم أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنون
نزول الآية طمعا في إيمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا أي كما جعلنا لك عدوا جعلنا
لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء بفعل الله وخلقه شياطين
الإنس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا أو أول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله

الثاني ولكل متعلق به أو حال منه يوحي بعضهم إلى بعض يوسوس شياطين
الجن إلى شياطين الإنس أو بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض زخرف
القول الأباطيل المموهة من زخرفه إذا زينه غرورا مفعول له أو مصدر في موقع
الحال ولو شاء ربك إيمانهم ما فعلوه أي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الأنبياء
وإيحاء الزخارف ويجوز أن يكون الضمير للإيحاء أو الزخرف أو الغرور وهو أيضا دليل
على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة
عطف على غرورا إن جعل علة أو متعلق بمحذوف أي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا
والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة أو لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل
بالنون أو لام الأمر وضعفه أظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه
لأنفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام أفغير الله أبتغي حكما على إرادة
القول أي قل لهم يا محمد أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول
أبتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما أبلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو
الذي أنزل إليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط
والالتباس وفيه تنبيه على أن القرآن بإعجازه وتقرره مغن عن سائر الآيات والذين
آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة الإعجاز على أن القرآن حق
منزل من عند الله يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع أنه لم يمارس كتبهم ولم يخالط
علماءهم وإنما وصف جميعهم بالعلم لأن أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل وقيل
المراد مؤمنوا أهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين
في أنهم يعلمون ذلك أو في أنه منزل لجحود أكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن
من المشركين أو خطاب الرسول والخطاب للأمة وقيل الخطاب لكل أحد على معنى أن الأدلة لما تعاضدت
على صحته فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه وتمت كلمات ربك بلغت الغاية أخباره وأحكامه
ومواعيده صدقا في الأخبار والمواعيد وعدلا في الأقضية والأحكام ونصبهما
يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا أحد يبدل شيئا منها بما هو أصدق
وأعدل أو لا أحد يقدر أن يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على أن المراد بها القرآن
فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ لقوله وإنا له لحافظون أو لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل
أحكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك أي ما تكلم به أو القرآن وهو السميع لما يقولون
العليم بما يضمرون فلا يهملهم وإن تطع أكثر من في الأرض أي أكثر الناس يريد الكفار
أو الجهال أو تباع الهوى وقيل الأرض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل إليه
فإن الضال في غالب الأمر لا يأمر إلا بما فيه ضلال إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم أن آباءهم
كانوا على الحق أو جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فإن الظن يطلق على ما يقابل العلم وإن هم
إلا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون إليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الأوثان

وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن
وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى اعلم بالفريقين ومن
موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر
في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر
وقرئ من يضل اى يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اى
اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته
واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله
على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها
يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واى غرض
لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم
الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص
حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة
وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح
باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين
المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما
بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنى في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم
سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم
متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله صلعم
ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة
او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز
ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى
اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله
الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان
من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء
فيه لان الشرط بلفظ الماضي اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتامل بها في الاشياء
فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته
وهو مبتدا خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء
في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم
زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل

وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اى كما جعلنا في مكة
اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه
اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه
ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ
اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا
بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى
نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف
حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا
وحي كما يأتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالاته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست
بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه
يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب
الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله
وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه
يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية
عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلعم حين سئل
عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال
نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد
ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير
ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اى شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا
بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان
صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عنه الصعود
وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد
وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اى كما يضيق
صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان
عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الى
الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته
وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله
وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون
فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال
العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها
او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده

لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم
بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم نحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر
من الثقلين وقرا حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين
قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا
معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا
استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها
والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون
بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع
الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين
فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله
الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل
النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم
او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي
يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة ولكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب
صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره
قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم كقوله
ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة
قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب
وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء
رأيهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان
عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا
للسامعين عن مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك
ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من المثقلة
اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم
فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول وبدل من ذلك ولكل
من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك
بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب وعقاب وقرا ابن عامر بالتاء على
تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف
تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه

بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم اي ما به حاجة اليكم ان يشأ
يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم آخرين
اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله لآت
لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم
واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم
مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو امر
تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام
والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على
ما يفضي اليه وتسجيل بان المهدد لا يتأتى منه الا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر ان يتفصى عنه
فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة
الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب
بتعلمون اي فسوف تعرفون الذي تكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب
وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرا حمزة والكسائي هنا وفي القصص يكون بالياء لان تأنيث
العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة
وجعلوا اي مشركوا العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله
بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي
انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما
لآلهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم
وان رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم
اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم
تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه
وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين
في قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم
من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل
ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية
معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزادة وقرئ بالبناء
للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء
وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام
للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه
ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون
افتراءهم او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لآلهتهم انعام وحرث حجر

حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم
وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء
بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وانعام
لا يذكرون اسم الله في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها
افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف
هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون
بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله
وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان
ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو
وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر او هو مصدر كالعافية
وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي
في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوي
او على صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه
بدل من ما او مبتدا ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر
والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل
من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم يريد
بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرا ابن كثير وابن عامر
قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير سفها بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم
لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء
على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب
وهو الذي انشا جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات
ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت
في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير
للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه والجميع على تقدير اكل
ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون
والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها
كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته
رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان
يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل
الزكاة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء

عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرا ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي
حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط انه
لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشا من الانعام
ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة
للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما
حل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا المعترض بينهما
او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد
يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضان اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل
من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن
كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب او حارس وحرس وقرئ معزى
قل آلذكرين ذكر الضان وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين
بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى
نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى
التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه
ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل
اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف
كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين شاهدين اذ وصاكم الله
بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك
الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد
كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي
القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على
ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة
الا ان يكون الطعام ميتة وقرا ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرا ابن عامر
بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه
اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير
فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف على
لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على
اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون
والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول

شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فإن ربك غفور رحيم
لا يؤاخذه والآية محكمة لأنها تدل على أنه لم يجد فيما أوحي إلى تلك الغاية محرما غير هذه
وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر
الواحد ولا على حل الأشياء الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له أصبع
كالإبل والسباع والطيور وقيل كل ذي ظفر أي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب
عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والإضافة
لزيادة الربط إلا ما حملت ظهورهما إلا ما علقت بظهورهما أو الحوايا أو ما اشتمل على الأمعاء
جمع حاوية أو حاوياء كقاصعاء وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما
وأو بمعنى الواو أو ما اختلط بعظم هو شحم الألية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم أو الجزاء
جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وإنا لصادقون في الإخبار أو الوعد والوعيد فإن كذبوك
فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بإمهاله فإنه لا يهمل ولا يرد
بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل أو ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين
فأقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على نزول البأس عليهم مع الدلالة على أنه لاحق
بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين أشركوا إخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على
إعجازه لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء أي لو شاء خلاف ذلك
مشيئة ارتضاء كقوله تعالى فلو شاء لهداكم أجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا أرادوا بذلك أنهم
على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله إياها منهم
حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم أي مثل
هذا التكذيب لك في أن الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا
على الضمير في أشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم
قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا إن تتبعون
إلا الظن ما تتبعون في ذلك إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل
على المنع من اتباع الظن سيما في الأصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع إذ الآية فيه قل فلله
الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الإثبات أو بلغ بها صاحبها
صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد إثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم أجمعين
بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم أحضروهم
وهو اسم فعل لا يتصرف عند أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم وأصله عند البصريين ها لم
من لم إذا قصد حذفت الألف لتقدير السكون في اللام فإنه الأصل وعند الكوفيين هل أم
فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام وهو بعيد لأن هل لا تدخل الأمر ويكون متعديا كما في الآية
ولازما كقوله تعالى هلم إلينا الذين يشهدون أن الله حرم هذا يعني قدوتهم استحضرهم ليلزمهم
الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالإضافة

ولا على حل الا على غير نسخ

150

بالإضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فإن شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين
لهم فساده فإن تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع أهواء الذين كذبوا
بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وأن متبع
الحجة لا يكون إلا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الأوثان وهم بربهم
يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا أمر من التعالي وأصله أن يقوله من كان في علو
لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم أتل أقرأ ما حرم ربكم منصوب بأتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية
ويجوز أن تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول أتل لأنه بمعنى أقل أي شيء حرم ربكم
عليكم متعلقة بحرم أو أتل ألا تشركوا به أي لا تشركوا ليصح عطف الأمر عليه ولا يمنعه
تعليق الفعل المفسر بما حرم فإن التحريم باعتبار الأوامر يرجع إلى أضدادها ومن جعل أن ناصبة
لها فمحلها النصب بعليكم على أنه للإغراء أو بالبدل من ما أو من عائده المحذوف على أن لا
زائدة أو الجر بتقدير اللام أو الرفع على تقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن تشركوا شيئا
يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين إحسانا أي وأحسنوا بهم إحسانا وضعه موضع النهي
عن الإساءة إليهما للمبالغة والدلالة على أن ترك الإساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما
ولا تقتلوا أولادكم من إملاق من أجل فقر ومن خشيته كقوله تعالى خشية إملاق نحن نرزقكم وإياهم
منع لموجبية ما كانوا يفعلون لأجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب أو الزنى
ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله تعالى ظاهر الإثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
إلا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم إشارة إلى ما ذكر مفصلا وصاكم به
بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فإن كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن
إلا بالفعلة التي هي أحسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ أشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة
كنعمة وأنعم أو شد كصر وأصر وقيل مفرد كآنك وأوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل
والتسوية لا نكلف نفسا إلا وسعها إلا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الأمر معناه أن
إيفاء الحق عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم وإذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا
فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له أو عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله أوفوا يعني ما عهد إليكم من ملازمة
العدل وتأدية أحكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وقرأ حمزة وحفص
والكسائي تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع إذا كان بالتاء والباقون بتشديدها وأن
هذا صراطي مستقيما الإشارة فيه إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة
وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي إن بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح
والتخفيف والباقون بها مشددة بتقدير اللام على أنه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر
صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الأديان
المختلفة أو الطرق التابعة للهوى فإن مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع
والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان

وبعهد الله أوفوا

ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب
عطف على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما
وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن
على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى
او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ
بالرفع على انه خبر محذوف اي على الدين الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن ما يكون
عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما
ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم
يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه مبارك كثير النفع
فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا
علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل اختصاصهما
في انما لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة
ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اي انه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين
لا ندري ما هي لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص
والاخبار والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها
وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها
او تمكن من معرفتها وصدف عنها اعرض او صد فضل واضل سنجزي الذين يصدفون
عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم وصدهم هل ينظرون
اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر
شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي
بالياء هنا وفي النحل او يأتي ربك اي امره بالعذاب او كل آياته يعني آيات القيمة والهلاك
الكلي لقوله او يأتي بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب
كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلعم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة
قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا
بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى
ونارا تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذ صار الامر
عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت
من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان
حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل
لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط

على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن
بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون
وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل
ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال صلعم افترقت
اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين
وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية
الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الروم فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا
يشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت
بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم
ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات
امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد
من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر
الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون
بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى
ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا كقوله تعالى ويهديكم صراطا مستقيما
او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار
الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به
وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا
حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او
قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة
او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات انفسهما
وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له
خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين
لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي وهو
جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للانكار والدليل
له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في
ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ببيان
الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم
بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة
على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم

من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا
اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم
اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تع غفور بالذات
معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلعم انزلت علي
سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ
الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية وآيها مائتان وخمس

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة
او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشك حرج
الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه
للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك
لتنذر فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله
جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين
يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر
والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة
لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم
من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي لا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء
وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله
وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ
حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب
بعد مع النبي صلعم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها
بالخذلان فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع
موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذف
واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير
فانه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما
وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اي دعاؤهم
او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين
الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن الذين ارسل اليهم
عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال
توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله تع ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام

سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم
على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم
ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين
عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء
والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا
للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده
ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة
فيها كلمتا الشهادة فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة
وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عم انه قال ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله
جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذي هو الوزن الحق صفته او خبر مبتدا محذوف
ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته فهو جمع موزون
او ميزان وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فاولئك هم المفلحون الفائزون
بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة
التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل
التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا
لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة
كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم
آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم
ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتأخير
الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد
اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ
عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد
اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى
استانف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن
للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين
اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل
كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار
الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره
والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين
والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك

فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة
وانه تع انما طرده واهبطه للتكبر لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله
لتكبره قال صلعم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون
امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى
ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى
او وقت يعلمه الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته
قال فبما اغويتني بعد ما امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك
اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف
لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع
للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله لدن بهز الكف يعسل متنه
فيه كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن ثم
لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات مثل قصده اياهم
بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم
ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه
توحش وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم
من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون
التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم
ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدي الفعل الى الاولين
بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف
عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما
قاله ظنا لقوله تع ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدا الشر متعددا ومبدا الخير واحدا
وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤما مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول
في مسؤل او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه
لتوطئة القسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن
بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملان جواب قسم
محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اي وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء
بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف
والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت
الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما
ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما

عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير
حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا
يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت
في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو
وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان
تكونا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون
في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق
لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء
عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما
عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدليهما فنزلهما الى الاكل
من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية
والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان
احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما فلما
وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما
وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس
كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة
عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما
ويخصفان من خصف ويخصفان واصله يختصفان وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل
لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو
وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض
للاخراج عن الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر
معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا
انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات
قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا لهما ليعلم انهم
قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو في موقع الحال اي متعادين
ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى ان تقضى
آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء وقرا حمزة والكسائي وابن ذكوان
ومنها تخرجون وفي الزخرف وكذلك تخرجون يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم
بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله تع وانزل لكم من الانعام وقوله تع وانزلنا الحديد
يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا

يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر
قصة آدم مقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان
من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش
الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب
ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه
بالابتداء وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه
خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال
اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او
يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم دخول
الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ
للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما
حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا تقتضي
امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا
بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية
مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم
وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا
بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني
بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على
مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة
ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مرتبين كانه قيل لهم
لما فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها
وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون
انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي
عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين
الى غيرها او اقيموا نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة
او في اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه
مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون
باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها
وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم
مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة

الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم
اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالهم ويحسبون
انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله
على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف
او صلوة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة
في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم لا يأكلون الطعام
الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا
بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت
والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد
جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي
فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن
والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق
المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات
الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة
والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال
وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا
الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج
ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر
والبغي والظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا
بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل
امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت
مدتهم او حان وقتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون
اقصر وقت او لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم
يقصون عليكم آياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب
كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن
اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا
بآياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله
اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح

اي مما كتبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم حال
من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدا بعدها الكلام قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله
اين الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة
قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا
ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملائكة في امم
قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم
الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها
التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت
اخريهم اي دخولا او منزلة وهم الاتباع لاوليهم اي لاجل اوليهم اذ الخطاب مع الله
لا معهم ربنا هؤلاء الذين اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فاتهم عذابا ضعفا
من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم
واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرا عاصم بالياء
على الانفصال وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب
الله لاخريهم ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال
واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين
ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اي عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء
لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء
في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرا ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به
وبالياء لان التانيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء
على ان الفعل للايات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي
حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك
مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمّل كالقمّل والجُمْل كالقفل والجَمَل كالنصب والجُمُل كالحبل
وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط
به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد
فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف
عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين
تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة
وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون على عادته سبحانه في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض
بين المبتدا وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف

... صح

لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها
منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم
تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا
لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد
النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرا ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى
لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه
يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد
او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم
وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمسة
هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب
النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم
وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود
لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرا الكسائي
حيث وقع بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين
الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرا ابن كثير في رواية البزي وابن عامر وحمزة
والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن
مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب
ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة
وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين
كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الآخر وعلى
الاعراف اي وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من
عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره اعرف من غيره رجال طائفة
من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم
علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين وعلماؤهم او ملائكة يرون في صورة
الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض
الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه
وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي
اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو وعلى الوجه الاول من
الاصحاب على الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله
ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم
بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون

عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة
من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا
ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا
الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف
ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا
وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او
بعض الملائكة أهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره
دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اي
صبوا وهو دليل على ان الجنة فوق النار من الماء او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة
او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع
المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم
بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم
نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم
ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم
بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه
تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تع عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه
اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل
ينظرون هل ينتظرون الا تأويله الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد
والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق
اي قد تبين انهم جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا
وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين وعلى الثاني
ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب
الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر
وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام اي في ستة اوقات كقوله تع ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف
في اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على
ايجادها دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش
استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تع
استواء على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام
سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار
يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل

بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه
وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء
والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول
بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف
على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر
الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية
في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين
اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تع لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى
خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه
بقوله فقضيهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور
المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه
بقوله تع خلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشاء انواع المواليد الثلثة وهي
المعادن والنبات والحيوانات بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق
الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام
اي مع اليومين الاولين لقوله تع في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة
فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح
بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم
بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان
الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره
نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو
الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلعم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء
ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب
اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي
بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد
لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله
قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة
بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي
هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر
نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موضع

الحال بمعنى مبشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بُشرا حيث جاء وهو
تخفيف بُشُر جمع بشير وقد قرئ به وبَشرًا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة
وبُشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب
تدرّه والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله
سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب جمع بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير
باعتبار اللفظ لبلد ميت اي لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء
بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء
واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية
فيهما من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات
او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات
والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها
بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب
الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه
وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا
قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يُخرج اي يخرجه البلد
فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكْدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف
الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية
مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه
جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب
اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث
وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله
ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من التي
تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو
وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان قال الملأ
من قومه اي الاشراف فانهم يملؤون العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال
عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا
في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه
وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم
رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات الرسول او استئناف
ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات

وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام
او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في
لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته
وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف
على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة
على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر
ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر
والمعاصي ولتتقوا منها بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي
التنبيه على ان التقوى غير موجب للترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه
ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا
واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق
بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا
بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين مخففا وقرئ
عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى
قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه
هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل
هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله
واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استئناف
به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم هود حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون
عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا
من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا
في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم
ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او
عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة
عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم بكمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة
وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرأ ابو عمرو
ابلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد
قوم نوح اي في مساكنهم من رمل عالج الى شحر عمان او في الارض بان جعلوا ملوكا فان شداد بن
عاد ممن ملك معمورة الارض خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق
بسطة قامة وقوة وهو تعميم بعد تخصيص فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر
النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا

استبعدوا اختصاص الله تعالى بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد
وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم
او القصد على المجاز كقولهم ذهب يشتمني فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون
ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع
كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام
اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها
آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت
كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام
تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا
لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ
لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما
ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم من
المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين
كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان
الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث
الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم
وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا الفرج فجهزوا
اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة
اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة
انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان
قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا اليه اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة
ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال
مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه
عنا لا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم
اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه
مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت
على عاد من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح
عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود
قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا
به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي او باعتبار الاصل

الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح
بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة
الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان
لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة
الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك
كانت آية فذروها تأكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي
هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر
فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض
ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض
بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون
بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال
او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ
الذين استكبروا من قومه اي عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم
واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل
ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه
على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم
تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن آمن
ومن كفر فلذلك قال قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة
ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها
اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا
عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين
فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم جاثمين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم
وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا
في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا
من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا
فندعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم
ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه
الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن
فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت
عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن

فامر به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم
ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر
حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت
تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى
ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا
لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم
غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات
طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا
بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم
جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلعم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا
ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا
وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه اتاتون الفاحشة
توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها
قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة
استئناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم لتاتون
الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ
وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد
بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد
وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم
التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى
الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما
كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم
قابلوا النصح بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس
يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من آمن به الا امراته استثناء من اهله
فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب
الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة
من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه
ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما
اخترعوه فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت

وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم
اولاد مدين بن ابراهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء
لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد
المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين
وولادة الغنم التي دفعها الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا
آدم على يده في المرات السبع متاخرة عن هذه المقالة ويحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا
لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش
لقوله والميزان كما قال في سورة هود او الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان
مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم
للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون
شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح
امرها او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في مكر
الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى
الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل
صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه
يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا
يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون
لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه
فوضع الظاهر موضع الضمير بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه
او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على
اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه
في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه
او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عُددكم فكثركم بالبركة
في النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان
كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم
الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين
وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما
اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم
الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى
الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او ا تعيدوننا

في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله
منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع
للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص
منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنتم عليه باطل وما نحن عليه حق وقيل انه جواب
قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا
خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق
على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم
على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم
ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال
الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم
ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم
الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت
من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره
كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا
هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين
وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما جملتين اسميتين
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم
ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم
بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت
وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا
في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا
ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة
السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات
اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا للنعمة ونسيانا لذكره واعتقادا
بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم
بغتة فجأة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول
عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد
المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا
يكسبون من الكفر والمعاصي افأمن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة

بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم
بأسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة
ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر
في بياتا او امن اهل القرى وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر او بالسكون على الترديد
ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون
يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افأمنوا مكر الله تقرير لقوله افأمن اهل
القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله
الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين
يرثون الارض من بعد اهلها الذين يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي
يهد باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء
ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم
عطف على ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز
عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياق جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم
فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك
من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا
خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من
قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا
حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد
النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم
كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم
لاكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد من وفاء عهد فان اكثرهم
نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا
في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمنا اكثرهم
لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ
الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا
من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات
الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا
المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه
قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى
يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله

الا الحق ● لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها
عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قرأه نافع فقلب لا من الالباس كقوله ● وتشقى الرماح
بالضياطرة الحمر ● او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في وصف نفسه بالصدق والمعنى
انه حق واجب علي القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص
او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حالة حسنة ويؤيده
قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول ● قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل
فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم
في الاعمال ● قال ان كنت جئت باية ● من عند من ارسلك ● فأت بها ● واحضرها عندي ليثبت
بها صدقك ● ان كنت من الصادقين ● في الدعوى ● فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ●
ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا
فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو
فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح
فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه
فعاد عصا ● ونزع يده ● من جيبه او من تحت ابطه ● فاذا هي بيضاء للناظرين ● اي بيضاء بياضا
خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها وروي
انه كان آدم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية
غلب شعاعها شعاع الشمس ● قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم ● قيل قاله هو واشراف
قومه على سبيل التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا ● يريد ان يخرجكم من ارضكم
فماذا تأمرون ● تشيرون في ان نفعل ● قالوا ارجه واخاه ● وارسل في المدائن حاشرين
يأتوك بكل ساحر عليم ● كأنه اتفقت عليه اراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير
اي اخر امره واصله ارجئه كما قرأ ابو عمرو ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن
كثير وهشام عن ابن عامر على الاصل في الضمير او ارجهي من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل
والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة
حمزة وعاصم ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه ككبد في اسكان وسطه واما
قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان ارجئه بالهمز وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر
الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها
وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء ● وجاء السحرة
فرعون ● بعدما ارسل الشرط في طلبهم ● قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ● استأنف
به كأنه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار
وايجاب الاجر كأنهم قالوا لابد لنا من اجر والتنكير للتعظيم ● قال نعم ● ان لكم لاجرا ● وانكم
لمن المقربين ● عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم ● قالوا يا موسى اما

ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ● خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة
ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل او تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك ● قال القوا ● كرما وتسامحا او ازدراء بهم
ووثوقا على شأنه ● فلما القوا سحروا اعين الناس ● بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه ● واستر
هبوهم ● وارهبوهم ارهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم ● وجاؤوا بسحر عظيم ● في فنه روي انهم
القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا ● واوحينا
الى موسى ان الق عصاك ● فالقاها فصارت حية ● فاذا هي تلقف ما يأفكون ● اي يزورونه
من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول
روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا
حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا
لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقف ههنا وفي طه والشعراء ● فوقع الحق ● فثبت
لظهور امره ● وبطل ما كانوا يعملون ● من السحر والمعارضة ● فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين
صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه
● والقي السحرة ساجدين ● جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود
بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد
بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته ● قالوا آمنا برب العالمين
رب موسى وهرون ● ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون ● قال
فرعون آمنتم به ● بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار وقرأ
قنبل قال فرعون وآمنتم يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام واوا مفتوحة ويمد بعدها
مدة في تقدير الفين وقرأ في طه على الخبر بهمزة والف وقرأ في الشعراء على الاستفهام بهمزة
ومدة مطولة في تقدير الفين وقرأ الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية ● قبل ان
آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه ● اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى ● في المدينة
في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد ● لتخرجوا منها اهلها ● يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل
● فسوف تعلمون ● عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله ● لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
من كل شق طرفا ● ثم لاصلبنكم اجمعين ● تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك
فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب
لفرط رحمته ● قالوا انا الى ربنا منقلبون ● بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا منقلبون
الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك
الى ربنا فيحكم بيننا ● وما تنقم منا ● وما تنكر منا ● الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ● وهو
خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله تعالى

فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تع انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استيناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تع فاصدق واكن والهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عنده وهو اعمالهم

المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي اي شيء تحضرنا تاتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم سبعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم ثم اخذ ياكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمة عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون الذي ارسله الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل

اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى
اجل هم بالغوه اي حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت
وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث
من غير توقف وتأمل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم
اي في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي
كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل
الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام
ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة
العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز
عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ
كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان
يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا
يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون
وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة
بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلعم مما رأى منهم
وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عم عبر بهم
يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم
يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل البقر وذلك اول شأن العجل
والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون
بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف
قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى
عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم
دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من
عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم
ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين
خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى
عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم
على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا
تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء
من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر

ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين
او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا القعدة
وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين
ليلة بالغا اربعين روي انه عم وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب
من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل ربه فامر بصوم ثلثين فلما اتم انكر خلوف
فمه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى
ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية في العشر
وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح
من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع
من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه له واللام للاختصاص اي اختص
مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عم كان يسمع
ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين
قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك
وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال خصوصا ما يقتضي
الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن اري او لن اريك او لن تنظر الي تنبيها
على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه
الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم
كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين
والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان
لا يراه ابدا وان لا يراه غيره فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او
جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك
يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق
على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره
وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك
والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ
دكا اي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال
تعظيما لما رأى سبحانك تبت اليك من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول
المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه انا اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني
اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا
كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التورية وقرأ

وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة
وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم
النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء
بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح
كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله
لموسى فقطعها بيده وشققها باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا
على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات
بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا باحسنها باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة
الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل
اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا
لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين دار
فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا
او دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ ساورثكم بمعنى سابين لكم من اورثت الزند وساورثكم ويؤيده
قوله واورثنا القوم سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس الذين يتكبرون
في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها
وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي
يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة
لا يؤمنوا بها لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه
الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي
الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل
الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف
بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي سأصرف ذلك
الصرف بسببهما والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او ما وعده
الله في الآخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء
اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا
من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم
وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد
عجلا جسدا بدنا ذا لحم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت
البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل
صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم
رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم

ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين
اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق
الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين
واضعين الاشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن
من اشتد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط
على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم ورأوا وعلموا
انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز
عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء
ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي
فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون
والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة
خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه
والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي
تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت
الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي
ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان
فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه يجره اليه
توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب
الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء
بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها
بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى
بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل
ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة
التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ان فرط في كفهم ضمه اليه في الاستغفار
ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين
فانت ارحم بنا منا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم
من قتل انفسهم وذلة في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي
المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد
قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات
وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من

من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت
سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة
من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ
سكت واسكت على ان المسكت هو الله تع او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي
القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي
من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين
هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف المفعول واللام
للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار
واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تع امره ان يأتيه
في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان
فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا
من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف
الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او
رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى
ما رأى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم
في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل
المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة
قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى
ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية
او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع
المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا
بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في
هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك
من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول
بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول
عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن
والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فاثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا
بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانا فيها
ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين
يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين

من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلعم وانما سماه رسولا بالاضافة
الى الله تع ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على
ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم
الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع
الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك
لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف
واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن
وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز
ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع
الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب
دعاء موسى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلعم
مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات
والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب
او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك
العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا
بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه
وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به
لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع
له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه
ولم يتابعه بالتزام شريعته فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل
امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم
في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم
على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر
وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله ليلة المعراج فآمنوا به
وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن
معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او التمييز له
على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها
امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى
موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست

وحذفه للإيماء على أن موسى لم يتوقف في الامتثال وأن ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل
في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام
ليقيهم حر الشمس وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا أي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم
وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة وإذ قيل لهم اسكنوا
هذه القرية بإضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا
الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير أن قوله فكلوا فيها بالفاء أفاد تسبب سكناهم للأكل
منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثم أو بدلالة الحال عليه وأما تقديم قولوا على وادخلوا
فلا أثر له في المعنى لأنه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد
المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالإثابة وإنما أخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة
على أنه تفضل محض ليس في مقابلة ما أمروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء
للمفعول وخطيئاتكم بالرفع والجمع غير ابن عامر فإنه وحد وقرأ أبو عمرو خطاياكم وقرأ ابن عامر
خطيئتكم بالهمزة ورفع التاء من غير ألف على التوحيد وقرأ نافع كذلك إلا أنه على الجمع فبدل
الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى
تفسيره فيها واسألهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والإعلام بما هو من علومهم
التي لا تعلم إلا بتعليم أو وحي ليكون لك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع بأهلها التي
كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي أيلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين
وقيل طبرية إذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت وإذ ظرف لكانت
أو حاضرة أو للمضاف المحذوف وبدل منه بدل الاشتمال إذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون
أو بدل بعد بدل وقرئ يعدّون وأصله يعتدون ويُعدّون من الإعداد أي يعدّون آلات
الصيد يوم السبت وقد نهوا أن يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم أمر السبت
مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والإضافة لاختصاصهم
بأحكام فيه ويؤيد الأول أن قرئ يوم إسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ
لا يُسبتون من أسبت ولا يُسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان
ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا إذا دنا وأشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون
مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله أي لا تأتيهم مثل إتيانهم
يوم السبت وإذ قالت عطف على إذ يعدون أمة منهم من أهل القرية يعني صلحاءهم
الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى أيسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم أو
معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في أن الوعظ لا ينفع
فيهم أو سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم أو قول من ارعوى عن الوعظ لمن
لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم
قالوا معذرة إلى ربكم جواب للسؤال أي موعظتنا إنهاء عذر إلى الله حتى لا ننسب إلى التفريط

إلى التفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر أو العلة أي اعتذرنا به
معذرة أو وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون إذ اليأس لا يحصل إلا بالهلاك فلما نسوا
تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا
الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة أمر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس
بأسا إذا اشتد وقرأ أبو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على
أنه بئس كحذر كما قرئ مخفف عينه بنقل حركتها إلى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة
ياء كما قلب ذيب في ذئب أو على أنه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيّس كريّس على قلب
الهمزة ياء ثم إدغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون بسبب
فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن أمر ربهم
قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون
والظاهر يقتضي أن الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز أن يكون
الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للأولى روي أن الناهين لما أيسوا عن اتعاظ المعتدين
كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فأصبحوا يوما ولم يخرج إليهم أحد من المعتدين
فقالوا إن لهم شأنا فدخلوا عليهم فإذا هم قردة فلم يعرفوا أنسباءهم ولكن القرود تعرفهم
فجعلت تأتي أنسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم
لا أبدانهم وإذ تأذن ربك أي أعلم تفعل من الإيذان بمعنى الإيعاد كالتوعد والإيعاد
أو عزم لأن العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله
ولذلك أجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة والمعنى وإذ أوجب ربك على نفسه
ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالإذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم
بعد سليمان بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية
على من بقي منهم وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث الله محمدا صلعم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم
الجزية فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر إن ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وإنه
لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الأرض أمما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو
قطر منهم تتمة لإدبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وأمما مفعول ثان أو حال منهم الصالحون
صفة أو بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره
ومنهم ناس دون ذلك أي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات
والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من
بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع
وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلعم
ورثوا الكتاب التوراة من أسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الأدنى
حطام هذا الشيء الأدنى يعني الدنيا وهو من الدنو أو الدناءة وهو ما كانوا يأخذونه

من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا
الله بذلك ويتجاوز عنه ويحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر
يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين
على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد
توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق
الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض
والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا ذلك
ولا يستبدلوا الادنى الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص
ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين
يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير
منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر
يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل
فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك
وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون
به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها
فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول
اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه
وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال
ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم
نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع
وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي ونصب لهم
دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست
بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة
التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة كراهة ان تقولوا انا كنا
عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما
بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل
المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية
كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر وقد حققت الكلام
فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق

الميثاق العام بعدما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية
ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم
يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه
آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله
مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلعم حسده وكفر به او بلعم
بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها اي من الآيات بان كفر بها
واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين
روي ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا
عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها
بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة
واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه
بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه
دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشية وان ما نشاهده
من الاسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه
ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه
وان حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في
اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد
او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس
الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب
الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع
على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص
المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم الى الاتعاظ
ساء مثلا القوم اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين
كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة
معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى
وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله
فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله
وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول
والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف
الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه
كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها

ولقد ذرأنا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تع لهم قلوب
لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون
بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله تعالى نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات
والمواعظ سماع تأمل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع
للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل
فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها
وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون
في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ
وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه
واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم
يا ابا المكارم ويا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة
او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله
والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه واعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون
ما كانوا يعملون وقرأ حمزة هنا وفي فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد
وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعدما بين انه خلق للنار طائفة ضالين
ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل
على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله صلعم لا تزال من امتي طائفة
على الحق الى ان يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول صلعم او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم
والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج
الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر
عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله تع بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة
العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين ان اخذي شديد
وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا صلعم
من جنة جنون روي انه صلعم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم
ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث
لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء
مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة
مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد
اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا
اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه
الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فباي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون

يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر
بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم
قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان
لم يؤمنوا به فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له
كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب
بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهده
احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك عن الساعة اي عن القيامة وهي من الاسماء
الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة
ايان مرسيها متى ارساؤها اي اثباتها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى
السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت لان البعض آو الى الكل
قل انما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها
لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام
للتأقيت كاللام في قوله تع اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت على
اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تأتيكم الا بغتة
فجأة على غفلة كما قال صلعم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته
والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها عالم بها فعيل
من حفي عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك
عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا
وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم
بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه اي تكرهه لانه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه
قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع
ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك
فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت
حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير
وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون
متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل منها
من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله تع جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء
ليسكن اليها ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا
الى المعنى ليناسب فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى الحوامل
منه غالبا من الاذى او محمولا خفيفا هو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ

فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب وفمريت اي فظنت الحمل
وارتابت به فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول
اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين
لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له
شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني
الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة
او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال
اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل خروجه عليك تسميه عبد الحارث
وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق
بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي وكان له زوج
من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد
شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرا نافع
وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيرا وذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام
جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون
فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام
لا يتبعوكم وقرا نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى
ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات
او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات
عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم
من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم
لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون
عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم
ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقرئ ان الذين بتخفيف
ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي
القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون
فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروه انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي
بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى
الصالحين اي من عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون
من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان

تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون
الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما
عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو
عن المذنبين او الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف
بالمعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم
وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول صلعم باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء
غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصي
وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح
امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام
ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل
من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف
به الخيال يطيف طيفا وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف
طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى
عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكائد الشيطان فيتحرزون عنها ولا
يتبعونه فيها والآية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اي واخوان الشياطين
الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم
كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون
لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي
ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر
جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم بآية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا
جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرؤه او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي
لست بمختلق للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب
بها يبصر الحق ويدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام
والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما
خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك
عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام
عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رح تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول
ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والآصال
باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو

ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى
لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل
لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي
صلعم اذا قرا ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة
وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه صلعم من قرا سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة
بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وآيها خمس وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم

يسئلونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله
وفضل كما سمي به ما يشترطه الامام للمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول
اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم
بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلعم لمن له
غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان
المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون
اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلعم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد
وهو قول الشافعي رحمه الله وعن سعد بن ابي وقاص رضه قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير
وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلعم واستوهبته منه فقال
ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت
الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلعم سالتني السيف وليس لي وانه قد صار
لي فاذهب فخذه وقرئ يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام
نون عن فيها ويسئلونك الانفال اي يسئلك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف
والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم
امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي
ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي
واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون الايمان الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم
بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي
خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ
اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية
بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون
الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا
ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح

الجوارح التي هي العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد
كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة
يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع
عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال
في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله
والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك
يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون
في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة
عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام
فاخبر جبرئيل رسول الله صلعم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر
اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم
ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رات قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا
نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس
وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما ترضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة
ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلعم بوادي
ذفران فنزل عليه جبرئيل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال
بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قد مضت
على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله
صلعم فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال انظر امرك
فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض
لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت
وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم
رسول الله صلعم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم
وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا
نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال
قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا
على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر
فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق
عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا
على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع
القوم وقيل انه صلعم لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له

لهم فقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين وقد اعطاكم ما وعدكم فكره بعضهم قوله يجادلونك
في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعدما تبين انهم ينصرون
اينما توجهوا باعلام الرسول صلعم كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون
القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم
تاهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كانت
لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي
يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم
يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة
عددهم وعُددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق
ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ
بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستاصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا
مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل
الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت
والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول صلعم على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره
المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او
على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب
انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه انه صلعم نظر الى المشركين
وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم
ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر رضي الله عنه
يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم باني
ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرا ابو عمرو بالكسر على ارادة القول واجراء استجاب
مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم
بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته
اياه فردفه وقرا نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم
كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى
مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم
على الاتباع وبآلاف ليوافق ما في سورة ال عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد
بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم وقد
اختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى
الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر
الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها

ونحوها وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تياسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس
بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل
او بجعل او باضمار اذكر وقرا نافع يغشيكم بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل
على القراءتين هو الله تعالى وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله
وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة
فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان تجعل على القراءة الاخيرة
فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف
فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا
تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث
والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانها من تخييله او وسوسته وتخويفه
اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم
وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء
وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله
المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا
وتوضاوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة
وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ
في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت
الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول
او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم
فيكون قوله ساالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل
على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله
ساالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولي هذا
فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤوس واضربوا منهم كل بنان
اي اصابع يعني جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب
للرسول صلعم او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما
واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدوة
والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب
تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه
مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او النصب بفعل دل عليه
فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار
عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الاخرة ووضع الظاهر

فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر
على الاستيناف يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم
كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف
وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم
والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا من الفاعل
والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل
وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم
يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكائد الحرب او متحيزا
الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب
لما روي ابن عمر رض انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلعم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله
نحن الفارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو
لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا
لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد
العدو على الضعف لقوله تع الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين
معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب
في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال صلعم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون
رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبرئيل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها
فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك
الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا
على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم
بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه
اذ رميت اذ اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم
جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله
والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم
وقيل انزلت في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية
سهم رماه يوم حنين نحو الحصن فاصاب لبابة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين
منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات فعل ما فعل ان الله
سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء
الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد
الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم

وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة
والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين
ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم
الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول صلعم فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين
وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم
جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر
والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك
وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل
في القتال او الرغبة عما يستأثره الرسول صلعم فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار
او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم
ويؤيد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا
عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة
والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول صلعم لقوله تع ومن يطع الرسول فقد اطاع الله
وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع
فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع
وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون رأسا ان شر الدواب عند الله
شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلونه اياه عدهم
من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة
كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم
لتولوا ولم ينتفعوا به وارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل
كانوا يقولون للنبي احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى
لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم
وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول صلعم وروي انه صلعم مر على ابي
ابن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال
الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة
فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلوة
وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته
قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم
الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم
او الشهادة لقوله تع بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية
قربه من العبد كقوله تع ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب

ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول
بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتمثيل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده
ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان اراد شقاوته وقرئ
بين المرّ بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف
على لغة من يشدد فيه • وانه اليه تحشرون • فيجازيكم باعمالكم • واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة • اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر
بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد وعلى ان قوله لا تصيبن
اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد
فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على
ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط
واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد
الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم
على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من
غيركم • واعلموا ان الله شديد العقاب • واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض
ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي
فارس والروم • تخافون ان يتخطفكم الناس • كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين
مضادين لهم • فآواكم • الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعاديكم • وايدكم بنصره
على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر • ورزقكم من الطيبات • من الغنائم
لعلكم تشكرون • هذه النعم • يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول • بتعطيل الفرائض
والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم وروي انه صلعم حاصر بني
قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم
باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل
الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل
ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت
الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى
اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب
عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلعم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده
فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال صلعم
يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد
الامانة لتضمنه اياه • وتخونوا اماناتكم • فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب

او منصوب على الجواب بالواو • وانتم تعلمون • انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن
من القبيح • واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة • لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب
او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة • وان الله عنده اجر عظيم
لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه • يا ايها الذين آمنوا
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا • هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق
بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما
تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع
الفرقان اي الصبح • ويكفر عنكم سيئاتكم • ويسترها • ويغفر لكم • بالتجاوز والعفو عنه وقيل
السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد
غفرهما الله لهم • والله ذو الفضل العظيم • تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه
واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل • واذ يمكر بك
الذين كفروا • تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه
عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك • ليثبتوك • بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم
ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبّتوك بالتشديد وليبيّتوك من البيات وليقيدوك
او يقتلوك • بسيوفهم • او يخرجوك • من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم
فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ فقال انا من نجد
سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه
في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس
الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل
فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال
ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق
دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق
هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل النبي صم فاخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا كرم الله وجهه
على مضجعه وخرج مع ابي بكر رض الى الغار • ويمكرون ويمكر الله • برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه
او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا
والله خير الماكرين • اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا انما يحسن للمزاوجة
ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم • واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء
لقلنا مثل هذا • هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه
كان قاصهم او قول الذين ائتمروا في امره صلعم وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو
استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف
فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان • ان هذا الا

اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا كلام ذلك القائل ابلغ
في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلعم ويلك انه كلام
الله فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره
او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا
وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به
كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي م وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا
للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام
لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي م بين اظهرهم خارج عن عادته
غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم
غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تع وما كان ربك ليهلك القرى بظلم
واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا
يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلعم
والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية
امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل
من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان لله
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر على ان منهم من يعلم ويعاند او
اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلوتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه
صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا
وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدا او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ
صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم
للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين
بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلعم ان يصلي
يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر
وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب بما كنتم تكفرون
اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين
يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان
استأجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية
او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد صلعم لعلنا
ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله صلعم فسينفقونها بتمامها

بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم
فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق
ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود
جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب
بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم
الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد
من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلعم
مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم
بعضه على بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال للكافرين
فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين
هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا
يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول صلعم يغفر لهم ما قد
سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تع
وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير
كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون
الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير
فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون
من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون
تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب
وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم
نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه
من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف
اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله تع والله ورسوله
احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير
ان سهم الرسول صلعم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام
وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رحمه الله سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار
الكل مصروفا الى الثلثة الباقية وعن مالك رحمه الله الامر فيه مفوض الى رأي الامام يصرفه الى
ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة
لما روي انه صلعم كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال

وقيل هو مضموم الى سهم الرسول صلعم وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه صلعم قسم سهم
ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي
جعلك الله منهم ارأيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال
صلعم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل
جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد
باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس
في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة
ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس
لهؤلاء فسلموه اليهم واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد
لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد صلعم من الآيات والملائكة
والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول صلعم والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق
فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر
على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان
والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير
وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الاقصى كان قياسه
قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا
من القصيا والركب اي العير او قواده اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل
وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على
قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا
مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة
وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا
بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد
اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا
من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله تع خارقا للعادة فيزدادوا
ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا
حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة
شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان
من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك
ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ
ابن كثير برواية البزي ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان

الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين
لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر
او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك
وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اريكهم كثيرا لفشلتم
لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن
الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون
فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا
حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رض لمن الى جنبه اتراهم سبعين
فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلعم ويقللكم في اعينهم حتى قال
ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا
لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفجأهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات
تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه
ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي
في الشرط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر
ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله
ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين
ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله
كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون
بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه
عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال
واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا
جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة
من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة
فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا
عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة واتاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا
فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا
القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم
النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى
واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف

على البطر ان جعل مصدرا في موضع الحال او كذا ان جعل مفعولا له لكن على اول المصدر والله
بما تعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في
معاداة الرسول صلعم وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا
يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات
مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس
صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان تلاقى
الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم
سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم
وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش
على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة
سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى
الملائكة تنزل نكص وكانت يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة
فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا
هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا
علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني
بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت المعلوم الموعود اذ رأى فيه ما لم ير
قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون
من كلامه وان يكون مستأنفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين
لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون
والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين حين تعرضوا لما لا
يدي لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف ومن يتوكل على الله جواب لهم
فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده
العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رأيت فان لو يجعل المضارع ماضيا عكس ان
اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى
الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون
الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا
واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على
الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل
منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي يقولون ذوقوا
بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها

منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت
ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد
عطف عليه للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير
ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا
حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كدأب آل فرعون
اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه
والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فاخذهم الله
بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك
اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها
بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم
في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول صلعم ومن تبعه منهم والسعي
في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه
بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو
جري عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء
الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم
بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم
واغرقنا آل فرعون تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم
وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة
بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا
ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر
ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر
بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله
الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض
للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلعم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين
بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف
الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة
وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسلطه عليهم
فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك
ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على
اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا
شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون

وإما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بأمارات تلوح لك فانبذ إليهم
فاطرح إليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب
فإنه يكون خيانة منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ
على الوجه الأول أي ثابتا على طريق سوي أو منه أو من المنبوذ إليهم أو منهما على غيره وقوله
إن الله لا يحب الخائنين تعليل للأمر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال
على طريقة الاستئناف ولا تحسبن خطاب للنبي صلعم وقوله الذين كفروا سبقوا
مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على أن الفاعل ضمير أحد أو من خلفهم أو الذين
كفروا والمفعول الأول أنفسهم فحذف للتكرار أو على تقدير أن سبقوا وهو ضعيف لأن
أن المصدرية كالموصول فلا تحذف أو على إيقاع الفعل على إنهم لا يعجزون بالفتح على
قراءة ابن عامر وأن لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين أي مفلتين والأظهر أنه تعليل
للنهي أي لا تحسبنهم سبقوا فأفلتوا لأنهم لا يفوتون الله أو لا يجدون طالبهم عاجزا عن
إدراكهم وكذا إن كسرت إن إلا أنه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية إزاحة لما يحذر
به من نبذ العهد وإيقاظ العدو وقيل نزلت فيمن أفلت من فل المشركين وأعدوا أيها
المؤمنون لهم لناقضي العهد أو للكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب
وعن عقبة بن عامر سمعته صلعم يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله صلعم
خصه بالذكر لأنه أقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تع فعال بمعنى مفعول
أو مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا أو جمع ربيط كفصيل وفصال
وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل
على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهّبون بالتشديد والضمير لما استطعتم
أو للإعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من
الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم بأعيانهم
الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم جزاؤه وأنتم لا تظلمون
بتضييع العمل أو نقص الثواب وإن جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام وإلى للسلم
للصلح أو الاستسلام وقرأ أبو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم
على نقيضها فيه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع وقرئ
فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من إبطانهم خداعا فيه فإن الله يعصمك من مكرهم ويحيقه
بهم إنه هو السميع لأقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها
بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله
فإن محسبك الله وكافيك قال جرير إني وجدت من المكارم حسبكم أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين جميعا وألف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة
في أدنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة

واحدة وهذا من معجزاته صلوات الله وسلامه عليه وبيانه لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت
بين قلوبهم أي تناهى عداوتهم إلى حد لو أنفق منفق في إصلاح ذات بينهم ما في الأرض
من الأموال لم يقدر على الألفة والإصلاح ولكن الله ألف بينهم بقدرته البالغة فإنه المالك
للقلوب كيف يشاء إنه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصي عليه ما يريده حكيم يعلم أنه
كيف ينبغي أن يفعل ما يريده وقيل الآية في الأوس والخزرج كان بينهم إحن لا أمد لها ووقائع
هلكت فيها ساداتهم فأنساهم الله ذلك بالإسلام حتى تصافوا وصاروا أنصارا يا
أيها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين إما في محل النصب على المفعول
معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند أو الجر عطفا على المكني عند الكوفيين أو الرفع
عطفا على اسم الله أي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل
أسلم مع النبي صلعم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك
قال ابن عباس رض نزلت في إسلامه يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال
بالغ في حثهم عليه وأصله الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص
من الحرص إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا
من الذين كفروا شرط في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بأنهم إن صبروا
غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم
البصري في وإن يكن منكم مائة بأنهم قوم لا يفقهون بسبب أنهم جهلة بالله واليوم
الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا أو قتلوا ولا يستحقون
من الله إلا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله لما أوجب الله
على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل عليهم ذلك خفف عنهم بمقاومة الواحد
الاثنين وقيل كان فيهم قلة فأمروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد
بذكر الأعداد المتناسبة للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل
ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم
وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي
وقرئ للنبي على العهد أن يكون له أسرى وقرأ البصري بالتاء حتى يثخن في الأرض
يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولي أهله من أثخنه المرض إذا
أثقله وأصله الثخانة وقرئ يثخّن بالتشديد تريدون عرض الدنيا حطامها بأخذكم
الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة أو سبب نيل الآخرة من إعزاز دينه
وقمع أعدائه وقرئ بجر الآخرة على إضمار المضاف كقوله أكل امرئ تحسبين امرأ
ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب أولياؤه على أعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل
حال ويخصه بها كما أمر بالإثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير

بينه وبين اليمن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه صلعم اتى يوم بدر
بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل ابن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك
استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رض اضرب اعناقهم
فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة
من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلعم وقال ان الله ليلين قلوب رجال
حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك
يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح
قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه واخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على
رسول الله صلعم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت
والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من
هذه الشجرة لشجرة قريبة والاية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن
لا يقرون عليه • لولا كتاب من الله سبق • لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان
لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه
او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم • لمسكم • لنالكم • فيما اخذتم • من الفداء • عذاب
عظيم • روي انه صلعم قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه
ايضا اشار بالاثخان • فكلوا مما غنمتم • من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن
الغنائم فنزلت والفاء للتسبيب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث
من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة • حلالا • حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا
حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين
ولذلك وصفه بقوله • طيبا • واتقوا الله • في مخالفته • ان الله غفور • غفر لكم ذنبكم
رحيم • اباح لكم ما اخذتم • يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى • وقرا ابو عمرو من الاسارى
ان يعلم الله في قلوبكم خيرا • ايمانا او اخلاصا • يؤتكم خيرا مما اخذ منكم • من الفداء روي
انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلعم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل ابن ابي طالب
ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال اين الذهب الذي دفعته
الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث
بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي
قال اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله تع
ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا
ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا
انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله • ويغفر لكم والله غفور رحيم • وان يريدوا
يعني الاسرى • خيانتك • نقض ما عاهدوك • فقد خانوا الله • بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ

المأخوذ بالعقل • من قبل فامكن منهم • اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة
فيمكنك منهم • والله عليم حكيم • ان الذين امنوا وهاجروا • هم المهاجرون هاجروا اوطانهم
حبا لله ولرسوله صلعم • وجاهدوا باموالهم • فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها
على المحاويج • وانفسهم في سبيل الله • بمباشرة القتال • والذين اووا ونصروا •
هم الانصار اووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم • اولئك بعضهم اولياء
بعض • في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون
الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة • والذين
امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا • اي من توليهم في الميراث
وقرا حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه
صاحبه يزاول عملا • وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر • فوجب عليكم ان تنصروهم
على المشركين • الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق • عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم
والله بما تعملون بصير • والذين كفروا بعضهم اولياء بعض • في الميراث او الموازرة وهو
بمفهومه يدل على منع التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين • الا تفعلوه • ان لا
تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق
بينكم وبين الكفار • تكن فتنة في الارض • تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان
وظهور الكفر • وفساد كبير • في الدين وقرئ كثير • والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا • لما قسم المؤمنين
ثلثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة
والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال • لهم مغفرة ورزق
كريم • لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال
والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم • اي من جملتكم ايها المهاجرون
والانصار • واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض • في التوارث من الاجانب • في كتاب الله
في حكمه او في اللوح او القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام • ان الله بكل شيء عليم
من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا
وعن النبي صلعم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بري من النفاق
واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته

سورة براءة مدنية وقيل الا ايتين وهي اخر ما نزل ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والفاضحة

والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة
من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم
وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم • واتيها مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون

وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلعم اذا نزلت
عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال
وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة
في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله
براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة
من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم
من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريا من العهد الذي
عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه
يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول صلعم
فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة
فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا فقال
فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال
وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ
كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلعم عليا راكب العضباء ليقرأها على
اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي
عني الا رجل مني فلما دنا علي رضي الله عنه سمع ابو بكر رض الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة
رسول الله صلعم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر
وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال ايها الناس اني رسول رسول الله
اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت
بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم
الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله صلعم لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه صلعم بعث
لان يؤدي عنه كثير لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى
العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ
هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي
الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان من الله ورسوله
الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين
يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما
روي انه صلعم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل
يوم عرفة لقوله صلعم الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر ولان المراد
بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه
المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين

عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهودهم
ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان
مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة
من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس
ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم
عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه
طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين
عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا
بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط
العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا
من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين
ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ
انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي
ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل
بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها
فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم
والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم
كل مرصد كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان
واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم
ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله
ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعد
لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين الذين امرت بالتعرض لهم استجارك استامنك
وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة
الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء
لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان
وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون
للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون
لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه
وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة
للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن
خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب

على الاستثناء والجر على البدل والرفع على ان الاستثناء منقطع اي لكن الذين
عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا
امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله تع فاتموا اليهم
عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق
بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف
الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب
اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم
لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب
من رال النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا
رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف
ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل
انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبرئيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله
يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم
مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد
اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان
الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم ما تتفوه
به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص
الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر الى احدوثة السوء اشتروا بايات
استبدلوا بالقران ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا
عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم
اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن
الا ولا ذمة فهو تفسير لقوله ساء ما كانوا يعملون لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين
وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم
واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون
اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم
من بعد عهدهم وان نقضوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم
بتصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر
موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء
بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع
من مراقبتهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين

الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن وقرأ هشام بادخال الالف بين الهمزتين وروي
عنه ايضا خلاف ذلك انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا
لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد
به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها
ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام
وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار
عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبون لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن
غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين
الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة
في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول صلعم والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم
فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة
على ما مر ذكره في قوله تع واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلعم
وهموا باخراجه من المدينة وهم بدءوكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه صلعم
بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة
والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان
ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين
فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على
تركه والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم
بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة
وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى
رسول الله صلعم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم
وقد اوفى الله تع بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار
بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه
من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم اخرين والله عليم
بما كان وبما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين
حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى همزتها التوبيخ على الحسبان ان
تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم نفي العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به
مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا وداخل في الصلة من دون الله ولا
رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من
معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه

وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم أن يعمروا
مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وإنما جمع لأنه قبلة
المساجد وإمامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب
بالتوحيد شاهدين على أنفسهم بالكفر بإظهار الشرك وتكذيب الرسول صلعم وهو حال
من الواو والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره
روي أنه لما أسر العباس عيّره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له علي في القول
فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج
ونفك العاني فنزلت أولئك حبطت أعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك
وفي النار هم خالدون لأجله إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام
الصلوة وآتى الزكوة أي إنما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية
والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وإدامة العبادة والذكر
ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلعم قال الله تعالى
إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زوّاري فيها عمّارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني
في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وإنما لم يذكر الإيمان بالرسول صلعم لما علم أن الإيمان
بالله قرينه وتمامه الإيمان به ولدلالة قوله وأقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش
إلا الله أي في أبواب الدين فإن الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها
فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لأطماع المشركين في الاهتداء
والانتفاع بأعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بأنهم مهتدون فإن هؤلاء مع كمالهم إذا كان
اهتداؤهم دائرا بين لعل وعسى فما ظنك بأضدادهم ومنعا للمؤمنين أن يغتروا بأحوالهم
ويتكلوا عليها أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد
في سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من إضمار
تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن ويؤيد
الأول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى إنكار أن يشبه المشركون وأعمالهم
المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين
عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين أي الكفرة ظلمة بالشرك
ومعاداة الرسول صلعم منهمكين في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم
للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين
آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله أعلى رتبة وأكثر كرامة
ممن لم يستجمع هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون
بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم
فيها نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به إشعار بأنه وراء

التعيين والتعريف خالدين فيها أبدا أكد الخلود بالتأبيد لأنه قد يستعمل للمكث
الطويل إن الله عنده أجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لأجله أو نعم الدنيا
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء نزلت في المهاجرين فإنهم
لما أمروا بالهجرة قالوا إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا
وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى
لا تتخذوهم أولياء يمنعونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله إن استحبوا الكفر على
الإيمان إن اختاروه وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون
بوضعهم الموالاة في غير موضعها قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم
وعشيرتكم أقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشيرة فإن العشيرة جماعة ترجع إلى عقد كعقد
العشرة وقرأ أبو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم وأموال اقترفتموها اكتسبتموها
وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فإنه لا يدخل تحت التكليف
بالتحفظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله بأمره جواب ووعيد والأمر عقوبة عاجلة أو آجلة
وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم
وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها
ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز أن يقدر وأيام مواطن أو يفسر الموطن بالوقت
كمقتل الحسين ولا يمنع إبدال قوله إذ أعجبتكم كثرتكم منه أن يعطف على موضع في مواطن
فإنه لا يقتضي تشاركهما فيما أضيف إليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم وإعجابها إياهم في جميع
المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلعم والمسلمون وكانوا اثني عشر
ألفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا إليهم من الطلقاء وهوازن وثقيف وكانوا
أربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلعم أو أبو بكر رض أو غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة
إعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فأدرك المسلمين إعجابهم واعتمادهم على كثرتهم
فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلعم في مركزه ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجامه
وابن عمه أبو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس
وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا
عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال صلعم هذا
حين حمي الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا
فلم تغن عنكم الكثرة شيئا من الإغناء أو من أمر العدو وضاقت عليكم الأرض
بما رحبت برحبها أي بسعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب
أو لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والإدبار
الذهاب إلى خلف خلاف الإقبال ثم أنزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا

على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما
هم الذين ثبتوا مع الرسول صلعم ولم يفروا وأنزل جنودا لم تروها يعني الملائكة
وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين
كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم
في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم
يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلعم واسلموا وقالوا
انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ
ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم
فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلعم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا
خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده شيء وطابت
نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا
رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم
قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب
عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها
غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب
وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام
لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة
لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع
وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي
التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع
ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه
او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش
فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض
وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشية لتنقطع الآمال
الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون
عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي
يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون
دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب
بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا

قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى
غير ممتنعين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير
او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة
عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس
تؤخذ الجزية من الذمي ويوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده
ان عمر رضه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه صلعم اخذها من
مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين
واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركي العرب
لما روى الزهري انه صلعم صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ
من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني
ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على الفقير
غير الكسوب وقالت اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا
بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما
احياه الله تع بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه
ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على
التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف
به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها
للنون بحرف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف
لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو
ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه
والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تأكيد لنسبة هذا القول
اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد
في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهي
قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم
والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله
او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ به عاصم
ومنه امرأة ضهيا على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم
بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون
عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم
في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله
وما امروا اي وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ

الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسل وسائر من امر الله بطاعته
فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه
عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا يخمدوا نور الله
حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلعم بافواههم
بشركهم او بتكذيبهم ويابى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز
الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلعم بالتكذيب بحال من يطفئ
نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل
موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويابى
الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع
الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين
الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم
يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل
يأخذونها بالرشى في الاحكام سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن
سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن
بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه
بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله
صلعم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله صلعم ما ادي زكوته
فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق
فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله
صلعم فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها
حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم
بعذاب اليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمي شديد
عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار
والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها
والمذكور شيئان لان المراد بهما دراهم ودنانير كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة آلاف
وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال
فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة
حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم
وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم

او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء
الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول
الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنبتاه هذا ما كنزتم على ارادة القول
لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون
اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ عددها
عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ
او في حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه من
معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر مذ خلق الله الاجرام
والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلام
والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور
على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا
كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر
الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه صلعم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين
في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر
كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين
بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء اي تأخير حرمة الشهر الى شهر
آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا
خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء
فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلثتها مصادر نسأه اذا اخره زيادة
في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا
ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفاعل
الله يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ويحرمونه
عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم
على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتكم
قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله
ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين
فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم
وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا
والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا
ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم

على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى
وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقحط مع بعد
الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة
بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة في جنب الآخرة
الا قليل مستحقر الا تنفروا اي ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما
بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين
مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه
شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول صلعم اي لا تضروه فان الله وعد له
بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب
والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله
كما نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف
الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره
في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه
او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص
مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل
البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة
مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رض لا تحزن
ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رض
على رسول الله صلعم فقال صلعم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون
حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه
فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلعم او على صاحبه
وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار
او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا
يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلعم عن ايدي الكفار
الى المدينة فانه المبدأ له او بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث
حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار
بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك
وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا في النفور لنشاطكم له
وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا
من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلعم اعلي

اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله
بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير
علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان
عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا
متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة
وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين
لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا
بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد
جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم
بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك
او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج
عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم
بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استأذنوك
واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار
وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلعم شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء
واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان
يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوك
في التخلف عنه او ان يستأذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين
شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث
على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم
يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ
عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين
باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج
كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تع كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم
بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم
او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول صلعم لهم
والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم
بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا
زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل

الا استثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ● ولاوضعوا خلالكم ● ولاسرعوا
ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب والهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع
يبغونكم الفتنة ● يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والرعب في قلوبكم
والجملة حال من الضمير في اوضعوا ● وفيكم سماعون لهم ● ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم
او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم ● والله عليم بالظالمين ● فيعلم ضمائرهم
وما يتاتى منهم ● لقد ابتغوا الفتنة ● تشتيت امرك وتفريق اصحابك ● من قبل يعني
يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول صلعم
الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد ● وقلبوا لك الامور
ودبروا لك المكائد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك ● حتى جاء الحق ● النصر
والتأييد الالهي ● وظهر امر الله ● علا دينه ● وهم كارهون ● اي على رغم منهم
والآيتان لتسلية الرسول صلعم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره
انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت
الرسول صلعم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ● ومنهم من يقول ائذن لي
في القعود ● ولا تفتني ● ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تأذن لي
وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال
اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار
اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني ● الا في الفتنة سقطوا
اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه ●
وان جهنم لمحيطة بالكافرين ● جامعة لهم يوم القيمة او الآن لاحاطة اسبابها بهم
ان تصبك ● في بعض غزواتك ● حسنة ● ظفر وغنيمة ● تسؤهم ● لفرط حسدهم ●
وان تصبك ● في بعضها ● مصيبة ● كسر او شدة كما اصاب يوم احد ● يقولوا قد اخذنا
امرنا من قبل ● تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رايهم في التخلف ● ويتولوا ● عن متحدثهم بذلك
ومجتمعهم له او عن الرسول صلعم ● وهم فرحون ● مسرورون ● قل لن يصيبنا الا ما كتب
الله لنا ● الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح
لا يتغير بموافقتكم ولا مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيّبنا وهو من فيعل لا من فعّل لانه
من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء
فيما قصد به وقيل من الصوب ● هو مولانا ● ناصرنا ومتولي امرنا ● وعلى الله فليتوكل
المؤمنون ● لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره ● قل هل تربصون بنا ● تنتظرون ● الا احدى
الحسنيين ● الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة
ونحن نتربص بكم ● ايضا احدى السوأيين ● ان يصيبكم الله بعذاب من عنده ● بقارعة
من السماء ● او بايدينا ● او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر ● فتربصوا ● ما هو عاقبتنا

ما هو عاقبتنا ● انا معكم متربصون ● ما هو عاقبتكم ● قل انفقوا طوعا او كرها لن
يتقبل منكم ● امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة
في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا
هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل الامرين
ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله ● انكم كنتم قوما فاسقين ● تعليل له على
سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له ● وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم
كفروا بالله وبرسوله ● اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرا حمزة والكسائي
ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله ● ولا
ياتون الصلوة الا وهم كسالى ● متثاقلين ● ولا ينفقون الا وهم كارهون ●
لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا ● فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال ● انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب
وتزهق انفسهم وهم كافرون ● فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة
فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ● ويحلفون بالله انهم لمنكم
لمن جملة المسلمين ● وما هم منكم ● لكفر قلوبهم ● ولكنهم قوم يفرقون ● يخافون منكم
ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ● لو يجدون ملجأ ● حصنا
يلجأون اليه ● او مغارات ● غيرانا ● او مدخلا ● نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول
وقرا يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا
من تدخل واندخل ● لولوا اليه ● لاقبلوا نحوه ● وهم يجمحون ● يسرعون اسراعا لا يردهم
شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ● ومنهم من يلمزك ● يعيبك وقرا يعقوب
يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك ● في الصدقات ● في قسمها ● فان اعطوا منها رضوا وان
لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ● قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى
صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة راس
الخوارج كان رسول الله صلعم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم
عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة
نائب مناب الفاء الجزائية ● ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ● ما اعطاهم الرسول
صلعم من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول صلعم كان
بامره ● وقالوا حسبنا الله ● كفانا فضله ● سيؤتينا الله من فضله ● صدقة او غنيمة اخرى
ورسوله ● فيؤتينا اكثر مما آتانا ● انا الى الله راغبون ● في ان يغنينا من فضله والآية باسرها
في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات
تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول صلعم فقال ● انما الصدقات للفقراء والمساكين

اي الزكوات لهولاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم
الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار
كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه
قوله تع اما السفينة فكانت لمساكين وانه صلعم يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل
بالعكس لقوله تع او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها
وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فتستألف قلوبهم او اشراف
يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلعم عيينة بن
حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون
على ان يسلموا فانه صلعم كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان
خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل
كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط وفي الرقاب
وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل
بان تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول
من اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم
احق بها والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح
ذات بين وان كانوا اغنياء لقوله عم لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله
او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين
للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة
وابتياع الكراع والسلاح وقيل في بناء القناطير والمصانع وابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة
او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقيل بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم
يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف
الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك
واليه ذهب الشافعي رض وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين
جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان
يفتي شيخي ووالدي رح على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم
ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة
للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او
اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة
نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن
ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله

يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين
ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم
وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث
يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم
وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير
اي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له
او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله
لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين
والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير
لتلازم الرضائين او لان الكلام في ايذاء الرسول صلعم وارضائه او لان التقدير والله
احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه
ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد
فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل
ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك
وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم
ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء
ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في
امر الرسول صلعم بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله
قل استهزؤا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي تحذرونه من انزال السورة
فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلعم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى
هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه صلعم فدعاهم
فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء
مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن
توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب
لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم
الكفر بايذاء الرسول صلعم والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف
عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة
بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ
عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء

بعض
للمفعول ذهابا الى المعنى كانه قيل ان نرحم طائفة • المنافقون والمنافقات بعضهم من
اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيبهم في
حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة
حالهم لحال المؤمنين وهو قوله • يامرون بالمنكر • بالكفر والمعاصي • وينهون عن المعروف
عن الايمان والطاعة • ويقبضون ايديهم • عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح
نسوا الله • اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته • فنسيهم • فتركهم من لطفه وفضله
ان المنافقين هم الفاسقون • الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير • وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها • مقدرين الخلود • هي حسبهم
عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها • ولعنهم الله • ابعدهم من رحمته واهانهم
ولهم عذاب مقيم • لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق
كالذين من قبلكم • اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم • كانوا اشد منكم
قوة واكثر اموالا واولادا • بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم • فاستمتعوا بخلاقهم
نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه • فاستمتعتم
بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم • ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة
من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية
تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم • وخضتم • ودخلتم في الباطل • كالذي
خاضوا • كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه • اولئك حبطت
اعمالهم في الدنيا والآخرة • لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين • واولئك هم الخاسرون
الذين خسروا الدنيا والآخرة • الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح • اغرقوا بالطوفان
وعاد • اهلكوا بالريح • وثمود • اهلكوا بالرجفة • وقوم ابرهيم • اهلك نمرود ببعوض
واهلك اصحابه • واصحاب مدين • واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة
والمؤتفكات • قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت فصارت عاليها سافلها وامطروا
حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى
الشر • اتتهم رسلهم • يعني الكل • بالبينات فما كان الله ليظلمهم • اي لم يكن من عادته ما يشابه
ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم • ولكن كانوا انفسهم يظلمون • حيث عرضوها للعقاب بالكفر
والتكذيب • والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض • في مقابلة قوله المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض • يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله • في سائر الامور • اولئك سيرحمهم الله
لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع • ان الله عزيز • غالب على كل شيء لا يمتنع عليه
ما يريده • حكيم • يضع الاشياء مواضعها • وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة • تستطيبها النفس او يطيب فيها

العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر • في جنات عدن
اقامة وخلود وعنه صلعم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها
غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تع طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها
يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه
وكانه تع وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما
يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي
لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه
بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو
اكبر من ذلك فقال • ورضوان من الله اكبر • لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة
والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه صلعم ان الله تع يقول لاهل الجنة هل
رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل
من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا • ذلك
اي الرضوان او جميع ما تقدم • هو الفوز العظيم • الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها • يا ايها
النبي جاهد الكفار • بالسيف • والمنافقين • بالزام الحجة واقامة الحدود • واغلظ عليهم
في ذلك ولا تحابهم • وماواهم جهنم وبئس المصير • مصيرهم • يحلفون بالله ما قالوا • روي
انه صلعم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد
لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلعم فاستحضره فحلف بالله ما قاله
فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته • ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم • واظهروا
الكفر بعد اظهار الاسلام • وهموا بما لم ينالوا • من فتك الرسول صلعم وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا
عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر
بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف
الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من
المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلعم • وما نقموا • وما انكروا
او ما وجدوا ما يورث نقمتهم • الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله • فان اكثر اهل المدينة
كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلعم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى
فامر رسول الله صلعم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل
فان يتوبوا يك خيرا لهم • هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب • وان يتولوا
بالاصرار على النفاق • يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة • بالقتل والنار • وما لهم
في الارض من ولي ولا نصير • فينجيهم من العذاب • ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله
لنصدقن ولنكونن من الصالحين • نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلعم وقال ادع الله
ان يرزقني مالا فقال صلعم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي

بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود
حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلعم فقيل
كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما
الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض
فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة
فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك
فلم تطعني فقبض رسول الله صلعم فجاء بها الى ابي بكر رض فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رض في خلافته
فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رض فلما اتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه
وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم
نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز
ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون
الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب
اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان
خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد
الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم
ما اسروه في انفسهم من النفاق والعزم على الاخلاف ونجويهم وما يتناجون به فيما
بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك
الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم
المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه صلعم حث على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي
اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلعم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت فبارك له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم
وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال
بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله
صلعم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون قالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء
ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى
من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو
مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم
جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر
لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله
ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن ابي وكان من

فلما جاءا قال لهما رسول الله صلعم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين نسخه

من المخلصين سأل رسول الله صلعم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال صلعم لازيدن
على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك
لانه صلعم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه
فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها
في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنه العدد باسره ذلك بانهم كفروا
بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا
قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين
المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد
الى الحق والمنهمك في الكفر المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول صلعم
في استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع
هو الاستغفار بعد العلم لقوله تع ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو
كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة
فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل
رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قال بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين
تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم
اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر
للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد
من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة
من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر
رجلا فاستأذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا
معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان
اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك
فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع
الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله
صلعم فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات
ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين
في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه
العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع

في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب
دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا
بالله ورسوله وماتوا وهم كافرون تعليل للنهي او لتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والامر
حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون
هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القران ويجوز ان يراد بعضها ان آمنوا
بالله بان آمنوا ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول
منهم ذووا الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا
بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع
على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول صلعم من السعادة وما في التخلف
عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف
هولاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين
النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان
وهي جمع خيرة تخفيف خيّرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله
لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات
الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استأذنوا
في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا
معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذّر في الامر اذا قصر فيه موهما
ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها
الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب
المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذّرون بتشديد العين والذال
على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا
معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم
منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين
فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم
من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى
كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة
حرج اثم في التأخير اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية في التاخر
كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين
بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع
المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك

لذلك والله غفور رحيم لهم وللمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم
عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار
وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة
ابن زيد اتوا رسول الله صلعم وقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال
المخصوفة نغز معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد
والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد
تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع اي دمعها فان من للبيان وهي
مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت
دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا
اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة
على الذين يستأذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف
استيناف لبيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة
الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون
مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا
بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا
بالوحي الى نبيه صلعم بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله
اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه فكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب
والشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم
لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم
انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس
لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل فكانه قال
انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار
كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة
يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله
لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا
كانوا في سخط الله وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك
سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهي عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم
بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة
واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها

وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم
ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق
به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابه وانما ينفق رئاء
او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص
من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار
عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي بها
عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ
ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق
عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات
سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول
وسبب صلواته لانه صلعم كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق ان
يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال صلعم اللهم صل على آل ابي
اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم
وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم
وقرأ ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين
لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم
والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين
هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة
والانصار اهل بيعة العقبة الاولى كانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين
والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على السابقون
والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان
والطاعة الى يوم القيمة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه
بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير
من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم
اي وممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون هم جهينة ومزينة واسلم واشجع
وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته
مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن
جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها
وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم
لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفي عليك
حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا

ان قدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر
او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون
اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين
اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلعم فدخل
المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم
فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا
خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة
اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان
كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله
اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة
روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال
ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم
الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها
حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار
لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم
وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا
الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم
والمراد به التحضيض عليهما ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه
معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله
هو التواب الرحيم وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم
فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه لا يخفى
عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم
بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون موخرون اي
موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص بالواو وهما لغتان
لامر الله في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا
والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تع والله عليم باحوالهم حكيم
فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية
ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلعم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا
ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على
آخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص
وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف

لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلعم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم
بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام
فلما اتموه اتوا رسول الله صلعم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة
والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم
ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله
فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا
بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قباء وارصادا ترقبا
لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلعم يوم احد لا اجد قوما
يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب
الى الشام ليأتي من قيصر بجنود ويحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا
وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا
اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا
رسول الله صلعم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر
عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة
الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم
لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله صلعم
وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلعم
لقول ابي سعيد سألت رسول الله صلعم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم
من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر
احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال
المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين
يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلعم ومعه المهاجرون
حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال صلعم أمؤمنون انتم فسكتوا فأعادها
فقال عمر رضي الله عنه انهم مؤمنون وانا معهم فقال صلعم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون
على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال صلعم مؤمنون ورب الكعبة فجلس
ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط
فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان
يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة
محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار
على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه
الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى

التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار
ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى
رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع
في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء
للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس واساس واساس
بالكسر وبنيتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى
وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين
الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول
وليس بجمع ولذلك قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم
شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك
ثم لما هدمه الرسول صلعم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول رسمه عن قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية
المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او في القبر
او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع
بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع
قلوبهم على خطاب الرسول صلعم او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم
بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي
بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل
وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل والقرآن
مذكورا فيهما كما اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه
حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم
المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون
والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون
من اهل الجنة وان لم يجاهدوا كقوله تع وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون
عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء من التائبين الى الحافظين
نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له
الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله صلعم
سياحة امتي الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها
الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون

في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك
والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه لما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون
بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقايق والشرايع
للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم
بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه
ولذلك سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل
ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن
من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام
وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه صلعم
قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال
استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا
فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنت في الاستغفار لها
فلم يأذن لي وانزل علي الآيتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان
وبه دفع النقض لاستغفار ابرهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا
عن موعدة وعدها اياه وعدها ابرهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك
بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه او وعدها ابرهيم ابوه
وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن
تبرأ منه قطع استغفاره ان ابرهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه
ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه
وما كان الله ليضل قوما ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام
حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول صلعم
في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول
في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم
فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن
ذلك وجوب التبرؤ عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب
عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤوا عما عداه
حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار من اذن المنافقين في التخلف او برأهم عن علقة الذنوب كقوله تع ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو

وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرون والانصار لقوله تع وتوبوا الى الله جميعا اذ
ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها
بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي
حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل
ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم
عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول صلعم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد
عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ
من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه
على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه
بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة وتاب على الثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة
بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت
عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة
وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا
وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق
للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا في جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول
والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم
مائة مرة الرحيم المتفضل عليهم بالنعم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه
وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وعملا وقولا وقرئ
من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلثة واضرابهم ما كان
لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله عن حكمه نهي عبر عنه بصيغة النفي
للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ولا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه
ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في
الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع
وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلعم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته
واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلعم طرفه الى الطريق فاذا راكب يزهاه السراب
فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلعم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم
ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب
انهم لا يصيبهم ظمأ شيء من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله
ولا يطؤن موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون
من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب
وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب

وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي
للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رض في جيش العسرة ولا يقطعون
واديا في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودي اذا سال فشاع بمعنى الارض
الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن
اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا
جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة
ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم
وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير فرض الكفاية وانه ينبغي ان يكون
غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون
ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم
كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا
ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا و
اعتراضا في كتاب المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل
سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى
الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال
بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي من الفرق
بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين
اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلعم اولا بانذار عشيرته
فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر
وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة
شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله
مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول
انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره
زادته فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام
الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم
وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما
الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني

يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع
رسول الله صلعم فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون
لا ينتبهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت
سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم
هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول صلعم فان لم يرهم احد
قاموا وان يراهم احد اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم
عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم
او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم
عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم على ايمانكم وصلاح
شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان
الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله
فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو
ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم الذي تنزل منه
الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي
صلعم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما
انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية آياتها مائة وتسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع برواية قالون وحفص وقرا ورش بين اللفظين واما لها
الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته
السورة او القرآن من الآي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم
او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب
وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة
وان اوحينا بدل من عجب واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم
الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد
رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة
وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه صلعم لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال
وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا
من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة
او المخففة من الثقيلة فيكون في موقع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الانذار اذ
قل ما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به
ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها

كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها
بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب او ما جاء به الرسول صلعم
لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلعم وفيه اعتراف
بانهم صادفوا من الرسول صلعم امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ
ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات
في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته
وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور
لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من
زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف
بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشركه احد في شيء
من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر
فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت
او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه
مرجعكم وعد من الله حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق
ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله
او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم
وهو الاوجه لمقابلته قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة
في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة
والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه
واما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل
لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله
المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ
بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا
هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط
والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير برواية قنبل ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب
بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور او سمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء
كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس
نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير
لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر
لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين

السنين والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله
ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الآيات لقوم
يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء
ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات
لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب
فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث
وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها
واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون
من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها
والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا
والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين
من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل
في الآجل والاعداد له اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا
به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم
الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال صلعم من عمل بما علم ورثه الله
علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان
والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح
كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الانهار استئناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب
على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر آخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق
بتجري او بيهدي دعويهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا
وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر دعويهم وآخر
دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا
الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة
بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه
بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله
للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا
بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم والمراد شر استعجلوه كقولهم
فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه
استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا
وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين
لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل

ولكن لا نعجّل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مسّ الانسان الضر دعانا
لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة الترديد
تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مرّ مضى على طريقته
واستمر على كفره او مرّ عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف
وحذف ضمير الشأن كما قال ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقّان الى ضر مسّه
الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك
في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة
لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال الجوارح والقوى لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم
بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا
وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله
لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء
وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم
نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال
جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها
بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا
فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله
وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها
ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين
لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه
ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معائب آلهتنا
او بدّله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم
اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر
استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن
آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف
فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان
القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف
ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب
بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم
به على لساني وعن ابن كثير ولأدراكم بلام التأكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم
على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ
ولا ادرأتكم ولا ادرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على

انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا اجعلكم بتلاوته خصماء تدرءونني بالجدال والمعنى ان الامر
بمشية الله لا بمشيتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار
عمر اربعين سنة من قبله من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن
معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد
عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا
كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين
واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم
بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوا
اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب بآياته
فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر
على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر
ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا
او في الآخرة ان يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا
عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما
يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع
وتهكم بهم او هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في السموات
ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله
اما سماوي وارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك
به تع سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ
حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا امة واحدة
موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل
او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل
او ببعثة الرسل فتبعهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم
بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا
فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه
اي من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات
المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين
لما يفعل الله بكم لجحودكم ما نزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس
رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها
والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا
يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله صلعم قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم

قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا
لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تع اما الاستدراج او الجزاء على المكر
ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف
على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم
يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرا ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر في البر والبحر
حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة
للمبالغة كانه يذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب
وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب لاذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها
ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه
وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا
الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف
وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة
لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه
بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم
وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم
او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى
عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة
الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا
او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع
الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبره ثم الينا
مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة
في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام
من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت تزينت باصناف النبات
واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها
وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت كاغيلت من غير اعلال
والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها
متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها
جعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم يلبث
والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو

مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه
حطاما بعدما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح
لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون
فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله
وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله تع والملائكة فيها على من يدخلها
والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام
والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة
وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة
وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله تع ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر
امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى
الجنة والزيادة اللقاء اللهم ارزقنا ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها
سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب
ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لازمون
لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد
والحجرة عمرو او الذين مبتدا والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها اي ان تجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة
هي الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء
سيئة مبتدا خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير
مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله
او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما
لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف
بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرا ابن كثير
والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار لاشتمال
السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم
قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا
مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف
عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت
بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم
انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله

الاصنام فتنت فنهم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة
والمسيح وقيل الشياطين • فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم • فانه العالم بكنه الحال • ان كنا
عن عبادتكم لغافلين • ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة • هنالك • في ذلك المقام
تبلو كل نفس ما اسلفت • تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرا حمزة والكسائي تتلو
من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار
وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف
لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اي العذاب
كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض • وردوا الى الله
الى جزائه اياهم بما اسلفوا • مولاهم الحق • ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه
مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد • وضل عنهم • وضاع عنهم • ما كانوا
يفترون • من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة • قل من يرزقكم من السماء
والارض • اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد
منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض • امن
يملك السمع والابصار • ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها
وسرعة انفعالهما من ادنى شيء • ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي • ومن يحيي
ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه • ومن يدبر الامر • ومن يلي تدبير امر العالم
وهو تعميم بعد تخصيص • فسيقولون الله • اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك
لفرط وضوحه • فقل افلا تتقون • انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك
فذلكم الله ربكم الحق • اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته
لانه الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم • فماذا بعد الحق الا الضلال • استفهام
انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال
فانى تصرفون • عن الحق الى الضلال • كذلك حقت كلمة ربك • اي كما حقت الربوبية لله تع
او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه وقرا نافع وابن عامر
كلمات هنا وفي آخر السورة وفي غافر • على الذين فسقوا • تمردوا وخرجوا عن حد الاصلاح
انهم لا يؤمنون • بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب • قل هل من
شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده • جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها
وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول صلعم ان ينوب عنهم في الجواب فقال • قل الله
يبدؤ الخلق ثم يعيده • لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها • فانى تؤفكون • تصرفون عن قصد
السبيل • قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق • بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر
والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية
للهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله قل

قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى • ام
الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان
يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرا ابن كثير وورش
عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد
والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى
ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء
الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى
على المبالغة • فما لكم كيف تحكمون • بما يقتضي صريح العقل بطلانه • وما يتبع اكثرهم • فيما
يعتقدونه • الا ظنا • مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب
على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او
من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف • ان الظن لا يغني من الحق • من العلم
والاعتقاد الحق • شيئا • من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه
دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز • ان الله
عليم بما يفعلون • وعيد على اتباعهم الظن واعراضهم عن البرهان • وما كان هذا القرآن ان
يفترى • افتراء • من دون الله • افتراء من الخلق • ولكن تصديق الذي بين يديه •
مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه
معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف
تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق • وتفصيل
الكتاب • وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع • لا ريب فيه • منتفيا عنه الريب
وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى
وان يكون استئنافا • من رب العالمين • خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او
متعلق بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب
او الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه
ام يقولون • بل ايقولون • افتراه • محمد صلعم ومعنى الهمزة فيه للانكار • قل فأتوا بسورة مثله
في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا
في النظم والعبارة • وادعوا من استطعتم • ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به
من دون الله • سوى الله تع فانه وحده قادر على ذلك • ان كنتم صادقين • انه اختلقه
بل كذبوا • بل سارعوا الى التكذيب • بما لم يحيطوا بعلمه • بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا
آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف
دينهم • ولما ياتهم تاويله • ولم يقفوا بعد على تاويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم
ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن

معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجاوا التكذيب قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع
في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت
دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا
وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه
ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط
غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين
او بالمصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم
فتبرا منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون
مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض
عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت
القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم
تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان
حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى
الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم ومتابعة
الالف والتقليد تعذر افهامها الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما
ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلائل نبوتك ولكن
لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون ولو انضم
الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة
في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل
للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم
ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا
وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان
ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف
اسبابه وقرا حمزة والكسائي بالتخفيف ورفع الناس ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة
من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية
في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف
تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم
يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف
لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف
والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم

والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا
مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات
ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم
من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم
فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد
على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على
الرجوع بثم او مؤديها يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية
رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي
بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم
لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف
ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله تعالى وجيء بالنبيين
والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين
خطاب منهم للنبي صلعم والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل
في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن
لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارأيتم ان اتاكم
عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم
مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله
مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع
الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط
محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطأه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك
ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارأيتم او قوله اثم اذا ما وقع امنتم به
بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض
ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير آلآن على ارادة القول اي
قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب آلآن امنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا
عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم
تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد
او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان
الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ آلحق هو
تعريض بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موقع

فان فيه تعريض صح

النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيه لثابت
وقيل كلا الضميرين للقرآن واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه
في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب
ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها
لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة
لما رأوا العذاب لانهم بهتوا لما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا
ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال
سر الشيء لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره
اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء
ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين
والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته
تع على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن
لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة
الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا يزول
قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت
والنشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة
للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها
والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور
من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزل عليهم فنجوا
بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد
من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القرآن والباء
متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله
وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد
الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة
الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما فليفرحوا
او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح
وتكريرها للتاكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء
على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون
من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك
فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق
جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او

او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال
فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل آلله اذن لكم في التحليل والتحريم فتقولون ذلك بحكمه ام
على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد
ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقريرا لافترائهم على الله
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان
لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام
الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم
بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان
ولا تكون في امر واصله الهمز من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه
له لان تلاوة القرآن معظم شان الرسول صلعم او لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير
من اجله ومفعول تتلو من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي وللقرآن
واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن
هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا
كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون
وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاي هنا وفي سبأ
من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان
فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في
حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب
مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب
بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف
او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله
الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم
يحزنون بفوات مأمول الآية مجمل فسره قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين
آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين
في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى
الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة
بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على
الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده
ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها
اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام متصل بما قبله

ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرا نافع يحزنك من احزنه وكلاهما
بمعنى ان العزة لله جميعا استيناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل
لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم
وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها الا ان لله
من في السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف
الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا وشريكا
فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا اي شركا على الحقيقة
وان كانوا يسمونها شركا ويجوز ان يكون شركا مفعول يدعون ومفعول يتبع
محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم
انها شركا ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ
تدعون بالتاء والمعنى واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركا من الملائكة والنبيين اي
انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله تع اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم
لبيان سندهم ومنشا رايهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله
او يحزرون ويقدرون انها شركا تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق
العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي
هو سبب ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله
ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب
من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات
وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان
مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم
كانه قيل ان عندكم في هذا من سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على
اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها
من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب
باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة
متاع في الدنيا خبر مبتدا محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم
في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدا خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا
مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون
بسبب كفرهم واتل عليهم نبا نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان
كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني

او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بايات الله
فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاكم اي مع
شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل
انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف
تقديره وادعوا شركاكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم
او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم
ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره
او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي
ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم
او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم
اعرضتم عن تذكيري فما سالتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله
او يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له
بكم يثيبني به امنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف
امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس
الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه
في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا
باياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب
الرسول صلعم وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل
رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا
ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا
به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على
قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المالوف وفي امثال ذلك دليل
على ان الافعال واقعة بقدرة الله تع وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم
من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا بالايات التسع فاستكبروا
عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا
على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيحة للشك قالوا
من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه
قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي القول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون
اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام
فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان
يخاف القالة كقوله تع سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول ولا يفلح الساحرون

من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا المحكي كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرا حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرا ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها وآلسحر بدل منه او خبر مبتدا محذوف تقديره اهو السحر او مبتدا خبره محذوف اي آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدا امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به ومؤمن آل فرعون وامراته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملا كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما راى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشوم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا ان اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل

مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالتهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله تع وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وقرا حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل الآن اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرا يعقوب ننجيك من الانجاء وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك

كانه كان مظاهرا منيعا لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل
اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عم حين اخبرهم
بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا
مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه كفرك بهم
من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي
لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد
منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته
وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا
مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم
العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرأوا التورية وعلموا احكامها او في امر محمد صلعم
الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون فيميز المحق عن المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك
من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك فانه
محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في
الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها ووصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة
ما انزل اليه او تهييج الرسول صلعم وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال صلعم
لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي صلعم والمراد به امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها
السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين
ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل
للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم
واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج
والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله تع ولا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم
ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في العذاب لا يؤمنون
اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم
وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وح لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون
فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب
ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها
الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه
الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان تكون الجملة في معنى النفي
لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه

قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة
الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عم بعث الى نينوى
من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد
اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا
يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم
وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات
والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان
يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم
احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تع لم يشأ
ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر
افانت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه
على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة
على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي
انه عم كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله
وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد
نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ
بالزاي وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج
والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله
قل انظروا تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته
وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات
والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع
النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس
الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من
المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني مع المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين
آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي
رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين كذلك الانجاء
او انجاء كذلك ننجي محمدا صلعم وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بالفعل
المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائي ننجي مخففا قل يا ايها الناس خطاب
لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله
ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل
الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه

وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد
وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به وحذف الجار من ان يجوز
ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق
بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما تضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال
كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد
فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال
من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء
للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به
فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله
الذي ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على
ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير
للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله
لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته
بالطاعة ولا تياسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله
او القرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه
لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم
بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال
والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او الامر بالقتال
وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي
صلعم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به
وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه
اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها
منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة
على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ
والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت
اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت
في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت

او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي
ان لا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول
ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه
قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه من الله نذير وبشير
بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا
ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع
وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما
بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو آخر اعماركم
المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة
بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط
كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين
وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة وقيل يوم الشدائد
وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم رجوعكم
في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد
عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون
عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلعم او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء
والتاء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف
اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمز
ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة
من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد
كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين
يستغشون ثيابهم الا حين ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون
في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه
انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذوات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ
الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة
والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها
من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب
مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها
بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او

او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل
والذات دون السفليات • وكان عرشه على الماء • قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان
موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش
من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك • ليبلوكم ايكم احسن عملا
متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان
جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات
تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه
طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين
باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب
العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلعم ايكم
احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا
• ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرا
حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمين قلت
معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى عل اي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره • ولئن اخرنا عنهم العذاب
الموعود • الى امة معدودة • الى جماعة من الاوقات قليلة • ليقولن • استهزاء
ما يحبسه • ما يمنعه من الوقوع • الا يوم ياتيهم • كيوم بدر • ليس مصروفا عنهم • ليس العذاب
مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها
وحاق بهم • واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد •
ما كانوا به يستهزؤن • اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون
لان استعجالهم كان استهزاء • ولئن اذقنا الانسان منا رحمة • ولئن اعطيناه نعمة بحيث
يجد لذتها • ثم نزعناها منه • ثم سلبنا تلك النعمة منه • انه ليؤس • قطوع رجاءه
من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به • كفور • مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة •
ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته • كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين
نكتة لا تخفى • ليقولن ذهب السيئات عني • اي المصائب التي ساءتني • انه لفرح بطر
بالنعم مغتر بها • فخور • على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس
تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في
الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدا الوصول • الا الذين صبروا
على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه • وعملوا الصالحات • شكرا لالائه سابقها ولاحقها
اولئك لهم مغفرة • لذنوبهم • واجر كبير • اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس

الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء
منقطعا • فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك • تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف
راي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه
لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ هاهنا
• وضائق به صدرك • وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة • ان يقولوا
لولا انزل عليه كنز • ينفقه في الاستتباع كالملوك • او جاء معه ملك • يصدقه وقيل
الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا • انما انت نذير • ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك
ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك • والله على كل شيء
وكيل • فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم • ام يقولون افتراه
ام منقطعة والهاء لما يوحى • قل فاتوا بعشر سور مثله • في البيان وحسن النظم تحداهم اولا
بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد
مفتريات • مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون
على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم • وادعوا
من استطعتم من دون الله • الى المعاونة على المعارضة • ان كنتم صادقين • انه مفترى
فان لم يستجيبوا لكم • باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم او لان
المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول صلعم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه
عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم
فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله • فاعلموا انما انزل بعلم الله • ملتبسا بما لا يعلمه الا الله
ولا يقدر عليه سواه • وان لا اله الا هو • واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر
بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه
عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من باس الله آلهتهم • فهل انتم مسلمون • ثابتون
على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذ تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا
للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم
من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم
اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام
ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر • من كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها • باحسانه وبره • نوف اليهم اعمالهم فيها • نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا
من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله وتوف
على البناء للمفعول وتوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله • وان اتاه كريم يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرم • وهم فيها لا يبخسون • لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في
اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم • اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار

مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم
السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به
وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعلق الظرف بصنعوا على ان الضمير
للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكأن كل واحدة من الجملتين
علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله
ولا خارجا من فيّ زور كلام وبطل على الفعل أفمن كان على بينة من ربه برهان من الله
يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه هؤلاء
المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر
الخبر وتقديره أفمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص
وقيل المراد به النبي وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل
العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن
كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق او البينة هو القرآن ويتلوه
من التلاوة والشاهد جبرئيل او لسان الرسول صلعم على ان الضمير له او من التلو والشاهد
ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة
وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة
على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التورية اماما كتابا مؤتمّا به
في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة
الى من كان على بينة يؤمنون به اي بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن
تحزب معهم على رسول الله صلعم فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه
من الموعد او القرآن وقرئ مُرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند
اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا ويعرض
اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب
او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم
مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها
عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة
وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم
واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا
ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم
الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير
وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق

عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة
العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء
فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك
الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون
من الآلهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة
والندامة لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهو
الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين
الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه
عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع
والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر
بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة
كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان
مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتأمل فيها ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه اني لكم بانّي لكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بالكسر على ارادة القول
نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من
اني لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم
عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريق
جدّ جده ونهارك صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا
لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا
اخساؤنا جمع اَرذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الرأي
ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو او اول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار
ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث
بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك ولفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا
ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم
لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك
في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم
أرأيتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده
بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في
نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار
او لانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعُمّيت اي أُخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله

فيها
انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون
وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل
ويا قوم لا اسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا ان
اجري الا على الله فانه المأمول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا
طردهم انهم ملاقو ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون
بقربه فكيف اطردهم ولكني اريكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس
طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه
ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم
وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله خزائن رزقه وامواله
حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول انا اعلم الغيب
حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد
قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا
ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم
الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم
اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى اذا عابه قلبت
تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم
بادي الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم
وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه
فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك
لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب
او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب
قوله ان كان الله يريد ان يغويكم تقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت
ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا
فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان
ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم
من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه
ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه بل افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ
اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى
نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم
ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا
عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ

في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين
ظلموا فلا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم
عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه
ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء
اوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا قال ان تسخروا
منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد
بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق
ويحل عليه وينزل ويحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو
عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه
او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء وارتفع كالقدر تفور والتنور
تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او
بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها
في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا
على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر
وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم
الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين
ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته
المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة
من غيرهم روي انه عم اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها
خمسين وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس
وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب
في الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله
او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان
او المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز
رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان
بسم الله خبره او صلته والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال
مقدرة من الواو او الهاء روي انه اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان
ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما
وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح والامالة من جرى وقرئ مرسيها ايضا
من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم
اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه

اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري بهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان
وهي ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من انه
الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا
شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان
وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشده
لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطاء اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين
وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه
نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة
والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف
عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح
ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواية عنه في سائر المواضع
وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين
في الدين او الانعزال قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم
من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون
رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل
لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه
وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين
بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون
تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يامر المنقاد لحكمه
المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك
وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين
واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي
انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا
للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده
ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة
على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم
الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال
لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال
رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق
اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه
وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم

على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية
بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله
واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما
رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة
بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل
اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما سمى
نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شان ولده او استفسار المانع للانجاز
في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء
من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه
الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا
النون على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت المشددة للياء
ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل برواية ورش قال رب اني اعوذ
بك ان اسالك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر
ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح
اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك
ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة
على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم
او لتشعب الامم منهم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم
اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة والمراد بهم الكفار
من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة
الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك
خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به
او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة عندك وعند
قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت
وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه
فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة
في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم
هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله
وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون
على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري
الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع

ما دامت مشوبة بالمطامع أفلا تعقلون أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل
والصواب من الخطأ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان
ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرؤ عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده
يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما
رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله
عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة
كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه
مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك
وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي
عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين
اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك
من عراه يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك
تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول الا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد
الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به
عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على برائته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا
له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا
اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة
ان آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان
مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته
بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم
تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلائته
وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله
ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها
والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع
عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم
فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به
اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين
في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكانه
قيل وان تتولوا يعذرني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم
يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل
عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا

اي امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف
ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة
وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض
بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد
انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات
ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل
لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد
من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا
من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت
اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او
كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة
على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا
لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن
عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود
والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض هو
كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها
عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم
فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها
لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح
قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا
في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا
ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد
والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي
من اراب في الامر قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك
باعتبار المخاطبين وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته
في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير
غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم
الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة
ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها
ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو
ثلثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منزلكم او في داركم الدنيا ثلثة ايام

الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه
باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان
الواعد قال له اني بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر
كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ
اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وقرأ نافع
والكسائي يومئذ بالفتح ههنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ على اكتساب المضاف البناء
من المضاف اليه ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين
ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها قد سبق تفسير ذلك في سورة
الاعراف الا ان ثمود كفروا ربهم نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن
وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود وقرأ حمزة وحفص ان ثمود
ههنا وفي الفرقان والعنكبوت بفتح الدال من غير تنوين ونونه الكسائي وخفض الدال في قوله
الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يعني الملائكة
قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل
بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما
قال سلام اي امركم او جوابي سلام او عليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة
والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث
ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والجار مقدر او
محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال
لقوله بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة
انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك
وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة
مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامرأته قائمة وراء الستر
تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد
او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل
بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ولم تعد حقا ثديها
ان تحلبا ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء
اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها
من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير
مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ
خبره الظرف اي يعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد
وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابرهيم

ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية
بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به منها ولانها
كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتي يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ
بالياء على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله
القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم
الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل
ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة
ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها
فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات
ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل
البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد
فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة
واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا
في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال
او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا
او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم
غير عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس
منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط رحمته
يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه
قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب
غير مردود غير مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا
سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاءوا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم
قومه فيعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي سيء وسيئت باشمام السين الضم ههنا
وفي العنكبوت والملك والباقون باختلاس حركة السين وضاق بهم ذرعا وضاق
بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال
هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه
كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا
يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاءوا يهرعون لها مجاهرين
قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن
وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه
شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه واظهار الشدة

امتعاضاً من ذلك كي يبر قواله وقيل المراد بالبنات نساؤهم فإن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة
والتربية وفي حرف ابن مسعود وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم • هن أطهر لكم • أنظف
فعلاً وأقل فحشاً كقولك الميتة أطيب من المغصوب وأحل منه وقرئ أطهر بالنصب على الحال على أن هن خبر
بناتي كقولك هذا أخي هو وليس فصلاً فإنه لا يقع بين الحال وصاحبها • فاتقوا الله • بترك الفواحش
أو بإيثارهن عليهم • ولا تخزون • ولا تفضحوني من الخزي أو ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء
في ضيفي • في شأنهم فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاؤه • أليس منكم رجل رشيد • يهتدي إلى
الحق ويرعوي عن القبيح • قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق • من حاجة • وإنك لتعلم
ما نريد • وهو إتيان الذكران • قال لو أن لي بكم قوة • لو قويت بنفسي على دفعكم • أو آوي
إلى ركن شديد • إلى قوي أتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلعم رحم الله أخي
لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد وقرئ أو آوي بالنصب بإضمار أن كأنه قال لو أن لي بكم قوة
أو أوياً وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم
من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب • قالوا يا لوط إنا
رسل ربك لن يصلوا إليك • لن يصلوا إلى إضرارك بإضرارنا فهون عليك ودعنا وإياهم
فخلاهم أن يدخلوا فضرب جبرئيل بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون النجاء
النجاء فإن في بيت لوط سحرة • فأسر بأهلك • بالقطع من الإسراء وقرأ ابن كثير ونافع
بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى • بقطع من الليل • بطائفة منه • ولا يلتفت منكم أحد
ولا يتخلف أو لا ينظر إلى ورائه والنهي في اللفظ لأحد وفي المعنى للوط • إلا امرأتك • استثناء
من قوله فأسر بأهلك ويدل عليه أنه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك وهذا إنما يصح
على تأويل الالتفات بالتخلف فإنه إن فسر بالنظر إلى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير
وأبي عمرو بالرفع على البدل من أحد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في أنه خلفها مع قومها
أو أخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها لأن القواطع
لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والأولى جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله لا يلتفت
مثله في قوله ما فعلوه إلا قليل ولا يبعد أن يكون أكثر القراء على غير الأفصح ولا يلزم من ذلك
أمرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحاً ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله
إنه مصيبها ما أصابهم • ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعاً على قراءة الرفع • إن موعدهم الصبح
كأنه علة الأمر بالإسراء • أليس الصبح بقريب • جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب
فلما جاء أمرنا • عذابنا أو أمرنا به ويؤيده الأصل وجعل التعذيب مسبباً عنه بقوله • جعلنا عاليها
سافلها • فإنه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها أي الملائكة المأمورون به فأسند إلى
نفسه من حيث إنه المسبب تعظيماً للأمر فإنه روي أن جبرئيل عم أدخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها
إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم • وأمطرنا عليها
على المدن أو على شذاذها • حجارة من سجيل • من طين • متحجر كقوله حجارة من طين وأصله سنك كيل

سنك كيل فعرب وقيل إنه من أسجله إذا أرسله أو أدر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل أو مثل العطية
في الإدرار أو من السجل أي مما كتب الله أن يعذبهم به وقيل أصله من سجين أي من جهنم فأبدلت لامه
نوناً • منضود • نضد معداً لعذابهم أو نضد في الإرسال يتابع بعضه بعضاً كقطار الأمطار
أو نضد بعضه على بعض وألصق به • مسومة • معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة أو بسيما
تتميز به عن حجارة الأرض أو باسم من يرمى به • عند ربك • في خزائنه • وما هي من الظالمين
ببعيد • فإنهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه صلعم أنه سأل جبرئيل فقال
يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل
الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في أسفارهم إلى الشام وتذكير البعيد
على تأويل الحجر أو المكان • وإلى مدين أخاهم شعيباً • أراد أولاد مدين بن إبراهيم عم
أو أهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه • قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا
المكيال والميزان • أمرهم بالتوحيد أولاً فإنه ملاك الأمر ثم نهاهم عما اعتادوه من
البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض • إني أراكم بخير • بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة
حقها أن تتفضلوا على الناس شكراً عليها لا أن تنقصوا حقوقهم أو بسعة فلا تزيلوها بما أنتم
عليه وهو في الجملة علة النهي • وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط • لا يشذ منه أحد منكم
وقيل عذاب مهلك من قوله وأحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة أو عذاب الاستيصال
وتوصيف اليوم بالإحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه • ويا قوم أوفوا المكيال والميزان
صرح الأمر بالإيفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيهاً على أنه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل
يلزمهم السعي في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها • بالقسط • بالعدل والسوية من غير زيادة
ونقصان فإن الازدياد إيفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظوراً • ولا تبخسوا الناس
أشياءهم • تعميم بعد تخصيص فإنه أعم من أن يكون في المقدار أو في غيره وكذا قوله • ولا تعثوا في الأرض
مفسدين • فإن العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كأخذ
العشور في المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال إخراج ما يقصد به
الإصلاح كما فعله الخضر عم وقيل معناه ولا تعثوا في الأرض مفسدين أمر دينكم ومصالح آخرتكم
بقية الله • ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم • خير لكم مما تجمعون • بالتطفيف
إن كنتم مؤمنين • بشرط أن تؤمنوا فإن خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط
بالإيمان أو إن كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات
وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي • وما أنا عليكم بحفيظ • أحفظكم عن القبائح
أو أحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم عليها وإنما أنا ناصح مبلغ وقد أعذرت حين أنذرت أو لست
بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم • قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك
ما يعبد آباؤنا • من الأصنام أجابوا به أمرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلاته والإشعار
بأن مثله لا يدعو إليه داع عقلي وإنما دعاك إليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه

وكان كثير الصلاة ولذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى أصلواتك تأمرك بتكليف أن نترك فحذف المضاف لأن الرجل لا يؤمر بفعل غيره أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء عطف على ما أي وأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا وقرئ بالتاء فيهما على أن العطف على أن نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والأمر بالإيفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك إنك لأنت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك أو عللوا إنكار ما سمعوا منه واستبعاده بأنه الموسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة إلى أمثال ذلك قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي إشارة إلى ما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا إشارة إلى ما آتاه من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه أخالفه في أمره ونهيه وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله أي من عنده وبإعانته بلا كد مني في تحصيله وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أي وما أريد أن آتي ما أنهاكم عنه لأستبد به فلو كان صوابا لآثرته ولم أعرض عنه فضلا عن أن أنهى عنه يقال خالفت زيدا إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه إذا كان الأمر بالعكس إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ما أريد إلا أن أصلحكم بأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت أستطيع الإصلاح فلو وجدت الصلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الأجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلثة أهمها وأعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي أن آمركم بما أمرتكم به وأنهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الإصلاح أي المقدار الذي استطعته أو إصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي إلا بالله وما توفيقي لإصابة الحق والصواب إلا بهدايته ومعونته عليه توكلت فإنه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ وإليه أنيب إشارة إلى معرفة المعاد وهو أيضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لإصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله والاستعانة به في مجامع أمره والإقبال عليه بشراشره وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع إلى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الرجفة وأن بصلتها ثاني مفعولي جرم فإنه يعدى إلى واحد وإلى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي إلى مفعول واحد والأول أفصح لأن أجرم أقل دورانا على ألسنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لإضافته إلى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم

بهم أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما أصابهم وإفراد البعيد لأن المراد وما أهلكهم أو وما هم بشيء بعيد ولا يبعد أن يسوى في أمثاله بين المذكر والمؤنث لأنها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه عما أنتم عليه إن ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الإصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه أو لأنهم لم يلقوا إليه أذهانهم لشدة نفرتهم عنه وإنا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك سوءا أو مهينا لا عز لك وقيل أعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الأعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فإن الرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة لرجمناك لقتلناك برمي الأحجار أو بأصعب وجه وما أنت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي إيلاء ضميره حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة وأن المانع لهم عن إيذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به والإهانة برسوله فلا تبقون علي لرهطي وهو يحتمل الإنكار والتوبيخ والرد والتكذيب والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب إن ربي بما تعملون محيط فلا يخفى شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الأنعام والفاء في فسوف تعلمون ثم للتصريح بأن الإصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لأنه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو أبلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لأنه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لأنهم لما أوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الأول إليهم والثاني إليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما أقول لكم إني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا إنما ذكره بالواو كما في قصة عاد إذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فإنه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله إن موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية وأخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فأصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين وأصل الجثوم اللزوم في المكان كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضا بالصيحة غير أن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت

من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الأصل فإن الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك
والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور. ولقد أرسلنا موسى بآياتنا بالتوراة أو المعجزات
وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة أو العصا وإفرادها بالذكر لأنها أبهرها ويجوز
أن يراد بهما واحد أي ولقد أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا
في نفسه أو موضحا إياها فإن أبان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما أن الآية تعم الأمارة
والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص ما فيه جلاء. إلى فرعون وملئه فاتبعوا
أمر فرعون فاتبعوا أمره بالكفر بموسى أو فما اتبعوا موسى الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات
القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي إلى ما لا يخفى
فساده على من له أدنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم. وما أمر فرعون
برشيد مرشد أو ذي رشد وإنما هو غي محض وضلال صريح. يقدم قومه يوم القيمة
إلى النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم. فأوردهم النار
ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحققه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى إتيانها موردا ثم قال
وبئس الورد المورود أي بئس المورد الذي وردوه فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطش
والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما أمر فرعون برشيد فإن من هذا عاقبته لم يكن في أمره
رشد أو تفسير له على أن المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها. وأتبعوا في هذه
الدنيا لعنة ويوم القيمة أي يلعنون في الدنيا والآخرة. بئس الرفد المرفود بئس العون
المعان أو العطاء المعطى وأصل الرفد ما يضاف إلى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف أي
رفدهم وهو اللعنة في الدارين. ذلك أي ذلك النبأ. من أنباء القرى المهلكة
نقصه عليك مقصوص عليك. منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم. وحصيد
ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح إذ لا
واو ولا ضمير. وما ظلمناهم بإهلاكنا إياهم. ولكن ظلموا أنفسهم بأن عرضوها له بارتكاب
ما يوجبه. فما أغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم. آلهتهم التي يدعون من دون
الله من شيء لما جاء أمر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته. وما زادوهم غير تتبيب هلاك
أو تخسير. وكذلك ومثل ذلك الأخذ. أخذ ربك وقرئ أخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون
محل الكاف النصب على المصدر. إذا أخذ القرى أي أهلها وقرئ إذ لأن المعنى على المضي
وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامه أجريت عليها وفائدتها
الإشعار بأنهم أخذوا بظلمهم وإنذار كل ظالم ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة. إن أخذه أليم
شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير. إن في ذلك أي فيما نزل
بالأمم الهالكة أو فيما قصه الله من قصصهم. لآية لعبرة. لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به
عظة لعلمه بأن ما حاق بهم أنموذج مما أعده الله للمجرمين في الآخرة أو ينزجر به عن موجباته لعلمه
بأنه من إله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فإن من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم لم يقل

لم يقل بأنه من فعل المختار وجعل تلك الوقائع لأسباب فلكية اتفقت في تلك الأيام لا لذنوب المهلكين بها
ذلك إشارة إلى يوم القيمة وعذاب الآخرة دل عليه. يوم مجموع له الناس أي يجمع
له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه من شأنه لا محالة وأن الناس لا ينفكون
عنه فهو أبلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة
وذلك يوم مشهود أي مشهود فيه أهل السموات والأرضين فاتسع فيه بإجراء الظرف
مجرى المفعول به كقوله: في محفل من نواصي الناس مشهود. أي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم
مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فإن سائر الأيام كذلك. وما نؤخره
أي اليوم. إلا لأجل معدود إلا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف
وإرادة مدة التأجيل كلها بالأجل لا منتهاها فإنه غير معدود. يوم يأت أي الجزاء أو اليوم
كقوله أن تأتيهم الساعة على أن يوم بمعنى حين أو الله عز وجل كقوله هل ينظرون إلا أن
يأتيهم الله ونحوه. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة
لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل
نصبه بإضمار اذكر أو بالانتهاء المحذوف. إلا بإذنه إلا بإذن الله كقوله لا يتكلمون
إلا من أذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
في موقف آخر أو المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الأعذار الباطلة.
فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد. وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير
لأهل الموقف وإن لم يذكر لأنه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس أو للناس. فأما الذين
شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير إخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في
أول النهيق وآخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت
الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم. خالدين
فيها ما دامت السموات والأرض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فإن النصوص
دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب
يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم أيضا من زوال السموات والأرض
زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه إلا من قبيل المفهوم لأن دوامهما كالملزوم لدوامه وقد
عرفت أن المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وأرضها ويدل عليه قوله
يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وأن أهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لأنه
تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فإنما يعرفه بما يدل على دوام
الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه. إلا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار
لأن بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لأن زوال
الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فإنهم مفارقون عن الجنة
أيام عذابهم فإن التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وإن شقوا بعصيانهم

ينتقض باعتبار الابتداء صح

فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه
ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او
مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا تخلو عن السعادة
والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون
منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة
كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان
توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين يأتي اليوم او مدة لبثهم
في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء
من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك
على الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة
بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا
ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ
غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب
ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد وقرأ حمزة والكسائي و
حفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر
المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعد ما انزل اليك
من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل
ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع
ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استيناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم واباؤهم
سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادة ابائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه
من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي
التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم
حظهم من العذاب كاباءهم او من الرزق فيكون عذرا لتأخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه
غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه
ولو مجازا ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء
في القران ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم
بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القران
مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين
بدل المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل
لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس
وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت

فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلث ميمات فحذفت اوليهن والمعنى لمن الذين يوفيهم
ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية
ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت
لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة
مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل
مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف
العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال
شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي من تاب من الشرك والكفر وامن معك وهو
عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا
عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل
على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين
ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته
فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك
بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك
فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلعم ومن معه
من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي
افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة
تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب
عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم به ولا يبقي
عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا
منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج
ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف
لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه
وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة
العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ
زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن
السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر
وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلعم فقال اني قد اصبت من امراة غير اني لم اتها فنزلت
ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القران ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين
واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدل عن المضمر
ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما

دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الراي والعقل
او اولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي
من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب
ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض
الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا
جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات
واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه
اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى
وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا
عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اي
واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان تفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم
فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم
الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان
من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على
الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله
فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس
فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة
وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اي من عصاتهما
اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به
ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة
يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب
على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل
وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى
للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم
على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم
نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه
يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول
فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع
العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه وقرأ نافع وحفص

وحفص وابن عامر بالتاء هنا وفي آخر النمل عن رسول الله صلعم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم
وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى

سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك
الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز والواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها
من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل
آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا
سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض ثم صار علما للكل بالغلبة ونصبه
على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له
او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه
الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا
ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص
احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم
والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا
بايحائنا اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب
على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك
قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف
بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري
ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول
او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
وعنه عم الكريم ابن الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء
في الوقف ابن كثير وابن عامر ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر
في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز
يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة
بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب
تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله
هذا تأويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلعم
فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك

هل تعلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح
والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء
وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رأيتهم لي ساجدين استيناف
لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم
قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثنتي عشرة سنة وقرأ
حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا
فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على
اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق
بينهما بحرفي التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس
المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها
من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة
تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة
لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت
اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر
وعلله بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا
يألو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك
لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك
او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ
خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تأويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها
احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من
تأويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل
اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل
يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب ونسله كما اتمها
على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من
الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان
لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان
في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك
وقرأ ابن كثير آية للسائلين لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم
يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا
تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل
جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من

سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه
بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد
وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف
ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة
والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين
لتفضيله المفضول ولترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان
اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم
على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا
من قال لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الآخرون او اطرحوه ارضا
منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة
يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت
عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان
من بعده من بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله
عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم
فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل
روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبوبته
عن عين الناظر وقرأ نافع غيابات في الموضعين على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ
غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون
في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه
قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق
عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور
تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين
وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحراء نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة
وهي الخصب ونلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين بالنون
على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ يعقوب والكوفيون بالياء
والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب
بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به
لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة
وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير
ونافع في رواية وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح
اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم

بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون
ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا
به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر
بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف
مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه
ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه
فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا
به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا
والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى
الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبرئيل بالوحي كما قال واوحينا اليه
وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى وفي
القصص ان ابراهيم حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه
فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبرئيل والبسه اياه
لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك
وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين
دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه
وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء
آخر النهار وقرئ عشيا تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون
متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين
لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى
مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي
جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار
الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي
فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقدمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف
صاح وسال عن قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت
كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم
امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل
اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق
والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت

كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا
قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من القائه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء
ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملأها فتدلى
بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه
قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي
بالاضافة وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشري
بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف واسروه اي الوارد واصحابه
من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة
يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا
الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه من اخوته وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة
نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله
عليم بما يعملون بما يصنعون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف باخيهم وابيهم
وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه
او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية
ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف
من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا
بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا
مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي
فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي
اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ
ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حيوته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة
بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل
خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله
ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين
سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل
عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا لامراته راعيل او زليخا
اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا
واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد
ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين
استخلف عمر رضي الله عنهما وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما
مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف

على مصر لنقدره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه أي كان القصد في إنجائه وتمكينه إلى أن يقيم العدل
ويدبر أمور الناس ويعلم معاني كتب الله وأحكامه فينفذها أو يعبر المنامات المنبهة على
الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل أن تحل كما فعل لسنيه والله غالب على أمره
لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء أو على أمر يوسف أراد به إخوة يوسف شيئا وأراد الله
غيره فلم يكن إلا ما أراده ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيده أو لطائف صنعه
وخفايا لطفه ولما بلغ أشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين
والأربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل
أو حكما بين الناس وعلما يعني علم تأويل الأحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على أنه
تعالى إنما آتاه ذلك جزاء على إحسانه في عمله واتقائه في عنفوان أمره وراودته التي هو في بيتها
عن نفسه طلبت منه وتمحلت أن يواقعها من راد يرود إذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد
وغلقت الأبواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير أو للمبالغة في الإيثاق وقالت
هيت لك أي أقبل وبادر أو تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأين واللام
للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بضم التاء وفتح الهاء تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر
برواية ابن ذكوان بفتح التاء وكسر الهاء من غير همز كعيط وهو لغة فيه وقرأ هشام كذلك إلا أنه
يهمز وقد روي عنه ضم التاء وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء إذا تهيأ وقرئ هيئت
وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله أعوذ بالله معاذا إنه إن الشأن ربي أحسن
مثواي سيدي قطفير أحسن تعهدي إذ قال لك في أكرمي مثواه فما جزاؤه أن أخونه في أهله
وقيل الضمير لله أي إنه خالقي وأحسن منزلتي بأن عطف علي قلبه فلا أعصيه إنه لا يفلح الظالمون
المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فإن الزنا ظلم على الزاني والمزني بأهله ولقد همت به
وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو
الذي إذا هم بشيء أمضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري
وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل
عند قيام هذا الهم أو مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم أخف الله لولا أن رأى برهان ربه
في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز أن يجعل وهم بها
جواب لولا فإنها في حكم أدوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل
عليه وقيل رأى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على أنامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف أنت
مكتوب في الأنبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو الأمر مثل
ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا إنه من عبادنا المخلصين
الذين أخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن
إذا كان في أوله ألف ولام أي الذين أخلصوا دينهم لله واستبقا الباب أي تسابقا
إلى الباب فحذف الجار أو ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك أن يوسف فر منها ليخرج وأسرعت

وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد
الشق طولا والقط الشق عرضا وألفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء
من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم إيهاما بأنها فرت منه تبرئة لساحتها عند
زوجها وتغييره على يوسف وإغراءه به انتقاما منه وما نافية أو استفهامية بمعنى أي شيء جزاؤه
إلا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمؤاتاة وإنما قال ذلك دفعا لما عرضته
له من السجن أو العذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من أهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال
لها صبيا في المهد وعن النبي صلعم تكلم أربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب
جريج وعيسى م إنما ألقى الله الشهادة على لسان أهلها لتكون ألزم عليها إن كان قميصه قد من قبل
فصدقت وهو من الكاذبين لأنه يدل على أنها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها أو
أنه أسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين
لأنه يدل على أنها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على إرادة القول وعلى أن
فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لأنها أدت مؤداها والجمع بين إن وكان على تأويل
أن يعلم أنه كان ونحوه ونظيره قولك إن أحسنت إلي فقد أحسنت إليك من قبل فإن معناه إن تمنن
علي بإحسانك أمنن عليك بإحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لأنهما قطعا عن الإضافة
كقبل وبعد وبالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما رأى قميصه
قد من دبر قال إنه إن قولك ما جزاء من أراد بأهلك سوءا أو أن السوء أو أن هذا الأمر
من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولأمثالها أو لسائر النساء إن كيدكن عظيم
فإن كيد النساء ألطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا في النفس ولأنهن يواجهن به الرجال والشيطان
يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث أعرض عن هذا
اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل إنك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين
من خطئ إذا أذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار
غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال أي أشعن الحكاية
في مصر أو صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب
امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها إياها والعزيز بلسان العرب الملك
وأصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه
حتى وصل إلى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير إذا هنأه
بالقطران فأحرقه إنا لنراها في ضلال مبين عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن
باغتيابهن وإنما سماه مكرا لأنهن أخفينه كما يخفي الماكر مكره أو قلن ذلك لتريهن يوسف
أو لأنها استكتمتهن سرها فأفشينه عليها أرسلت إليهن تدعوهن قيل دعت أربعين
امرأة فيهن الخمس وأعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة
منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بأيديهن فإذا خرج عليهن بهتن وشغلن عن نفوسهن

فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده
على اربعين امراة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون
للطعام والشراب تترفا ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله
وقيل المتكأ طعام يحز حزا كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء
باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكأ
من تكئ يتكأ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق
وعن النبي صلعم رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران
وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر
او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال
ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط
الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا
كما قراه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء
فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى
براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو
الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال
غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع
على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق
والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه
الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه في الافتتان
به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه
فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا
للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره
اي ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين
الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن
وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها
بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي
آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذاك مما تكرهه
واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى
انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك
رد رسول الله صلعم على من كان يسأل الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن
في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى

او الى انفسهن بالطبع ومقتضى الشهوة في الصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها
وتميل اليها وقرئ اصب اليهن من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء
بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال
سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه
كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان
انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا
الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي
وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه
حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب
الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على
التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن
واتفق انه ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان
يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني اي في المنام وهي حكاية حال ماضية
اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي
خبزا تاكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرؤيا
او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما راياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين
الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما رايناه ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما
بتاويله اي بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل
كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سالا منه كما هو
طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار
بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما اي ذلك التاويل مما علمني
ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم
بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي
ابرهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدا لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما
في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير
للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معاشر الانبياء ان
نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس
وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون
هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات
ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن
اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ارباب

متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار
الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما
من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار
اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة
والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما
تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه
الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه عليهم السلام ان لا تعبدوا
الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم
وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على
طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة
اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم
الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في
جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى
ما كان عليه واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر
الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده
فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه
ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول
الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان
ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار
ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله صلعم رحم الله اخي يوسف
لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف
الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين
البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان
ياكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات
مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات
وسبع اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى
عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها
ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه
عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي
عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور
الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا

الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر
عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمين تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه
قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام
وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة
وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة
وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها
تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة فهو كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم
بتاويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف
بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه
بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول
انا انبئكم بتاويله فارسلون اي الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق
فارسل الى يوسف فجاءه فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب
احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس
اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويلها
او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه
ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دابا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال
بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدابون دابا وتكون الجملة حالا وقرا حفص دأبا
بفتح الهمزة وكلاهما مصدر داب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة
لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا ياكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة
الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن
اي ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به
الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس
يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر من العنب والزيتون
لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرا حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على
بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم
بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم
بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين
مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم
ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد
ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعدما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول

ليخرجه ● قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ● انما تأنى في الخروج
وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد
ان يتوسل الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلعم
لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل
فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت
به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ● ان ربي بكيدهن عليم ● حين قلن لي
اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد
لهن على كيدهن ● قال ما خطبكن ● قال الملك لهن ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه
صاحبه ● اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ● تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف
مثله ● ما علمنا عليه من سوء ● من ذنب ● قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ● ثبت واستقر
من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال ● فحصحص في صم الصفا ثفناته ● وناء بسلمى نوأة ثم صمما
او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول ● انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين ● في قوله هي راودتني عن نفسي ● ذلك ليعلم ● قاله يوسف لما
عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز ● اني لم اخنه بالغيب ● بظهر
الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف
اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة ● وان الله لا يهدي كيد الخائنين ●
لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه
تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله ● وما ابرئ نفسي ●
اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه
من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضه انه لما قال ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين
هممت فقال ذلك ● ان النفس لامارة بالسوء ● من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها
وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات ● الا ما رحم ربي ● الا وقت رحمة ربي او الا
ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف
الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع
بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ● ان ربي غفور رحيم ● يغفر هم النفس ويرحم
من شاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه
وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي ● اجعله خالصا لنفسي ● فلما كلمه ● اي فلما اتوا به
فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء ● قال انك اليوم لدينا مكين ● ذو مكانة ومنزلة
امين ● مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم
عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا

وفي بعض النسخ فحص حالهن وهو الظاهر
وفي بعضها فحص حاله وله وجه ايضا لان
التفحص عن حالهن تفحص عن حاله

فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات
والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي
فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افراثيم وميشا ● قال اجعلني
على خزائن الارض ● ولني امرها والارض ارض مصر ● اني حفيظ ● لها ممن لا يستحقها ●
عليم ● بوجوه التصرف فيها ولعله عم لما رأى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما يعم فوائده ويجل
عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم
انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده
وكذلك مكنا ليوسف في الارض ● ارض مصر ● يتبوأ منها حيث يشاء ● ينزل من بلادها حيث
يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون ● نصيب برحمتنا من نشاء ● في الدنيا والآخرة ● ولا نضيع
اجر المحسنين ● بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا ● ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا
يتقون ● الشرك والفواحش لعظمه ودوامه ● وجاء اخوة يوسف ● روي انه لما استوزره
الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم
القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباعهم اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق
معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم
جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأي رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب
كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة ● فدخلوا عليه فعرفهم
وهم له منكرون ● اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة
ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم
في حلاه من التهيب والاستعظام ● ولما جهزهم بجهازهم ● اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم
بما جاؤا له والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى
وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر ● قال ائتوني باخ لكم من ابيكم ●
روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد
وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية
فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك
قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني
باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفس حملا فسألوا
حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم ● الا ترون اني
اوفي الكيل ● اتمه ● وانا خير المنزلين ● للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم
فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ● اي لا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما
نهي او نفي معطوف على الجزاء ● قالوا سنراود عنه اباه ● سنجتهد في طلبه من ابيه ● وانا لفاعلون ●
ذلك لا نتوانى فيه ● وقال لفتيته ● لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص

لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله • اجعلوا بضاعتهم في رحالهم • فانه وكل بكل رحل واحدا
يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا
وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به
لعلهم يعرفونها • لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها • اذا انقلبوا الى اهلهم • وفتحوا اوعيتهم
لعلهم يرجعون • لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع • فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا
منع منا الكيل • حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين • فارسل معنا اخانا نكتل • نرفع المانع
من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه
فينضم اكتياله الى اكتيالنا • وانا له لحافظون • عن ان يناله مكروه • قال هل آمنكم عليه الا
كما امنتكم على اخيه من قبل • وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون • فالله خير حافظا • فاتوكل عليه
وافوض امري اليه • وهو ارحم الراحمين • فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب
حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا
وقرئ خير حافظ وخير الحافظين • ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم
وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل • قالوا يا ابانا ما نبغي
ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب
وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على
الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا • هذه بضاعتنا
ردت الينا • استيناف موضح لقوله ما نبغي • ونمير اهلنا • معطوف على محذوف اي ردت
الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك • ونحفظ اخانا • من المخاوف في ذهابنا
وايابنا • ونزداد كيل بعير • وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما
اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا
ونحفظ اخانا • ذلك كيل يسير • اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه
بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه بكيال اخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك
شيء يسير لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء
يسير لا يخاطر لمثله بالولد • قال لن ارسله معكم • اذ رايت منكم ما رايت • حتى تؤتون موثقا
من الله • حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله • لتأتنني به • جواب
القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به • الا ان يحاط بكم • الا ان تغلبوا فلا تطيقوا
ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتنني به على
كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تأويل النفي اي لا تمتنعون
من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك • فلما
آتوه موثقهم • عهدهم • قال الله على ما نقول • من طلب الموثق واتيانه • وكيل • رقيب مطلع
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة • لانهم كانوا ذوي جمال

جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة
واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان
الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله صلعم في عوذته
اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة وعين لامة • وما اغني عنكم من الله
من شيء • مما قضي عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر • ان الحكم الا لله • يصيبكم
لا محالة ان قضي عليكم سوءا ولا ينفعكم ذلك • عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون • جمع بين
الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة
السبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم • ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم • اي
من ابواب متفرقة في البلد • ما كان يغني عنهم • راي يعقوب واتباعهم له • من الله من شيء
مما قضي عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت
المصيبة على يعقوب • الا حاجة في نفس يعقوب • استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه
يعني شفقته عليهم وحزازته من ان يعانوا • قضاها • اظهرها ووصى بها • وانه لذو علم
لما علمناه • بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره
ولكن اكثر الناس لا يعلمون • سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر • ولما دخلوا على يوسف
آوى اليه اخاه • ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى
وبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم
قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون
اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل • قال
اني انا اخوك فلا تبتئس • فلا تحزن افتعال من البؤس • بما كانوا يعملون • في حقنا
فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية • المشربة • في رحل اخيه • قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال
به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل
على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا • ثم اذن مؤذن • نادى مناد • ايتها العير
انكم لسارقون • لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبية السقاية والنداء عليها برضى بنيامين
وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل
التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله صلعم يا خيل الله اركبي وقيل
جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة
قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون • اي شيء ضاع منكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث
لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا • قالوا نفقد صواع الملك
وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة • ولمن جاء به حمل بعير
من الطعام جعلا له • وانا به زعيم • كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان
الجعل قبل تمام العمل • قالوا تالله • قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله • لقد علمتم

ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم لما عرفوا منهم
في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط أمانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم
وكعم الدواب لئلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السرق
أو الصواع على حذف المضاف إن كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد
في رحله فهو جزاؤه أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب
وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم وإلزام له أو خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط أو جواب لها على
أنها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على إقامة الظاهر فيها مقام الضمير كأنه قيل جزاؤه من وجد
في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ بأوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل
يوسف لأنهم ردوا إلى مصر قبل وعاء أخيه بنيامين نفياً للتهمة ثم استخرجها أي السقاية
أو الصواع لأنه يذكر ويؤنث من وعاء أخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل
ذلك الكيد كدنا ليوسف بأن علمناه إياه وأوحينا به إليه ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك
ملك مصر لأن دينه الضرب وتغريم ضعف ما أخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد إلا أن يشاء
الله أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من أعم الأحوال ويجوز أن يكون منقطعاً أي
لكن أخذه بمشيئة الله وإذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وقرأ عاصم وحمزة
والكسائي بإثبات التنوين وفوق كل ذي علم عليم أرفع درجة منه واحتج به من زعم أنه تعالى
عالم بذاته إذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو أعلم منه والجواب أن المراد كل ذي علم من الخلق
لأن الكلام فيهم ولأن العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولأنه لا فرق
بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا إن يسرق بنيامين فقد
سرق أخ له من قبل يعنون به يوسف قيل ورثت عمته من أبيها منطقة إبراهيم وكانت تحضن يوسف
وتحبه فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم أظهرت ضياعها
فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت أحق به في حكمهم وقيل كان لأبي أمه صنم فسرقه
وكسره وألقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق أو دجاجة فأعطى السائل فأسرها
يوسف في نفسه ولم يبدها لهم أكنها ولم يظهرها لهم والضمير للإجابة أو المقالة أو نسبة
السرقة إليه وقيل إنها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله قال أنتم شر مكاناً فإنه بدل
من أسرها والمعنى قال في نفسه أنتم شر مكاناً أي منزلة في السرقة لسرقتكم أخاكم أو في سوء
الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة أو الجملة وفيه نظر إذ المفسر بالجملة لا يكون إلا
ضمير الشأن والله أعلم بما تصفون وهو يعلم أن الأمر ليس كما تصفون قالوا يا أيها
العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً في السن أو القدر ذكروا له حاله استعطافاً له عليه فخذ أحدنا
مكانه بدله فإن أباه ثكلان على أخيه الهالك مستأنس به إنا نراك من المحسنين
إلينا فأتمم إحسانك أو من المتعودين الإحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله
أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده فإن أخذ غيره ظلم على فتواكم فلو أخذنا أحدكم مكانه

أحدكم مكانه إنا إذا لظالمون في مذهبكم هذا وإن مراده أن الله أذن في أخذ من وجد
الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو أخذت غيره كنت ظالماً فلما استيأسوا منه يئسوا
من يوسف وإجابته إياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزي استايسوا بالألف
وفتح الياء من غير همز وإذا وقف حمزة ألقى حركة الهمزة على الياء على أصله خلصوا انفردوا
واعتزلوا نجياً متناجين وإنما وحده لأنه مصدر أو بزنته كما قيل هم صديق وجمعه أنجية
كندي وأندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل أو في الرأي وهو شمعون وقيل يهوذا ألم تعلموا
أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله عهداً وثيقاً وإنما جعل حلفهم بالله موثقاً منه
لأنه بإذن منه وتأكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شأنه
وما مزيدة ويجوز أن تكون مصدرية في موقع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل
بين العاطف والمعطوف بالظرف أو على اسم أن وخبره في يوسف أو من قبل أو الرفع بالابتداء
والخبر من قبل وفيه نظر لأن قبل إذا كان خبراً أو صلة لا يقطع عن الإضافة حتى لا ينقص وأن تكون
موصولة أي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية ومحله ما تقدم فلن أبرح الأرض
فلن أفارق أرض مصر حتى يأذن لي أبي في الرجوع إليه أو يحكم الله لي أو يقضي لي بالخروج
منها أو بخلاص أخي منهم أو بالمقاتلة معهم لتخليصه روي أنهم كلموا العزيز في إطلاقه فقال روبيل
أيها الملك والله لتتركنا أو لأصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من
ثيابه فقال يوسف لابنه قم إلى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فمسه الآخر ذهب
غضبه فقال روبيل من هذا إن في هذا البلد لبذراً من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين
لأن حكمه لا يكون إلا بالحق ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق على ما شاهدناه من ظاهر
الأمر وقرئ سُرِّق أي نسب إلى السرقة وما شهدنا عليه إلا بما علمنا بأن رأينا أن
الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري أنه
سرق أو سُرِّق ودس الصاع في رحله أو ما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين أعطيناك الموثق
أنه سيسرق أو أنك تصاب به كما أصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها يعنون مصر
أو قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى أرسل إلى أهلها واسألهم عن القصة والعير التي
أقبلنا فيها وأصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وإنا لصادقون تأكيد في محل القسم
قال بل سولت أي فلما رجعوا إلى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم قال بل سولت أي زينت و
سهلت لكم أنفسكم أمراً أردتموه فقررتموه وإلا فما أدرى الملك أن السارق يؤخذ
بسرقته فصبر جميل أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أجمل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً بيوسف
وبنيامين وأخيهما الذي توقف بمصر إنه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها
وتولى عنهم وأعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا أسفى على يوسف أي يا أسفي
تعال فهذا أوانك والأسف أشد الحزن والحسرة والألف بدل من ياء المتكلم وإنما تأسف
على يوسف دون أخويه والحادث رزؤهما لأن رزأه كان قاعدة المصيبات وكان

غصًّا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحيوتهما دون حيوته وفي الحديث لم تعط امة
من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه
ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان
العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف
والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد
ولقد بكى رسول الله صلعم على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط
الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له
في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول لقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى
فاعل لقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه
قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله
فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي لانه لا يلتبس بالاثبات
فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك
وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت
بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال
انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم
ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع
الملتجي اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل رأى
ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته
سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا من حالهما والتحسس طلب الاحساس
ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي
يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان
العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعدما رجعوا
الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة رديئة او قليلة
ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل
صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتمم
لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها
واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تخص نبينا عليه وعليهم الصلوة والسلام ان الله
يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عم في القصر هذه صدقة
تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله قال هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى
كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه وعاقبته وانما

وانما قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة
وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد
يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا
طياشين قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأه
ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه
وقيل رفع التاج عن راسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب
مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشانه وادخالا له
في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر على
البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع
الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك
علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شأننا انا كنا مذنبين
بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش
للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب
او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او
بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين
فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه
وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان
اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم اذهبوا
بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه
على وجه ابي يات بصيرا يرجع بصيرا اي ذا بصر واتوني انتم وابي باهلكم اجمعين
بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال ابوهم
لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل اليه يهوذا
من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم
ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني
او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك
عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف والاكثار من ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير
يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه
طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه
من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال الفرج
وقيل اني اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا

ورواء بالضم حسن المنظر صحاح

يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له
المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلوة الليل او
الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو
المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن
وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام وقال ان الله قد اجاب دعوتك في
ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل
استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه
واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا
وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية
والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة
الاب في قوله واله آبائك ابرهيم واسمعيل او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما
وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول
المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على
العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا
لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم
لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل رايتها ايام الصبي
قد جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا
عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد
ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها
وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه
مشيته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء
في وقته على وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه في خزائنه فلما ادخله خزانة القرطاس
قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال
او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه فاسأله فقال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف
ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر
وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل
فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى براسه
انت وليي ناصري ومتولي امري في الدنيا والاخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما
توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة
روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن في الشام الى جنب
ابيه فذهب به ودفنه ثم عاد وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك

الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال
فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر
ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له
من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب ذلك اشارة
الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول صلعم وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك
خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا
النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في
غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت
احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله تع
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت
في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء
او القرآن من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تع للعالمين عامة
وكاين من آية وكم من آية والمعنى وكاي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته
وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها
وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه
مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤن الارض وقرئ والارض
يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله
في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا
ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في
مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله
عقوبة تغشيهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد
ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة
غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعوا او على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني
عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من
قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء نوحي اليهم
كما اوحي اليك ويمتازوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي
في الحرف الثاني سورة الانبياء وحمزة والكسائي يميلانها على اصلهما هنا وفي النحل وفي الاول
من الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين
بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة

الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي أفلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها
خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون
حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان
من قبلهم امهلوا حتى أيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين
متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم
ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان
الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان
الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصرة وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس
ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب
على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير
الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف
وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا
جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان
يتأتى نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني
للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين
لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء وامتهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب
لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان
القرآن حديثا مفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء و
يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال
ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلعم علموا ارقاءكم
سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت
واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف فيها وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى
آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن والذي انزل اليك من ربك هو القرآن
كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع
بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه
حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ وخبر
ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب

او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد
برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام
المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لابد وان يكون بمخصص ليس بجسم
ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات
ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة
المستمرة على حد من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة
معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا
النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك
يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون
لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر
على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام
ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية
والتاء للتأنيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا
واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين
اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض
والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرأ
حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان
تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها
وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها
يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه
لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض
من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب
وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات
اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان
في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة
وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب
لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة
والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان
من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة

على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول
المواد لانواع تصرفاته ءاذا كنا ترابا انا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل
في اذا محذوف دل عليه انا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته
على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون
يوم القيمة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل
لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك
انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات
امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء
وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت
الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين
والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد
به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة
لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء
وعن النبي صلعم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه لعدم اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقتراحا
لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان
بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات
من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو
الله تع لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الايات ثم اردف ذلك ما يدل على كمال
علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تع قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه
بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم
بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله انه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة
والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى
مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك رح وسنتان عند ابي حنيفة رح روي ان الضحاك
ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة
واليه ذهب ابو حنيفة رح وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امراة ولدت بطونا في كل بطن خمسة
وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد وقال تع وازدادوا
تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما
لله او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه
بقدر فانه تع خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك

ذلك وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف
بالياء في هذه الاربعة الاحرف حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء
عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشان المتعال
المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول
في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب
بارز بالنهار يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى
الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب
بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب
معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان
بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف
والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة
على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر
يحفظونه من امر الله من باسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او
يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات
وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير
ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا
اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه
من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم
البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف
وطمع او بالتأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوي او
اطلاق المصدر بمعنى المفعول والفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه
وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه
اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون سبحان الله والحمد لله
او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تع وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن
ابن عباس رض الله عنهما سئل النبي صلعم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب
والملائكة من خيفته من خوف الله تع واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء
فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله صلعم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة
والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو
الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة
اخا لبيد وفدا على رسول الله صلعم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه
ليضربه بالسيف فتنبه له رسول الله صلعم فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتله

ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية
فنزلت • وهو شديد المحال • المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه
للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى
القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل
من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم
فساعد الله اشد وموساه احد • له دعوة الحق • الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد
او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجاب فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق
على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة
المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية
في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة
على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلعم بحلول محاله
بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول صلعم عليهم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم • والذين
يدعون • اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون
الاصنام فحذف المفعول لدلالة • من دونه • عليه • لا يستجيبون لهم بشيء • من الطلبات • الا كباسط
كفيه • الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه • الى الماء ليبلغ فاه • يطلب منه ان يبلغه • وما هو ببالغه
لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا
في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء
وباسط بالتنوين • وما دعاء الكافرين الا في ضلال • في ضياع وخسار وباطل • ولله يسجد من
في السموات والارض طوعا وكرها • يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون
من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة • وظلالهم
بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه
اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله • بالغدو والآصال
ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر
فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو
مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل • قل من رب السموات والارض
خالقهما ومتولي امرهما • قل الله • اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي
لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به • قل افاتخذتم من دونه • ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم
منكر بعيد عن مقتضى العقل • اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا • لا يقدرون على ان يجلبوا
اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان
على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم • قل هل يستوي الاعمى
والبصير • المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود

المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم • ام هل تستوي الظلمات والنور • الشرك
والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء • ام جعلوا لله شركاء • بل جعلوا والهمزة
للانكار وقوله • خلقوا كخلقه • صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار • فتشابه الخلق عليهم • خلق الله
وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا
كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما
يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق • قل الله خالق كل شيء • لا خالق غيره فيشاركه في العبادة
جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله • وهو الواحد
المتوحد بالالوهية • القهار • الغالب على كل شيء • انزل من السماء ماء • من السحاب او من جانب السماء
او من السماء نفسها فان المبادئ منها • فسالت اودية • انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل
الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع
• بقدرها • بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر • فاحتمل السيل زبدا
رفعه والزبد وضر الغليان • رابيا • عاليا • ومما يوقدون عليه في النار • يعم الفلزات كالذهب
والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه • ابتغاء حلية • طلب حلي
او متاع • كالاواني وآلات الحرث والحرب والمقصود من ذلك بيان منافعها • زبد مثله • اي
ومما يوقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او التبعيض وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به • كذلك يضرب الله الحق والباطل • مثل الحق
والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة
والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه
في عروق الارض الى العيون والقني والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ
الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين
ذلك بقوله • فاما الزبد فيذهب جفاء • يجفأ به اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه
على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد • واما ما ينفع الناس • كالماء وخلاصة الفلز • فيمكث
في الارض • ينتفع به اهلها • كذلك يضرب الله الامثال • لايضاح المشتبهات • للذين استجابوا
للمؤمنين الذين استجابوا • لربهم الحسنى • الاستجابة الحسنى • والذين لم يستجيبوا له • وهم الكفرة
واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا
خبر الحسنى وهي المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره • لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به • وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين • اولئك لهم سوء الحساب
وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء • ومأواهم • مرجعهم • جهنم وبئس المهاد
المستقر والمخصوص بالذم محذوف • افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق • فيستجيب • كمن هو اعمى
عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان تقع شبهة في تشابههما بعدما ضرب من المثل
• انما يتذكر اولو الالباب • ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم

الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أو ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما وأقاموا الصلوة المفروضة وأنفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الإساءة بالإحسان أو يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها أولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات إن رفعت بالابتداء وإن جعلت صفات لأولي الألباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الإقامة أي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وإنما ساغ للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة أو أن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم والتقييد بالصلاح دلالة على أن مجرد الأنساب لا تنفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم أو بمحذوف أي هذا بما صبرتم لا بالسلام فإن الخبر فاصل والباء للسببية أو البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها إلى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الأولين من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض بالظلم وتهييج الفتن أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم أو سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا أي أهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة إلا متاع إلا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى أنهم أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي إليه من أناب أقبل إلى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما أعظم عنادكم إن الله يضل من كان على صفتكم فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية ويهدي إليه من أناب بما جئت به بل بأدنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من أو خبر مبتدأ

محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله أنسا به واعتمادا عليه ورجاء منه أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعني القرآن الذي هو أقوى المعجزات ألا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن إليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني إرسال الرسل قبلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم تقدمتها أمم أرسلوا إليهم فليس ببدع إرسالك إليها لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم أنهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي أحاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه خصوصا ما أنعم عليهم بإرسالك إليهم وإنزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن قل هو ربي أي الرحمن خالقي ومتولي أمري لا إله إلا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم وإليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو أن قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن أو المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم أي ولو أن كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها أو قطعت به الأرض تصدعت من خشية الله عند قراءته أو شققت فجعلت أنهارا وعيونا أو كلم به الموتى فتقرأه أو فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لأنه الغاية في الإعجاز والنهاية في التذكير والإنذار أو لما آمنوا به كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية وقيل إن قريشا قالوا يا محمد إن سرك أن نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام أو ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فقطعت به الأرض قطعت بها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الأمر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو إضراب عما تضمنه لو من معنى النفي أي بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم إلى أن معناه أفلم يعلم لما روي أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا أفلم يتبين وهو تفسيره وإنما استعمل اليأس بمعنى العلم لأنه مسبب عن العلم بأن المأيوس عنه لا يكون ولذلك علقه بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فإن معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشية باهتدائهم وهو على الأول متعلق بمحذوف تقديره أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمانهم علما منهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا أو بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الأعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلعهم أو تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير إليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فإنهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلعم فإنه عم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف

وتخلف مواعيدهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول صلعم فانه حل بجيشه قريبا من دارهم
عام الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت او القيمة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع
الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلعم
ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم
فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت
من خير وشر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره
كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استيناف او عطف على كسبت ان جعل ما مصدرية او لم يوجد
وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم
تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة و
يستاهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ اتنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض
بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او لصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء
ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي
كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا
مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل
سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس
عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه
للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب
الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ
مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه
اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر
او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول
سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها
كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى
امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه
ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة
او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا
على رسول الله صلعم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما
من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله
ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده
وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة

الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف
اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه
بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم
المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه
حكما يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه
وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى
قبلتهم بعدما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق
ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد
ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي
لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي باية تقترح عليه وحكم يلتمس منه
الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد
على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل
يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء و
يترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات
ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب
اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك وكيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ
لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون
له وهذا طلائعه اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه
على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه
قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر
بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه
وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الاخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا
وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره
فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم
الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير
لمكر الله بهم واللام يدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما
عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين
كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا
قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي
ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز

او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي كفى بالذي يستحق
العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة
من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز
ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم على الحرف والبناء
للمفعول ● عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب
مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم مكية وايها احدى وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب ● اي هو كتاب ● انزلناه اليك لتخرج الناس ● بدعائك اياهم الى ما تضمنه
من الظلمات ● من انواع الضلال ● الى النور ● الى الهدى ● باذن ربهم ● بتوفيقه وتسهيله
مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله ● الى
صراط العزيز الحميد ● بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن يسأل عنه
واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل
سالكه ولا يخيب سابله ● الله الذي له ما في السموات وما في الارض ● على قراءة نافع
وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان
للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود بالحق ● وويل للكافرين من عذاب شديد ● وعيد لمن كفر
بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه
مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات ● الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة ●
يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ● ويصدون
عن سبيل الله ● بتعويق الناس عن الايمان وقرئ يُصِدون من اصده وهو منقول من صد
صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية ● ويبغونها عوجا ●
ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول
بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه وعلى انه مبتدأ خبره ● اولئك
في ضلال بعيد ● اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله
للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به بملابسته ● وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ●
الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ● ليبين لهم ● ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة
ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك
امر النبي صلعم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل
ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم
الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية
لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون

وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلعم وان الله تع انزل الكتب كلها بالعربية ثم
ترجمها جبرئيل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية
والانجيل ونحوهما لم تنزل ليبين للعرب ● فيضل الله من يشاء ● فيخذله عن الايمان ● ويهدي من يشاء ●
بالتوفيق له ● وهو العزيز ● فلا يغلب على مشيته ● الحكيم ● الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ● ولقد
ارسلنا موسى باياتنا ● يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ● ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ●
بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول وبان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر
فيصح ان يوصل بها ان الناصبة ● وذكرهم بايام الله ● بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة
وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ● ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ● يصبر على بلائه
ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب
عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان
المؤمن ● واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون ● اي اذكروا نعمته
وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت
بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال ● يسومونكم سوء العذاب
ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم ● احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب
ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح
ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة ● وفي ذلكم ● من حيث انه
باقدار الله اياهم وامهالهم فيه ● بلاء من ربكم عظيم ● ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء
والمراد بالبلاء النعمة ● واذ تأذن ربكم ● ايضا من كلام موسى ع م وتأذن بمعنى آذن كتوعد واوعد
غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة ● لئن شكرتم ● يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء
وغيره بالايمان والعمل الصالح ● لازيدنكم ● نعمة الى نعمة ● ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ● فلعلي
اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة
مفعول قول مقدر او مفعول تأذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه ● وقال موسى ان تكفروا انتم
ومن في الارض جميعا ● من الثقلين ● فان الله لغني ● عن شكركم ● حميد ● مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده
الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام
وعرضتموها للعذاب الشديد ● الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود ● من كلام موسى
او كلام مبتدأ من الله تع ● والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ● جملة وقعت اعتراضا او الذين
من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك
قال ابن مسعود رض كذب النسابون ● جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم ●
فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه
او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء عليهم السلام وامرا لهم باطباق الافواه
او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او

او ردوها في افواه انبيائهم يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي
بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع
في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا
كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا
بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء
قالت رسلهم أفي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه
لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار
الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف
يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني
على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام
يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين
الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث
جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن
المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا
بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا
لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فأتونا
بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم
لم يعتبروا ما جاؤوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم
ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا
الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنته عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح
بعض الجائزات على بعض بمشيئته تع وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله
اي ليس الينا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما
هو امر متعلق بمشيئة الله تع فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا
به انفسهم قصدا اوليا الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا
في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ
ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف
اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون
فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل
او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب

الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فأوحى اليهم ربهم اي الى الرسل
لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض
من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحي كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك
اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي
وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم
وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب وعذابي الموعود للكفار واستفتحوا سألوا من الله
الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم
سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار
عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى
الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي من
بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته
وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى
من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو
صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه
بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت
من كل مكان اي اسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول
شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ
اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل
الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل
الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم
صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم
التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم
وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به
وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم
نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق
الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها
اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا
من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك
اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن

حسبي الله ونعم
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بابرا... عنه
وكفى عبده ١٧٥

عن طريق الحق ألم تر خطاب للنبي صلعم والمراد امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرا حمزة والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا اخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدينا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي

بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرا حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتك وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتموني من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لادم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله سبحانه وتعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحيتهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتساب الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين وقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك

وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظل والكشوث
ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك ● يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ● الذي ثبت
بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم ● في الحيوة الدنيا ● فلا يزلون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى
عليهما السلام وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود ● وفي الآخرة ● فلا
يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة وروي انه عم
ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره
ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلعم
فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت ● ويضل الله الظالمين ● الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون
الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ● ويفعل الله ما يشاء ● من تثبيت بعض واضلال
آخرين من غير اعتراض عليه ● الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا ● اي شكر نعمته كفرا بان
وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين
الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم
بمحمد صلعم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر فصاروا اذلاء فبقوا
مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة
وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين ● واحلوا قومهم
الذين تابعوهم في الكفر ● دار البوار ● دار الهلاك بحملهم على الكفر ● جهنم ● عطف بيان لها
يصلونها ● حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب
لجهنم ● وبئس القرار ● اي وبئس المقر جهنم ● وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله ● الذي
هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال
غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض ● قل تمتعوا ● بشهواتكم او بعبادة
الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي تمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه
كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله ● فان
مصيركم الى النار ● وان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من آمر مطاع ● قل لعبادي الذين
آمنوا ● خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل
محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا ● يقيموا الصلوة
وينفقوا مما رزقناهم ● فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول صلعم بحيث لا ينفك فعلهم
عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدرا بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن
ذلك هاهنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه
وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط
وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا ● سرا وعلانية

سرا وعلانية ● منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية
او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به ●
من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ● فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه ● ولا خلال
ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه
بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام ● الله الذي
خلق السموات والارض ● مبتدا وخبر ● وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ●
تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول اخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس
ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق ● وسخر لكم
الفلك لتجري في البحر بامره ● بمشيته الى حيث توجهتم ● وسخر لكم الانهار ● فجعلها معدة لانتفاعكم
وتعليمكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها ● وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ● يدابان
في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحان من المكونات ● وسخر لكم الليل والنهار ● يتعاقبان
لسباتكم ومعاشكم ● وآتاكم من كل ما سألتموه ● اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه
شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان
يسأل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة ومصدرية
ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتموه
بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية في موقع الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه ● وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها ● لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية
وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ● ان الانسان لظلوم ● يظلم النعمة باغفال
شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان ● كفار ● شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع
كفار في النعمة يجمع ويمنع ● واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد ● بلد مكة ● آمنا ● ذا امن لمن فيها
والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا
وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة ● واجنبني وبني ● بعدني واياهم ● ان نعبد الاصنام ● واجعلنا
منه في جانب وقرئ واجنبني وهما لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان
عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم
ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها
ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته ● رب انهن اضللن كثيرا
من الناس ● فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن
باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا ● فمن تبعني ● على ديني ● فانه مني ● اي بعضي لا ينفك
عني في امر الدين ● ومن عصاني فانك غفور رحيم ● تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق
للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره
ربنا اني اسكنت من ذريتي ● اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل

ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم ● بواد غير ذي زرع ● يعني وادي مكة فانها
حجرية لا تنبت ● عند بيتك المحرم ● الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما
ممنعا تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ولو دعا
بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت
لسارة فوهبتها من ابرهيم فولدت منه اسمعيل فغارت عليها فناشدته ان يخرجهما
من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا
لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك
في ألباننا ففعلت ● ربنا ليقيموا الصلوة ● اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم
بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء
وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم
بها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل
من الله ان يوفقهم لها ● فاجعل افئدة من الناس ● اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض
ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى
او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرأ هشام افئيدة بخلف عنه بياء بعد
همزة وقرئ آفدة وهي تحتمل ان تكون مقلوب افئدة كآدر في اذؤر وان تكون اسم فاعل
من أفدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وأفدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان
الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد ● تهوي اليهم ● تسرع اليهم شوقا ووادا
وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى من هوي يهوى اذا
احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع ● وارزقهم من الثمرات ● مع سكناهم واديا
لا نبات فيه ● لعلهم يشكرون ● تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل
شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ● ربنا انك تعلم ما نخفي
وما نعلن ● تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا
فلا حاجة لنا الى الطلب لكن ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل
ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء
للمبالغة في التضرع واللجاء الى الله ● وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء ● لانه العالم
بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق ● الحمد لله الذي وهب لي على الكبر ●
اي وهب لي وانا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها
من الآية ● اسمعيل واسحق ● روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة
سنة ● ان ربي لسميع الدعاء ● اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو
من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى
دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين

حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها ● رب اجعلني مقيم الصلوة ● معدلا لها
مواظبا عليها ● ومن ذريتي ● عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء
عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ● ربنا وتقبل دعاء ● واستجب دعائي او
وتقبل عبادتي ● ربنا اغفر لي ولوالدي ● وقرئ ولأبوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما
وقيل اراد بهما آدم وحواء ● وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ● يثبت مستعار من القيام على الرجل
كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف او اسند اليه قيامهم مجازا
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ● خطاب لرسول الله صلعم والمراد تثبيته على ما عليه
من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا تخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة
او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم

ط والوعيد لهم فالوعيد بالنسبة الى الظالم والوعد بالنسبة الى المظلوم

انما يؤخرهم ● يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ● ليوم تشخص فيه الابصار ● اي تشخص ابصارهم
فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى ● مهطعين ● مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون
هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء ● مقنعي رؤسهم ● رافعيها ● لا يرتد اليهم طرفهم ●
بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم ● وافئدتهم هواء ●
خلاء اي خالية عن الفهم كفؤاد ذي الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اي
لا رأي فيه ولا قوة قال زهير ● من الظلمان جؤجؤه هواء ● وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق ● وانذر
الناس ● يا محمد ● يوم يأتيهم العذاب ● يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو
مفعول ثان لانذر ● فيقول الذين ظلموا ● بالشرك والتكذيب ● ربنا اخرنا الى اجل قريب ● اخر
العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار
ما نؤمن بك ونجيب دعوتك ● نجب دعوتك ونتبع الرسل ● جواب للامر ونظيره لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ● او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ● على ارادة
القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون
في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا
واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة
الى حالة اخرى كقوله تع واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ● وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا انفسهم ● بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد
يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار ● وتبين لكم كيف فعلنا بهم ● بما تشاهدون
في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم ● وضربنا لكم الامثال ● من احوالهم
اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال
المضروبة ● وقد مكروا مكرهم ● المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل ● وعند الله مكرهم ●
ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له ● وان كان مكرهم ●
في العظم والشدة ● لتزول منه الجبال ● مسوى لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها

كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي صلعم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى
انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائي
لتزول بالفتح والرفع على المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب
على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم • فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله • مثل قوله
انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني
ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا
كيف يخلف رسله • ان الله عزيز • غالب لا يماكر قادر لا يدافع • ذو انتقام • لاوليائه
من اعدائه • يوم تبدل الارض غير الارض • بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر
او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده • والسموات • عطف
على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم
بالدنانير وعليه قوله تع بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها
وغيرت شكلها وعليه قوله تع يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل
ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما يحشر الناس على ارض
بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير
صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلعم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد
الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل
بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة
على ان الشعرة قوله تع كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله تع ان كتاب الفجار لفي سجين • وبرزوا
من اجداثهم • لله الواحد القهار • لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان
الامر في غاية الصعوبة كقوله تع لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب
لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار • وترى المجرمين يومئذ مقرنين • قرن بعضهم
مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين
او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم
بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم • في الاصفاد • و
متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل • وزيد الخيل
قد لاقى صفادا • يعض بساعد وبعظم ساق • واصله الشد • سرابيلهم • قمصانهم • من قطران •
وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب
بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم
كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على
ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس
من الملكات الردية والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب

قطرآن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية
او حال من الضمير في مقرنين • وتغشى وجوههم النار • اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى
الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم
لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله تع افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة
وقوله تع يوم يسحبون في النار على وجوههم • ليجزي الله كل نفس • اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل
نفس مجرمة • ما كسبت • او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم
علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا • ان الله سريع الحساب •
لانه لا يشغله حساب عن حساب • هذا • اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير
او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله • بلاغ للناس • كفاية لهم في الموعظة • ولينذروا به •
عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز
ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد
له • وليعلموا انما هو اله واحد • بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على
ما يدل عليه • وليذكر اولوا الالباب • فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه
وتع ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس
واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية التي هو
التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما • وعن النبي صلعم من قرأ سورة ابرهيم اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين • الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة
وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي
بيانا غريبا • ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين • حين عاينوا حال المسلمين عند نزول
النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف
وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر
فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تع كالماضي في تحققه
اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله • ربما تكره النفوس من الامر • له فرجة كحل العقال • ومعنى التقليل
فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه
كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك
والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن • ذرهم • دعهم • يأكلوا ويتمتعوا
بدنياهم • ويلههم الامل • ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد
فسوف يعلمون • سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلعم من ارعوائهم وايذانه
بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم

وما يؤدي اليه طول الامل ● وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ● اجل مقدر كتب في اللوح
والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن
لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ● ما تسبق
من امة اجلها وما يستاخرون ● اي وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى ●
وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر ● نادوا به النبي صلعم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له
وهو قوله ● انك لمجنون ● ونظيره ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى
انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي القرآن ● لو ما تاتينا
ركبت لو مع ما كما ركبت مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض ● بالملائكة ليصدقوك
ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا
لك كما اتت الامم المكذبة قبل ● ان كنت من الصادقين ● في دعواك ● ما ننزل الملائكة
باليا مسندا الى ضمير اسم الله وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول
ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل ● الا بالحق ● الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه
الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تاتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا
ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق
الوحي والعذاب ● وما كانوا اذا منظرين ● اذن جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو
نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين ● انا نحن نزلنا الذكر ● رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك
اكده من وجوه وقرره بقوله ● وانا له لحافظون ● اي من التحريف والزيادة والنقص بان
جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفى تطرق الخلل
اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلعم ●
ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين ● في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق
ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى
نبانا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم ● وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون ●
كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلعم وما للحال لا تدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه
وهذا على حكاية الحال الماضية ● كذلك نسلكه ● ندخله ● في قلوب المجرمين ● والسلك ادخال
الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على ان الله يوجد
الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله ● لا يؤمنون به ● له وهو حال من هذا الضمير
والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة
المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا
يتعين ان يكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة
للمعنى الاول بل يقويه ● وقد خلت سنة الاولين ● اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك
الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ● ولو فتحنا عليهم ● على

على هؤلاء المقترحين ● بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ● يصعدون اليها ويرون عجائبها
طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم ● لقالوا من غلوهم
في العناد وتشكيكهم في الحق ● انما سكرت ابصارنا ● سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل
عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرا سكرت ● بل نحن قوم
مسحورون ● قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب
دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ● ولقد جعلنا في السماء
بروجا ● اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء ● وزيناها
بالاشكال والهيئات البهية ● للناظرين ● المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد
صانعها ● وحفظناها من كل شيطان رجيم ● فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف
في امرها ويطلع على احوالها ● الا من استرق السمع ● بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه
سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال
من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى
منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلعم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز
ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع ● فاتبعه ● فتبعه ولحقه
شهاب مبين ● ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما
من البريق ● والارض مددناها ● بسطناها ● والقينا فيها رواسي ● جبالا ثوابت ● وانبتنا فيها
في الارض او فيها وفي الجبال ● من كل شيء موزون ● مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن
متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة ● وجعلنا
لكم فيها معايش ● تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ● ومن
لستم له برازقين ● عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر
ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل
الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات
والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد
في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك
وقال ● وان من شيء الا عندنا خزائنه ● اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه
اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي
لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد ● وما ننزله ● من بقاع القدرة ● الا بقدر معلوم ● حده الحكمة
وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات
لا بد له من مخصص حكيم ● وارسلنا الرياح لواقح ● حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر
بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله
ومختبط مما تطيح الطوائح ● وقرا حمزة وارسلنا الريح على تاويل الجنس ● فانزلنا من السماء ماء

فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما أنتم له بخازنين قادرين متمكنين من إخراجه نفى عنهم ما أثبته
لنفسه أو حافظين في الغدران والعيون والآبار وذلك أيضا مما يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة
الهواء في بعض الأوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فإن طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه
دون حده لا بد له من سبب مخصص وإنا لنحن نحيي بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة لها
ونميت بإزالتها وقد أول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن
الوارثون الباقون إذا أمات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين
من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من
تقدم في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة وتأخر لا يخفى علينا شيء من أحوالكم وهو بيان لكمال علمه
بعد الاحتجاج على كمال قدرته فإن ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلعم في الصف
الأول فازدحموا عليه فنزلت وقيل إن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله فتقدم بعض القوم
لئلا ينظر إليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وإن ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط
الضمير للدلالة على أنه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بإن لتحقيق الوعد والتنبيه على أن
ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الأشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله إنه
حكيم باهر الحكمة متقن في أفعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الإنسان من صلصال
من طين يابس يصلصل أي يصوت إذا نقر وقيل هو من صلصل إذا أنتن تضعيف صل من حمإ
طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال أي كائن من حمإ مسنون
مصور من سنة الوجه أو مصبوب لييبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن
وهو الصب كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل ثم غير
ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه أو منتن من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به
فإن ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى السنين والجان أبا الجن وقيل إبليس ويجوز أن يراد به
الجنس كما هو الظاهر من الإنسان لأن تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة
كان الجنس بأسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الإنسان
من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما
لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الأجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فإنها
أقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الأرضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب
ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرته تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة
الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والإحياء وإذ قال ربك
واذكر وقت قوله للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته عدلت خلقته
وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف أعضائه فحيي وأصل
النفخ إجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق أولا بالبخار اللطيف المنبعث من
القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن

البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا وإضافة الروح إلى نفسه لما مر في سورة النساء فقعوا
فاسقطوا له ساجدين أمر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم أجمعون أكد بتأكيدين
للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل أكد بالكل للإحاطة وبأجمعين للدلالة على أنهم سجدوا
مجتمعين دفعة وفيه نظر إذ لو كان الأمر كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا إلا إبليس
إن جعل منقطعا اتصل به قوله أبى أن يكون مع الساجدين أي ولكن إبليس أبى وإن جعل
متصلا كان استئنافا على أنه جواب سائل قال هلا سجد قال يا إبليس ما لك ألا تكون أي غرض
لك في أن لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم أكن لأسجد اللام لتأكيد النفي أي لا يصح
مني وينافي حالي أن أسجد لبشر جسماني كثيف وأنا ملك روحاني خلقته من صلصال من حمإ مسنون
وهو أخس العناصر وخلقتني من نار وهي أشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والأصل وقد سبق الجواب
عنه في سورة الأعراف قال فاخرج منها من السماء أو الجنة أو زمر الملائكة فإنك رجيم
مطرود من الخير والكرامة فإن من يطرد يرجم بالحجر أو شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب
عن شبهته وإن عليك اللعنة هذا الطرد والإبعاد إلى يوم الدين فإنه منتهى أمد اللعن
فإنه يناسب أيام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على
الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل إنما حد هذا اللعن به لأنه أبعد غاية يضربها الناس
أو لأنه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فأنظرني فأخرني والفاء متعلقة
بمحذوف دل عليه فاخرج منها فإنك رجيم إلى يوم يبعثون أراد أن يجد فسحة في الإغواء
ونجاة عن الموت إذ لا موت بعد وقت البعث فأجابه إلى الأول دون الثاني قال فإنك من
المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه أجلك عند الله وانقراض الناس كلهم وهو النفخة الأولى
عند الجمهور ويجوز أن يكون المراد بالأيام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف
الاعتبارات فعبر عنه أولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث إذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف
واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك أن لا يموت فلعله
يموت أول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وإن لم تكن بواسطة لم تدل على
منصب إبليس لأن خطاب الله له على سبيل الإهانة والإذلال قال رب بما أغويتني الباء
للقسم وما مصدرية وجوابه لأزينن لهم في الأرض والمعنى أقسم بإغوائك إياي لأزينن
لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تع أخلد إلى الأرض وفي انعقاد القسم بأفعال الله تع
خلاف وقيل للسببية والمعتزلة أولوا الإغواء بالنسبة إلى الغي أو التسبب له بأمره إياه بالسجود
لآدم أو بالإضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن إمهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليطه
له على إغواء بني آدم بأن الله تع علم منه وممن تبعه أنهم يموتون على الكفر ويصيرون إلى النار أمهل
أو لم يمهل وأن في إمهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على
ذوي الألباب ولأغوينهم أجمعين ولأحملنهم أجمعين على الغواية إلا عبادك منهم المخلصين
أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو

بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله • قال هذا صراط علي • حق علي ان اراعيه
مستقيم • لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه
او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من
علو الشرف • ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين • تصديق لابليس
فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان
عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض
والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء
منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض
الاستثنائين • وان جهنم لموعدهم • لموعد الغاوين او المتبعين • اجمعين • تاكيد للضمير
او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم
مكان فانه لا يعمل • لها سبعة ابواب • يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم
في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد
لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية
او لان اهلها سبع فرق • لكل باب منهم • من الاتباع • جزء مقسوم • افرز له فاعلاها للموحدين
العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس
والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف
الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم
حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها • ان المتقين
من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرهما مكفرة • في جنات وعيون • لكل واحد جنة وعين
او لكل عدة منهما لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله
مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص
وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين • ادخلوها • على ارادة القول
وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا تكسر التنوين • بسلام • سالمين او مسلما عليكم
آمنين • من الآفة والزوال • ونزعنا • في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم
ما في صدورهم من غل • من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب • اخوانا • حال من الضمير
في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة
وكذا قوله • على سرر متقابلين • ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه
بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر • لا يمسهم فيها نصب
استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين • وما هم منها بمخرجين • فان
تمام النعمة بالخلود • نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم • فذلكة

لما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي
الذنوب باسرها صغيرها وكبيرها وفي توصيف ذاته بالمغفرة والرحمة دون التعذيب ترجيح
الوعد وتاكيده وفي عطف • ونبئهم عن ضيف ابراهيم • على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون
به • اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما • اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما • قال انا منكم
وجلون • خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل
والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره • قالوا لا توجل • وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله
ولا تواجل من واجله • انا نبشرك • استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر
لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر • بغلام • هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق • عليم
اذا بلغ • قال ابشرتموني على ان مسني الكبر • تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار
لان يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك قوله • فبم تبشرون • اي فباي اعجوبة تبشرونني او
باي شيء تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير
بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على
حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء والباقون
بفتح النون وحذف المفعول والنون نون الجمع • قالوا بشرناك بالحق • بما يكون لا محالة او
باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره • فلا تكن من القانطين
من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر
وكان استعجاب ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك • قال ومن يقنط من رحمة ربه الا
الضالون • اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بكسر النون وقرئ
بالضم وماضيهما قنط بالفتح • قال فما خطبكم ايها المرسلون • اي فما شأنكم الذي ارسلتم
لاجله سوى البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد
في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام
المقصود لابتدؤوا بها • قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين • يعني قوم لوط • الا آل لوط
ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير
في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى
انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله
انا لمنجوهم اجمعين • اي مما نعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط
جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله • الا امرأته • استثناء من آل لوط
او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم
اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا • قدرنا انها لمن الغابرين • الباقين مع الكفرة
لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص

افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء
قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب
والاختصاص ● فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون ● تنكركم نفسي وتنفر عنكم
مخافة ان تطرقوني بشر ● قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ● اي ما جئناك بما تنكرنا
لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه
وآتيناك بالحق ● باليقين من عذابهم ● وانا لصادقون ● فيما اخبرناك به ● فاسر باهلك
فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير
بقطع من الليل ● في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم
كم علينا من قطع ليل بهيم ● واتبع ادبارهم ● وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على
حالهم ● ولا يلتفت منكم احد ● لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم
او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفسهم
على المهاجرة ● وامضوا حيث تؤمرون ● الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر
فعدى امضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع ● وقضينا ● اي اوحينا
اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ● ذلك الامر ● مبهم تفسيره ● ان دابر هؤلاء مقطوع
ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى
انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد ● مصبحين ● داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء
او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء ● وجاء اهل المدينة
سدوم ● يستبشرون ● باضياف لوط طمعا فيهم ● قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ●
بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه ● واتقوا الله ● في ركوب الفاحشة ● ولا تخزون
ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان او ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء ● قالوا اولم
ننهك عن العالمين ● عن ان تجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد
وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم ● قال هؤلاء بناتي يعني
نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في هود ● ان كنتم فاعلين ●
قضاء الوطر او ما اقول لكم ● لعمرك ● قسم بحياة المخاطب وهو النبي صلعم وقيل لوط قالت الملائكة
له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور
على ألسنتهم ● انهم لفي سكرتهم ● لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم
بين خطئهم والصواب الذي يشار به اليهم ● يعمهون ● يتحيرون فكيف يسمعون نصحك
وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض ● فاخذتهم الصيحة ● يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبرئيل
مشرقين ● داخلين في وقت شروق الشمس ● فجعلنا عاليها ● عالي المدينة او عالي قراهم
سافلها ● فصارت منقلبة بهم ● وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ● من طين متحجر او طين عليه
كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ● ان في ذلك لآيات

لآيات للمتوسمين ● المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء
بسمته ● وانها ● وان المدينة او القرى ● لبسبيل مقيم ● ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها
ان في ذلك لآية للمؤمنين ● بالله ورسله ● وان كان اصحاب الايكة لظالمين ● هم قوم
شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة
المتكاثفة ● فانتقمنا منهم ● بالاهلاك ● وانهما ● يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين
فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر ● لبامام مبين ● لبطريق واضح
والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق واللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به ● ولقد كذب
اصحاب الحجر المرسلين ● يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب
الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام
يسكنونها ● وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ● يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم
او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة ● وكانوا ينحتون
من الجبال بيوتا آمنين ● من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب
لفرط غفلتهم وحسبانهم ان الجبال تحميهم منه ● فاخذتهم الصيحة مصبحين ● فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد ● وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما الا بالحق ● الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك
اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض ● وان الساعة لآتية فينتقم
الله لك فيها ممن كذبك ● فاصفح الصفح الجميل ● ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح
الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ● ان ربك هو الخلاق ● الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك
وامرهم ● العليم ● بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح
لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو يصلح
للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ● ولقد آتيناك سبعا ● سبع آيات وهي الفاتحة وقيل
سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك
لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع
من المثاني ● بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه
ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله تعالى بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى
ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فيكون من للتبعيض ● والقرآن العظيم ● ان
اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع
فمن عطف احد الوصفين على الآخر ● لا تمدن عينيك ● لا تطمح ببصرك طموح راغب ● الى ما متعنا
به ازواجا منهم ● اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات
مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي
من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه صلعم وافى باذرعات سبع قوافل

المسلمون

ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال
لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع
آيات هي خير من هذه القوافل السبع ● ولا تحزن عليهم ● انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون
به ● واخفض جناحك للمؤمنين ● وتواضع لهم وارفق بهم ● وقل اني انا النذير المبين
انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا ● كما انزلنا على المقتسمين
مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر
الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم
بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا وقيل هو صفة مصدر محذوف
لقوله ولقد آتيناك لانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين
حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر
وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان
القرآن ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلعم وقوله لا تمدن الى آخره اعتراضا
ممدا لها ● الذين جعلوا القرآن عضين ● اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى
الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل اسحارا فعلة من عضهه اذا بهته وفي الحديث لعن رسول
الله صلعم العاضهة والمستعضهة وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف
منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره ● فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون
من التقسيم والنسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي ● فاصدع
بما تؤمر ● فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة
والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع ● واعرض عن
المشركين ● فلا تلتفت الى ما يقولون ● انا كفيناك المستهزئين ● بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا
خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود
بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء الرسول والاستهزاء به فقال
جبريل لرسول الله امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم
فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت
فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدي فامتخط قيحا فمات
والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه
بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي ● الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف
يعلمون ● عاقبة امرهم في الدارين ● ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ● من الشرك
والطعن في القرآن والاستهزاء بك ● فسبح بحمد ربك ● فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد
يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق ● وكن من الساجدين
من المصلين وعنه صلعم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ● واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

اليقين ● اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى واعبده ما دمت حيا ولا
تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلعم

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

أتى امر الله فلا تستعجلوه ● كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلعم من قيام الساعة
واهلاك الله اياهم كما فعل بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما تقوله فالاصنام
تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه
واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه ● سبحانه وتعالى عما
يشركون ● تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء
على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين
او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت أتى امر الله فوثب النبي صلعم ورفع الناس رؤسهم
فنزلت فلا تستعجلوه ● ينزل الملائكة بالروح ● بالوحي او القرآن فانه يحيي القلوب الميتة
بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي
علم به الرسول صلعم ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع
المبني للمفعول من التنزيل ● من امره ● بامره او من اجله ● على من يشاء من عباده ● ان يتخذه رسولا
ان انذروا ● بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته ● انه لا اله الا انا فاتقون
ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون
رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية
في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول
الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر
بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل
وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة
ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع ● خلق السموات والارض بالحق ● اوجدهما
على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمة ● تعالى عما يشركون
منهما او مما يفتقر في وجوده وبقائه اليهما او مما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس
من قبيل الاجرام وقرأ حمزة والكسائي تشركون بالتاء ● خلق الانسان من نطفة ● جماد لا حس بها
ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل ● فاذا هو خصيم ● منطيق مجادل ● مبين
للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلعم
بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت ● والانعام ● الابل والبقر

1923

والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق
لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها و
ظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون اي تأكلون ما يؤكل منها
من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآي ولان الاكل منها
هو المعتاد والمعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي
او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها
بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل
اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون
حافلة الضروع ثم تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون
وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه
ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا من ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة
ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه اصله الصدع والمكسور
بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها
لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة
اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل
الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض
وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان تكون علة لتركبوها او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين
اي متزينين او متزينا بها واستدل بها على حرمة لحومها ولا دليل فيها اذ لا يلزم من تعليل
الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين
والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات
التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا
بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر
وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة
وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كأنه
يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها
القصد وقال ومنها جائر حائد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله
ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما
جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهديكم اجمعين اي ولو شاء هدايتكم
اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء من السحاب
او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية
متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله

لقوله فسلكه ينابيع في الارض وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي
ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال يعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها
اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون مواشيكم من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة
وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على
التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض
كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف
الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلثة وترتيبها ان في ذلك لآية
لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع في الارض ويصل اليها
نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها
ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة
الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى
الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل
فصل الآية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم
مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء
او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب لما عسى يقال ان المؤثر في تكوين
النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات
والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا
للدور والتسلسل او مصدر مجموع لاختلاف النوع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر
فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر والشمس والقمر ايضا ان في ذلك لآيات لقوم
يعقلون جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة
غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اي
وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون
غالبا ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطبائع والهيآت والمناظر
ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب
والاصطياد والغوص لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم
فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك
به مالك والثوري على ان من حلف لا يأكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان
على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث على ان لا
يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم
فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه
جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله

من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها
ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع
وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان
تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة
الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما
خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد
التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على
ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه
وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله تع وعلامات ومعالم يستدل
بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك [يستدل بها] وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار
والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا
والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة
مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم
واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم
لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال
قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا
يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه
عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله تع جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد
بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولي
العلم لانهم سموها الهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه
قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا
فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم
والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته
غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها
لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم
واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله اي
والالهة الذين تعبدونهم من دونه وقرا عاصم ويعقوب يدعون بالياء لا يخلقون شيئا
لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه
ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات
ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات

هم اموات لا يعتريهم الحيوة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود
والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت
بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب
مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير
للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان
لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا
للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا
بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول
وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين
لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه
مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده واتباع رسوله
واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا
اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على
التهكم او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة
فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال
من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم
ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق
والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات
ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها
بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه
خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم
يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركائي اضاف
الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم وقرا البزي بخلاف عنه اين شركاي
بغير همزة والباقون بالهمزة الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شانهم وقرا
نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله تع قال الذين اوتوا العلم اي
الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة
ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة و
زيادة الاهانة وحكايته ليكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم الملائكة وقرا حمزة بالياء
في الموضعين وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم

بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا
نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسير السلم على ان
المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اي فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم
تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استيناف ورجوع الى شرح حالهم
يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا
عاملين سوء واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله تعالى او اولو العلم فادخلوا ابواب جهنم
كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى
المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا
في نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوا على السؤال معترفين بالانزال على خلاف
الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلعم فاذا جاء
الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الآخرة خير اي ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو
عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه
منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن
خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها
ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده
الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين
تتوفيهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم
وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة
القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين
تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ
هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ
حمزة والكسائي بالياء او يأتي امر ربك القيمة او العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل
من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابهم وما ظلمهم الله بتدميرهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء
سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من
دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء او منعا
للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا
لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله
صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على

على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله تعالى وحرموا حله وردوا رسله
فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله
هداه لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب
قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه
وزيادة لضلال من اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف
ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت بان اعبدوا الله
واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة
اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق
الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الآية الاخرى
فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود
وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد
ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو
ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث
مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم
وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله تعالى عليه انجازه لامتناع
الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس
لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما
لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم
اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين
فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز
بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا
توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق
مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي هنا وفي يس فيكون عطفا
على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلعم واصحابه
المهاجرون رضي الله عنهم ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة
او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلعم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار
وعابس وابو جندل وسهيل من قوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة
حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه
انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله

في الدنيا وما ادخره لك في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا انه
يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم وللمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في
اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله
النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر
كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله
بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة
والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسألوا اهل الذكر
اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل
امرأة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او
الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عم رأى
جبرئيل عم على صورته التي هو عليها وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر
اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز
ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي ما ارسلنا الا رجالا بالبينات
كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحى على
المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على
ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه
موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا
عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس
ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيتنبهوا للحقائق افأمن الذين مكروا
السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا برسول
رسول الله صلعم وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون
او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم
في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف
على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا بعد شيء
في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رض قال على المنبر ما تقولون
فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك
في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا كما
تخوف عود النبعة السفن فقال عمر رضي الله عنه عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا
قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم
بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد رأوا امثال هذه الصنائع
فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها

بيانها يتفيؤ ظلاله اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائي
تروا بالتاء وابو عمرو تتفيؤ بالتاء عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل
واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ
والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير
في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت
لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير
والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى
من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة
الساجد والاجرام في انفسها داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون
بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل
يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله
وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على
الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره
طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله
من دابة بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كانت في ارض او سماء والملائكة
عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج
من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له
اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم
كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون
عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم
بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير
لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه
دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين
اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه وايماء بان الاثنينية
تنافي الالوهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة
الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي
فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين اي الطاعة واصبا
لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين
ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون
ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله اي واي شيء اتصل بكم من نعمة

كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود
اثبات الوحدانية دون الالهية صح

فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار
النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون
فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر
عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان
الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق وهم انتم
ويجوز ان يكون للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم
من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله تع فتمتعوا
امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا
وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون
اي لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات
مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له
محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزروع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون
من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة
وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم وتعجب منه ولهم ما يشتهون
يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى
الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لم يبعد تجويزه
في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار
كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير
وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من سوء
المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب
ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون
حيث يجعلون لمن تع وتنزه عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل
السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا
بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي
والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد
بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها
على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم
ظلمهم عن ابن مسعود رض كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل
لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم
كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ
لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين حتى الانبياء

الانبياء لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي
ما يكرهون لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل
الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم
ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من
افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ
بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا
الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم
اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيمة
على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين
اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم
والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيمة
وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال
المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما
فعل المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها انبت فيها انواع
النبات بعد يبسها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام
لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استئناف لبيان العبرة وانما
ذكر الضمير ووحده هنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك
عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير
للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ
نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين من بين فرث ودم لبنا
فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء المأكولة
المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف
في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون
مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش
بل الكبد تجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم تمسكها ريثما تهضمها
هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر
الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها
فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على
قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين
فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض

فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تع في احداث الاخلاط والبان واعدادها مقارها ومجاريها
والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار
بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية
كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدئ منه الاسقاء وهي متعلقة
بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة • خالصا • صافيا لا يستصحبه
لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه • سائغا
للشاربين • سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف • ومن ثمرات النخيل والاعناب •
متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله • تتخذون
منه سكرا • استيناف لبيان الاسقاء او تتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف
صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين
الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي
به الخمر • ورزقا حسنا • كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم
الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم
قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون
الرزق ما يحصل من اثمانه • ان في ذلك لآية لقوم يعقلون • يستعملون عقولهم بالنظر والتامل
في الآيات • واوحى ربك الى النحل • الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين
ان اتخذي • بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير
على المعنى فان النحل مذكر • من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون • ذكر بحرف التبعيض لانها
لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه
لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها
حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا
بكسر الباء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء • ثم كلي من كل الثمرات • من كل ثمرة
تشتهينها مرها وحلوها • فاسلكي • ما اكلت • سبل ربك • في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته
النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة
الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس • ذللا • جمع ذلول وهي حال من السبل اي
مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به
يخرج من بطونها • كانه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم
والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم • شراب • يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به
من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في باطنها عسلا ثم تقيء ادخارا
للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة طيبة صغيرة متفرقة على الاوراق
والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر

البطون بالافواه • مختلف الوانه • ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل
او الفصل • فيه شفاء للناس • اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض
اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم
وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلعم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل
فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب
بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تع فبرا كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله
من احوال النحل • ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون • فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم
الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه
والله خلقكم ثم يتوفاكم • باجال مختلفة • ومنكم من يرد • يعاد • الى ارذل العمر • اخسه يعني الهرم
الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو تسعون سنة وقيل خمس وسبعون • لكيلا
يعلم بعد علم شيئا • ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم • ان الله عليم
بمقادير اعمارهم • قدير • يميت الشاب النشيط ويبقي الهم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت
آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك
مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ • والله فضل بعضكم على بعض في الرزق • فمنكم
غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف
ذلك • فما الذين فضلوا برادي رزقهم • بمعطي رزقهم • على ما ملكت ايمانهم • على مماليكهم
فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعل الله تع في ايديهم • فهم فيه سواء • فالموالي والمماليك سواء
في ان الله تع رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع
الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق
على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله تع بعض مخلوقاته في الالوهية ولا
يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله تع عليهم فيساووهم فيه • افبنعمة الله يجحدون •
حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله تع عليهم ويجحد وانه
من عند الله تع او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين
الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم • والله جعل لكم من
انفسكم ازواجا • اي من جنسكم لتانسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من
آدم • وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة • واولادا او اولاد اولاد او بنات فان الحافد
هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات
وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين • ورزقكم من الطيبات •
من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها • افبالباطل
يؤمنون • وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب
وبنعمة الله هم يكفرون • حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة

على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل • ويعبدون من
دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا • من مطر ونبات ورزقا ان جعلته
مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل عنه • ولا يستطيعون • ان يتملكوه او لا استطاعة لهم اصلا
وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي
ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد • فلا تضربوا لله الامثال
فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال • ان الله يعلم
فساد ما يقولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم
جرمكم فيما تفعلون • وانتم لا تعلمون • ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه
يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله
الامثال فانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه
ولمن عبد دونه فقال • ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا
حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون • مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف
رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء
واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية
بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر
المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة
للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر
ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوي الاحرار
والعبيد • الحمد لله • كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها • بل اكثرهم
لا يعلمون • فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها • وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم
ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم • لا يقدر على شيء • من الصنائع والتدابير لنقصان عقله • وهو
كل على مولاه • عيال وثقل على من يلي امره • اينما يوجهه • حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه
على البناء للمفعول وتوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي • لا يأت
بخير • بنجح وكفاية مهم • هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل • ومن هو فهم منطيق ذو كفاية
ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل • وهو على صراط مستقيم •
وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات
بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله تع لنفسه وللاصنام
لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر • ولله غيب السموات والارض • يختص به علمه لا يعلمه
غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان
علمه غائب عن اهل السموات والارض • وما امر الساعة • امر قيام القيمة في سرعته وسهولته
الا كلمح البصر • الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها • او هو اقرب • او امرها اقرب منه

منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي يبتدأ فيه فانه تع يحيي الخلائق دفعة
وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى
فهو عند الله تع كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه • ان
الله على كل شيء قدير • فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على
قدرته فقال • والله اخرجكم من بطون امهاتكم • وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او
اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق • لا تعلمون شيئا
جهالا مستصحبين جهل الجمادية • وجعل لكم السمع والابصار والافئدة • اداة تتعلمون
بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات
بينها بتكرير الاحساس حتى تحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر
فيها • لعلكم تشكرون • كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه • الم يروا الى الطير
قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة • مسخرات • مذللات للطيران
بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له • في جو السماء • في الهواء المتباعد من الارض
ما يمسكهن فيه الا الله • فان ثقل جسدها يقتضي السقوط ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها
تمسكها • ان في ذلك لآيات • تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق
الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها • لقوم يؤمنون • لانهم
هم المنتفعون بها • والله جعل لكم من بيوتكم سكنا • موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة
من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول • وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا • هي القباب المتخذة من الادم
ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق
عليها انها من جلودها • تستخفونها • تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها • يوم ظعنكم
وقت ترحالكم • ويوم اقامتكم • ووضعها او ضربها وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان
والبصري يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة • ومن اصوافها واوبارها واشعارها • الصوف للضائنة
والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها • اثاثا • ما يلبس ويفرش
ومتاعا • ما يتجر به • الى حين • الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى
حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم • والله جعل لكم مما خلق • من الشجر والجبل والابنية
وغيرها • ظلالا • تتقون به حر الشمس • وجعل لكم من الجبال اكنانا • مواضع تسكنون بها
من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن • وجعل لكم سرابيل • ثيابا من الصوف والكتان
والقطن وغيرها • تقيكم الحر • خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت
اهم عندهم • وسرابيل تقيكم بأسكم • يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس
• كذلك • كاتمام هذه النعم التي تقدمت • يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون • اي تنظرون في نعمه فتؤمنون
به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون
فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع • فان تولوا • اعرضوا ولم

يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا
من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها
عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله تع ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم
بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله
نبوة محمد صلعم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة
واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان
العقل او التفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل
كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد لهم وعليهم
بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع
الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي
على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى
وهي الرضى وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا
قوله واذا راى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب
ولا هم ينظرون يمهلون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها
شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك
او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب
في انهم شركاء الله او انهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله تع كلا سيكفرون
بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله تع الاصنام به ح او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه
لقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا
الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل
ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا
لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم
ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا
بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب استيناف او حال
باضمار قد تبيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال الى السنة
او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة
ان الله يامر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك
والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط
بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان اي احسان

اي احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال صلعم الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب
ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة
القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه
في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها
الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه
الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي هي اجمع
آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن
غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب
قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر
لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلعم لقوله تع
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا
عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله تع ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة
او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله تع ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد
جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه
ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته
مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام
انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت
فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم
القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير
في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها متخذي
ايمانكم مفسدة ودغلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى
من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بالقوم لكثرتكم
وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم
نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر
اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله تع وبيعة رسوله صلعم ام تغترون
بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير لاربى وقيل للامر بالوفاء وليبينن
لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء
الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي
من يشاء بالتوفيق ولتسألن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم
دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي عنه فتزل قدم عن

محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم
واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن
سبيل الله بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل
ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا
عهد الله تع وبيعة رسوله صلعم ثمنا قليلا عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء
المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا
والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم
والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته
باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين
صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف وقرا ابن كثير وعاصم
بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء
احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو
مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب
فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان مؤمنا موسرا فظاهر وان كان
معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر
فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا
بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات
القرآن اردت قراءته كقوله تع اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
فسل الله تع ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب
وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب على الشرط يتكرر بتكرره قياسا
وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن
ابن مسعود قرات على رسول الله صلعم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبرئيل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان
تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه
فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك
امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا
انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله تعالى او بسبب
الشيطان مشركون واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة
لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده
فينسخه وما لا يكون مصلحة ثم يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل
بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تع تامر بشيء ثم يبدو لك

لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على
سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطا من
الصواب قل نزله روح القدس يعني جبرئيل عم واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم
حاتم الجود وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا
على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا
على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة
رسخت عقائدهم واطمانت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما
معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ
ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر
بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان
الرسول صلعم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم
وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي
يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر وقرا حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء
والحاء لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة
والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما سمعه منه كلام اعجمي
لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربي تفهمونه بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما
هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا عربي
والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز باعتبار اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن
لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك
من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم
في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات
الله لا يصدقون انها من عند الله تع لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل
الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما اماط شبهتهم ورد
طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش
هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله تع
والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين
ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه
بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدا خبره
محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان يكون من شرطية محذوفة
الجواب دل عليه قوله الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر

لغة يعم القول والعقد كالايمان • وقلبه مطمئن بالايمان • لم تتغير عقيدته وفيه دليل
على ان الايمان هو التصديق بالقلب • ولكن من شرح بالكفر صدرا • اعتقده وطاب به
نفسا • فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم • اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا
عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها
وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام
واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا
ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلعم وهو يبكي
فجعل رسول الله صلعم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على
جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي
ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت
ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه
ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلعم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني
فقد صدع بالحق فهنيئا له • ذلك • اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد • بانهم استحبوا
الحيوة الدنيا على الآخرة • بسبب انهم آثروها عليها • وان الله لا يهدي القوم الكافرين •
اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ • اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم وسمعهم وابصارهم • فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه • واولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب • لا جرم انهم في الآخرة هم
الخاسرون • اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد • ثم ان ربك للذين
هاجروا من بعد ما فتنوا • اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك
وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما
وهاجرا • ثم جاهدوا وصبروا • على الجهاد وما اصابهم من المشاق • ان ربك من بعدها
من بعد الهجرة والجهاد والصبر • لغفور • لما فعلوا قبل • رحيم • ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا
بعد • يوم تأتي كل نفس • منصوب برحيم او باذكر • تجادل عن نفسها • تجادل عن ذاتها و
تسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي • وتوفى كل نفس ما عملت • جزاء
ما عملت • وهم لا يظلمون • لا ينقصون اجورهم • وضرب الله مثلا قرية • اي جعلها مثلا لكل
قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة • كانت آمنة مطمئنة •
لا يزعج اهلها خوف • يأتيها رزقها • اقواتها • رغدا • واسعا • من كل مكان • من نواحيها
فكفرت بانعم الله • بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس
وابؤس • فاذاقها الله لباس الجوع والخوف • استعار الذوق لادراك اثر الضرر
واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له
كقول كثير • غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا • غلقت لضحكته رقاب المال • فانه استعار الرداء

للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي
هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار •
كقوله • ينازعني ردائي عبد عمرو • رويدك يا اخا عمرو بن بكر • لي الشطر الذي ملكت يميني
ودونك فاعتجر منه بشطر • استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار • بما كانوا يصنعون
بصنيعهم • ولقد جاءهم رسول منهم • يعني محمدا والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم
فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون • اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من
الجدب الشديد او وقعة بدر • فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا • امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم
الله عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن
صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة • واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون • تطيعون او
ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته • انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم • لما امرهم بتناول ما احل
لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال
ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام • كما قالوا ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس
الاربعة الا ما ضم اليها دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال
وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم
فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول تنطق به السنتكم من
غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت
مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف
الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع
صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب • لتفتروا على الله الكذب • تعليل
لا يتضمن الغرض • ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون • لما كان المفتري يفتري لتحصيل
مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله • متاع قليل • اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة
تنقطع عن قريب • ولهم عذاب اليم • في الآخرة • وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك
اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر • من قبل • متعلق بقصصنا
او بحرمنا • وما ظلمناهم • بالتحريم • ولكن كانوا انفسهم يظلمون • حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه
وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة • ثم ان ربك
للذين عملوا السوء بجهالة • بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر
في العواقب لغلبة الشهوة والسوء ليعم الافتراء على الله وغيره • ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا
ان ربك من بعدها • من بعد التوبة • لغفور • لذلك السوء • رحيم • يثيب على الانابة • ان ابراهيم

كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله ليس من الله بمستنكر
ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين
وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك
والطعن في النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل
فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه
للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له حنيفا
مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم
شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه
للنبوة وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بان حببه
الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة
والطاعة وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقني بالصالحين
ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيم والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابراهيم اتباع الرسول ملته
او للتراخي ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل
مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة
الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اي
على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت
لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما
جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى
واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق من الآبين
والمطيعين بما يستحقه ادع من بعثت اليه الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة
المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر
النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم
وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين
وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي الاشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما
حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو
المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه
والى من يتابعه بالمخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث
انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر
والضلال وقيل انه عليه السلام لما رأى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين

بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوزه
وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو
اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح الامر به لرسوله عليه السلام لانه اولى الناس
به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته
ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون
في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق
تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية
والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي عم
من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة
كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثماني آيات وهي مائة وعشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له
فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر
وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى
بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ
من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به من المسجد الحرام بعينه لما روي انه صلعم قال بينا
انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم
وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه كان نائما
في بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال
مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس
ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رض فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال
اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس
فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا
فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق
فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين
وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر
على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك
تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس
ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها
الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله

قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلعم او فيما يحمله والتعجب
من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي
باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عم ومحفوف
بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس
وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات
والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد صلعم البصير بافعاله فيكرمه و
يقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا على
اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ ابو عمرو بالياء على لان لا يتخذوا من دوني وكيلا
ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء
ان قرئ الا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون
كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق
بحملهم مع نوح في السفينة انه كان عبدا شكورا يحمد الله على مجامع حالاته
وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عم
وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية
لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم
مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا وقيل ارميا وثانيتهما قتل
زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عم ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله تع او لتظلمن
الناس فاذا جاء وعد اوليهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر
عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولي
باس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما
اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية
وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم
المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي
الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله تع في قلب بهمن
ابن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم
الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان
سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما
كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو
ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما
ذكر باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا

ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف
لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او
البعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة
والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا
المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا
ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة
اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش
مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني
فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه
دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ
باذن الله قبل ان لا ابقي منهم احدا فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة وان عدتم
نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله
فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا
كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة او الطريقة التي هي اقوم
الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة
والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف
على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر
باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه
بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع
الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض
فسقط روي انه صلعم دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب
فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له
فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر
بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت
عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق
واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين
كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره
فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام
وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحونا آية الليل التي هي
القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نوره شيئا فشيئا الى المحاق وجعلنا آية النهار

التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم
لتطلبوا في بياض النهار اسباب معايشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا
باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون
اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه
طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون
بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه
لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار
اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات
ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج
من خرج وغيره وقرئ يخرج اي الله يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب
او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا
اقرا كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء
مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح
بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه
وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه
ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب
قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا
السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا
مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان
الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل
امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة
على ان الامر مجاز من الحمل عليه والتسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق
ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء و
آمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج
وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية أمّرنا عن ابي عمرو ويحتمل
ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم
ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابقة
بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها
وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد

وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب
عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا
له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه
ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض
وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى تطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به
ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم
الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة
الله تع ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء
عما نهى لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو
مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط
الثلثة كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب
على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة
بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه
متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها
والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلعم والمراد به امته او لكل
احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولك قعد
عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين
والخذلان من الله تع ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا
مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له
غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية
وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر
للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن
عندك الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوق النون
المؤكدة بالفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع
الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف
ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل
من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء
الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح
على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع

فيه أن أنواع الإيذاء قياسا بطريق الأولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير
ولذلك منع رسول الله صلعم حذيفة من قتل أبيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد
الأمر بالإحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك بإغلاظ وقيل النهي والنهر
والنهم أخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض
لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة
ريح قد كشفت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما وأمره بخفضها
مبالغة وأراد جناحه كقوله تع واخفض جناحك للمؤمنين وإضافته إلى الذل للبيان والمبالغة
كما أضيف حاتم إلى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد
والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما إلى من كان أفقر خلق الله
إليهما وقل رب ارحمهما وادع الله أن يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وإن
كانا كافرين لأن من الرحمة أن يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما
وإرشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي أن رجلا قال لرسول الله صلعم إن أبوي
بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما
يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما ربكم أعلم بما في نفوسكم من قصد البر إليهما
واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكأنه تهديد على أن يضمر لهما كراهة واستثقالا إن تكونوا
صالحين قاصدين للصلاح فإنه كان للأوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم
عند حرج الصدر من أذية أو تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ويندرج
فيه الجاني على أبويه جناية أوليا لوروده على أثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن
المعاشرة والبر عليهم وقال أبو حنيفة رح حقهم إذا كانوا محارم فقراء أن ينفق عليهم وقيل المراد
بذا القربى أقارب الرسول صلعم والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما
لا ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف وأصل التبذير التفريق وعن النبي صلعم أنه قال لسعد وهو يتوضأ
ما هذا السرف فقال أوفي الوضوء سرف قال نعم وإن كنت على نهر جار إن المبذرين
كانوا إخوان الشياطين أمثالهم في الشرارة فإن التضييع والإتلاف شر أو أصدقاءهم
وأتباعهم لأنهم يطيعونهم في الإسراف والصرف في المعاصي روي أنهم كانوا ينحرون
الإبل ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم
بالإنفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر فما ينبغي أن يطاع
وإما تعرضن عنهم وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز
أن يراد بالإعراض عنهم أن لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار
رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيه أو منتظرا له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه
أن يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لأنه مسبب عنه ويجوز أن يتعلق بالجواب الذي هو
قوله فقل لهم قولا ميسورا أي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم بإجمال

بإجمال القول لهم والميسور من يسر الأمر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم
بالميسور وهو اليسر مثل أغناكم الله ورزقنا الله وإياكم ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك
ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذر نهى عنهما أمرا بالاقتصاد بينهما الذي
هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالإسراف وسوء التدبير محسورا
نادما أو منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر إذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلعم أتاه
صبي فقال إن أمي تستكسيك درعا فقال من ساعة إلى ساعة فعد إلينا فذهب إلى أمه فقالت
قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن
بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج فأنزل الله ذلك ثم سلاه بقوله إن ربك يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الإضافة إلا
لمصلحتك إنه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز
أن يراد أن البسط والقبض من أمر الله العالم بالسرائر والظواهر فأما العباد فعليهم أن يقتصدوا
أو أنه تع يبسط تارة ويقبض أخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط
وأن يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق مخافة الفاقة وقتلهم أولادهم
هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم أرزاقهم فقال نحن نرزقهم وإياكم
إن قتلهم كان خطئا كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطء الإثم يقال
خطئ خطئا كأثم إثما وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان خطأ وهو اسم من أخطأ يضاد الصواب
وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو إما لغة أو مصدر
خاطأ وهو وإن لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه
في منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطأ بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا
ولا تقربوا الزنا بالعزم والإتيان بالمقدمات فضلا أن تباشروه إنه كان فاحشة
فعلة ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الأبضاع المؤدي
إلى قطع الأنساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق إلا بإحدى ثلث
كفر بعد إيمان وزنا بعد إحصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل
فقد جعلنا لوليه للذي يلي أمره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة
بمقتضى القتل على من عليه أو بالقصاص على القاتل فإن قوله مظلوما يدل على أن القتل عمد عدوان
فإن الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف أي القاتل في القتل بأن يقتل من لا يحق قتله فإن العاقل
لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك أو الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد الأول قراءة أبي فلا تسرفوا
وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب أحدهما إنه كان منصورا علة النهي على الاستيناف
والضمير إما للمقتول فإنه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب وإما لوليه
فإن الله تع نصره حيث أوجب القصاص له وأمر الولاة بمعونته وإما للذي يقتله الولي إسرافا
بإيجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا أن تتصرفوا فيه

إلا بالتي هي أحسن إلا بالطريقة التي هي أحسن حتى يبلغ أشده غاية لجواز التصرف الذي
دل عليه الاستثناء وأوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه أو ما عاهدتموه وغيره
إن العهد كان مسؤولا مطلوبا يطلب من العاهد أن لا يضيعه ويفي به أو مسؤولا عنه يسأل
الناكث ويعاتب عليه أو يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة بأي ذنب
قتلت فيكون تخييلا ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤولا وأوفوا الكيل إذا كلتم
ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح
ذلك في عربية القرآن لأن العجمي إذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم في الإعراب والتعريف
والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ذلك خير وأحسن تأويلا
وأحسن عاقبة تفعيل من آل إذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف أثره
إذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا أو رجما بالغيب
واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه أن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند
سواء كان قطعا أو ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل إنه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة
الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج
وقول الكميت ولا أرمي البريء بغير ذنب ولا أقفو الحواصن إن قفينا إن السمع والبصر
والفؤاد كل أولئك أي كل هذه الأعضاء فأجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن أحوالها
شاهدة على صاحبها هذا وإن أولاء وإن غلب في العقلاء لكنه من حيث إنه اسم جمع لذا وهو يعم
القبيلين جاء لغيرهم كقوله ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام
كان عنه مسؤولا في ثلاثتها ضمير كل أي كان كل واحد منها مسؤولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه
ويجوز أن يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف أو لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤولا مسند إلى عنه كقوله
غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لأن الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه
دليل على أن العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم
إبدالها بالفتح ولا تمش في الأرض مرحا أي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار
الحكم أبلغ وإن كان المصدر آكد من صريح النعت إنك لن تخرق الأرض لن تجعل فيها خرقا
بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي
بأن الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى وليس في التذلل كل ذلك إشارة إلى الخصال
الخمسة والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها
المكتوبة في ألواح موسى كان سيئه يعني المنهي عنه فإن المذكورات مأمورات ومناهي
وقرأ الحجازيان والبصري سيئة على أنها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك إشارة إلى ما
نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة أو صفة لها محمولة على المعنى
فإنه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز أن ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان أو في
الظرف على أن صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع

على أن الحوادث كلها واقعة بإرادته تعالى ذلك إشارة إلى الأحكام المتقدمة
مما أوحى إليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله إلها آخر
كرره للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه فإن من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله
أو تركه غيره ضاع سعيه وأنه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه أولا ما هو عائدة الشرك
في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا
مبعدا من رحمة الله تعالى أفأصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة
للإنكار والمعنى أفخصكم ربكم بأفضل الأولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة إناثا بنات
لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم إنكم لتقولون قولا عظيما بإضافة الأولاد
إليه وهي خاصة بعض الأجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل أنفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون
ثم بجعل الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله أدونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه
من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز أن يراد بهذا القرآن إبطال إضافة
البنات إليه على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا
بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر
وما يزيدهم إلا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة إليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون أيها المشركون
وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على أن الكلام مع الرسول صلعم ووافقهما نافع وابن عامر
وأبو بكر ويعقوب في الثانية على أن الأولى مما أمر الرسول صلعم أن يخاطب به المشركين والثانية
مما نزه به نفسه عن مقالتهم إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو
والمعنى لطلبوا إلى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو
بالتقرب إليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم
الوسيلة سبحانه تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية
البعد عما يقولون فإنه في أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته
واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والأرض
ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الإمكان وتوابع الحدوث بلسان
الحال حيث يدل بإمكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم
أيها المشركون لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ
والدلالة لإسناده إلى ما يتصور منه اللفظ وإلى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز إطلاق
اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر يسبح بالياء إنه كان حليما حين
لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم وإذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرأ عليهم مستورا ذا ستر
كقوله تعالى وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم أو مستورا عن الحس أو بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون
أنهم لا يفهمون نفى عنهم أن يفهموا ما أنزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات

المنصوبة في الأنفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا
على قلوبهم أكنة تكنها وتحول دونها عن إدراك الحق وقبوله أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه
ويجوز أن يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أي منعناهم أن يفقهوه وفي
آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه ما يمنع
عن فهم المعنى وإدراك اللفظ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به
آلهتهم مصدر وقع موقع الحال وأصله يحد وحده ولوا على أدبارهم نفورا هربا من استماع
التوحيد ونفرة أو تولية ويجوز أن يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن أعلم بما يستمعون به
بسببه ولأجله من الهزء بك وبالقرآن إذ يستمعون إليك ظرف لأعلم وكذا وإذ هم نجوى
أي نحن أعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون إليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى
يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل أن يكون جمع نجي إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا
مسحورا مقدر باذكر أو بدل من إذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على
أن تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة أي إلا
رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الأمثال مثلوك بالشاعر والساحر
والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا إلى طعن موجه
فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في أمره لا يدري ما يصنع أو إلى الرشاد وقالوا أئذا كنا عظاما
ورفاتا وحطاما أئنا لمبعوثون خلقا جديدا على الإنكار والاستبعاد لما بين غضاضة
الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لأن
ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر أو حال قل كونوا حجارة أو حديدا أو
خلقا مما يكبر في صدوركم أي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه أبعد شيء منها فإن قدرته
تعالى لا تقصر عن إحيائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض فكيف إذا كنتم عظاما مرفوتة
وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا
قل الذي فطركم أول مرة وكنتم ترابا وهو أبعد شيء من الحيوة فسينغضون إليك رؤوسهم
فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا فإن كل ما هو آت
قريب وانتصابه على الخبر أو الظرف أي يكون في زمان قريب وأن يكون اسم عسى أو خبره والاسم
مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون أي يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه
على سرعتهما وتيسر أمرهما وأن المقصود منهما الإحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم أي
حامدين لله على كمال قدرته كما قيل إنهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم
وبحمدك أو منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون إن لبثتم إلا قليلا وتستقصرون
مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية أو مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي
يعني المؤمنين يقولوا التي هي أحسن الكلمة التي هي أحسن ولا يخاشنوا المشركين إن
الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي إلى العناد وازدياد

وازدياد الفساد إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم أعلم
بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم تفسير للتي هي أحسن وما بينهما اعتراض أي قولوا لهم
هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بأنهم من أهل النار فإن ذلك يهيجهم على الشر مع أن ختام
أمرهم غيب لا يعلمه إلا الله وما أرسلناك عليهم وكيلا موكولا إليك أمرهم تقسرهم على
الإيمان وإنما أرسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالاحتمال منهم روي أن المشركين
أفرطوا في إيذائهم فشكوا إلى رسول الله صلعم فنزلت وقيل شتم عمر رضي الله عنه رجل منهم فأمره
الله بالعفو وربك أعلم بمن في السموات والأرض وبأحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته
من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبيا وأن يكون العراة الجوع
أصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق
الجسمانية لا بكثرة الأموال والأتباع حتى داود فإن شرفه بما أوحي إليه من الكتاب لا بما
أوتيه من الملك وقيل هو إشارة إلى تفضيل رسول الله صلعم وقوله وآتينا داود زبورا تنبيه
على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الأنبياء وأمته خير الأمم المدلول عليه بما كتب في الزبور أن الأرض
يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لأنه في الأصل
فعول للمفعول كالحلوب أو المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس أو الفضل
أو لأن المراد وآتينا داود بعض الزبر أو بعضا من الزبور فيه ذكر رسول الله صلعم قل ادعوا الذين
زعمتم أنها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف
الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم إلى غيركم أولئك الذين
يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة بالطاعة أيهم أقرب
بدل من واو يبتغون أي يبتغي من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون أنهم آلهة إن عذاب ربك كان
محذورا حقيقا بأن يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل
يوم القيمة بالموت والاستئصال أو معذبوها عذابا شديدا بالقتل وأنواع البلية
كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا أن نرسل بالآيات
وما صرفنا عن إرسال الآيات التي اقترحتها قريش إلا أن كذب بها الأولون إلا تكذيب
الأولين الذين هم أمثالهم في الطبع كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك
واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا أن لا نستأصلهم لأن منهم من يؤمن
أو يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الأمم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود
الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات إبصار أو بصائر أو جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ
بالفتح فظلموا بها فكفروا بها أو فظلموا أنفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات أي بالآيات
المقترحة إلا تخويفا من نزول العذاب المستأصل فإن لم يخافوا نزل أو بغير المقترحة كالمعجزات
وآيات القرآن إلا تخويفا بعذاب الآخرة فإن أمر من بعثت إليهم مؤخر إلى يوم القيمة وال

مزيدة او في موضع الحال والمفعول محذوف • واذ قلنا لك • واذكر اذ اوحينا اليك
ان ربك احاط بالناس • فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم
العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه • وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية
او عام الحديبية حين راى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ
ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد
ماءه قال لكأني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش
واستسخروا منه وقيل راى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم
من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله • الا فتنة للناس • ما حدث في ايامهم
والشجرة الملعونة في القرآن • عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا
ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل
من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان
يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او
وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام
ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع
على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك • ونخوفهم • بانواع التخويف
فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا • الا عتوا متجاوز الحد • واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا • لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون
حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي أأسجد له واصله طين وفيه على الوجوه
ايماء بعلة الانكار • قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي • الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له
من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه
والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي • لئن اخرتني الى يوم القيمة
كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه • لاحتنكن ذريته الا قليلا • اي لأستأصلنهم بالاغواء
الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك
وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير
او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب • قال اذهب • امض لما قصدته وهو طرد وتخلية
بينه وبين ما سولت له نفسه • فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم • جزاؤك وجزاؤهم فغلب
المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات • جزاء موفورا
مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى
تجازون او حال موطئة لقوله موفورا • واستفزز • واستخف • من استطعت منهم ان تستفزه
والفز الخفيف • بصوتك • بدعائك الى الفساد • واجلب عليهم • وصح عليهم من الجلبة وهي

الصياح • بخيلك ورجلك • باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله صلعم
يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من
يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا
حفص ورجلك بالكسر وقرئ بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ
ورجالك ورجالك • وشاركهم في الاموال • بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف
فيها على ما لا ينبغي • والاولاد • بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته
عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة • وعدهم •
المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتاخير التوبة لطول الامل • وما
يعدهم الشيطان الا غرورا • اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب
ان عبادي • يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم
ليس لك عليهم سلطان • اي على اغوائهم قدرة • وكفى بربك وكيلا • يتوكلون به في الاستعاذة
منك على الحقيقة • ربكم الذي يزجي • هو الذي يجري • لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله • الربح
وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم • انه كان بكم رحيما • حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل
عليكم ما تعسر من اسبابه • واذا مسكم الضر في البحر • خوف الغرق • ضل من تدعون • ذهب عن
خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم • الا اياه • وحده فانه حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون
لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله • فلما نجاكم • من الغرق • الى البر اعرضتم
عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة • عطاء فتى تمكن في المعالي • فاعرض
في المكارم واستطالا • وكان الانسان كفورا • كالتعليل للاعراض • افامنتم • الهمزة فيه
للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من
قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قدر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره • ان يخسف بكم جانب البر • ان يقلبه
الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربع
التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات
في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك • او يرسل عليكم حاصبا • ريحا تحصب اي
ترمي بالحصباء • ثم لا تجدوا لكم وكيلا • يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله • ام امنتم ان يعيدكم
فيه • في البحر • تارة اخرى • بخلق دواع تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه • فيرسل عليكم قاصفا من الريح
لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته • فيغرقكم • وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح
بما كفرتم • بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء • ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا • مطالبا يتبعنا
بانتصار او صرف • ولقد كرمنا بني آدم • بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة
والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد
والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية
والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك

ما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه
بيده • وحملناهم في البر والبحر • على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم
فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء • ورزقناهم من الطيبات • المستلذات
مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم • وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا • بالغلبة والاستيلاء او
بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم
تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف • يوم ندعو • نصب
باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا
في لغة من يقول افعو او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا
او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو
قد يقدر كما في يدعى • كل اناس بامامهم • بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب
او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب
وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف
وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عم واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما وان لا يفتضح
اولاد الزنى • فمن اوتي • من المدعوين • كتابه بيمينه • اي كتاب عمله • فاولئك يقرؤن كتابهم
ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه • ولا يظلمون فتيلا • ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع
اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على
ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك
لم يذكرهم مع ان قوله • ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى • ايضا مشعر بذلك فان الاعمى
لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى
لا يرى طريق النجاة • واضل سبيلا • منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل
لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه
كالابله والاحمق ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم
المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة
من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما
وان كادوا ليفتنونك • نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب
لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلواتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان
تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل
ان الله امرني به وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان
هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال
عن الذي اوحينا اليك • من الاحكام • لتفتري علينا غيره • غير ما اوحينا اليك • واذا لاتخذوك
خليلا • ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي • ولولا ان ثبتناك

ولولا ان ثبتناك • لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا • لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم
والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت
ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه صلعم ما هم باجابتهم مع قوة الداعي
اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه • اذا لاذقناك • اي لو قاربت لاذقناك ضعف
الحيوة وضعف الممات • اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به في الدارين
بمثل هذا الفعل غيرك لان خطاء الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا
في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها
وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب
القبر • ثم لا تجد لك علينا نصيرا • يدفع العذاب عنك • وان كادوا • وان كاد اهل مكة
ليستفزونك • ليزعجونك بمعاداتهم • من الارض • ارض مكة • ليخرجوك منها واذا لا يلبثون
خلفك • ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك • الا قليلا • الا زمانا قليلا وقد كان كذلك
فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلعم بالمدينة
فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك بقلبه فخرج
مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن
على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن لا تعمل اذا كان
معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة
فيه قال • عفت الديار خلافهم فكانما • بسط الشواطب بينهن حصيرا • سنة من قد ارسلنا قبلك
من رسلنا • نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم
من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه • ولا تجد لسنتنا تحويلا
اي تغييرا • اقم الصلوة لدلوك الشمس • لزوالها ويدل عليه قوله صلعم اتاني جبريل لدلوك الشمس
حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر
يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان
الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها في لثلاث خلون • الى غسق الليل
الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة • وقرآن الفجر • وصلوة الفجر سميت قرآنا لانه ركنها
كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز
لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي
غيرها قياسا • ان قرآن الفجر كان مشهودا • يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة
من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان
يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها
ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان
لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق • ومن الليل فتهجد به •

وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن • نافلة لك • فريضة زائدة لك على الصلوات
المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك • عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا • مقاما يحمده
القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى
ابو هريرة رضي الله عنه عنه صلعم قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه
فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك
معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام • وقل رب ادخلني • اي في القبر • مدخل صدق •
ادخالا مرضيا • واخرجني • اي منه عند البعث • مخرج صدق • اخراجا ملقى بالكرامة وقيل
المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين
وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا
حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى
ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا • واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا • حجة تنصرني
على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره
على الدين كله ليستخلفنهم في الارض • وقل جاء الحق • الاسلام • وزهق الباطل • وذهب وهلك
الشرك من زهق روحه اذا خرج • ان الباطل كان زهوقا • مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلعم
دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول
جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر
فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره • وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين • ما هو في
تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض
والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف • ولا يزيد
الظالمين الا خسارا • لتكذيبهم وكفرهم به • واذا انعمنا على الانسان • بالصحة والسعة • اعرض •
عن ذكر الله • ونأى بجانبه • لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون
كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي
فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض وامال الكسائي وخلف فتحة النون والهمزة في السورتين
وامال خلف فتحة الهمزة فيهما فقط وامال ابو بكر فتحة الهمزة هنا وخلص فتحها هناك وورش على اصله
في ذوات الياء • واذا مسه الشر • من مرض او فقر • كان يؤسا • شديد اليأس من روح الله
قل كل يعمل على شاكلته • قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلال او جوهر روحه
واحواله التابعة لمزاج بدنه • فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا • اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت
الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين • ويسألونك عن الروح • الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره
قل الروح من امر ربي • من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده
او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال من قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روي
ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها

عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم
امر الروح وهو مبهم في التوراة وقيل الروح جبرئيل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن
امر ربي معناه من وحيه • وما اوتيتم من العلم الا قليلا • تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب
العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك
قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته
وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس فلذلك اقتصر
على هذا الجواب كما اقتصر موسى عم في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه صلعم
لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك
ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الحق والخير ما تسعه القوة البشرية
بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به
خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير • ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك • اللام الاولى
موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه
عن المصاحف والصدور • ثم لا تجد لك به علينا وكيلا • من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا
• الا رحمة من ربك • فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء
منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله
• ان فضله كان عليك كبيرا • كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه • قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن • في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى • لا يأتون بمثله •
وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة
ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير • وان اتاه خليل يوم مسألة
يقول لا غائب مالي ولا حرم • ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا • ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله
لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز
ان يكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا • ولقد صرفنا • كررنا بوجوه مختلفة زيادة
في التقرير والبيان • للناس في هذا القرآن من كل مثل • من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه
في الانفس • فابى اكثر الناس الا كفورا • الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه
متأول بالنفي • وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا • تعنتا واقتراحا بعدما لزمهم
الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف
والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا
زخر • او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا • او يكون لك بستان يشتمل
على ذلك • او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا • يعنون قوله تع او نسقط عليهم كسفا من السماء
وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن

الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما وحفص فيما عدا الطور
وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدرا وفعل بمعنى مفعول كالطحن • او تاتي بالله والملائكة
قبيلا • كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال
من الله او حال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله • فاني وقيار بها لغريب
او جماعة فيكون حالا من الملائكة • او يكون لك بيت من زخرف • من ذهب وقد قرئ به واصله
الزينة • او ترقى في السماء • في معارجها • ولن نؤمن لرقيك • وحده • حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه • وكان فيه تصديقك • قل سبحان ربي • تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها من ان
ياتي او يتحكم عليه احد او يشاركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان اي قال الرسول
هل كنت الا بشرا • كسائر الناس • رسولا • كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره
الله تع عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى
تخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا
في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا • وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى • اي وما منعهم
عن الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق • الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا • الا قولهم
هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلعم والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله تع
بشرا • قل جوابا لشبهتهم • لو كان في الارض ملائكة يمشون • كما يمشي بنو آدم • مطمئنين •
ساكنين فيها • لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا • ليمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس
فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس
وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم • على اني رسول اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت
ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز • انه كان بعباده خبيرا بصيرا •
يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلعم وتهديد للكفار
ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه • يهدونه • ونحشرهم يوم
القيمة على وجوههم • يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلعم كيف يمشون
على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم • عميا وبكما وصما •
لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم
لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز
ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس • مأويهم جهنم
كلما خبت • سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم • زدناهم سعيرا • توقدا بان نبدل
جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله تع
بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله • ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا
وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا • لان الاشارة الى ما تقدمه

تقدمه من عذابهم • اولم يروا • اولم يعلموا • ان الله الذي خلق السموات والارض قادر
على ان يخلق مثلهم • فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء • وجعل
لهم اجلا لا ريب فيه • هو الموت او القيمة • فابى الظالمون • مع وضوح الحق • الا كفورا •
الا جحودا • قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي • خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل
يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة
مع الايجاز والدلالة على الاختصاص • اذا لامسكتم خشية الانفاق • لبخلتم مخافة النفاد
بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه
فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تع وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم • وكان الانسان
قتورا • بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات • هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار
الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات
مكان الثلثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبي صلعم عنها فقال ان لا تشركوا بالله
شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا
ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم
خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات
الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها
في الاخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستأنف زائد
على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام • فاسئل بني اسرائيل اذ جاءهم • فقلنا له سلهم
من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلعم فسأل على لفظ
الماضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سأل على هذه القراءة او فاسأل يا محمد
بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك
او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تع لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد
يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا
او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف • فقال له فرعون
اني لاظنك يا موسى مسحورا • سحرت فتخبط عقلك • قال لقد علمت • يا فرعون وقرأ الكسائي
بالضم على اخباره عن نفسه • ما انزل هؤلاء • يعني الآيات • الا رب السموات والارض بصائر •
بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال • واني لاظنك يا فرعون مثبورا •
مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه
وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر
اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة • فاراد فرعون
ان يستفزهم • ان يستخف موسى وقومه وينفيهم • من الارض • ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل

والاستيصال فأغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالإغراق
وقلنا من بعده من بعد فرعون وإغراقه لبني إسرائيل اسكنوا الأرض التي أراد أن يستفزكم
منها فإذا جاء وعد الآخرة الكرة أو الحيوة أو الساعة أو الدار الآخرة يعني قيام القيمة
جئنا بكم لفيفا مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من أشقيائكم واللفيف الجماعات
من قبائل شتى وبالحق أنزلناه وبالحق نزل أي ما أنزلنا القرآن إلا ملتبسا بالحق
المقتضي لإنزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق المقتضي لإنزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه
وقيل وما أنزلناه من السماء إلا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظا بهم
من تخليط الشياطين ولعله أراد به نفي اعتراء البطلان له أول الأمر وآخره وما أرسلناك إلا
مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك إلا التبشير والإنذار وقرآنا
فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوما شهدناه
وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فإنه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث
على مهل وتؤدة فإنه أيسر للحفظ وأعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا
على حسب الحوادث قل آمنوا به أو لا تؤمنوا فإن إيمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم
عنه لا يورثه نقصانا وقوله إن الذين أوتوا العلم من قبله تعليل له أي إن لم تؤمنوا به فقد
آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات
النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل أو رأوا نعتك وصفة ما أنزل إليك في تلك الكتب ويجوز
أن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كأنه قيل تسل بإيمان العلماء عن إيمان الجهلة ولا تكترث
بإيمانهم وإعراضهم إذا يتلى عليهم القرآن يخرون للأذقان سجدا يسقطون على
وجوههم تعظيما لأمر الله وشكرا لإنجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلعم على فترة من الرسل
وإنزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد إن كان وعد ربنا لمفعولا
إنه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للأذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب
فإن الأول للشكر عند إنجاز الوعد والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين
من خشية الله وذكر الذقن لأنه أول ما يلقى الأرض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور
به ويزيدهم سماع القرآن خشوعا لما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله أو ادعوا
الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلعم يقول يا الله يا رحمن فقالوا إنه ينهانا أن
نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر أو قالت اليهود إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثره الله في
التورية فالمراد على الأول هو التسوية بين اللفظين فإنهما يطلقان على ذات واحدة وإن اختلف
اعتبار إطلاقهما والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني أنهما سيان
في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود وهو الجواب لقوله أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى
والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى إلى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه وأو للتخيير
والتنوين في أيا عوض عن المضاف إليه وما صلة لتأكيد ما في أي من الإبهام والضمير في له للمسمى

للمسمى لأن التسمية له لا للاسم وكان أصل الكلام أيا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الأسماء
الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والإكرام
ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فإن ذلك يحملهم على السب واللغو فيها
ولا تخافت بها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر
والمخافتة سبيلا وسطا فإن الاقتصاد في جميع الأمور محبوب روي أن أبا بكر رضي الله عنه كان
يخفت ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول أطرد الشيطان
وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله صلعم أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل
معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالإخفات
نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الألوهية
ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه أن يكون له ما يشاركه
من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على أنه الذي
يستحق جنس الحمد لأنه الكامل الذات المتفرد بالإيجاد المنعم على الإطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة
أو منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على أن العبد وإن بالغ في التنزيه
والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي أن يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي أنه صلعم
إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه صلعم من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه
عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية

سورة الكهف مكية وقيل إلا قوله واصبر نفسك الآية وهي مائة وإحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على إنزاله تنبيها على
أنه أعظم نعمائه وذلك لأنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش
والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى أو انحراف من الدعوة
إلى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الأعيان قيما مستقيما معتدلا لا إفراط فيه ولا تفريط
أو قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على الكتب السابقة يشهد بصحتها
وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما أو على الحال من الضمير في له أو من الكتاب على أن الواو في ولم يجعل
للحال دون العطف إذ لو كان للعطف كان المعطوف فاصلا بين أبعاض المعطوف عليه ولذلك
قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ قيما لينذر بأسا شديدا أي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا
فحذف المفعول الأول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق إليه من لدنه صادرا
من عنده وقرأ أبو بكر بإسكان الدال إسكان الباء من سبع مع الإشمام ليدل على أصله وكسر النون
لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للإتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم
أجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الأجر أبدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ
الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الإنذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وإنما لم يذكر المنذر به

استغنى بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم
يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي
ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه
لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة
عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه
ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ
وادل على المقصود تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها
من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان
كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع
نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم
بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث القرآن اسفا للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف
فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية
انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم
احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي
وفيه تسكين لرسول الله صلعم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض
التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله
كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم
مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع
الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها
ليس بعجيب مع انه من آيات الله تعالى كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل
او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا
وصيدهم والقوم في الكهف هجد او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف
وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا
الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته
فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل
اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت
ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها
اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال
آخر كان في فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو
دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك

عيالك فأتت وسلمت الي نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله
فقلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك
فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان هرمان وكانت لي غنم وكنت
اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت
محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي على
يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع
ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعني فتية من اشراف الروم ارادهم
دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب
لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة
الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت منك
اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع
بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته
في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير
والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا
حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة
لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امد الزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم
فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له لما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول
واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم
هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب منا بالسيوف
القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى كصبي
وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر
على هجر الوطن والاهل والمال والجراءة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا
بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا
والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا
عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في معنى الانكار لولا يأتون هلا
يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه
دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله
عطف على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله
ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم
وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ

وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم
من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون به وجزمهم
بذلك لخلوص يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء
وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب
لرسول الله صلعم او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم
فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله تعالى زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء
في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزورّ كتحمرّ وقرئ تزوارّ كتحمارّ وكلها
من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين واذا
غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في
فجوة منه اي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم
كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق
والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع
مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع
شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم
ذلك من آيات الله اي شأنهم وايواؤهم الى كهف كذلك او اخبارك قصتهم او ازورار
الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي
اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع
بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا
من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام
ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم
على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل
عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال
انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة
من قرأ وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل
بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم
وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع
من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله من الهيبة
او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف
فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى
من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت
ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملّئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب

ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا
ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على
كمال قدرة الله ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك احالوا العلم
الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم
وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده
قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس
لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق
الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف
وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد
المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة
طرسوس فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم
برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف
ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا
عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم
او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا
اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم
اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود
الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها
وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنين حافظا ابدانها
عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر
ابدانها فيردها عليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم
امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا
ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال
بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة او قالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه
قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم
بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله تعالى ردا
على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلعم او من
المتنازعين للرد الى الله بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم
ذلك روي ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وعليه اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا
فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصة فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية

فرأوا بينهم من دقيانوس فاعلمهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم
وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا
الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف
قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا •
سيقولون • اي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول صلعم من اهل الكتاب والمؤمنين
ثلثة رابعهم كلبهم • اي هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول
السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا • ويقولون خمسة سادسهم كلبهم • قاله النصارى
او العاقب منهم وكان نسطوريا • رجما بالغيب • يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم
عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه
على ما هو فيه • ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم • انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلعم عن جبريل لهم
وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه قوله • قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل • واتبع الاولين قوله
رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة فان
عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل نفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله
رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة
حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي
رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك
ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي
الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلثة لاهل الكتاب والقليل
منهم • فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا • فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه
وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم • ولا تستفت فيهم منهم احدا • ولا
تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم
لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله • نهي تأديب من الله تعالى لنبيه صلعم حين قالت
اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا
اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء
من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا
بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه
بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي
واذكر ربك • مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال ان شاء الله • اذا نسيت
اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رض ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز
تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق

ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق
بل هو من مقدر مدلول عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء
مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره
اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي • وقل عسى ان يهدين ربي • يدلني • لاقرب من هذا رشدا •
لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء
المتباعدة عنه اياهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة
او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي • ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا •
يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب
فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال
بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع
الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته
الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلث • قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض • له
ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلها فلا خلق يخفى عليه علما • ابصر به واسمع • ذكر بصيغة التعجب للدلالة
على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت
دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء
مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى الصيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز
الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش
والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت
للصيرورة • ما لهم • الضمير لاهل السموات والارض • من دونه من ولي • يتولى امورهم
ولا يشرك في حكمه • في قضائه • احدا • منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن
يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف
من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلعم على انه وحي معجز امره ان يداوم درسه ويلازم
اصحابه فقال • واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك • من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او
بدله • لا مبدل لكلماته • لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره • ولن تجد من دونه ملتحدا • ملتجأ
تعدل اليه ان هممت به • واصبر نفسك • واحبسها وثبتها • مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي •
في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون
اللام فيه على تأويل التنكير • يريدون وجهه • رضاء الله وطاعته • ولا تعد عيناك عنهم • ولا
تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه
وعداه والمراد نهي الرسول صلعم ان يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا
الى طراوة زي الاغنياء • تريد زينة الحيوة الدنيا • حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن
في الفعل في غيرها • ولا تطع من اغفلنا قلبه • من جعلنا قلبه غافلا • عن ذكرنا • كامية بن خلف في

في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء
غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة
الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا
انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك ونسبته اليه ومن اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه
بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكروا اولا بقوله
واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه
غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره
يقال فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله تعالى
لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر لا ابالي بايمان من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان
بمشيته فمشيته ليست بمشيته انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها
شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل
حائط من النار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل
كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط
حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب المهل وساءت
النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا
فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا
خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم
من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا
على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن
تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استيناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون
فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم
حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة
احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين
النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك
على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ
واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان
من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن قيل اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار
فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه
الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاشد ومؤمن وهو ابو سلمة
زوج ام سلمة قبل رسول الله صلعم جعلنا لاحدهما جنتين بساتين من اعناب من الكروم

من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما
مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله
فيزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما
جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين
آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه
ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا
وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف
وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو
بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك في قوله واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو
يحاوره وهو يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا
وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها
وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهي ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة
التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة
وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد هذه ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول
امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي
بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين
منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه
ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت
بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة
ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله
لان منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر
على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او
دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف
في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشأن
وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك
من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي
ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله
الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية
والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله
وهلا قلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها
وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلعم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله

لم يغيره. إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا. يحتمل أن يكون أنا فصلا وأن يكون تأكيدا للمفعول
الأول وقرئ أقل بالرفع على أنه خبر أنا والجملة مفعول ثان لترني وفي قوله وولدا دليل لمن فسر
النفر بالأولاد. فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا أو في الآخرة لإيماني وهو
جواب الشرط. ويرسل عليها على جنتك لكفرك. حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق
وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها أو عذاب حساب الأعمال السيئة
فتصبح صعيدا زلقا أرضا ملساء يزلق عليها باستيصال نباتها وأشجارها. أو يصبح ماؤها
غورا غائرا في الأرض مصدر وصف به كالزلق. فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا
في رده. وأحيط بثمره وأهلك أمواله حسبما توقعه صاحبه وأنذره منه وهو مأخوذ من أحاط
به العدو فإنه إذا أحاط به غلبه وإذا غلبه أهلكه ونظيره أتى عليه إذا أهلكه من أتى عليهم العدو
إذا جاءهم مستعليا عليهم. فأصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا. على ما أنفق فيها
في عمارتها وهو متعلق بيقلب لأن تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فأصبح يندم أو حال
أي متحسرا على ما أنفق فيها. وهي خاوية ساقطة. على عروشها بأن سقطت عروشها على الأرض
وسقطت الكروم فوقها. ويقول عطف على يقلب أو حال من ضميره. يا ليتني لم أشرك بربي أحدا
كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه أتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه
ويحتمل أن يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه. ولم تكن له فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء
لتقدمه. ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الإهلاك أو رد المهلك أو الإتيان بمثله
من دون الله فإنه القادر على ذلك وحده. وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام
الله منه. هنالك في ذلك المقام وتلك الحال. الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر
عليها غيره تقريرا لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه أو ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر
فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن ويعضده قوله. هو خير ثوابا وخير عقبا أي لأوليائه وقرأ حمزة
والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك أي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه أو
لا يعبد غيره كقوله وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على أن قوله
يا ليتني لم أشرك كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة وقرأ أبو عمرو
والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا
بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة. واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا واذكر لهم ما يشبه الحيوة
الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة. كماء هو كماء ويجوز أن يكون مفعولا
ثانيا لاضرب على أنه بمعنى صير. أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فالتف بسببه وخالط
بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه أو نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات
الأرض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته. فأصبح هشيما
مهشوما مكسورا. تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من أذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله
بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارقا ثم هشيما تطيره الرياح

الرياح فيصبح كأن لم يكن. وكان الله على كل شيء من الإنشاء والإفناء. مقتدرا قادرا
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الإنسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب.
والباقيات الصالحات وأعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها أبد الآباد ويندرج فيها ما فسرت
به من الصلوات الخمس وأعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
والكلام الطيب. خير عند ربك من المال والبنين. ثوابا عائدة. وخير أملا لأن صاحبها
ينال بها في الآخرة ما كان يأمل بها في الدنيا. ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في
الجو أو نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك أي الباقيات الصالحات خير عند الله
ويوم القيمة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت
وترى الأرض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول
وحشرناهم وجمعناهم إلى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقق الحشر أو للدلالة على أن
حشرهم قبل التسيير ليعاينوا وشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال بإضمار قد. فلم نغادر
فلم نترك. منهم أحدا يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره
السيل وقرئ بالياء. وعرضوا على ربك شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم
بل ليأمر فيهم. صفا مصطفين لا يحجب أحد أحدا. لقد جئتمونا على إضمار القول على وجه يكون حالا
أو عاملا في يوم نسير. كما خلقناكم أول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا
فرادى أو أحياء كخلقتكم الأولى لقوله. بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا وقتا لإنجاز الوعد بالبعث
والنشور وأن الأنبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة إلى قصة أخرى. ووضع الكتاب
صحائف الأعمال في الأيمان والشمائل أو في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب. فترى المجرمين مشفقين
خائفين. مما فيه من الذنوب. ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوا من بين الهلكات.
ما لهذا الكتاب تعجبا من شأنه. لا يغادر صغيرة هنة صغيرة. ولا كبيرة إلا أحصاها إلا عدها
وأحاط بها. ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف. ولا يظلم ربك أحدا فيكتب عليه ما لم يفعل
أو يزيد في عقابه الملائم لعمله. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كرره في
مواضع لكونه مقدمة للأمور المقصودة بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح
صنيعهم قرر ذلك بأنه من سنن إبليس أو لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان الأعر
بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم أولا في زخارف الدنيا بأنها عرضة الزوال والأعمال
الصالحة خير وأبقى من أنفسها وأعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة
وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن. كان من الجن حال بإضمار قد أو استئناف للتعليل كأنه قيل
ما له لم يسجد فقيل كان من الجن. ففسق عن أمر ربه فخرج عن أمره بترك السجود والفاء للتسبيب
وفيه دليل على أن الملك لا يعصي البتة وإنما عصى إبليس لأنه كان جنيا في أصله والكلام المستقصى فيه في
سورة البقرة. أفتتخذونه أعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للإنكار والتعجيب. وذريته
أولاده أو أتباعه وسماهم ذرية مجازا. أولياء من دوني وتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي

وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض
ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي
اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة
من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم
واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم
لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين
فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلعم
وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد
من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله تع للكفار وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي
الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد
ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاعانة فلم يستجيبوا لهم فلم
يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار
او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رض لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او
مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا
يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها
ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس
من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شيء يتأتى منه الجدل جدلا
خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى
وهو الرسول الداعي والقرآن المنزل ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان
تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا
وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا
لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبلا وقبيلا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب
وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا
بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا
ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك
قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا لو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني
القرآن وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ
هزءا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها
فلم يتدبرها ولم يتذكرها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا

انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه
وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم ان يسمعوه حق استماعه وان تدعهم
الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما
عرفت جزاء وجواب للرسول صلعم على تقدير قوله عم ما لي لا ادعوهم فان حرصه عم على اسلامهم
يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما
كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك باهمال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله صلعم
بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجى يقال وأل اذا نجا
ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره
اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع
الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا
معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخر العذاب عنهم وقرأ
ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض
واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يعني يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عم فانه كان يخدمه
ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر
وقوله تع حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري
حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون
لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري
فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر عم فيه وقيل البحران موسى وخضر فان موسى بحر علم الظاهر
والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع او امضي حقبا
او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن
معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى عم خطب الناس بعد هلاك
القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا
الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر عم في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي
الى ايام موسى وقيل ان موسى عم سأل ربه عز وجل اي عبادك احب اليك قال تع الذي يذكرني ولا ينساني
قال فاي عبادك اقضى قال تع الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي
علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم مني
فادللني عليه فقال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال تع على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال
تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان
فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما
نسي موسى عم ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما رأى من حيوته ووقوعه في البحر روي ان موسى عم
رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى والخضر عليهما السلام وقيل توضأ يوشع

من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على
المطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله تع وسارب
بالنهار وقيل امسك الله تع جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني و
في البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتيه آتنا غداءنا
ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار
الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم
الاشارة قال ارايت اذ اوينا ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة
التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت
ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي وما انساني ذكره الا الشيطان
فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه
والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل
اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس
بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة
للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا وهو سبيلا
عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي
قال في آخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى ع م اي اتخذ موسى سبيل
الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا
على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا
او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر ع م واسمه بليا بن ملكان
وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما
يختص بنا ولا يعلم الا بتوقيفنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط
ان تعلمني وهو في موضع الحال مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصري
بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما
منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله
ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان
الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك
غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم
عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من
التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا
اي وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا
تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك

عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد
بالمشية اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا
خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشية الله تع قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء فلا تفاتحني
بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئ لك ببيانه
وقرأ نافع وابن عامر فلا تسالني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة
حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال
اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق
بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا
اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال
لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني
اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان
الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه
ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك
يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ
عسرا بضمتين فانطلقا اي بعدما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل
ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه قتله من غير تروٍّ واستكشاف حال
ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي
اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او لانه لم يرها قد
اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا
وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستانفا وفي الثانية
قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل
عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله تع لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون
وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا
زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز
والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سألتك عن شيء
بعدها فلا تصاحبني وان سالت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت
من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلعم رحم الله اخي موسى
استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع لدني بتحريك النون
والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك
النون واسكان الدال اسكان الضاد في عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية

وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما
من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيّفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف
السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة
للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل
وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته
ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعلّ من النقض وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص
بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده
فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا
بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك
نفسه والاتخاذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان
لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق
بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت
اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر
الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر
الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون
في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا
مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون
في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم
وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوله بن جلندى الازدي يأخذ كل سفينة غصبا
من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم لان
ارادة التعييب مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين
خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد
والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان
يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه
وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته
على طغيانه وكفره حبا له وانما خشي ذلك لان الله تع اعلمه وعن ابن عباس رضـ ان نجدة الحروري
كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلعم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم
موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبة ويجوز ان يكون قوله
فخشينا حكاية قول الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه اي يرزقهما بدله ولدا خيرا
منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه
قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تع به امة من الامم وقرا نافع وابو عمرو

وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل
اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم
وصريم واسم المقتول جيسون وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا
والذم على كنزهما في قوله تع والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق
بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر
كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت
لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله
الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل
كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك
ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الرأي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك
ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره
فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا
الى الله تع والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله تع بدله وثالثا الى الله تع وحده
لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف
حال العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت ما رايته عن امري عن
رأيي وانما فعلته بامر الله تع ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما
وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي
ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار
ما لم يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال
وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسألونك عن ذي القرنين
يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين
او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له
قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع
كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه
امتحانا او مشركو مكة قل سأتلو عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين
وقيل لله تع انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول
واتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والالة
فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرا الكوفيون وابن عامر بقطع
الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأة من حمئت
البئر اذا صارت ذات حمأة وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة
ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة

لكسره ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال
وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة
فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية
ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر
وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او ان يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله تع قلنا يا ذا
القرنين اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع
وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله تع قال
اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة وقال اما من
دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي
في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله تع في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل
صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرأ
حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها
او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان
تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون
اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن
اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله تع اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام
او على لسان نبي وسنقول له من امرنا مما نأمر به يسرا سهلا متيسرا غير شاق وتقديره
ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ
مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على
اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
سترا من اللباس والبناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية
كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره
في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة
قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذين تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه
من الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد
ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا
معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين
المبني بينهما سده وهما جبلا ارمنية واذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع
ارض الترك منيفان من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تع والمفتوح لما
عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس ومن ههنا مفعول به

مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة
لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي لا يُفقِهون اي لا يُفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه
لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود رض قال الذين من
دونهم ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح عم وقيل يأجوج من الترك ومأجوج
من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من أجّ الظليم اذا اسرع واصلهما
الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث مفسدون في الارض اي في ارضنا
بالقتل والتخريب واتلاف الزروع وقيل كانوا يخرجون في الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا
يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ
حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج
المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير
حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي
من الخراج ولا حاجة بي اليه وقرأ ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اي بقوة فعلة
او بما اتقوى به من الآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم
ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة
وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر
ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة كما في
امرتك الخير فافعل ما امرت به وانه اعطى الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى
اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان
بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف
وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا
في الاكوار والحديد حتى اذا جعله اي جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتوني افرغ
عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه
تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا
مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالتباس وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة الالف
فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين
على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه
وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته وقيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب
والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت
كالنار وصب النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه
من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا
السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي وقت وعده

بخروج يأجوج ومأجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة جعله دكا مدكوكا مبسوطا
مسوى بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل اذك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء
بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين
وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء
السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون
انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب
والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا وابرزناها واظهرناها لهم الذين كانت
اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا
يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع
اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام
للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين
نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد
مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي أكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه
فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم
للكافرين نزلا ما يقام للنزيل فيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم
وآخرتهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال والجر على البدل والنصب على الذم
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا
بآيات ربهم بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو
عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها
ذلك الامر ذلك وقوله تعالى جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ
والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم جهنم
خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده
والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة
لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به
تأكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج
لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه
قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود

الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الا
لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي
لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب
نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم
من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته تعالى وتقدس يوحى الي
انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يأمل حسن لقائه
فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا
روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلعم اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال
صلعم ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه صلعم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية
جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلعم من قرأها عند مضجعه
كان له نورا في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه
بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ
وعنه صلعم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت
له نورا من الارض الى السماء

سورة مريم مكية وهي ثمان او تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجي ياآت وابن عامر وحمزة الياء والكسائي
وابو بكر كليهما ذكر رحمة ربك خبر ما قبله ان اول بالسورة او القرآن فانه مشتمل عليه او خبر
محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدأ حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ
ذكّر رحمة ربك على الماضي وذكّر على الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله
على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا
لان الاخفاء والجهر عند الله تعالى سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على
طلب الولد في ايام الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف
في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون قال رب اني وهن
العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه
اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالكسر
والضم ونظيره كمل في الحركات الثلث واشتعل الرأس شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته
بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند
الاشتعال الى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى
باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ولم اكن بدعائك
رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له

وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان
لا يخيب من اطمعه واني خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا
خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح
الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الموالي اي خفت فعل الموالي من ورائي او الذين يلون
الامر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي او خفوا
ودرجوا قداما فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امرأتي عاقرا لا تلد فهب لي
من لدنك فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامرأتي لا نصلح للولادة وليا
من صلبي يرثني ويرث من آل يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انهما جواب
الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان
حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق وقيل كان يعقوب اخا زكريا او عمران بن
ماثان من نسل سليمان وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين واو يرث بالتصغير
لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور
اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى
جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد
بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله هل تعلم له سميا لان
المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل
سمي به لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي
عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي
الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ
حمزة والكسائي وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان
المؤثر فيه كمال قدرته تعالى وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال اي الله او الملك
المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الامر كذلك ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بقال في
قال ربك وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو
علي هين اي الامر كما قلت او كما وعدت وهو علي ذلك يهون علي او كما وعدت وهو علي هين
لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك من قبل ولم
تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء وقرأ حمزة والكسائي وقد
خلقناك قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال آيتك الا تكلم الناس
ثلاث ليال سويا سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران
للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن
فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا
وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله

ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون
مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار
بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله تعالى عقله في صباه
واستنبأه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف
على الحكم وزكوة وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله تعالى به على ابويه او مكنه
ووفقه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه وبارا
بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي ربه وسلام عليه من الله تعالى يوم ولد من ان يناله
الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار
وهول القيمة واذكر في الكتاب في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت اعتزلت
بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف
الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك
اذ لم تكرمني فتكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي دارها
ولذلك اتخذت النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انتبذت متضمنة معنى اتت
فاتخذت من دونهم حجابا سترا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرفة
للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود
اليه اذا طهرت فبينا هي في مغتسلها اتاها جبرئيل متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق
لتستأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت اني اعوذ بالرحمن منك
من غاية عفافها ان كنت تقيا تتقي الله تعالى وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله اي فاني عائذة به منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون للمبالغة
اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال انما انا رسول ربك
الذي استعذت به لاهب لك غلاما لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون
حكاية لقول الله تعالى ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا من
الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام
ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنى فانما يقال
فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله تعالى ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت
واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم يلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسبة كطالق
قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اي ونفعل ذلك لنجعله ونبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف
على ليهب على طريقة الالتفات آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا
على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء الله تعالى في الازل او قدر
وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها
فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة الحمل سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود

وضع لثمانية عشر وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد
حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار
فاجاءها المخاض فالجاها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كآتى
في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المراة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج
الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة
يابسة لا راس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة
غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعل الله تع الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها
ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء
من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت
وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو
لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته
منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع فناداها من تحتها عيسى
وقيل جبريل عليهما السلام كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائي
وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة
الا تحزني اي لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا
وقيل سيدا من السرو وهو عيسى عم وهزي اليك بجذع النخلة واميليه اليك والباء مزيدة
للتاكيد او افعلي الهز والامالة به او هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع تساقط
عليك تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص
تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع
رطبا جنيا تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة يابسة لا راس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء
فهزتها فجعل الله تع لها راسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة
ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على ان من قدر ان يثمر النخلة
اليابسة المقطوعة الراس في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه
من الطعام والشراب ولذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي اي من الرطب وماء السري
او من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ وقري بالكسر
وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره
او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها
للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول
لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد
قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري

بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة
المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عم فانه قاطع في قطع الطاعن فاتت به قومها مع ولدها
راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا
بديعا منكرا من فري الجلد يا اخت هرون يعنون هرون النبي وكانت من اعقاب
من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او
طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به ما كان ابوك
امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد
الصالحين افحش فاشارت اليه الى عيسى اي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في
المهد صبيا ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال
من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله تع وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني عبد الله
انطقه الله تع به اولا لانه اول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته آتاني الكتاب
الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير اينما كنت حيثما كنت والتعبير بلفظ الماضي
اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله تع عقله واستنبأه طفلا
واوصاني وامرني بالصلوة والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل
ما دمت حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف
به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة
ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله تع من فرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت
ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه
فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تع والسلام على من اتبع الهدى
فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى ابن مريم اي الذي تقدم نعته
هو عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق
البرهاني حيث جعله الموصوف باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اي
هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل
صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب
على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في امره يشكون
او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب
ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله تع عما بهتوه اذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة
في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في آل عمران وقرأ الحجازيان والبصري بان بالفتح على
ولان وقيل انه معطوف على الصلوة فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى او فرق

النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء
وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم
هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك
اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وآرابهم بالكفر والفسوق او من وقت
الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان
اسماعهم وابصارهم يوم يأتوننا اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما
عميا في الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم
ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني
في موضع النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا
بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين
وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه اذ قضي الامر
فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة
وهم في غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله تع في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم
اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها
لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك
توفي الوارث لارثه والينا يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا
ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تع واياته وكتبه ورسله نبيا استنباه
الله تع اذ قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت
التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك
كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا
في جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق
وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح
ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام
العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض
صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم
عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة
الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط
المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني
من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق
بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع
مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الامر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان

واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله ان
الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد
منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك
عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن والعذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته
فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة
او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته في الربانية او لانه
ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته فنبه عليها قال اراغب انت عن الهتي
يا ابرهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه
ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على
ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها
او الرغبة عنها لارجمنك بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني
واهجرني عطف على ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة
او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا
اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن ساستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة
والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره
في سورة التوبة انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون
الله بالمهاجرة بديني وادعو ربي واعبده وحده عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا
خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان
الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة
وقيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل
تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على انفراده وكلا جعلنا
نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم
لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في
الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو
للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول
وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء
او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه وكان رسولا
نبيا ارسله الله الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه من جانب
الطور الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان
تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته

بكيا سُجّداً وبكيّاً حال من احد الضميرين وقيل من تفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق
السموات حتى سمع صرير القلم • ووهبنا له من رحمتنا • من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا • اخاه • معاضدة
اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول
او بدل • هرون • عطف بيان له • نبيا • حال منه • واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق
الوعد • ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك
انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله صابرا فوفى • وكان رسولا نبيا •
يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم كانوا على شريعته
وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة • اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو
اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تع وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم
واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم • وكان عند ربه مرضيا • لاستقامة
اقواله وافعاله • واذكر في الكتاب ادريس • هو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ
واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا
من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تع انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم
ونظر في علم النجوم والحساب • انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا • يعني شرف النبوة
والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة • اولئك • اشارة الى المذكورين
في السورة من زكريا الى ادريس • الذين انعم الله عليهم • بانواع النعم الدينية والدنياوية
من النبيين • بيان للموصول • من ذرية آدم • بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون من
فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية • وممن حملنا مع نوح • اي ومن
ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح • ومن ذرية
ابرهيم • الباقون • واسرائيل • عطف على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى
وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية • وممن هدينا •
ومن جملة من هدينا الى الحق • واجتبينا • للنبوة والكرامة • اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا
سجدا وبكيا • خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم
من الله تع واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تع وعن النبي
صم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى
بالياء لان التانيث غير حقيقي وقرا حمزة والكسائي بكيا بكسر الباء • فخلف من بعدهم خلف • فعقبهم
وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون • اضاعوا الصلوة •
تركوها او اخروها عن وقتها • واتبعوا الشهوات • كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب
والانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بني الشديد وركب المنظور ولبس
المشهور • فسوف يلقون غيا • شرا كقوله • فمن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو لا يعدم
على الغي لائما • او جزاء غي كقوله تع يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم

في جهنم يستعيذ منه اوديتها • الا من تاب وآمن وعمل صالحا • يدل على ان الاية في الكفرة
فاولئك يدخلون الجنة • وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل
ولا يظلمون شيئا • ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر
وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم • جنات عدن • بدل من الجنة
بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وعدن
علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه
بقوله • التي وعد الرحمن عباده بالغيب • اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها
او وعدهم بايمانهم بالغيب • انه • ان الله • كان وعده • الذي هو الجنة • ماتيا • ياتيها اهلها
الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا • لا يسمعون فيها لغوا • فضول كلام
الا سلاما • ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم
بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه
كقوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • او على ان معناه الدعاء بالسلامة
واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام • ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا • على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق
ودروره • تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا • نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم
كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ مستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث
انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة
المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد
وما نتنزل الا بامر ربك • حكاية قول جبرئيل حين استبطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل
عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطا عليه
خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل
النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى
وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما يقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي
له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك • وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل
من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته • وما كان ربك نسيا •
تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك
كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة راها فيه وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون
الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله تع ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة
فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله تع وما كان ربك نسيا تقرير من الله تع لقولهم اي
وما كان نسيا لاعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله • رب السموات والارض وما بينهما •
بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك • فاعبده واصطبر لعبادته • خطاب

للرسول صلعم مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته
واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة
فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق
ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور
احديته وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان
لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار
على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقل
كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي بن
خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ءاذا ما مت لسوف
اخرج حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر
كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به لان ما بعد اللام لا يعمل
فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله
للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروي عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة
مكسورة على الخبر اولا يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين
العاطف مع ان الاصل ان تتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه
انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك
فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل
فوربك لنحشرنهم اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشأن الرسول صلعم والشياطين
عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم
كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم
اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم
ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم
عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا
على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب
والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله تع وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول
وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة
بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وان فسر الانسان بالعموم فالمعنى انهم يجاثون
عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم
ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى
واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تع يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص ذلك

ذلك بالكفرة فالمراد به يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب او يدخل
كلا طبقتها التي تليق بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات
لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب
المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامي وخبره
اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق
عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستأنفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة
من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما شيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل
وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي نحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي
او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع
فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص صليا بكسر الصاد
وان منكم وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها
الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضه انه
سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار
فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تع اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها
وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم
واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين
اتقوا فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ بفتح الثاء اي هناك
ونذر الظالمين فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها
وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول
او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين
المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة
ومنزل واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الايات الواضحات وعجزوا عن
معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم
فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تع لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد
عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم
مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم
واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرئي المنظر فعل
من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وادغامها او على انه
من الري الذي هو النعمة وابو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي
وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل

والنقص ما يكون في الآخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيمده ويمهله
بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا
وقطعا لمعاذيره كقوله تع انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله تع اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين
خير حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود فانه اما العذاب
في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم
فيه من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس
ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى
واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع وجوه
القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله
اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله اراد به ما هو خير له وعوضه منه
وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل
له هداية والباقيات الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل
من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا
عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم
ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا والخير ههنا اما لمجرد الزيادة
او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده افرايت الذي كفر باياتنا
وقال لاوتين مالا وولدا نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال
لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاذا بعثت جئتني فيكون
لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار
والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرا حمزة والكسائي ولدا
وهو جمع ولد كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب اقد بلغ من عظمة شانه
الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتاه في الآخرة مالا وولدا
وتالى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فانه لا يتوصل
الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله
بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه سنكتب ما يقول
سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني
لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتاخر عن القول
لقوله تع ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستاهله
او نزيد عذابه ونضاعف لكفره وافترائه واستهزائه على الله تع ولذلك اكده بالمصدر دلالة على

فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد ويأتينا يوم القيمة فردا
لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه
واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله تع
وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم ستجحد الآلهة
عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله تع اذ تبرأ الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة
انهم عبدوها كقوله تع ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم
ضدا يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز اي يكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها
تكون معونة في عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم
بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد
ونظيره قوله وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب
الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على معنى كل هذا الراي كلا وكلا
على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا
الشياطين على الكافرين بان سلطنا عليهم وقيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم
على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلعم من اقاويل الكفرة وتماديهم
في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة فلا تعجل عليهم
بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم
ايام آجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة
يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم
في هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين
لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم
ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده
الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيها للعباد المدلول عليهم
بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد
ويستاهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله
اذنا فيها كقوله تع لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره
به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء
وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع
له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين
الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم
بالجراءة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني
اثقلني وعظم علي تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه ينشققن

مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ
لان التفعل مطاوع فعّل والانفعال مطاوع فعَل ولان اصل التفعل التكلف • وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا • تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول
هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من
شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا
على من تفوه بها • ان دعوا للرحمن ولدا • يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام
وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف
تقديره الموجب لذلك ان دعوا وفاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا
بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا او من
دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه • وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا
ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية
للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدا النعم كلها ومولى اصولها وفروعها
فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله • ان كل من في السموات والارض • اي ما منهم
الا آتي الرحمن عبدا • الا وهو مملوك له ياوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آتٍ الرحمنَ
على الاصل • لقد احصاهم • حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته
وعدهم عدا • عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار • وكلهم آتيه
يوم القيمة فردا • منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولدا ولا
يناسبه ليشرك به • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا • سيحدث
لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي صلعم اذا احب الله عبدا يقول
لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ
بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود في القيمة حين يعرض حسناتهم
على رؤس الاشهاد وينزع ما في صدورهم من الغل • فانما يسرناه بلسانك • بان انزلناه بلغتك
والبا بمعنى على او على اصله لتضمين يسرنا معنى انزلنا اي انزلناه بلغتك • لتبشر به المتقين
الصائرين الى التقوى • وتنذر به قوما لدا • اشداء الخصومة آخذين في كل لديد اي
شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر • وكم اهلكنا قبلهم من قرن • تخويف للكفرة وتجسير
للرسول صلعم على انذارهم • هل تحس منهم من احد • هل تشعر باحد منهم وتراه • او تسمع لهم ركزا
وقرئ تُسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب
طرفه في الارض والركاز المال المدفون • عن رسول الله صلعم من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد
من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع

سورة طه مكية وهي مائة واربع او ثلاث او خمس وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طه • فخمهما قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش
لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح
فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها في خلائقكم
لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه
على انه امر للرسول صلعم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه
اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه
هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض
لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفي بشطري الكلمتين وعبر
عنهما باسمهما • ما انزلنا عليك القران لتشقى • خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه مؤول بالسورة
او القران والقران فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته
نداء واستيناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدا او طائفة من الحروف محكية والمعنى
ما انزلنا عليك القران لتتعب بفرط تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة
الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض
المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب
للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القران انزل عليك لتشقى به
الا تذكرة • لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى
لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر
في موقع الحال من الكاف او القران او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القران
اي انزلنا عليك القران المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة • لمن يخشى • لمن في قلبه خشية ورقة يتاثر
بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به • تنزيلا • نصب باضمار فعله او بيخشى
او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا لا ان جعل مفعولا له لفظا او معنى فان الشيء لا يعلل بنفسه
ولا بنوعه • ممن خلق الارض والسموات العلى • مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشان
المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدا بخلق الارض
والسموات التي هي اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات
العلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد
العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته
حكمته وتعلقت به مشيته فقال • الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما
وما تحت الثرى • ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي
لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال
وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى • اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك

فانه يعلم السر وأخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس
لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع
والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها
فقال • الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى • ومن في ممن خلق صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال
من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد
العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان
والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة
النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا
ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية
من الارض وهي آخر طبقاتها والحسنى تانيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء في الحسن
لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها • وهل اتاك حديث موسى • قفى تمهيد نبوته
بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان
هذه السورة من اوائل ما نزل • اذ رأى نارا • ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه
استأذن شعيبا في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في
ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى
من جانب الطور نارا • فقال لاهله امكثوا • اقيموا مكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفي القصص
بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرها فيه • اني آنست نارا • ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه
وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به • لعلي آتيكم منها بقبس • بشعلة من النار وقيل جمرة • او اجد على النار
هدى • هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها في
كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بني الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان
محققا ولذلك حققه لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون
عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب
منه • فلما اتاها • اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء • نودي يا موسى • اني انا ربك
فتحه ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير
الضمير للتاكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس
لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء
وهو اشارة الى انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل
الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة • فاخلع نعليك • امره بذلك لان الحفوة
تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير
مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال • انك بالواد المقدس • تعليل للامر
باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين • طوى • عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون

والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين
او قدس مرتين • وانا اخترتك • اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك • فاستمع لما
يوحى • للذي يوحى اليك او للوحي واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين • انني انا الله لا اله
الا انا فاعبدني • بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر
بالعبادة التي هي كمال العمل • واقم الصلوة لذكري • خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التي
اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها
في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا تراءي بها ولا تشوبها بذكر
غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام
عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول اقم الصلوة لذكري • ان الساعة آتية •
كائنة لا محالة • اكاد اخفيها • اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا
ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب
خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره • لتجزى كل نفس بما تسعى • متعلق بآتية
او باخفيها على المعنى الاخير • فلا يصدنك عنها • عن تصديق الساعة او عن الصلوة • من لا يؤمن بها
نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لا ارينك ههنا تنبيها على ان
فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم تعرض عنها وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان
صد الكافر انما يكون بسبب ضعف فيه • واتبع هواه • ميل نفسه الى اللذات المخدجة فقصر نظره
على غيرها • فتردى • فتهلك بالانصداد بصده • وما تلك • استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه
فيها من العجائب • بيمينك • حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك • يا موسى • تكرير لزيادة الاستئناس
والتنبيه • قال هي عصاي • وقرئ عصي على لغة هذيل • اتوكأ عليها • اعتمد عليها اذا اعييت
او وقفت على رأس القطيع • واهش بها على غنمي • واخبط الورق بها على رؤس غنمي وقرئ
اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم
اي انحي عليها زاجرا لها • ولي فيها مآرب اخرى • حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها
على عاتقه فعلق بها اداوته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا
قصر الرشاء وصله بها واذا تعرض السباع لغنمه قاتل بها وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال
ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها
خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء
وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر
اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله
وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصا تنفع منافع
امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه • قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قيل
لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا

الى المبدا وتغيا ثانية باعتبار المنتهى وجهة اخرى لاسم الذى يعم الحالين وقيل كانت فى ضخامة
الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان قال خذها ولا تخف فانه لما رآها حية
تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الاولى هيئتها وحالتها
المتقدمة وهى فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على
ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اى سنعيدها فى طريقتها او على تقدير
فعلها اى سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل
لما قال له ربه ذلك اطمانت نفسه حتى ادخل يده فى فمها واخذ بلحييها واضمم يدك الى جناحك
الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر استعارة من جناحى الطائر سميا
بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تخرج بيضاء كأنها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح
كنى به عن البرص كما كنى بالسوأة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه آية اخرى معجزة
ثانية وهى حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك لنريك من آياتنا
الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه آية او القصة اى فعلنا بها او فعلنا ذلك
لنريك والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال منها اذهب الى فرعون
بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة انه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح لى صدرى ويسر
لى امرى لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر
على مشاقه والتلقى لما ينزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة
لى ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تأكيدا ومبالغة واحلل عقدة
من لسانى يفقهوا قولى فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان فى لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه
وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبى لا يفرق
بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها فى فيه ولعل تبييض يده كان لذلك
وقيل احترقت يده واجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اى رب تدعونى قال
الى الذى ابرأ يدى وقد عجزت عنه واختلف فى زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله
قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح منى لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول
بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر
ومن لسانى يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى
يعيننى على ما كلفتنى به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر
وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلتجئ اليه فى اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر
بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها فى موازر ومفعولا
اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولى صلة او حال او لى وزيرا وهرون عطف بيان
للوزير او وزيرا من اهلى لى تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخى على الوجوه بدل من هرون
او مبتدأ خبره اشدد به ازرى واشركه فى امرى على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر

ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج
الرغبات ويؤدى الى تكاثر الخير وتزايده انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون
مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لى فيما امرتنى به قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اى
مسؤولك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى
انعمنا عليك فى وقت آخر اذ اوحينا الى امك بالهام او فى منام او على لسان نبى فى وقتها
او ملك لا على وجه النبوة كما اوحى الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحى او مما ينبغى ان يوحى
ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به ان اقذفيه فى التابوت بان اقذفيه او اى اقذفيه
لان الوحى بمعنى القول فاقذفيه فى اليم والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف
فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل
لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز
مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان يجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم
فالمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض يأخذه عدو
لى وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار
المتوقع قيل انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته فى اليم وكان يشرع
منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا على رأسها
مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبى اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا
كما قال والقيت عليك محبة منى اى محبة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لا يكاد يصبر
عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق منى بالقيت اى احببتك ومن احبه الله
احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله فالتقطه منه
لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عينى ولتربى ويحسن اليك
وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل
معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح
التاء اى وليكون عملك على عين منى لئلا تخالف به عن امرى اذ تمشى اختك ظرف لالقيت
او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم على من يكفله
وذلك انه كان لا يقبل ثدى المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة
يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا
رادوه اليك كى تقر عينها بلقائك ولا تحزن هى بفراقك او انت على فراقها وفقد
اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطى الذى استغاثه عليه الاسرائيلى فنجيناك من الغم
غم قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك
فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء
كحجوز وبدور فى حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن

ومفارقة الآلاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد وأجر نفسه إلى غير ذلك أوله وما
سبق ذكره فلبثت سنين في أهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الأجلين ومدين
على ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لأن أكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته
المعين ولا مستأخر أو على مقدار من السن يوحى فيه إلى الأنبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية
الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن
قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب أنت وأخوك بآياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا
تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء
إلي اذهبا إلى فرعون إنه طغى أمر به أولا موسى وحده وههنا إياه وأخاه فلا تكرير قيل
أوحي إلى هرون أن يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك
إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فإنه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا أن تحمله الحماقة على
أن يسطو عليكما أو احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى أبو العباس
وأبو الوليد وأبو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول إلا بالموت لعله يتذكر
أو يخشى متعلق باذهبا أو قولا أي باشرا الأمر على رجائكما وطمعكما أنه يثمر ولا يخيب سعيكما
فإن الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في إرسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد
مع علمه بأنه لا يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة وإظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات
والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الأول أي إن لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا أقل
من أن يتوهمه فيخشى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أن يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر
إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة من فرط إذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل
وقرئ يفرط من أفرطته إذا حملته على العجلة أي نخاف أن يحمله حامل من استكبار أو خوف
على الملك أو شيطان إنسي أو جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الإفراط في الأذية
أو أن يطغى أن يزداد طغيانا فيتخطى إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته وقساوته وإطلاقه
من حسن الأدب قال لا تخافا إنني معكما بالحفظ والنصرة أسمع وأرى ما يجري بينكما وبينه
من قول وفعل فأحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز أن لا يقدر شيء
على معنى إنني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ إذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فأتياه
فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل أطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة
وقتل الولدان فإنهم كانوا في أيدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور أولادهم
في عام دون عام وتعقيب الإتيان بذلك دليل على أن تخليص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم
إلى الإيمان ويجوز أن يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك بآية من ربك جملة مقررة لما تضمنه
الكلام السابق من دعوى الرسالة وإنما وحد الآية وكان معه آيتان لأن المراد إثبات الدعوى
ببرهانها لا الإشارة إلى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية أو لو جئتك
بشيء مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين أو

السلامة في الدارين لهم إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى أن عذاب
المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لأن التهديد في
أول الأمر أهم وأنجع وبالواقع أليق قال فمن ربكما يا موسى أي بعدما أتياه وقالا له
ما أمرا به ولعله حذف لدلالة الحال فإن المطيع إذا أمر بشيء فعله لا محالة وإنما خاطب الاثنين
وخص موسى بالنداء لأنه الأصل وهرون وزيره وتابعه أو لأنه عرف أن له رتة ولأخيه فصاحة
فأراد أن يفحمه ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا
الذي أعطى كل شيء من الأنواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له أو أعطى
خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني لأنه المقصود بيانه وقيل
أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف إليه أو المضاف
على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا أي أعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه
كيف يرتفق بما أعطي وكيف يتوصل به إلى بقائه وكماله اختيارا أو طبعا وهو جواب في غاية البلاغة
لاختصاره وإعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالته على أن الغني القادر
بالذات المنعم على الإطلاق هو الله تعالى وأن جميع ما عداه مفتقر إليه ومنعم عليه في حد ذاته وصفاته
وأفعاله ولذلك بهت الذي كفر وأفحم عن الدخل عليه فلم ير إلا صرف الكلام عنه قال
فما بال القرون الأولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي
أي إنه غيب لا يعلمه إلا الله وإنما أنا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به في كتاب مثبت
في اللوح المحفوظ ويجوز أن يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده
لا يضل ربي ولا ينسى والضلال أن تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد إليه والنسيان أن تذهب عنه
بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز أن يكون سؤاله دخلا على إحاطة
قدرة الله بالأشياء كلها وتخصيصه أبعاضها بالصور والخواص المختلفة بأن ذلك يستدعي
علمه بتفاصيل الأشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد أطرافهم
كيف أحاط علمه بهم وبأجزائهم وأحوالهم فيكون معنى الجواب أن علمه تعالى محيط بذلك كله وأنه
مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهادا مرفوع صفة لربي أو خبر لمحذوف
أو منصوب على المدح وقرأ الكوفيون هنا وفي الزخرف مهدا أي كالمهد تتمهدونها وهو
مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش أو جمع مهد ولم يختلفوا في الذي
في النبأ وسلك لكم فيها سبلا وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها
من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها وأنزل من السماء ماء مطرا فأخرجنا به عدل به عن لفظ
الغيبة إلى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال
القدرة والحكمة وإيذانا بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله
ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والأرض
وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق أزواجا أصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران

بعضها ببعض من نبات بيان وصفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة
للنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض
ومرضى اي متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم
فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا
اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه
ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح
جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم وفيها
نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى بتاليف اجزائكم المتفتتة
المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه آياتنا
بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد
بآياتنا آيات معهودة وهي الآيات التسع المختصة بموسى وانه ام اراه آياته وعدد عليه
ما اوتي غيره من المعجزات فكذب اي فرعون موسى من فرط عناده وابى الايمان والطاعة
لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل
على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه
فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت
فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر
لا به فانه موصوف والمصدر الموصوف لا يعمل وقد جوز عن مشابهة الفعل او بانه بدل من موعدا
على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة
من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار
مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم
بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك
وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم
وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه
ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس
ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على
ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده
ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان
تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستاصلكم به وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب
برواية رويس بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى
كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقي الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي
تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا

واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى
وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا
النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث
بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان
لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدا وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدا وقيل
اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو
ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها المخففة واللام هي الفارقة او النافية
واللام بمعنى الا وشدد ابن كثير نون هذان يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء
عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه
واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل اراد اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل
فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة لوجوه القوم
واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه
واحد منكم وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول
بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا
مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب
من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى اي بعدما اتوا
مراعاة للادب وان بما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اي اختر القاءك او
القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة
بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان
يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق
انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل
المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك
انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر برواية
ابن ذكوان وروح تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال
وقرئ يخيل على اسناده الى الله تعالى وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها
خوفا من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف
ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق
وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما
في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة
التي في يدك او تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا

فألقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تع وأصله تتلقف فحذف احدى التائين وتاء
المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرأ ابن عامر برواية
ابن ذكوان بالرفع على الحال او الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى
تلقفته والبزي بتشديد التاء انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر
وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر
او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد
الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول
لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس ما اعدت في سعي دنيا طالما قد مدت
كأنه قيل انما صنعوا كيد سحري حيث اتى حيث كان واين اقبل فألقي السحرة سجدا اي
فألقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته فألقاهم
ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما رأوا قالوا آمنا برب
هرون وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروس الآي او لان فرعون ربى موسى في صغره
فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع
روي انهم رأوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له اي لموسى واللام لتضمين
الفعل معنى الاتباع وقرأ قنبل وحفص آمنتم له على الخبر والباقون على الاستفهام قبل ان
آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذي علمكم
السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى
ومن ابتدائية كأن القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب
على الحال اي لأقطعنها مختلفات وقرئ لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف ولأصلبنكم في جذوع
النخل شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف وهو اول من صلب
ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد
به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي آمنوا به اشد
عذابا وابقى وادوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به
ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف
على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكم به انما تقضي
هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو
كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحيوة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة
انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة
المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر
فان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا ان يعارضوه والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا
وابقى عقابا انه ان الامر من يأت ربه مجرما بان يموت على كفره وعصيانه فان له جهنم

جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة مهنأة ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات
في الدنيا فأولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك
جزاء من تزكى تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والآيات الثلث يحتمل ان تكون من كلام السحرة
وان تكون ابتداء كلام من الله ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي من مصر فاضرب
لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في البحر
يبسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل
شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس
كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كأن قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزا ومعى جياعا
او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من المأمور اي آمنا
من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر
ولا تخشى استئناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون
بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لا تخشى الغرق فأتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى خرج
بهم اول الليل فأخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول
الثاني وقيل فأتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فأتبعهم جنوده
وذادهم خلفهم فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي
غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل
هو الله او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورطهم للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى
اي اضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر
وما نجا يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين
منهم في عهد النبي صلعم بما فعل بآبائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم
جانب الطور الايمن لمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى
او له وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات
ما رزقناكم لذائذه او حلاله وقرأ حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ
ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال
بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم
عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى
وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل واني لغفار
لمن تاب عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام على
الهدى المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها
نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين

وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها
عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب لترضى
فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك قال فانا قد فتنا قومك من بعدك
ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف
ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا واضلهم السامري باتخاذ العجل والدعاء
الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا
على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها باياما اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان
امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في الاية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا
من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيته
والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل
من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى الى قومه بعد ما استوفى
الاربعين واخذ التورية غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم الم يعدكم ربكم
وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها هدى ونور افطال عليكم العهد اي الزمان يعني زمان
مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة
فاخلفتم موعدي وعدكم اياي بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من
اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين
وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما اخلفنا
موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه وقرا
نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلاثتها في الاصل لغات في مصدر ملكت الشيء
ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج
من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل
هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها اثام فان الغنائم
لم تكن تحل بعد او لانهم كانوا مستامنين وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي فقذفناها
اي في النار فكذلك القى السامري اي ما كان معه منها روي انهم لما حسبوا ان العدة
قد كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم
فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرا ابو عمرو وحمزة
والكسائي وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة
له خوار صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به اول ما راه هذا الهكم واله
موسى فنسي اي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه
من اظهار الايمان افلا يرون افلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما
ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين

اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم ولقد قال
لهم هرون من قبل من قبل رجوع موسى ع قول السامري كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع
من الحفرة وتوهموا ذلك فبادر تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن
لا غير فاتبعوني واطيعوا امري في الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل
وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول
قال يا هرون اي قال له موسى لما رجع ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل ان لا تتبعني
ان تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تأتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة كما في قوله ما منعك
ان لا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن ام خص الام
استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام لا تأخذ بلحيتي
ولا براسي اي بشعر راسي قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان ع حديدا
خشنا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل اني خشيت ان تقول فرقت بين
بني اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي
واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برأيك
قال فما خطبك يا سامري اي ثم اقبل اليه فقال له منكرا ما خطبك اي ما طلبك له وما الذي
حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به وقرأ حمزة والكسائي
بالتاء على الخطاب اي علمت ما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني
محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رايت ما لم تروه وهو ان جبرئيل جاءك على فرس الحيوة
قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبرئيل يغذوه حتى استقل
فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق على المقبوض كضرب
الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثاني للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما
الخضم والقضم والرسول جبرئيل ع ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبرئيل او اراد ان ينبه على الوقت
وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها في الحلي المذابة او في جوف العجل حتى
حيي وكذلك سولت لي نفسي زينته وحسنته الي قال فاذهب فان لك في الحيوة عقوبة
على ما فعلت ان تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد فيأخذك الحمى ومن مسك فتحامى
الناس ويتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة
وان لك موعدا في الاخرة لن تخلفه لن يخلفك الله وينجزه لك في الاخرة بعدما عاقبك
في الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف الواعد اياه وستأتيه لا محالة فحذف
المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ
بالنون على حكاية قول الله تع وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته فحذف
اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه اي بالنار ويؤيده قراءة
لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه

المقصود
لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء و
من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق
لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة
وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا
في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب
على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى مفعولين صار مفعولا
كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق
من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك
وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص
والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس
من اعرض عنه عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله فانه
يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها
على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما خالدين
فيه في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم
القيمة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم
واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل
امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقرأ ابو عمرو بالنون على
اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير
اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق
بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا
بذلك لان الزرقة اسوء الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى
اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين
او عميا فان حدقة الاعمى تزراق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم
من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا
يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما
عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات
او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم
اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون
اشد تقالا منهم ويسألونك عن الجبال عن مآل امرها وقد سئل عنه رجل من ثقيف فقل
ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها فيذر مقارها
او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا

خاليا صفصفا مستويا كأن اجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا
اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالقياس الهندسي وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان
باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعاني
والامت وهو النتو اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت
على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة يتبعون الداعي
داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب
الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن
خضعت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر
الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الا استثناء
من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اي الا من اذن في ان يشفع له فان
الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل
ان يكون من الاذن ومن الاذن ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة
او رضي لاجله قول الشافع في شأنه او قوله لاجله وفي شأنه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم
من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته
وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه
وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القاهر
وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده
وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ومن يعمل
من الصالحات بعض الصالحات وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول
الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء
ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرأ ابن كثير فلا يخف على النهي وكذلك عطف على
كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلناه قرآنا عربيا
كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي
فتصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فتثبطهم عنها ولهذه
النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة
المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق
بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته
ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته
في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا
قبل ان يأتي بيانه وقل رب زدني علما اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي
اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى آدم ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه

وعزم عليه وعهد اليه إذا أمره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله
وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على أن أساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان
من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه أو ترك ما وصي به من الاحتراز
عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم رأي وثباتا على الأمر إذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم
يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء أمره قبل أن يجرب الأمور ويذوق
شريها وأريها وعن النبي صلعم لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله
ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لأنه أخطأ ولم يتعمد ولم نجد إن كان من الوجود الذي
بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وإن كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما أو متعلق بنجد
وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم مقدر باذكر أي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك
أنه نسي ولم يكن من أولي العزيمة والثبات فسجدوا إلا إبليس قد سبق القول فيه أبى
جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود
المدلول عليه بقوله فسجدوا لأن المعنى أظهر الإباء عن المطاوعة فقلنا يا آدم إن هذا عدو
لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لإخراجكما والمراد نهيهما عن أن يكونا بحيث
يتسبب الشيطان إلى إخراجهما من الجنة فتشقى أفرده بإسناد الشقاء إليه بعد إشراكهما في الخروج
اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث إنه قيم عليها ومحافظة على الفواصل أو لأن المراد
بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله إن لك ألا تجوع فيها
ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فإنه بيان وتذكير لما له في الجنة من أسباب الكفاية
وأقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي
في تحصيل أعواض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه بأصناف الشقوة المحذر
منها والعاطف وإن ناب عن إن لكنه نائب من حيث إنه عامل لا من حيث إنه حرف تحقيق
فلا يمتنع دخوله على أن امتناع دخول إن عليه وقرأ نافع وأبو بكر وإنك لا تظمأ بكسر الهمزة
والباقون بفتحها فوسوس إليه الشيطان فأنهى إليه وسوسته قال يا آدم هل أدلك على شجرة
الخلد الشجرة التي من أكل منها خلد ولم يمت أصلا فأضافها إلى الخلد وهو الخلود لأنها
سببه بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة أخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين
وعصى آدم ربه بأكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل الشجرة
أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل إذا اتخم
من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لأولاده عنها
ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جبى إلي كذا فاجتبيته مثل جليت
على العروس فاجتليتها وأصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى إلى
الثبات على التوبة والتشبث بأسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحواء

وحواء أو له ولإبليس ولما كانا أصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو لأمر
المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب أو لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر
ويؤيد الأول قوله فإما يأتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا
ولا يشقى في الآخرة ومن أعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي إلى عبادتي فإن
له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى
وذلك لأن مجامع همته ومطامح نظره تكون إلى أعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا
على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تع قد يضيق بشوم الكفر ويوسع ببركة الإيمان
كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو أنهم أقاموا التورية والإنجيل ولو أن أهل القرى آمنوا
الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء
على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فإن له معيشة لأنه جواب الشرط يوم القيمة أعمى
أعمى البصر أو القلب ويؤيد الأول قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا وقد أمالهما حمزة
والكسائي لأن الألف منقلبة من الياء وفرق أبو عمرو بأن الأول رأس الآية ومحل الوقف فهو
جدير بالتغيير قال كذلك أي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال أتتك آياتنا واضحة نيرة
فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها وكذلك ومثل تركك إياها اليوم تنسى تترك
في العمى والعذاب وكذلك نجزي من أسرف بالانهماك في الشهوات والإعراض عن الآيات
ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار
أي وللنار بعد ذلك أشد وأبقى من ضنك العيش أو منه ومن العمى ولعله إذا دخل النار
زال عماه ليرى محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها أفلم يهد لهم مسند إلى الله
أو الرسول صلعم أو ما دل عليه كم أهلكنا قبلهم من القرون أي إهلاكنا إياهم أو الجملة بمضمونها
والفعل على الأولين معلق يجري مجرى أعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم
ويشاهدون آثار هلاكهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل
والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة لكان
لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به أو اسم آلة سمي
به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم وأجل مسمى عطف على كلمة أي ولولا العدة بتأخير
العذاب وأجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيمة أو يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة
على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان أي لكان الأخذ العاجل
وأجل مسمى لازمين لهم فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل وأنت حامد لربك على هدايته
وتوفيقه أو نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون إليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى
معترفا بأنه المولي للنعم كلها قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لأنهما
في آخر النهار أو العصر وحده ومن آناء الليل ومن ساعاته جمع إني بالكسر والقصر أو إناء بالفتح
والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وإنما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فإن القلب فيه

اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل
هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلوتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص
ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه
نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخر وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار
جنس او بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات
طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك
ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله
ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعول منهم اي الى الذي
متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه
متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه
او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف
لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه
لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الاخرة
او ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وامر اهلك
بالصلوة امره بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امره بها ليتعاونوا
على الاستعانة بها على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر
عليها وداوم عليها لا نسئلك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك
واياهم ففرغ بالك لامر الاخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى روي انه عليه السلم
اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الاية وقالوا لولا يأتينا باية من ربه باية تدل
على صدقه في ادعاء النبوة او باية مقترحة انكارا لما جاء به من الايات او للاعتداد به تعنتا
وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة
اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل
واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه
المختصة بهذا الباب فقال اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى من التورية والانجيل وسائر
الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الاتي بها امي
لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب
من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرأ نافع وابو عمرو وحفص
اولم تأتهم بالتاء وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة
والتذكير لانها في معنى البرهان او المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع اياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة وقد
قرئا بالبناء للمفعول قل كل كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم

وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ
السواء اي الوسط الجيد والسوأى والسوء اي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى
من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية
موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها
الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي صلى الله عليه وسلم
وعنه عم من قرأ طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة او احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا
وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
او لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تأكيد للاضافة
واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس
بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر
فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر
ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة ليأتيهم محدث تنزيله ليكرر على
اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن
ويسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون
حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء به والتلهي
والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير
واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل
من واو واسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او
مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على
فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون
باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعول القول مقدرا كانهم استدلوا بكونه بشرا
على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء
به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم
امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا
عما اسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير
ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول
وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل
هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول

قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكايته والابتداء باخرى وللاضراب عن تحاورهم في
شان الرسول صلعم وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية والثالثة
لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه
ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها وترغبه فيها ويجوز ان يكون الكل
من الله تع تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد وان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون
بالحقايق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات
كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلعم
نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق
فليأتنا باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه
واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالاية ما آمنت قبلهم من قرية
من اهل قرية اهلكناها باقتراح الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم
وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به لم يؤمنوا واستوجبوا
عذاب الاستيصال كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال
الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم
في امر النبي صلعم ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير توجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ
حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا
انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول
يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع
التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف
او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد
للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد
فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او احد من ذريته ولذلك
حميت العرب عن عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم
يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم
او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنون وكم قصمنا من قرية
واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة
صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشأنا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما آخرين
مكانهم فلما احسوا بأسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير
للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين
بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان

اما بلسان الحال او بلسان المقال والقائل ملك او من ثم من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه
من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن
اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام
والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك
لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر
فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت
تلك دعويهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل
ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعويهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا
مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا
بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود
او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانما خلقناها مشحونة
بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش
والمعاد فينبغي ان يتشبثوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال
لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق
بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها
وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى
ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية
بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل من شأننا ان نغلب
الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك
القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق
غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله
سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق
فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون
مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من
في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة
المقربين عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه
او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدأ خبره لا يستكبرون
عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي
هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو في يسبحون
وهو استيناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم

في القاموس النيف ككيس وقد يخفف كل ما زاد على العقد الى ان يبلغ العقد الثاني وانما قال ذلك نظرا الى نزول السورة الكريمة

من الارض صفة لآلهة او متعلق بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص
هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم من ادعائهم لها الالهية فان من
لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد
الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله وصفت بالا لما تعذر
الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه
والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع
على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب لفسدتا
لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر
وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذي
هو محل التدابير ومنشأ التقديرات عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد
لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم
يسألون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد ام اتخذوا من دونه آلهة
كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار ما يكون
لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى
فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية الامر باشراكهم
فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني
ما يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او النقل فانه لا يصح القول بما لا
دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب
السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم
يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي امته ومن قبلي
الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه ومن الجار
على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه
وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب فهم
معرضون عن التوحيد واتباع الرسول صلعم من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا
يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة
مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حمزة والكسائي وحفص نوحي بالنون
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه
له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون
وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله
كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل
القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب

وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته
فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يأمرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم
بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة
منه وهم من خشيته عظمته ومهابته مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم
ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر
وان عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد
مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير
الذين كفروا اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا
ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما
بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا
وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات واقاليم وقيل
كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات
فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا
في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر
الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا من العلماء ومطالعة للكتب وانما قال كانتا ولم يقل
كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا
كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله تع والله
خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا
كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو
والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي
ثابتات من رسا اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف
لا لأمن الالباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة
وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك وليبدل منها
سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون
الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت
المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها احوالها الدالة على وجود
الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة
والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان
لبعض تلك الآيات كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد

والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك
اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم
اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي
معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعلق الشرط
بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها
جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بالبلايا
والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم
من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب
تقريرا لما سبق واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا
مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال
فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد وبارشاده الخلق ببعث الرسل
وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن هم كافرون منكرون فهم احق بان يهزأ بهم وتكرير
الضمير للتاكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه خلق
منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو
منه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال
الوعيد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل ساريكم آياتي نقماتي في
الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت
عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيمة
ان كنتم صادقين يعنون النبي صلعم واصحابه رضي الله عنهم لو يعلم الذين كفروا حين لا
يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول به
اي لو يعلمون الوقت الذي يستعلمون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار
من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان
يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان ما هم عليه حين
لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تاتيهم العدة
او النار او الساعة بغتة فجاءة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم
او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها
لان الوعد بمعنى النار او العدة او الحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او البغتة
ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك
تسلية لرسول الله صلعم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون وعد له بان ما
يفعلونه يحيق بهم كما حاق المستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه قل يا محمد للمستهزئين

للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه ان اراد بكم وفي
لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر ربهم
معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ
وصلحوا للسؤال عنه ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز
منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض
الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون
استيناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره
بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم
هو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم
ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك
وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا نأتي
الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجري به
الله تعالى على ايدي المسلمين افهم الغالبون رسول الله صلعم والمؤمنين قل انما انذركم
بالوحي بما اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر ولا تسمع على خطاب
النبي صلعم وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على
تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد
به لان الكلام في الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء
وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء
الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين
لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين القسط العدل يوزن بها
صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال
بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله
او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقه او من الظلم وان كان
مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة
اتينا بها احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من
المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتانيثه
لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى
وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق
والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون
اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان الذين
يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع بالغيب حال من الفاعل

او المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القرآن مبارك كثير خيره انزلناه على محمد صلعم افانتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد آتينا ابرهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شانا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون او محمد صلعم وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال اني وجهت وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تع باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال الصورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين كانهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله انما على وجه الملاعبة فقالوا اجد تقوله ام لعب تقوله قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه ومن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين من المحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشي وحققه وتالله وقرئ بالله وهو الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرا الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه في حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة الذكر اليه يقال له ابرهيم هو ابرهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم قالوا فأتوا به على اعين الناس

الناس بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا أانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق أانت كتبت هذا بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابرهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي انه صلعم قال لابرهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشي مستعليا على اعلاه وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتها بعد اعترافهم بانها لا تضر ولا تنفع فانه ينافي الالوهية اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له . افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذوا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا ورموا به فيها فقال له جبرئيل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تع دفع عنه اذاها كما ترى في السمندر ويشعر به قوله على ابرهيم وارادوا به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابرهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق

الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي
هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه
نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سال وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا باس به للقرينة
وكلا يعني الاربعة جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين
وجعلناهم ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم
حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم
واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة
عن احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين
في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا آتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم
وعلما بما ينبغي علمه للانبياء ونجيناه من القرية قرية سدوم التي كانت تعمل الخبائث
يعني اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه
ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في اهل
رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا
الله تع على قومه بالهلاك من قبل من قبل هولاء المذكورين فاستجبنا له دعاءه
فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه
مطاوع انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولعلهما لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم
الله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده
اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين
ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم لصاحب
الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث
ينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود
الى ما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة رح في العبد الجاني
والثاني مثل قول الشافعي رح بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي
وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى النبي صلعم لما دخلت
ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها
بالليل وعند ابي حنيفة رح لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عم جرح العجماء جبار وكلا
آتينا حكما وعلما دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف
لمفهوم قوله تع ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره

في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله تع معه اما بلسان الحال او بصوت
يتمثل له او بخلق الله فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استيناف لبيان
وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا او يسبحن والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ
بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع منا
وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال
البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها قيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم
متعلق بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير
لداود او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع
وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في
صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان الريح وسخرنا له ولعل اللام فيه دون
الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود
بالاضافة اليه عاصفة شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة
كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة
وعاصفة اخرى حسب ارادته تجري بامره بمشيته حال ثانية او بدل من الاولى وحال
من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة وكنا بكل
شيء عالمين فنجريه على ما يقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون
نفائسه ومن عطف على الريح او مبتدا خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون
ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة
لقوله تع يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او
يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر باني مسني الضر وقرئ
بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما
في النفس كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما
يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال كان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه
الله وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض
في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امراته
ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال
كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله تع ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي
مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه اهله ومثلهم معهم
بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد له منه نوافل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين
رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين
فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واسمعيل وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع

وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل منه او له ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل
يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل كل هؤلاء من الصابرين على مشاق التكاليف
وشدائد النوب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الآخرة انهم من الصالحين
الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد وذا النون
وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة
شكيمتهم فهاجر عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف
الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم
بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه لن نضيق
عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل
هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة
شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول
وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت
والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك من ان يعجزك شيء
اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي صلعم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء
الا استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات
كان في بطنه وقيل ثلثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم
دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام نجي ولذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع
حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما
حذفت التاء الثانية في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حرف المضارعة
التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين
مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافي لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند
الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي
لا يسكن آخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني
وانت خير الوارثين فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى
واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة
انهم يعني المتوالدين او المذكورين من الانبياء كانوا يسارعون في الخيرات
يبادرون الى ابواب الخير ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب
راجين الاجابة او في الطاعة وخائفين العقاب او المعصية وكانوا لنا خاشعين
مخبتين او دائمين الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي احصنت
فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى فيها اي احييناه في جوفها وقيل
فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبريل

جبريل وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله آية للعالمين
فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تع ان هذه امتكم ان ملة التوحيد والاسلام
ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها امة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء اذ لا مشاركة
لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع
على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون لا غير وتقطعوا امرهم بينهم
صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بقبيح
فعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة الينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير
الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله
لا يضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم اهلكناها
حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحيوة ولا صلة
او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه وتقدير
توبتهم او حيوتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اي
وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم
وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج متعلق بحرام او بمحذوف
دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة
وظهور اماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وهي حتى التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة
الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعني يأجوج ومأجوج او الناس
كلهم من كل حدب نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون
من نسلان الذئب وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيمة فاذا هي شاخصة
ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله تع اذا هم
يقنطون فاذا جاءت تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار
يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا لم نعلم انه حق
بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله
يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي انه صلعم لما تلا
الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا
والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلعم بل هم عبدوا الشياطين
التي امرتهم بذلك فانزل الله تع ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب
ويكون ما مؤولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة
او لكل من عبد من دون الله فقال بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا
للتجوز او التخصيص تأخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه

بالحصب وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر أنتم لها واردون استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على أن ورودهم لأجلها لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها لأن المؤاخذ المعذب لا يكون إلها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير أنين وتنفس شديد وهو من إضافة فعل البعض إلى الكل للتغليب إن أريد بما تعبدون الأصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة أو التوفيق للطاعة أو البشرى بالجنة أولئك عنها مبعدون لأنهم يرفعون إلى أعلى عليين روي أن عليا رضي الله عنه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم أقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها بدل من مبعدون أو حال من ضميره سيق للمبالغة في إبعادهم عنها والحسيس صوت يحس به وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الأكبر النفخة الأخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله أو الانصراف إلى النار أو حين يطبق على النار أو يذبح الموت وتتلقاهم الملائكة تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر أو ظرف لا يحزنهم أو تتلقاهم أو حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والطي ضد النشر أو المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لأنها نشرت مظلة لبني آدم فإذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل للكتب طيا كطي الطومار لأجل الكتابة أو لما يكتب أو كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع أي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الأعمال إذا رفعت إليه أو كاتب كان لرسول الله صلعم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدأنا أول خلق نعيده أي نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في كونهما إيجادا عن العدم أو جمعا من الأجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الإعادة بالقياس على الإبداء لشمول الإمكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة أو مصدرية وأول مفعول لبدأنا أو لفعل يفسره نعيده أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده أي نعيد مثل الذي بدأناه وأول خلق ظرف لبدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر بفعله تأكيدا لنعيده أو منتصب به لأنه عدة بالإعادة علينا أي علينا إنجازه إنا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور كتاب داود من بعد الذكر أي التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ أن الأرض أرض الجنة أو الأرض المقدسة يرثها عبادي الصالحون يعني عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها أو أمة محمد عم إن في هذا أي فيما ذكر من

الأخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية أو لسبب بلوغ إلى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد أي ما يوحى إلي إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد وذلك لأن المقصود الأصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالأولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل أنتم مسلمون مخلصون العبادة لله على مقتضى الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت أن التوحيد مما يصح إثباته بالسمع فإن تولوا عن التوحيد فقل آذنتكم أعلمتكم ما أمرت به أو حربي لكم على سواء مستوين في الإعلام به أو مستوين أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به أو في المعاداة أو إيذانا على سواء وقيل أعلمتكم أني على سواء أي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير وإن أدري وما أدري أقريب أم بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين أو الحشر لكنه كائن لا محالة إنه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام ويعلم ما تكتمون من الإحن والأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وإن أدري لعله فتنة لكم وما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم أو امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع إلى حين وتمتيع إلى أجل مقدر تقتضيه مشيئته تع قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلعم وقرئ رب بالضم وربي أحكم على بناء التفضيل وأحكم من الإحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بأن الشوكة تكون لهم وأن راية الإسلام تخفق أياما ثم تسكن وأن الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فأجاب الله تع دعوة رسوله فخيب أمانيهم ونصر رسوله صلعم وقرئ بالياء وعن النبي صلعم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية وهي أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة تحريكها للأشياء على الإسناد المجازي أو تحريك الأشياء فيها فأضيف إليها إضافة معنوية بتقدير في أو إضافة المصدر إلى الظرف على إجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها وإضافتها إلى الساعة لأنها من أشراطها شيء عظيم هائل علل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على أنفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل مجهولا ومعروفا أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر بدهشة والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث إذا دهشت التي ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة أو مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى

الناس سكارى كأنهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد
فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم وقرئ ترى من أريتك قائما أو رأيتك
قائما بنصب الناس ورفعه على أنه نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وإفراده
بعد جمعه لأن الزلزلة يراها الجميع وأثر السكر إنما يراه كل أحد على غيره وقرأ حمزة والكسائي
سكرى كعطشى إجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في
النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا بعث
بعد الموت وهي تعمه وأضرابه ويتبع في المجادلة أو في عامة أحواله كل شيطان مريد
متجرد للفساد وأصله العري كتب عليه على الشيطان أنه من تولاه تبعه والضمير للشأن
فأنه يضله خبر لمن أو جواب له والمعنى كتب عليه إضلال من تولاه لأنه جبل عليه على تقدير فشأنه
أنه يضله لا على العطف فإنه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب
أو إضمار القول وتضمين الكتب معناه ويهديه إلى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي إليه
يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث من إمكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك
كالجلب فإنا خلقناكم أي فانظروا في بدء خلقكم فإنه يزيح ريبكم فإنا خلقناكم من تراب
إذ خلق آدم منه والأغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب
ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة
مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة أو تامة وساقطة أو مصورة وغير مصورة لنبين
لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها أخرى
وأن من قدر على تغييره وتصويره أولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول إيماء إلى أن أفعاله
هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الأرحام ما نشاء أن نقره
إلى أجل مسمى وهو وقت الوضع وأدناه ستة أشهر وأقصاه آخر أربع سنين وقرئ ونقر
بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كأن خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة
وتقريرهم في الأرحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا
ويقر بالياء ونقر من قررت الماء إذا صببته وطفلا حال أجريت على تأويل كل واحد أو الدلالة
على الجنس أو لأنه في الأصل مصدر ثم لتبلغوا أشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة
كالأنعم جمع نعمة كأنها شدة في أمور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الأشد أو قبله وقرئ يتوفى
أي يتوفاه الله ومنكم من يرد إلى أرذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم
لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم
فينسى ما علمه وينكر ما عرفه والآية استدلال ثان على إمكان البعث بما يعتري الإنسان في
أسنانه من الأمور المختلفة والأحوال المتضادة فإن من قدر على ذلك قدر على نظائره
وترى الأرض هامدة ميتة يابسة من همدت النار إذا صارت رمادا فإذا أنزلنا عليها
الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت أي ارتفعت وأنبتت

وأنبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى
في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك إشارة إلى ما ذكر من خلق الإنسان في أطوار
مختلفة وتحويله على أحوال متضادة وإحياء الأرض بعد موتها وهو مبتدأ خبره بأن الله
هو الحق أي بسبب أنه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الأشياء وأنه يحيي الموتى وإلا
لما أحيى النطفة والأرض الميتة وأنه على كل شيء قدير لأن قدرته لذاته الذي نسبته إلى
الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات لزم اقتداره على إحياء
كلها وأن الساعة آتية لا ريب فيها فإن التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه
وأن الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير
على أنه لا سند له من استدلال أو وحي والأول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد
بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه متكبرا وثني العطف
كناية عن التكبر كلي الجيد أو معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين أي مانع تعطفه
ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء على أن إعراضه
عن الهدى المتمكن منه بالإقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى إلى الضلال وأنه من حيث
هو مؤداه كالغرض له له في الدنيا خزي وهو ما أصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة
عذاب الحريق المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات أو إرادة
القول أي يقال له يوم القيمة ذلك الخزي مع التعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي
وأن الله ليس بظلام للعبيد وإنما هو مجازيهم على أعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن
الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف
الجيش فإن أحس بظفر قر وإلا فر فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على
وجهه روي أنها نزلت في أعاريب قدموا المدينة فكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه
مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في
ديني هذا إلا خيرا واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب وعن أبي سعيد
أن يهوديا أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالإسلام فأتى النبي صلعم فقال أقلني فقال إن
الإسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والآخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ
خاسرا بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه
أو على أنه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين إذ لا خسران مثله يدعو من دون الله
ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن
المقصد مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضالا يدعو لمن ضره بكونه معبودا لأنه يوجب القتل
في الدنيا والعذاب في الآخرة أقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة
والتوسل بها إلى الله واللام معلقة ليدعو من حيث أنه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد

او دخلة على الجملة الواقعة مقولاً اجراء له مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ
حين يرى استضراره به او مستانفة على انه يدعو مكرر للاول ومن مبتدا خبره لبئس المولى
الناصر ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك
لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار
والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه
وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقصي
في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضبا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا
الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا
الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه
فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى
ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤا
نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال
انزلناه انزلنا القرآن كله آيات بينات واضحات وان الله يهدي ولان
الله يهدي به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او اثباته انزله كذلك مبينا
ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا
ان الله يفصل بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازي
كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد
ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر ان الله يسجد له من في السموات
ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتابى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز
ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر
والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب
بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين ساكنين وكثير من الناس عطف عليها ان جوز
اعمال اللفظ الواحد من كلمة احد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار
الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدا خبره محذوف
دل عليه قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اي يسجد له كثير من الناس سجود طاعة خبر مح
وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة
في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ
حق بالضم وحقا باضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة
وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان
اي فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون

المؤمنون والكافرون في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود
والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون
نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم
به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
قطعت لهم قدرت لهم على مقادير جثتهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار نيران تحيط بهم
احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم الماء
الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تاثيره في ظاهرهم
فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير
ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا
فيها اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار
فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب
الحريق النار البالغة في الاحراق ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله واكده بان احمادا
لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم يحلون فيها من حليت المراة اذا البستها الحلي وقرئ
بالتخفيف والمعنى واحد من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار
من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة
به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وقرئ
ولولوا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء ولليا بقلبهما ياءين
ولول كادل من ادلى لال ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير
ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله
الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة
او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله
لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن
عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه آخر الآية اي معذبون
والمسجد الحرام عطف على اسم الله واوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه للناس
سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطاري على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه
معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرى عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم
والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص
على انه المفعول الثاني او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس
ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد عدول

عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحداً بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب أليم جواب لمن واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اي واذكر اذ عيّنا وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم ان لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلعم امر بذلك في حجة الوداع يأتوك رجالاً مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر اي وركباناً على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله يأتين صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله تع في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع وقرأ ابو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله تطلق للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق

وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك رداً لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه عم قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره او تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة او للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا يشبه احد الهالكين ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه عم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رض اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها منه من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اي ما يليه من الحرم وثم يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي يرفع اليه الاعمال ويكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله تع وقرأ حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجه الله علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان

يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا اخلصوا التقرب والذكر ولا تشوبوه
بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على
ما اصابهم من المصائب او الكلف والمقيمي الصلوة في اوقاتها وقرئ والمقيمين
الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب
وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن
بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها عن سبعة لقوله ع البدنة عن سبعة
والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل
يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدا من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها الله
لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها
الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن
ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وطرف سنبك
الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وصوافنا بابدال التنوين من
حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن
الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو
كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة
ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال والمعتر
والمتعرض بالسؤال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل والمعترض ع
ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تاخذونها منقادة فتعقلونها
وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب
والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق
بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم
ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له
وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون
فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا
عظمة الله باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال
او الذبح على ما هداكم ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما يحتمل المصدرية
والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما ياتونه
ويذرونه ان الله يدفع عن الذين آمنوا غائلة المشركين وقرا نافع وابن عامر
والكوفيون يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان
في امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرضى فعلهم ولا ينصرهم

وفي بعض النسخ ... فتعقلونها

ولا ينصرهم اذن رخص وقرا ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل
وهو الله للذين يقاتلون المشركين والماذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرا نافع
وابن عامر وحفص بفتح التاء اي الذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا
وهم اصحاب رسول الله صلعم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه من بين مضروب
ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي
اول ما نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم
لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم
يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء
المشركين على اهل الملل وقرا نافع دفاع الله ونافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف صوامع صوامع
الرهابنة وبيع وبيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود وسميت بها لانها يصلى فيها
وقيل اصلها صلوثا بالعبرية فعربت ومساجد ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا
صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز
وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم
واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على نصرهم عزيز لا يمانعه شيء الذين
ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يجمع
ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى
حكمه وفيه تاكيد لما وعده وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم
ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين تسلية له بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في
التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل
للمفعول لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته
كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة ثم
اخذتهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا
فكاين من قرية اهلكناها باهلاك اهلها وقرا البصريان بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة اي اهلها
فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها
ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون
على متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها اي مطلة
عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على
وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره

أهلكناها وإن رفعته بالابتداء فمحلها الرفع • وبئر معطلة • عطف على قرية أي وكم بئر عامرة
في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها وقرئ معطلة بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله
وقصر مشيد • مرفوع أو مجصص أخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي أن معنى خاوية على عروشها
خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته
كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم الله وعطلهما • أفلم يسيروا
في الأرض • حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وإن كانوا
قد سافروا فلم يسافروا لذلك • فتكون لهم قلوب يعقلون بها • ما يجب أن يعقل من التوحيد
بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال • أو آذان يسمعون بها • ما يجب أن يسمع من
الوحي والتذكير بحال من شاهد آثارهم • فإنها • الضمير للقصة أو مبهم يفسره الأبصار وفي لا تعمى
راجع إليه والظاهر أقيم مقامه • لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور • عن الاعتبار
أي ليس الخلل في مشاعرهم وإنما أيفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر
الصدور للتأكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص
البصر قيل لما نزل ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى قال ابن أم مكتوم يا رسول الله
أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فنزلت • ويستعجلونك بالعذاب • المتوعد به
ولن يخلف الله وعده • لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما أوعدهم به ولو بعد حين لكنه تعالى
صبور لا يعجل بالعقوبة • وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون • بيان لتناهي صبره
وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال أو لتمادي عذابه وطول أيامه حقيقة أو من حيث إن أيام
الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يعدون بالياء • وكأين من قرية • وكم من أهل قرية
فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في الإعراب ورجع الضمائر والأحكام مبالغة
في التعميم والتهويل وإنما عطفت الأولى بالفاء وهذه بالواو لأن الأولى بدل من قوله فكيف كان
نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان أن المتوعد به يحيق بهم لا محالة وأن تأخر لعادته
أمليت لها • كما أمهلتكم • وهي ظالمة • مثلكم • ثم أخذتها • بالعذاب • وإلى المصير
وإلى حكمي مرجع الجميع • قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين • أوضح لكم ما أنذركم به والاقتصار
على الإنذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لأن صدر الكلام ومساقه للمشركين وإنما ذكر
المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم • فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة • لما بدر
منهم • ورزق كريم • هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله • والذين سعوا في آياتنا
بالرد والإبطال • معاجزين • مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق
من عاجزه فأعجزه وعجزه إذا سابقه فسبقه لأن كلا من المتسابقين يطلب إعجاز الآخر عن
اللحاق به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين على أنه حال مقدرة • أولئك أصحاب الجحيم
النار الموقدة وقيل اسم دركة • وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي • الرسول من بعثه
الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء

كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى م ولذلك شبه النبي م علماء أمته بهم
فالنبي أعم من الرسول ويدل عليه أنه م سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون
ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع إلى المعجزة كتابا
منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له
ولمن يوحى إليه في المنام • إلا إذا تمنى • إذا زور في نفسه ما يهواه • ألقى الشيطان
في أمنيته • في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال م وإنه ليغان على قلبي فأستغفر الله
في اليوم سبعين مرة • فينسخ الله ما يلقي الشيطان • فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون إليه
والإرشاد إلى ما يزيحه • ثم يحكم الله آياته • ثم يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في أمر الآخرة
والله عليم • بأحوال الناس • حكيم • فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت
وقيل تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم إليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم
فنزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الأخرى وسوس إليه الشيطان
حتى سبق لسانه سهوا إلى أن قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون
حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد ثم نبهه
جبريل م فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وإن صح فابتلاء يتميز به
الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله • تمنى كتاب الله أول ليله • تمني
داود الزبور على رسل • وأمنيته قراءته وألقى الشيطان فيها أن تكلم بذلك رافعا صوته
بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي م وقد رد بأنه أيضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع
بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لأنه أيضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو
على الأنبياء وتطرق الوسوسة إليهم • ليجعل ما يلقي الشيطان • علة لتمكين الشيطان منه
وذلك يدل على أن الملقى أمر ظاهر عرفه المحق والمبطل • فتنة للذين في قلوبهم مرض •
شك ونفاق • والقاسية قلوبهم • المشركين • وإن الظالمين • يعني الفريقين
فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم • لفي شقاق بعيد • عن الحق أو عن الرسول
والمؤمنين • وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك • أن القرآن هو الحق النازل
من عند الله أو تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق الصادر من الله لأنه مما جرت به عادته
في جنس الإنس من لدن آدم م • فيؤمنوا به • بالقرآن أو بالله • فتخبت له قلوبهم •
بالانقياد والخشية • وإن الله لهاد الذين آمنوا • فيما أشكل عليهم • إلى صراط مستقيم •
هو نظر صحيح يوصلهم إلى ما هو الحق فيه • ولا يزال الذين كفروا في مرية • في شك • منه
من القرآن أو الرسول أو مما ألقى الشيطان في أمنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها
حتى تأتيهم الساعة • القيامة أو الموت أو أشراطها • بغتة • فجأة • أو يأتيهم عذاب
يوم عقيم • يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن
كالعقم أو لأن المقاتلين أبناء الحرب فإذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها

اتساعا و لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له
لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها
للتهويل • الملك يومئذ لله • التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية اي
يوم تزول مريتهم • يحكم بينهم • بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله
فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك
لهم عذاب مهين • وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين
بالحسنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكافرين مسبب عن اعمالهم ولذا قال لهم عذاب
ولم يقل فهم في عذاب • والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا • في الجهاد • او ماتوا
ليرزقنهم الله رزقا حسنا • الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف
انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله
هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا
ان متنا فنزلت • وان الله لهو خير الرازقين • فانه يرزق بغير حساب • ليدخلنهم مدخلا يرضونه
هو الجنة فيها ما يحبونه • وان الله لعليم • باحوالهم واحوال معاديهم • حليم • لا يعاجل
في العقوبة • ذلك • الامر ذلك • ومن عاقب بمثل ما عوقب به • ولم يزد في الاقتصاص
وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه • ثم بغي عليه
بالمعاودة الى العقوبة • لينصرنه الله • لا محالة • ان الله لعفو غفور • للمنتصر حيث اتبع
هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو
ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على
ضده • ذلك • اي ذلك النصر • بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء
المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل
في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها • وان الله سميع • يسمع قول
المعاقب والمعاقب • بصير • يرى افعالهما فلا يهملهما • ذلك • الوصف بكمال العلم والقدرة
بان الله هو الحق • الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته
يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا
يصلح لها الا من كان قادرا عالما • وان ما يدعون من دونه • الها وقرأ ابن كثير ونافع
وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فتكون الواو لما فانه
بمعنى الآلهة • هو الباطل • المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية • وان الله هو العلي
على الاشياء • الكبير • عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا • الم تر ان
الله انزل من السماء ماء • استفهام تقرير ولذلك رفع • فتصبح الارض مخضرة • عطفا على

على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود
اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان • ان الله
لطيف • يصل علمه او لطفه الى كل ما جل ودق • خبير • بالتدابير الظاهرة والباطنة •
له ما في السموات وما في الارض • خلقا وملكا • وان الله لهو الغني • في ذاته عن كل شيء
الحميد • المستوجب للحمد بصفاته وافعاله • الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض • جعلها
مذللة لكم معدة لمنافعكم • والفلك • عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على
الابتداء • تجري في البحر بامره • حال منها او خبر • ويمسك السماء ان تقع على الارض
من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك • الا باذنه
بالمشيئة وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام
في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها • ان الله بالناس لرؤوف رحيم • حيث
هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح لهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار • وهو
الذي احياكم • بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا • ثم يميتكم • اذا جاء اجلكم • ثم يحييكم
في الآخرة • ان الانسان لكفور • لجحود للنعم مع ظهورها • لكل امة • اهل دين • جعلنا منسكا
متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا • هم ناسكوه • ينسكونه • فلا ينازعنك • سائر
ارباب الملل • في الامر • في امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر
دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول صلعم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم
من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم
كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار
خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك
على تهييج الرسول صلعم والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته
وادع الى ربك • الى توحيده وعبادته • انك لعلى هدى مستقيم • طريق الى الحق سوي
وان جادلوك • وقد ظهر الحق ولزمت الحجة • فقل الله اعلم بما تعملون • من المجادلة الباطلة
وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق • الله يحكم بينكم • يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين
بالثواب والعقاب • يوم القيمة • كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات • فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين • الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض • فلا يخفى عليه شيء • ان ذلك
في كتاب • هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له • ان ذلك
ان الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم • على الله يسير • لان علمه مقتضى ذاته المتعلق
بكل المعلومات على سواء • ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا • حجة تدل على جواز
عبادته • وما ليس لهم به علم • حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله • وما للظالمين
وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم • من نصير • يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم
واذا تتلى عليهم آياتنا • من القرآن • بينات • واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام

الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل
اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او
ما يقصدونه من الشر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يثبون ويبطشون
بهم قل افأنبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم او مما اصابكم من
الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار هو النار كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون
مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا
من شر فتكون الجملة استينافا فكما اذا رفعت خبرا او حالا منها وبئس المصير النار يا
ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل
لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل او لشأنه استماع تدبر وتفكر
ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا
للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون
على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب
من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر في موضع حال
جيء بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها
قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء
وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على
مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا
يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله
ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم
من الطيب والصنم يطلب منه الذباب السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه
ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته
حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق
الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شيء وآلهتهم التي يدعونها عاجزة عن اقلها مقهورة
من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي ومن
الناس يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في
الالوهية ونفى ان يشاركه غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل
باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات
لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
والملائكة بنات الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك الاشياء كلها يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه مرجع الامور

الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون
يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا في صلوتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما
اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا
له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير
واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق
لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على
اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة
الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا في الله لله ومن اجله اعداء دينه
الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع من غزوة تبوك فقال
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس
واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا
او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله هو اجتباكم اختاركم لدينه و
لنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وفي قوله وما جعل عليكم في الدين
من حرج اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر
لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء
فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق
وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد
ملة ابيكم ابراهيم منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع
دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلعم
وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة
او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل من قبل القرآن
في الكتب المتقدمة وفي هذا وفي القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم
وتسميتهم مسلمين في القرآن وان لم تكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة
لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة
متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه قد بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته
او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم
فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم
بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا
الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير
هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من

من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون • قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته
اذا دخل الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله
صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها
وقرئ افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو
وافلح على البناء للمفعول • الذين هم في صلاتهم خاشعون • خائفون من الله متذللون له
ملزمون ابصارهم مساجدهم جمع مسجد بالفتح روي انه عم كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى
ببصره نحو مسجده وانه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه • والذين
هم عن اللغو • عما لا يعنيهم من قول او فعل • معرضون • لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو
ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم
وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة
وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله • والذين هم
للزكوة فاعلون • وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية
في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه
والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه
او الثاني على تقدير مضاف • والذين هم لفروجهم حافظون • لا يبذلونها • الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم • زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظون من قولك احفظ على عنان
فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج او التسري او بفعل دل عليه غير
ملومين وانما قال او ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه وافراد ذلك
بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها
خطرا • فانهم غير ملومين • الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها لازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين على ذلك • فمن ابتغى وراء ذلك • المستثنى • فاولئك هم
العادون • الكاملون في العدوان • والذين هم لاماناتهم وعهدهم • لما يؤتمنون
عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق • راعون • قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير
ههنا وفي المعارج لامانتهم على الافراد لامن الالباس او لانها في الاصل مصدر • والذين
هم على صلواتهم يحافظون • يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة
من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا
فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلوة
تعظيم لشأنها • اولئك • الجامعون لهذه الصفات • هم الوارثون • الاحقاء بان يسموا

بان يسموا وراثا دون غيرهم • الذين يرثون الفردوس • بيان لما يرثونه وتقييد
للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم
وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها
على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار • هم فيها خالدون • انث
الضمير لانه اسم الجنة او لطبقتها العليا • ولقد خلقنا الانسان من سلالة • من خلاصة
سلت من بين الكدر • من طين • متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية او بمعنى
سلالة لانها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة
سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين
آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته • ثم جعلناه • ثم جعلنا نسله فحذف المضاف • نطفة
بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر او المسلول او الماء
في قرار مكين • مستقر حصين يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر
عنه بالقرار • ثم خلقنا النطفة علقة • بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء • فخلقنا العلقة
مضغة • فصيرناها قطعة لحم • فخلقنا المضغة عظاما • بان صلبناها • فكسونا العظام لحما • مما بقي
من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات
والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم
الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر • ثم انشأناه خلقا آخر • وهو صورة
البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به
ابو حنيفة رح على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمانها لا الفرخ لانه خلق آخر
فتبارك الله • فتعالى شأنه في قدرته وحكمته • احسن الخالقين • اي احسن المقدرين تقديرا
فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه • ثم انكم بعد ذلك لميتون • لصائرون الى الموت لا محالة
ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به • ثم انكم يوم القيمة تبعثون
للمحاسبة والمجازاة • ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق • سبع سموات لانها طورق
بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او
الكواكب فيها مسيرها • وما كنا عن الخلق • عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن
جميع المخلوقات • غافلين • مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها
حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة • وانزلنا من السماء
ماء بقدر • بتقدير يكثر نفعه ويقل ضره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم • فاسكناه
فجعلناه ثابتا مستقرا • في الارض وانا على ذهاب به • على ازالته بالافساد او التصعيد
او التعميق بحيث يتعذر استنباطه • لقادرون • كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير
ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به فلذلك جعل ابلغ من قوله تعالى قل ارأيتم
ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين • فانشأنا لكم به • بالماء • جنات من نخيل واعناب

لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات ثمارها وزروعها
تأكلون تغذيا أو ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز
أن يكون الضميران للنخيل والأعناب أي لكم في ثمرتهما أنواع من الفواكه الرطب والعنب
والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه وشجرة عطف على
جنات وقرئ بالرفع على الابتداء أي ومما أنشئ لكم به شجرة تخرج من طور سيناء
جبل موسى بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من أن يكون
الطور اسما للجبل وسيناء اسم بقعة أضيف إليها أو المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع
صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للألف لأنه فيعال كديماس من السناء
بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعلال كعلباء من السين إذ لا فعلاء بألف
التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فإنه فيعال ككيسان أو فعلاء
كصحراء لا فعلال إذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن أي تنبت
ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز أن تكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت
بزيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو إما من أنبت بمعنى نبت كقول زهير
رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل أو على تقدير تنبت
زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالأول وتثمر بالدهن وتخرج الدهن
وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء
على الآخر أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه إداما يصبغ
فيه الخبز أي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وإن لكم في الأنعام لعبرة
تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الألبان أو من العلف فإن
اللبن يتكون منه فمن للتبعيض أو للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها وأصوافها
وشعورها ومنها تأكلون فتنتفعون بأعيانها وعليها وعلى الأنعام فإن منها ما
يحمل عليه كالإبل والبقر وقيل المراد الإبل لأنها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك
فإنها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير فيه كالضمير في
وبعولتهن أحق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه
فقال يا قوم اعبدوا الله إلى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم
المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من إله غيره استئناف لتعليل الأمر بالعبادة وقراءة
الكسائي غيره بالجر على اللفظ أفلا تتقون أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم
برفضكم عبادته إلى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الأشراف
الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم أن يطلب الفضل
عليكم ويسودكم ولو شاء الله أن يرسل رسولا لأنزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا
في آبائنا الأولين يعنون نوحا أي ما سمعنا به أنه نبي أو ما كلمهم به من الحث على عبادة الله

ونفي إله غيره أو من دعوى النبوة وذلك إما من فرط عنادهم أو لأنهم كانوا
في فترة متطاولة إن هو إلا رجل به جنة أي جنون ولأجله يقول ذلك فتربصوا به
فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق لعله يفيق من جنونه قال بعدما أيس
من إيمانهم رب انصرني بإهلاكهم أو بإنجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون
بدل تكذيبهم إياي أو بسببه فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا بحفظنا نحفظه أن
تخطئ فيه أو يفسده عليك مفسد ووحينا وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع فإذا جاء أمرنا
بالركوب أو نزول العذاب وفار التنور روي أنه قيل لنوح إذا فار الماء من التنور اركب
أنت ومن معك فلما نبع الماء منه أخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل
مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه أخر ذكرتها في هود فاسلك
فيها فأدخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ما سلككم في سقر من كل زوجين
اثنين من كل أمتي الذكر والأنثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين أي من
كل نوع زوجين واثنين تأكيد وأهلك وأهل بيتك أو ومن آمن معك إلا من سبق
عليه القول منهم أي القول من الله بإهلاكه لكفره وإنما جيء بعلى لأن السابق ضار كما
جيء باللام حيث كان نافعا في قوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين
ظلموا بالدعاء لهم بالإنجاء إنهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالإشراك والمعاصي ومن
هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد أمره بالحمد على النجاة منهم بإهلاكهم بقوله
فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب أنزلني في السفينة أو
في الأرض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرأ غير أبي بكر منزلا بمعنى إنزالا
أو موضع إنزال وأنت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه أمره بأن يشفعه به مبالغة
فيه وتوسلا به إلى الإجابة وإنما أفرده بالأمر والمعلق به أن استوى هو ومن معه إظهارا
لفضله وإشعارا بأن في دعائه مندوحة عن دعائهم فإنه يحيط بهم إن في ذلك فيما
فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر أولو الأبصار والاعتبار وإن كنا لمبتلين
لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم أو ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وإن هي المخففة واللام
هي الفارقة ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد أو ثمود فأرسلنا فيهم رسولا منهم
هو هود أو صالح وإنما جعل القرن موضع الإرسال ليدل على أنه لم يأتهم من مكان غير مكانهم
وإنما أوحي إليه وهو بين أظهرهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره تفسير لأرسلنا أي
قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله أفلا تتقون عذاب الله وقال الملأ من قومه
الذين كفروا لعله ذكر بالواو لأن كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف كلام قوم نوح
وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب
والعقاب أو بمعادهم إلى الحياة الثانية بالبعث وأترفناهم ونعمناهم في الحياة

الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال يأكل
مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب
محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما
يامركم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب
للذين قاولوهم من قومه ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم
والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم
تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف
المقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم او انكم
اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون
الظرف لان اسمه جثة هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون
او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له
هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون
وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر
على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا
اصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير
واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حياة
الا هذه الحياة لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل
لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعضنا وما نحن
بمبعوثين بعد الموت ان هو ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله
وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي
منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتوكيد
معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم
الصيحة صيحة جبرئيل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على
ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله كقولك
فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو
حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء
وبعدا مصدر بعد اذا هلك من المصادر التي تنصب بافعال لا تستعمل اظهارها واللام لبيان
من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين
يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت الذي حد لهلاكها
ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين
واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتانيث

للتانيث لان الرسل جماعة وقرأ ابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المواترة وقع حالا
كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل
اليهم لان الارسال الذي هو مبدأ الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا
بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث لم تبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو
اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا
موسى واخاه هرون باياتنا بالايات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة
للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اولى المعجزات وامها تعلقت بها معجزات
شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر
بضربها بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به
المعجزات وبالايات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها ايات للنبوة وحجة بينة على ما
يدعيه النبي الى فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين
متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثني البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا
كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص
كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم
من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت
في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء
لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر في اكثر
الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه اشار
بقوله تع قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وقومهما يعني بني اسرائيل
لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق
في بحر قلزم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بني اسرائيل ولا يجوز
عود الضمير الى فرعون وقومه لان التورية نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف
والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه اية بولادتها اياه من غير مسيس فالاية امر واحد
مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات اخر وامه اية بان
ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها واويناهما الى ربوة ارض
بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربا وقرأ
ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض
منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء
معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون وهو
المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماءها
بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب

لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى
ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء كلام ذكر
تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم
واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة
ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجميع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات
وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك
النفس ويحفظ العقل • واعملوا صالحا • فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم • اني
بما تعملون عليم • فاجازيكم عليه • وان هذه • اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا
ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرا ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على
الاستيناف • امتكم امة واحدة • ملتكم ملة واحدة اي متحدة في العقائد واصول
الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ونصبه امة
على الحال • وانا ربكم فاتقون • في شق العصا ومخالفة الكلمة • فتقطعوا امرهم بينهم
فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض
او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها • زبرا • قطعا جمع زبور الذي بمعنى
الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول
ثان لتقطعوا فانه يتضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا
من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل • كل حزب • من المتحزبين
بما لديهم • من الدين • فرحون • معجبون معتقدون انهم على الحق • فذرهم في غمرتهم
في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ
في غمراتهم • حتى حين • الى ان يقتلوا او يموتوا • ايحسبون انما نمدهم به • ان ما نعطيهم
ونجعله مددا لهم • من مال وبنين • بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب عليه وانما المعاب
عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره • نسارع لهم في الخيرات • والراجع محذوف
والمعنى ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم • بل لا يشعرون
بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج
لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما
ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول • ان الذين هم من خشية ربهم • من خوف عذابه
مشفقون • حذرون • والذين هم بايات ربهم • المنصوبة والمنزلة • يؤمنون
بتصديق مدلولها • والذين هم بربهم لا يشركون • شركا جليا ولا خفيا • والذين يؤتون
ما اتوا • يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوه من
الطاعات • وقلوبهم وجلة • خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا
به • انهم الى ربهم راجعون • لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك

اولئك يسارعون في الخيرات • يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها او
يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله
فاتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم • وهم لها سابقون
لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة او سابقونها
اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله هم لها عاملون • ولا نكلف نفسا
الا وسعها • قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس
ولدينا كتاب • يريد اللوح او صحيفة الاعمال • ينطق بالحق • بالصدق لا يوجد فيه
ما يخالف الواقع • وهم لا يظلمون • بزيادة عقاب او نقصان ثواب • بل قلوبهم • قلوب
الكفرة • في غمرة • في غفلة غامرة لها • من هذا • من الذي وصف به هؤلاء او من كتاب
الحفظة • ولهم اعمال خبيثة • من دون ذلك • متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم
عليه من الشرك • هم لها عاملون • معتادون فعلها • حتى اذا اخذنا مترفيهم
بالعذاب • يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطاتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام
المحترقة والقد والاولاد • اذا هم يجارون • فاجاؤا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب
الشرط والجملة مبتداة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب • لا تجاروا اليوم • فانه مقدر بالقول
اي قيل لهم لا تجاروا • انكم منا لا تنصرون • تعليل للنهي اي لا تجاروا فانه لا ينفعكم اذ لا
تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا • قد كانت اياتي تتلى عليكم • يعني القران
فكنتم على اعقابكم تنكصون • تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص
الرجوع قهقرى • مستكبرين به • الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه
اغنت عن سبق ذكره او لاياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين
او لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله • سامرا • اي تسمرون بذكر
القران والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا جمع
سامر • تهجرون • من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون عن القران
او تهذون في شانه او الهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر
وقرئ تهجرون على المبالغة • افلم يدبروا القول • اي القران ليعلموا انه الحق من ربهم
باعجاز لفظه ووضوح مدلوله • ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين • من الرسول والكتاب
او من الامن من عذاب الله تع فلم يخافوا كما خاف اباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه
فامنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه • ام لم يعرفوا رسولهم • بالامانة والصدق وحسن الخلق
وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء • فهم له منكرون • دعواه
لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه
بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد • ام يقولون به جنة • فلا

يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان في الواقع آلهة شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى ولو اتبع الحق الذي جاء به محمد اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه قول ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلة في هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط عن الصراط السوي لناكبون لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادي في الشيء في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلعم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الآيات والافئدة لتتفكروا

فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنياوية قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة للتأكيد وهو الذي ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون رد النسبة الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد الآخر افلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اي بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله قرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده عالم

عالم الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب
وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك
ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني ان كان لا بد من ان
تريني لان ما والنون للتأكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا والآخرة رب
فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شوم الظلمة
قد يحيق بمن وراءهم كقوله تع واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن
انه تع اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء
وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون
لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم
ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة
ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى
وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة
المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون
بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز
الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او
لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون ويحوموا حولي
في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال
بان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض
لتأكيد الاغضاء عنهم بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام
او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع
على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني
كما قيل قفا نبك واطرق لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته اي لعلي آتي
بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا
انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب
ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون
الى آخره والمراد من الكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها
لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم
وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم
انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الآخرة فاذا نفخ
في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيد ان الصور

الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط
الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او
يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسأل بعضهم
بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا ينافي قوله تع واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة
وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار فمن ثقلت موازينه
موزونات عقائده واعماله اي فمن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون لها وزن
عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات ومن خفت
موازينه ومن لم يكن له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك
الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها
لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار
تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق
والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم
على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا
هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا
مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ
بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها فان عدنا
الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا فيها اسكتوا سكوت هوان
فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ ولا تكلمون في رفع العذاب
او لا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق
القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا
اخرنا فيجابون او لم تكونوا فيقولون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون او لم نعمركم فيقولون الفا
الفا ربنا ارجعون فيجابون اخسئوا فيها ثم لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء انه
الآية وقرئ بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة
وقيل اهل الصفة يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم
سخريا هزوا وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء
النسبة للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية
حتى انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم
منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون
فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرأ حمزة والكسائي بالكسر
استئنافا قال اي الله او الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي قل

على الادراك للهلاك او لبعض ذوي اهل النار ● كم لبثتم في الارض ● احياء واموات
في القبور ● عدد سنين ● تمييز لكم ● قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ● استقصارا لمدة
لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور
قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم ● فاسأل العادين ● الذين يتمكنون
من عد اياما ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها
او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف
اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرونه
قال ● وفي قراءة الكوفيين قل ● ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون ● تصديق لهم في
مقالهم ● افحسبتم انما خلقناكم عبثا ● توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول
له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث
وانكم الينا لا ترجعون ● معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
بفتح التاء وكسر الجيم ● فتعالى الله الملك الحق ● اي الذي يحق له الملك مطلقا فان من
عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال ● لا اله الا هو
فان ما عداه عبيده ● رب العرش الكريم ● الذي يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية
والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة
الرب ● ومن يدع مع الله الها آخر ● يعبده ● لا برهان له به ● صفة اخرى لآله لازمة
له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه
ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك ● فانما حسابه
عند ربه ● فهو مجاز له مقدار ما يستحقه ● انه لا يفلح الكافرون ● ان الشأن وقرئ بالفتح
على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي
الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال ● وقل رب اغفر وارحم
وانت خير الراحمين ● عن النبي صلعم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح
والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عم قال لقد انزلت علي عشر آيات
من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها وآخرها
من كنوز الجنة من عمل بثلث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح

سورة النور مدنية وهي ثنتان او اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ● اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة ● انزلناها ● صفتها ومن نصبها
جعله مفسرا لناصبها فلا يكون لها محل من الاعراب الا اذا قدرت اتل ونحوه
وفرضناها ● وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او
المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها ● وانزلنا فيها آيات بينات ● واضحات الدلالة

الدلالة ● لعلكم تذكرون ● فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال ● الزانية والزاني
اي فيما فرضنا او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر ● فاجلدوا كل
واحد منهما مائة جلدة ● والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئا بالنصب
على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر والزان بلا ياء وانما قدم
الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعريضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته
تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد
المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحول لقوله عم البكر بالبكر جلد مائة
وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا او مردودا وله
في العبد ثلثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت
الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود لرجمه عم يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله
فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي يقتص له من المسلم ● ولا تأخذكم بهما رأفة ● رحمة
في دين الله ● في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال عم لو سرقت
فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ● ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر ● فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في
اقامة احكامه وهو من باب التهييج ● وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ● زيادة في
التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة
حول شيء من الطوف واقلها ثلثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير ● الزاني
لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك ● اذ الغالب ان المائل
الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة
والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح
الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الآية نزلت في
ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن
على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني ● وحرم ذلك على المؤمنين ● لانه تشبه بالفساق
وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر
عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص
بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله تع وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات
ويؤيده انه عم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال
وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية والزانية ان يزني
بها الا زان وهو فاسد ● والذين يرمون المحصنات ● يقذفونهن بالزنا لوصف
المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء بقوله ● ثم لم
يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ● والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر

يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان هنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة
عن الزنى ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة او لان
قذف النساء اغلب واشنع ولا اشتراط اجتماع الشهود عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج
المقذوفة خلافا لابي حنيفة وليكن ضربه اخف من ضرب الزنى لضعف سببه واحتماله ولذلك
نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم
في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة رح فان الامر بالجلد
والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة
كيف وحاله قبل الحد اسوأ مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى آخر عمره واولئك
هم الفاسقون المحكوم عليهم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف
واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال عن المقذوف والاستثناء
راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من
تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهي
ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه عن موجب وقيل منقطع
متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين يرمون ازواجهم
ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت في هلال بن امية راى رجلا على فراشه وانفسهم
بدل من الشهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم اربع شهادات
فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه
حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات لانها اقرب
وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنى واصله على انه فحذف
الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين في الرمي قرا نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين
فاذا لاعن الرجل حكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا
لقوله عم المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي
الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنى على المراة لقوله ويدرا عنها العذاب
اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما
بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرا نافع ان لعنة
الله وان غضب الله بتخفيفهما وفتح الباء وكسر الضاد من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون
بتشديد النون ونصب الباء وفتح الضاد وجر الهاء ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله
تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا
بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه

وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها وذلك انه عم استصحبها في بعض الغزوات
فاذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها
فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت
الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمه احدا فجلست كي يرجع
اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند
منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم
جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابي وزيد
بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر ان
وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستانف والخطاب للرسول صلعم وابي بكر وعائشة وصفوان
رضي الله عنهم والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم
على الله تع بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم
والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر
ما خاض فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرا يعقوب بالضم وهو لغة فيه
منهم من الخائضين وهو ابن ابي فانه بداه واذاعه عداوة لرسول الله صلعم او هو
وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين له عذاب عظيم
في الآخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان
اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تع ولا تلمزوا انفسكم وانما
عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير
بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما
جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك
يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا باوله
وقالوا هذا افك مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال لولا جاؤا عليه باربعة شهداء
فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقريرا لكونه
كذبا فان ما لا حجة عليه كذب عند الله اي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله
عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا فضل
الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو
والمغفرة المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم
يستحقر دونه اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم ياخذه بعضكم
من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه
من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتألقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه

وتلقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه
اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي وتقولون كلاما مختصا بالافواه
بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم الاية
وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب فهذه
ثلثة آثام مرتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق
واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا
ما ينبغي وما يصح لنا ويجوز ان تكون الاشارة الى القول المخصوص وان تكون الى نوعه فان
قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق رض حرم
رسول الله صلعم سبحانك تعجب من يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها
لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر واستعمل لكل متعجب او تنزيه لله تعالى من ان يكون حرمة نبيه فاجرة حرمة
فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله
هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها
يعظكم الله ان تعودوا او في ان تعودوا لمثله ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين
فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الايات الدالة على الشرائع
ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم في تدابيره
ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها ان الذين يحبون يريدون ان تشيع
ان تنتشر الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير
الى غير ذلك والله يعلم ما في الضمائر وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على
ما دل عليه الظاهر والله سبحانه وتعالى يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة ولولا
فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة
وكذا عطف قوله وان الله رؤف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف
الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان
باشاعة الفاحشة وقرأ نافع والبزي وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها وقرئ
بفتح الطاء ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي
عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من
دنسها منكم من احد ابدا آخر الدهر ولكن الله يزكي من يشاء من خلقه بحمله على
التوبة وقبولها والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم ولا يأتل ولا يحلف افتعال
من الالية او لا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل في ابي بكر رض
وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين
اولو الفضل منكم في الدين والسعة في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه

ان يؤتوا على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات
اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد اي
ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون
ابلغ في تعليل الحكم المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا
تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله
غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه عم قرأها على ابي بكر رض فقال
بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات
مما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول
والمؤمنين كابن ابي لعنوا في الدنيا والآخرة لما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم
لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي عم
ولذلك قال ابن عباس لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما
نزل في افك عائشة رضي الله عنها يوم تشهد عليهم ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار
لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم
او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق
جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته
الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او
ذو الحق البين اي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم
لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
اي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذا اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله
اولئك يعني اهل بيت النبي عم او الرسول صلعم وعائشة وصفوان مبرؤن مما
يقولون اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال
والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرؤن مما يقولون فيهم او للخبيثين
والخبيثات اي مبرؤن من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعني الجنة
ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف بشاهد من اهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر
الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة بهذه الآيات مع هذه المبالغة
وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول عم واعلاء منزلته يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الا باذن حتى تستأنسوا
تستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن
مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف
الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استأنس او تتعرفوا

هل ثم انسان من الانس ● وتسلموا على اهلها ● بان تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عم التسليم
ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا رجع ● ذلكم خير لكم ● اي
الاستيذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا
دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته
في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلعم أأستأذن على امي قال نعم قال لا خادم لها
غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن
لعلكم تذكرون ● متعلق بمحذوف اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا
وتعلموا بما هو اصلح لكم ● فان لم تجدوا فيها احدا ● يأذن لكم ● فلا تدخلوها حتى يؤذن
لكم ● حتى يأتي من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط
وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا
عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوها ● وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ● ولا تلحوا
هو ازكى لكم ● الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة
وترك المروءة او انفع لدينكم ودنياكم ● والله بما تعملون عليم ● فيعلم ما تأتون وما
تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ● ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط
والخانات والحوانيت ● فيها متاع لكم ● استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء
الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ● وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ● اي ما يكون نحو محرم ● ويحفظوا فروجهم ● الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد
الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ● ذلك ازكى لهم ● انفع
لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة ● ان الله خبير بما يصنعون ● لا يخفى عليه اجالة ابصارهم
واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في
كل حركة وسكون ● وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ● فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن
النظر اليه من الرجال ● ويحفظن فروجهن ● بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض
لان النظر بريد الزنا ● ولا يبدين زينتهن ● كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها
لمن لا يحل ان تبدى له ● الا ما ظهر منها ● عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم
فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن
الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا
في الصلوة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء
منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة ● وليضربن بخمرهن على جيوبهن ● سترا
لاعناقهن وقرأ نافع وعاصم وابو عمرو وهشام بضم الجيم ● ولا يبدين زينتهن

زينتهن ● كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له ● الا لبعولتهن ● فانهم المقصودون
بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره ● او آبائهن او آباء بعولتهن
او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن ● لكثرة مداخلتهم
عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة
القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال
لانهم في معنى الاخوان او لان الاحوط ان تتستر عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم
او نسائهن ● يعني المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن
وللعلماء في ذلك خلاف ● او ما ملكت ايمانهن ● يعم الاماء والعبيد لما روي انه عم اتى
فاطمة رض بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها
لم يبلغ راسها فقال عم انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء
وعبد المرأة كالاجنبي ● او التابعين غير اولي الاربة من الرجال ● اي اولي الحاجة الى
النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين
يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر
غير بالنصب على الحال ● او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ● لعدم تمييزهم
من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس
وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ● ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن
ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ من
النهي عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت ● وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون
اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه
في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر
لعلكم تفلحون ● بسعادة الدارين وقرأ ابن عامر ايه المؤمنون وفي الزخرف يا ايه
الساحر وفي الرحمن ايه الثقلان بضم الهاء في الوصل في الثلثة والباقون بفتحها ووقف
ابو عمرو والكسائي عليهن ايها بالالف ووقف الباقون بغير الف ● وانكحوا الايامى
منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ● لما نهى عما عسى يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي
للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه
امر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية
والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا
لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب ايايم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان
او انثى بكرا كان او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم
وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشأنهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح
والقيام بحقوقه ● ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ● رد لما عسى يمنع من النكاح

والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال فانه غاد
ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله عم اطلبوا الغنى في هذه الآية لكن مشروطة بالمشية
لقوله تع وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء • والله واسع • ذو سعة
لا ينفد نعمته اذ لا ينتهي قدرته • عليم • يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته • وليستعفف
وليجتهد في العفة وقمع الشهوة • الذين لا يجدون نكاحا • اسبابه ويجوز ان يراد
بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه • حتى يغنيهم الله من فضله • فيجدوا ما يتزوجون به
والذين يبتغون الكتاب • المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من
الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتاجيله او من
الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض • مما ملكت ايمانكم
عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدا خبره • فكاتبوهم • او مفعول مضمر هذا تفسيره
والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن
الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان
المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل
ان علمتم فيهم خيرا • امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روي مثله مرفوعا
وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من
عدمه عدم الجواز • وآتوهم من مال الله الذي آتاكم • امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم
شيئا من اموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل
ما يتمول وعن علي رضي الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس رض الثلث وقيل ندب لهم على الانفاق
عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم
سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا ياخذه صدقة كالدائن والمشتري
ويدل عليه قوله عم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية • ولا تكرهوا فتياتكم
اماءكم • على البغاء • على الزنى كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن على الزنى وضرب
عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلعم فنزلت • ان اردن تحصنا • تعففا
شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه
لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن
من الاماء كالشاذ النادر • لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد
اكراههن غفور رحيم • اي لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن
مسعود رض من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة
الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل
واوجب عليه القصاص • ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات • يعني الآيات التي بينت
في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي

والكسائي في الموضعين بمنا ذي الطلاق بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة
والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود • ومثلا
من الذين خلوا من قبلكم • ومثلا من امثال من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي
قصة عائشة رض فانها كقصة يوسف عم ومريم • وموعظة للمتقين • يعني ما وعظ به
في تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات
المذكورة صفاته • الله نور السموات والارض • النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة
اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة
المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تع الا بتقدير مضاف كقولك زيد
كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تع نورها
بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة والانبياء او مدبرها من قولهم للرئيس
الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدها فان النور ظاهر
بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه موجود
بذاته موجد لما عداه او الذي به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة
لتعلقها به او لمشاركتها له في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا
فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات
وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها
والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله تع ابتداء او بتوسط من
الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادي
من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما
على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول
لهما • مثل نوره • صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه دليل على ان اطلاقه
عليه تع لم يكن على ظاهره • كمشكاة • كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة • فيها مصباح
سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة
المصباح في زجاجة • في قنديل من الزجاج • الزجاجة كانها كوكب دري • مضيء متلالئ
كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام
بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر
على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا • توقد من
شجرة مباركة زيتونة • اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان
رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم
لشانها وقرا نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي
وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد

وتوقد بحذف التاء لاجتماع الزائدتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة أو صحراء واسعة فإن ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى أو لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فإن زيتونه أجود الزيتون أو لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها أو لا في مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط وبيصه نور على نور نور متضاعف فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الأول أنه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات البينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة أو تشبيه للهدى من حيث إنه محفوف بظلمات أوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وإنما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به أوفق من تشبيهه بالشمس أو تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة أبي مثل نور المؤمن أو تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي نيط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالأنبياء والأولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالأشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فإن الحساسة كالمشكاة لأن محلها كالكوى ووجهها إلى الظاهر لا تدرك ما وراءها وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للأنوار العقلية وإنارتها بما تشتمل عليه من المعقولات والعاقلة كالمصباح لإضاءتها بالإدراكات الكلية والمعارف الإلهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها إلى ثمرات لا نهاية لها الزيتونة المثمرة للزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية أو لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فإنها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعلم أو تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فإنها في بدء أمرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط إحساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للأنوار وذلك التمكن إن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وإن كان بالحدس فكالزيت وإن كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضيء لأنها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك

بملك الوحي والإلهام الذي مثله النار من حيث إن العقول تشتعل عنها ثم إذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فإذا استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره لهذا النور الثاقب من يشاء فإن الأسباب دون مشيئته لاغية إذ بها تمامها ويضرب الله الأمثال للناس إدناء للمعقول بالمحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث في بيوت متعلق بما قبله أي كمشكاة في بعض بيوت أو توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فإن قناديل المساجد تكون أعظم أو تمثيلا لصلاة المؤمنين أو أبدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة إذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة أو بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لأنه من صلة أن فلا يعمل فيما قبله أو بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لأن الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم أذن الله أن ترفع بالبناء أو التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في أفعاله والمباحثة في أحكامه يسبح له فيها بالغدو والآصال ينزهونه أو يصلون له فيها بالغدوات والعشيات والغدو مصدر أطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع أصيل وقرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على إسناده إلى أحد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على إسناده إلى أوقات الغدو لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص إن أريد به مطلق المعاوضة أو بإفراد ما هو الأهم من قسمي التجارة فإن الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء وقيل المراد بالتجارة الشراء فإنه أصلها ومبدؤها وقيل الجلب لأنه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا إذا جلبه وفيه إيماء بأنهم تجار وإقام الصلاة عوض فيه الإضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالإعلال كقوله وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا وإيتاء الزكاة ما يجب إخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب والأبصار تضطرب وتتغير من الهول أو تتقلب أحوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الأبصار ما لم تكن تبصر أو تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والأبصار من أي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح أو لا تلهيهم أو يخافون أحسن ما عملوا أحسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من فضله أشياء لم يعدهم على أعمالهم ولم تخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الإحسان والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فإن أعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كسراب وهو ما يرى في الفلاة

من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع
وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة يحسبه
الظمآن ماء اي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة
حتى اذا جاءه جاء ما توهمه او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده عقابه
او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفاه حسابه استعراضا او مجازاة والله
سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية
تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاءه الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب
واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق
كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت
حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات
في الدنيا والسراب في الآخرة في بحر لجي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه
يغشى البحر موج من فوقه موج اي امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني
سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات
بعضها فوق بعض وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة
السحاب اليها اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها
فضلا ان يراها كقوله اذا غير الهجر المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح والضمائر
للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر
الله له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق الذي له نور على نور
الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال ان الله يسبح
له من في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن
لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال والطير على
الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات
فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها
من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر
او من الطير قد علم صلوته وتسبيحه اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا
لقوله والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل
الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا
كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء ولله ملك السموات
والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها
ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع الم تر ان الله يزجي
سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان

بان يكون قزعا فيضم بعضها الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه
ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من
خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام
وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها
من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد
بردا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد
بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه
والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء
وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان
وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا
مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى
ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها
واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه
ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع برقة
وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين
اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد
وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما
وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك
فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته
واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى البصيرة والله
خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة
من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من
الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على
بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة للمشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين [في الهامش: او للمشاكلة نسخه]
كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع
كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن
الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرق في القدرة يخلق الله ما يشاء
مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات
والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ان الله على كل شيء قدير فيفعل
ما يشاء لقد انزلنا آيات مبينات للحقائق بانواع الدلائل والله يهدي من يشاء
بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك

الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم
يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي صلعم وقيل في مغيرة بن وائل خاصم
عليا رضي الله عنه في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول عم واطعنا اي واطعناهما ثم يتولى
بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا وما اولئك بالمؤمنين
اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله تع بان جميعهم وان آمنوا بالسنتهم
لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة لم يؤمنوا بقلوبهم
على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان او الثابتون عليه
واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ليحكم النبي عم فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه
وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله تع اذا فريق منهم معرضون
فاجاء فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي
ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اي لهم الحكم لا عليهم يأتوا اليه مذعنين منقادين
لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص افي قلوبهم مرض
كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان رأوا منك تهمة فزال يقينهم وثقتهم بك
ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب
عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم
والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته
يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن
غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم
ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون على عادته تع في اتباع ذكر المحق المبطل
والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده
الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يأمرانه او في الفرائض
والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره وقرا يعقوب
وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر وخلاد بخلاف عنه ويتقه باسكان الهاء وقالون
وهشام بخلاف عنه باختلاس كسرتها والباقون بصلتها وحفص باسكان القاف واختلاس
كسرة الهاء فشبه تقه بكتف وخفف والهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق فاولئك هم
الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه لئن امرتهم
بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على
الكذب طاعة معروفة اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية
المنكرة او طاعة معروفة امثل منها او ليكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة
ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ
ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على محمد صلى الله عليه

وسلم ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في حكمه تهتدوا
الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى
وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات خطاب للرسول عم والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم
في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب
قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه نزل منزلة القسم
كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة
وقرأ ابو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدؤوا
كسروا الالف وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت
وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف امنا منهم فكان رسول
الله صلعم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون
في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق
والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين
رضي الله عنهم اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب
والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد
او استئناف لبيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال من الواو
اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد
او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح
مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا
الرسول في سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على
المأمور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتأكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه
بقوله لعلكم ترحمون كما علق بها الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض
لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين وقرأ
ابن عامر وحمزة بالياء على ان الضمير فيه لمحمد صلعم والمعنى كما هو في القراءة بالتاء او الذين
كفروا فاعل والمعنى لا يحسبن الكفار في الارض احدا يعجز الله فيكون معجزين في الارض
مفعوليه او لا يحسبونهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشيء واحد
فاكتفى بذكر الاثنين عن الثالث ومأواهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين
كفروا ليسوا معجزين ومأواهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز
ولبئس المصير المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت
ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الآيات الدالة على وجوب الطاعة
فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب

الرجال والنساء غلّب فيه الرجال لما روي أن غلام أسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت
كرهته فنزلت وقيل أرسل رسول الله صلعم مدلج بن عمرو الأنصاري وكان غلاماً وقت
الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضه لوددت أن الله
عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا هذه الساعات علينا إلا بإذن ثم انطلق
معه إلى النبي صلعم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية والذين لم يبلغوا الحلم منكم
والصبيان الذين لم يبلغوا من الأحرار فعبّر عن البلوغ بالاحتلام لأنه أقوى دلائله ثلث
مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلوة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح
ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلاً من ثلث مرات أو الرفع خبر المحذوف
أي هي من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم أي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة
بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لأنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف
ثلث عورات لكم أي هي ثلث أوقات يختل فيها تستركم ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره
ما بعده وأصل العورة الخلل ومنها أعور المكان ورجل أعور وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي
ثلث بالنصب بدلاً من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الأوقات
في ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافي آية الاستيذان فينسخها لأنه في الصبيان ومماليك
المدخول عليه وتلك في الأحرار البالغين طوافون عليكم أي هم طوافون استيناف
لبيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل
الأحكام وكذا في الفرق بين الأوقات الثلث وغيرها بأنها عورات بعضكم على بعض
بعضكم طائف على بعض أو يطوف بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين
الله لكم الآيات أي الأحكام والله عليم بأحوالكم حكيم فيما شرع لكم وإذا بلغ
الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم الذين بلغوا من قبلهم
في الأوقات كلها واستدل به من أوجب استيذان العبد البالغ على سيدته وجوابه أن المراد
بهم المعهودون الذين جعلوا قسيماً للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم
آياته والله عليم حكيم كرره تأكيداً ومبالغة في الأمر بالاستيذان والقواعد من النساء
العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحاً لا يطمعن فيه لكبرهن
فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن أي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لأن
اللام في القواعد بمعنى اللاتي أو لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما
أمر بإخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن وأصل التبرج التكلف في إظهار ما يخفى من قولهم سفينة
بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطاً بسوادها كله لا يغيب منه
شيء إلا أنه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وأن يستعففن خير لهن من الوضع
لأنه أبعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الأعمى
حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون من مواكلة الأصحاء

حذراً من استقذارهم أو أكلهم من بيت من يدفع إليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه إذا خرج
إلى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة أن لا يكون ذلك من طيبة قلب أو من إجابة من يدعوهم
إلى بيوت آبائهم وأولادهم وأقاربهم فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كلاً عليهم وهذا إنما
يكون إذا علم رضا صاحب البيت بإذن أو قرينة أو كان في أول الإسلام ثم نسخ بنحو قوله
لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه وقيل نفي الحرج عنهم في القعود
عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم من البيوت التي
فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيته لقوله أنت ومالك
لأبيك وقوله إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه أو بيوت آبائكم أو بيوت
أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت
أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت أيديكم وتصرفكم من ضيعة
أو ماشية وكالة أو حفظاً وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ
مفتاحه أو صديقكم أو بيوت صديقكم فإنهم أرضى بالتبسط في أموالهم وأسر به وهو
يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله إنما يكون إذا علم رضا صاحب البيت بإذن أو قرينة
ولذلك خصص هؤلاء فإنه يعتاد التبسط منهم أو كان في أول الإسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية
به على أن لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً مجتمعين
أو متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده أو في
قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا معه أو في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام
لاختلاف الطاعم في القزازة والنهمة فإذا دخلتم بيوتاً من هذه البيوت فسلموا على
أنفسكم على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة تحية من عند الله ثابتة بأمره مشروعة
من لدنه ويجوز أن يكون صلة للتحية فإنه طلب الحيوة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر
لأنها بمعنى التسليم مباركة لأنها يرجى بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب بها
نفس المستمع وعن أنس أنه عم قال متى لقيت أحداً من أمتي فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت
بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصلّ صلوة الضحى فإنها صلوة الأبرار الأوابين كذلك
يبين الله لكم الآيات كرره ثالثاً لمزيد التأكيد وتفخيم الأحكام المختتمة به وفصل الأولين
بما هو المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون أي الحق والخير في الأمور
إنما المؤمنون الكاملون في الإيمان الذين آمنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم
وإذا كانوا معه على أمر جامع كالجمعة والأعياد والحروب والمشورة في الأمور وصف
الأمر بالجمع للمبالغة وقرئ أمر جميع لم يذهبوا حتى يستأذنوه يستأذنوا رسول الله صلعم
فيأذن لهم واعتباره في كمال الإيمان لأنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق
فإن ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله صلعم بغير إذنه ولذلك
أعاده مؤكداً على أسلوب أبلغ فقال إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون

بالله ورسوله فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذنه ليس كذلك
فاذا استأذنوك لبعض شأنهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق الامر
فأذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى رأي الرسول صلعم واستدل به على ان بعض الاحكام
مفوضة الى رأيه ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى
فأذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر
قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم
بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم على
دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة
الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم
بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا
رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم
على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم
يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم ينسلون
قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض
حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح
فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف
سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر
اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير
فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا
او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك
مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام
المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه
ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتأكيد
الوعيد ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب
ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات وقرأ يعقوب بفتح الياء وكسر الجيم فينبئهم بما عملوا
من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد عن كل
شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال
الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة
لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تع والفرقان مصدر فرق بين الشيئين
اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه
مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله وامته لقوله تع لقد
انزلنا اليكم او الانبياء عليهم السلام على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد
او الفرقان للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه
الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي
له ملك السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا
كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى
ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى
فيه التقدير حسب ارادته كخلقة الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا
فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر
والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره
للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى
واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه آلهة
لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا
وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون
لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا
ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه
عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث
والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتريه اختلقه
واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه
بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله تع انما يعلمه بشر فقد جاؤا ظلما
بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه
واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين ما سطره
المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه واستكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي
واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف
الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر
ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم
عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا
عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل

في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا
وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام
كما نأكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف
حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس
بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما
الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا لنعلم صدقه بتصديق الملك
او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون له جنة يأكل منها
هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير
فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون وقال الظالمون وضع الظالمين موضع
ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب
على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي
قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق
الموصل الى معرفة خواص النبي عم والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون
سبيلا الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك الذي ان شاء جعل لك
في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى جنات تجري
من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير
وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله
وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استينافا
بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة
فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك
لفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى
هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة او فلا تعجب تكذيبهم اياك فانه
اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم
لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله لا تتراءى
ناراهما اي لا تتقاربان بحيث يكون احدهما بمرأى من الآخر على المجاز والتأنيث
لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا
وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع
من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة
فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا
القوا منها مكانا في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب
فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات

السموات والارض وقرأ ابن كثير بسكون الياء مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم
بالسلاسل دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون هلاكا وينادونه
فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال
لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته
او لانه يتجدد كقوله تع كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
او لانه لا ينقطع فهو ثبور في كل وقت قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون
الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز
والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او الدلالة على
خلودها او التمييز عن جنات الدنيا كانت لهم في علم الله تع او اللوح او لان ما وعده
الله تع في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع
كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي
الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤون ما يشاؤونه من النعيم ولعله
تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي
وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم
كان على ربك وعدا مسئولا الضمير في كان لما يشاؤون والوعد الموعود اي كان ذلك
موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسئولا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على معنى
الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة
بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين
وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه
واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف
كانه قيل ومعبودهم او لتغليب الاصنام تحقيرا واعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة
وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله تع او تتكلم بلسان الحال
كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب
وقرأ ابن عامر بالنون ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم
بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله
ااضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل
دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك
تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شيء
او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او
تنزيها لله تع عن الانداد ما كان ينبغي لنا ما يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء

للعصمة او عدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان نتولى احداً دونك وقرئ نتخذ
على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تع واتخذ الله ابرهيم خليلا ومفعوله الثاني
من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفي ولكن متعتهم وآباءهم بانواع
النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك
والتدبر في آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل
الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا
في قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع
او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على
حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة او
هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم
بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما تستطيعون اي المعبودون وقرأ حفص بالتاء
على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف
اي يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا
هي النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم
وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك
من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي الا رسلا انهم
فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيم الصفة مقامه كقوله تع وما منا الا له
مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول
يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشّون اي يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا
بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء
والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلعم
على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله تع ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث
على الصبر على ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلي به وغيره
وقال الذين لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا
بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي
والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا هلا انزل
علينا الملائكة فتخبرنا بصدق محمد وقيل فيكونون رسلا الينا او نرى ربنا
فيأمرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنها حتى ارادوا
لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله تع في اكمل اوقاتهم وما هو
اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه

مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة واعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت
دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة
حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس ابأنا بنابها
كليبا غلت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب
ويوم نصب باذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى
او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام
او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول
حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى
بالعفو والشفاعة في وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا
بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول
اي ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهي مما
كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم
الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك
وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتاكيد كقولهم موت مائت
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم
كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو
تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها
ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي
الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتثاره
بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث
من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله تع كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا
مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على
التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين
به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان
اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة
الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف
ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ويوم تشقق السماء اصله تتشقق
فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام
منها وهو الغمام المذكور في قوله تع هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل

وقرئ ونزلت وأنزل ونزل الملائكة ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة • الملك
يومئذ الحق للرحمن • الثابت له لأن كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى إلا ملكه فهو الخبر وللرحمن
صلته أو تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لأنه متأخر أو صفة والخبر يومئذ أو للرحمن
وكان يوما على الكافرين عسيرا • شديدا • ويوم يعض الظالم على يديه • من فرط الحسرة
وعض اليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات من الغيظ والحسرة لأنها
من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن أبي معيط كان يكثر مجالسة النبي صلعم
فدعا إلى ضيافته فأبى أن يأكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف
صديقه فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت
منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه
وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال صلعم لا ألقاك خارجا
من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا رضي الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن
ثابت بن أقلح الأنصاري وقال يا محمد إلى من الصبية قال إلى النار وطعن أبيا بأحد في المبارزة
فرجع إلى مكة ومات • يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا • طريقا إلى النجاة أو
طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة • يا ويلتى • وقرئ بالياء
على الأصل • ليتني لم أتخذ فلانا خليلا • يعني من أضله وفلان كناية عن الأعلام كما أن هنا
كناية عن الأجناس • لقد أضلني عن الذكر • عن ذكر الله أو كتابه أو موعظة الرسول أو
كلمة الشهادة • بعد إذ جاءني • وتمكنت منه • وكان الشيطان • يعني الخليل المضل
أو إبليس لأنه حمله على مخالته ومخالفة الرسول أو كل من تشيطن من جن أو إنس
للإنسان خذولا • يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان
وقال الرسول • محمد يومئذ أو في الدنيا بثا إلى الله تع • يا رب إن قومي • قريشا
اتخذوا هذا القرآن مهجورا • بأن تركوه وصدوا عنه وعن الإيمان به وعنه ع م من تعلم
القرآن وعلق مصحفه فلم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب
عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه أو هجروا به ولغوا فيه إذا سمعوه أو زعموا
أنه هجر وأساطير الأولين فيكون أصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز أن يكون
بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لأن الأنبياء إذا شكوا إلى الله
قومهم عجل لهم العذاب • وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين • كما جعلناه لك
فاصبر كما صبروا وفيه دليل على أنه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع • وكفى بربك
هاديا • إلى طريق قهرهم • ونصيرا • لك عليهم • وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن
أي أنزل عليه كخبر بمعنى أخبر لئلا يناقض قوله • جملة واحدة • دفعة واحدة كالكتب
الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو مفرقا مع أن
للتفريق فوائد منها ما أشار إليه بقوله تع • كذلك لنثبت به فؤادك • أي كذلك أنزلناه

أنزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لأن حاله يخالف حال موسى وداود
وعيسى حيث كان أميا وكانوا يكتبون فلو ألقي عليه جملة لتعيى بحفظه ولعله لم يستتب له فإن
التلقف لا يتأتى إلا شيئا فشيئا ولأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص
في المعنى ولأنه إذا أنزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه
ولأنه إذا نزل به جبرئيل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها
انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية فإنه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر
محذوف والإشارة إلى إنزاله مفرقا فإنه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة
واحدة ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والإشارة
إلى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف • ورتلناه ترتيلا • وقرأناه
عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة أو ثلث وعشرين وأصل الترتيل
في الأسنان وهو تفليجها • ولا يأتونك بمثل • بسؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون
به القدح في نبوتك • إلا جئناك بالحق • الدامغ له في جوابه • وأحسن تفسيرا • وبما هو
أحسن بيانا أو معنى من سؤالهم أو ولا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله إلا
أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو أحسن كشفا لما بعثت له • الذين يحشرون
على وجوههم إلى جهنم • أي مقلوبين أو مسحوبين إليها أو متعلقة قلوبهم بالسفليات
متوجهة وجوههم إليها وعنه ع م يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة أصناف صنف على الدواب
وصنف على الأقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره أولئك
شر مكانا وأضل سبيلا • والمفضل عليه هو الرسول ع م على طريقة قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل إن حاملهم على هذه الأسولة تحقير مكانه وتضليل
سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكانا وأضل سبيلا وقيل إنه متصل بقوله أصحاب الجنة
يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي للمبالغة • ولقد آتينا
موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا • يوازره في الدعوة وإعلاء الكلمة
ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لأن المتشاركين في الأمر متوازران عليه • فقلنا
اذهبا إلى القوم الذين كذبوا • يعني فرعون وقومه • بآياتنا فدمرناهم تدميرا • أي
فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم فاختصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها
وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع
وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة • وقوم نوح لما كذبوا
الرسل • كذبوا نوحا ومن قبله أو نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل
أو بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة • أغرقناهم • بالطوفان • وجعلناهم • وجعلنا
إغراقهم أو قصتهم • للناس آية • عبرة • وأعتدنا للظالمين عذابا أليما • يحتمل التعميم
والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم • وعادا وثمودا • عطف على هم

أو جعلناهم أو على الظالمين لأن المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمودَ على تأويل القبيلة
وأصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم
حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية
بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الأخدود وقيل بئر
بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله
بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي
يقال له فتخ أو دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم إذا أعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا
فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوه فأهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم
ورسّوه أي دسّوه في بئر وقرونا وأهل أعصار قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون
وقيل مائة وعشرون بين ذلك إشارة إلى ما ذكر كثيرا لا يعلمها إلا الله وكلا
ضربنا له الأمثال بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين إنذارا وإعذارا فلما أصروا
أهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة
وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا كأنذرنا والثاني بتبرنا لأنه فارغ له ولقد أتوا
يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم إلى الشام على القرية التي أمطرت مطر السوء
يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط أمطرت عليها الحجارة أفلم يكونوا يرونها في مرار
مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا
بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما
مرت ركابهم أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب أو لا يخافونه على
اللغة التهامية وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا ما يتخذونك إلا موضع هزو
أو مهزوا به أهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر والإشارة للاستحقار وإخراج
بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الإنكار تهكم واستهزاء ولولاه
لقالوا أهذا الذي زعم أنه بعثه الله رسولا إن كاد إنه كاد ليضلنا عن آلهتنا
ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء إلى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق إلى
الذهن أنها حجج ومعجزات لولا أن صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها
ولولا في مثله تقييد للحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين
يرون العذاب من أضل سبيلا كالجواب لقولهم إن كاد ليضلنا فإنه يفيد نفي ما يلزمه
ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وإن أمهلهم أرأيت من اتخذ
إلهه هواه بأن أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وإنما قدم المفعول
الثاني للعناية به أفأنت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا
فالاستفهام الأول للتقرير والتعجيب والثاني للإنكار أم تحسب بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون
أو يعقلون فتجدي لهم الآيات والحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في إيمانهم وهو أشد مذمة

مذمة مما قبله حتى حق بالإضراب عنه إليه وتخصيص الأكثر لأنه كان منهم من آمن ومنهم من عقل
الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة إن هم إلا كالأنعام في عدم انتفاعهم
بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم أضل
سبيلا من الأنعام لأنها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب
ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان
ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار
ولأنها إن لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولأن
جهالتها لا تضر بأحد وجهالة هؤلاء تؤدي إلى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولأنها
غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون أعظم العقاب
على تقصيرهم ألم تر إلى ربك ألم تنظر إلى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه أو ألم
تنظر إلى الظل كيف مده ربك فغير النظم إشعارا بأن المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو
دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على أن ذلك فعل الصانع الحكيم
كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه أو ألم ينته علمك إلى أن ربك كيف مد الظل وهو
فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الأحوال فإن الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد
النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود
ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة
على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فإنه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها
على بعض الأجرام أو لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حركتها ثم قبضناه إلينا
أي أزلناه بإيقاع الشعاع موقعه لما عبر عن إحداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن إزالته بالقبض
إلى نفسه الذي هو في معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم
بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل
الأمور أو لتفاضل مبادي أوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الأرض
تحتها فألقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا أي
مسلطا عليه مستتبعا إياه كما يستتبع الدليل المدلول أو دليل الطريق من يهديه فإنه يتفاوت
بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا إلى أن ينتهي غاية نقصانه
أو قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الأجرام المظلة والمظل عليها وهو
الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم سباتا راحة للأبدان
بقطع المشاغل وأصل السبت القطع أو موتا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل لأنه قطع الحياة
ومنه المسبوت للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور أي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش
أو بعث من النوم بعث الأموات فيكون إشارة إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت
والنشور وعن لقمان يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي أرسل الرياح

وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر
بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم
بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا
من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله تعالى ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما
يتوضأ به ويوقد به قال عم التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه
ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين
لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء
به اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل
طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى
لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على
الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا
يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان
اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام
غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع
ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام
قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على
سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغات
وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف ياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان
على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس
في القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات
المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام اقل مطرا من
عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية او في الانهار والمنابع
ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا
بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث
لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان
كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى
ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن
قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل
ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك
عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقرآن او بترك طاعتهم الذي يدل
عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم

مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة
الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او
لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين
خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب
فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح
على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا
محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا
وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر
العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض
فيكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت
وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به
طينة آدم او جعله جزءا من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيئات بسهولة
او النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات
صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا
حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين
وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم
ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر
وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او
ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله
ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين
قل ما اسألكم عليه على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء
الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان
والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لكلية
شبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانتفاعك نفسه بالتعرض للثواب والتخلص
عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب
من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل
وتوكل على الحي الذي لا يموت في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق
بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم
وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام
بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلعا فلا عليك
ان آمنوا او كفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش

قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر فانه تع مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ ولمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل عن المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فاسأل به خبيرا فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تع او جبرئيل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تع فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرناه يعني تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس لقوله تع وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله تع واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر ان يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد او اراد شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه فان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام للروي وهو

وهو جمع قائم او مصدر اجري مجراه والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله تع في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر ولم يقتروا بالضم من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد وكان بين ذلك قواما وسطا عدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير المتمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء اثم او اثاما بمعنى الجزاء وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه في معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وتضعف له العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا

الى الله الذي يحب التوابين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا
تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او
لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب
ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه
ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح
به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم بالوعظ والقراءة لم يخروا عليها صما وعميانا
لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها
سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك
لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا
هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل
فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقر بهم عينه لما يرى من مساعدتهم
له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رايت منك اسدا
وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر ذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة
تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم
واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل و
توحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او
لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل
جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة
اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله تعالى وهم في الغرفات آمنون والقراءة
بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات
ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة
اي تحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة
من كل آفة وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون
ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل
ما يعبؤا بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم
لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات
سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية
فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبء يعبأ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث
خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ
فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد
في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما

لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل
والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى
لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلعم من قرأ سورة الفرقان
لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية وهي مائتان وست او سبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم قرا حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين لكراهة العود الى الياء المهروب
منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب المبين
الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر في اول البقرة لعلك
باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار
وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على
نفسك ان تقتلها حسرة الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا
ان نشا ننزل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه فظلت
اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان
موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت
مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم
وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله
لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه الى نبيه
محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين الا جددوا
اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في
تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله فسيأتيهم اي اذا
مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة انباء ما كانوا به يستهزءون من انه كان حقا
ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى
الارض اولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير
المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة
على القدرة وان تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره
وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك ان في انبات تلك الاصناف
او في كل واحد لآية على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان
اكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام وان
ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز
في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف

لما بعده ان ائت اى ائت او بان ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد
بنى اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول وعطف بيان له ولعل
الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك الا يتقون استيناف اتبعه
ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات
اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين فى كلام
المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث
على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة
ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب انى اخاف ان
يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون رتب استدعاء ضم
اخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور الثلثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا
عنه وازدياد الحبسة فى اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا
ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوى قلبه وينوب منابه متى يعتريه
حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا فى تلقى الامر بل
طلب لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب
عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف عنه ولهم على ذنب اى تبعة ذنب فحذف
المضاف او سمى باسمه والمراد به قتل القبطى وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته
المبسوطة فى مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا
وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذلك استمداد واستظهار فى امر الدعوة وقوله
تع قال كلا فاذهبا باياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع اللازم ردعه عن
الخوف وضم اخيه اليه فى الارسال والخطاب فى فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف
على الفعل الذى يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذى طلبته
انا معكم يعنى موسى وهرون وفرعون مستمعون سامعون لما يجرى بينكما وبينه
فاظهركما عليه مثل نفسه تع بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجرى بينهم وترقبا لامداد
اوليائه منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء
للسمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم
لغو فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين افرد الرسول لانه مصدر وصف
به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثنى تارة وافرد اخرى او لاتحادهما فى الاخوة او
لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا ان ارسل معنا بنى اسرائيل
اى ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى
الشام قال اى فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا وليدا

وليدا فى منازلنا طفلا سمى به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث
فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين ثم
بقى بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التى فعلت يعنى قتل القبطى وبخه به معظما
اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز وانت من
الكافرين بنعمتى حتى عمدت الى قتل خواصى او ممن تكفرهم الآن فانه كان يعايشهم
بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته
او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون فى دينهم قال فعلتها اذا
وانا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه
او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهلين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب الذاهلين نسخه
او الناسين من قوله تع ان تضل احديهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما
حكمة وجعلنى من المرسلين ردا اولا بذلك ما وبخه به قدحا فى نبوته ثم كر على ما عد عليه
من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على انه كان فى الحقيقة
نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل اى وتلك
التربية نعمة تمنها على ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم
فانه السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اى او
تلك نعمة تمنها على وهى ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة
او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت
عطف بيانها والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على وانما وحد الخطاب فى تمنها
وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون
وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع فى الاعتراض
على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما
عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله
ان كنتم موقنين اى ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة
ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد وان
يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب
او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه
الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركب فى ذاته قال
لمن حوله الا تستمعون جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات
وهى اجرام متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر
قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك فى افتقاره
الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند المتأمل قال ان رسولكم الذى ارسل

اليكم لمجنون • اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية • قال رب المشرق
والمغرب وما بينهما • تشاهدون كل يوم انه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار
غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات
ان كنتم تعقلون • ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم
لما رأى شدة شكيمتهم خشّنهم وعارضهم بمثل مقالهم • قال لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك
من المسجونين • عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند
المحجوج واستدل على ادعائه الالوهية وانكاره الصانع وانه تعجبه بقوله الا تستمعون
من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوة
طالعه استحق العبادة من اهله واللام في المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في
سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لأسجننك
قال اولو جئتك بشيء مبين • اي أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين صدق دعواي يعني
المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي
نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل • قال فأت به ان كنت من الصادقين
في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له من حجة • فالقى عصاه فاذا هي
ثعبان مبين • ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر
ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين • روي ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل
غيرها فاخرج يده قال فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار
ويسد الافق • قال للملأ حوله • مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال • ان هذا
لساحر عليم • فائق في علم السحر • يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون • بهره
سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم
عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه • قالوا ارجه واخاه • اخّر
امرهما وقيل احبسهما • وابعث في المدائن حاشرين • شرطا يحشرون السحرة • يأتوك
بكل سحار عليم • يفضلون عليه في هذا الفن وامالها ابن عامر وابو عمرو والكسائي
وقرئ بكل ساحر • فجمع السحرة لميقات يوم معلوم • لما وقت به من ساعات يوم معين
وهو وقت الضحى من يوم الزينة • وقيل للناس هل انتم مجتمعون • فيه استبطاء لهم في الاجتماع
حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون
بن مخراق • اي ابعث احدهما الينا سريعا • لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم
الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم
لم يتبعوا موسى • فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين • قال
نعم وانكم اذا لمن المقربين • التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذن

فاذن على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعِم بالكسر وهما لغتان • قال لهم موسى
ألقوا ما انتم ملقون • اي بعد ما قالوا له إما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد
به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار
الحق • فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون • اقسموا بعزته
على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر
فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف • تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف • ما يأفكون
ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى
او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة • فالقي السحرة ساجدين • لعلمهم بان مثله لا يتأتى
بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر في كل
فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا
انفسهم فكأنهم أُخذوا وطُرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق • قالوا آمنا
برب العالمين • بدل من القي بدل الاشتمال او حال باضمار قد • رب موسى وهارون
ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما • قال
آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر • فعلمكم شيئا دون شيء ولذلك غلبكم او
فواعدكم على ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا
عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وروح ءآمنتم بهمزتين • فلسوف تعلمون
وبال ما فعلتم وقوله • لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين • بيان له
قالوا لا ضير • لا ضرر علينا في ذلك • انا الى ربنا منقلبون • بما توعدنا به فان الصبر عليه
محّاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا • لان كنا • اول المؤمنين • من اتباع فرعون او من
اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على
الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ان احسنت اليك
فلا تنس حقي • واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي • وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم
يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع
ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير • انكم متبعون
يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين
كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون
البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم • فارسل فرعون حين اخبر بسراهم • في
المدائن حاشرين • العساكر ليتبعوهم • ان هؤلاء لشرذمة قليلون • على ارادة
القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روي
انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم

لما بين وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل • وانهم لنا لغائظون
لفاعلون ما يغيظنا • وانا لجميع حذرون • وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم
في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط
عداوتهم ووجوب التيقظ في شانهم حثا عليه او اعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن
ما يكسر سلطانه وقرا ابن عامر والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثاني للتجدد
وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون
بالدال اي اقوياء قال احب الصبي السوء من اجل امه • وابغضه من بغضها وهو حادر
او تاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة في اجسامهم • فاخرجناهم بان خلقنا داعية
الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه • من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم • يعني المنازل
الحسنة والمجالس السنية • كذلك • مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر او مثل ذلك المقام
الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبر المحذوف • واورثناها بني
اسرائيل • فاتبعوهم • وقرئ فاتّبعوهم • مشرقين • داخلين في وقت شروق الشمس
فلما تراءى الجمعان • تقاربا بحيث يرى كل منهما الاخر وقرئ تراءت الفئتان • قال
اصحاب موسى انا لمدركون • لملحقون وقرئ لمدّركون من ادّرك الشيء اذا تتابع ففني
اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم • قال كلا • لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص
منهم • ان معي ربي • بالحفظ والنصرة • سيهدين • طريق النجاة منهم روي ان مؤمن آل
فرعون كان بين يدي موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون
قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع • فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر • القلزم
او النيل • فانفلق • اي فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك • فكان
كل فرق كالطود العظيم • كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب
وازلفنا • وقربنا • ثم الآخرين • فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم • وانجينا
موسى ومن معه اجمعين • بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا • ثم اغرقنا الآخرين •
باطباقه عليهم • ان في ذلك لآية • واية آية • وما كان اكثرهم مؤمنين • وما تنبه
عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا
بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة • وان ربك
لهو العزيز • المنتقم من اعدائه • الرحيم • باوليائه • واتل عليهم • على مشركي العرب • نبأ
ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون • سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة
قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين • فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا وافتخارا
ونظل هاهنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل • قال هل يسمعونكم
يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة • اذ تدعون • عليه وقرئ
يُسمعونكم اي يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية

الماضية استحضارا لها • او ينفعونكم • على عبادتكم لها • او يضرون • من اعرض عنها
قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون • اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر
او نفع والتجأوا الى التقليد • قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون •
فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا • فانهم عدو لي • يريد انهم اعداء
لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغري
لعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صوّر الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع
في النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدا بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد
العدو لانه في الاصل مصدر او بمعنى النسب • الا رب العالمين • استثناء منقطع او
متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله تعالى • الذي خلقني
فهو يهدين • لانه يهدي كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذي
قدر فهدى هداية مدرجة من مبدا ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع
المضار مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها
الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف
ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله
والذي هو يطعمني ويسقين • على الاول مبتدا محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان
بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء
الحكم • واذا مرضت فهو يشفين • عطف على يطعمني ويسقين لانه من روادفهما من حيث
ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان
مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به
لا ضرر فيه وانما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التي
يستحقر دونها الحيوة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبليات ولان المرض في غالب الامر
انما يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاركان والاخلاط من التنافي
والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك
بقدرة العزيز الحكيم • والذي يميتني ثم يحيين • في الآخرة • والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين • ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب
لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى ان يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث
اني سقيم بل فعله كبيرهم هي اختي ضعيف لانها معاريض وليست خطايا • رب هب لي حكما •
كمالا في العلم والعمل استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق • والحقني بالصالحين • ووفقني
للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب
ولا صغيره • واجعل لي لسان صدق في الآخرين • جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره
الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتي

يجدد اصل دينى ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلعم واجعلنى من ورثة
جنة النعيم فى الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر لابى بالهداية والتوفيق للايمان
انه كان من الضالين طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان
يخفى الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار
ولا تخزنى بمعاتبتى على ما فرطت او بنقص مرتبتى عن رتبة بعض الوارث او بتعذيبى لخفاء
العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدى او ببعثه فى عداد الضالين وهو من
الخزى بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون
او للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اى لا ينفعان احدا
الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصى وسائر آفاته او لا ينفعان الا مال من هذا
شانه وبنوه حيث انفق ماله فى سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم
ان يكونوا عبادا لله مطيعين شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون
اى لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى لكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه وازلفت
الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت
الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفى اختلاف
الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله اين آلهتكم
الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون
بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون
اى الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من القى فى النار ينكب مرة
بعد اخرى حتى يستقر فى قعرها وجنود ابليس متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه
اجمعون تاكيد للجنود ان جعل مبتدا خبره ما بعده والا فللضمير وما عطف عليه وكذا الضمير
المنفصل وما يعود اليه فى قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين
على ان الله تعالى ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب فى قوله اذ نسويكم
برب العالمين اى فى استحقاق العبادة ويجوز ان يكون الضمائر للعبدة كما فى قالوا
والخطاب للمبالغة فى التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم فى مبدا ضلالهم معترفون
بانهماكهم فى الضلالة متحسرون عليها وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين
كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا فى
مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة
وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على
الجمع كالعدو لانه فى الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمنى للرجعة
واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما فى معنى التقدير او شرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين

المؤمنين جواب التمنى او عطف على كرة اى لو ان لنا ان نكر فنكون ان فى ذلك
فيما ذكر من قصة ابرهيم لآية لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت
على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول
العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال
اشفاقه عليهم وتصوير الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا
وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه
مؤمنين به وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال
لكى يؤمنوا هم او احد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك
تصغر على قويمة وقد مر الكلام فى تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان
منهم الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره انى لكم رسول امين مشهور بالامانة
فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله وما اسالكم عليه
على ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله
واطيعون كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب
طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح الياء
فى اجرى فى الكلمات الخمس قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون
جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرا يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد
او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رايهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا
اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه و
اشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك
قال وما علمى بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا فى طعمة وما على الا اعتبار
الظاهر ان حسابهم الا على ربى ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها
لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين
جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم
المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اى ما انا الا رجل مبعوث لانذار
المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بى طرد الفقراء
لاستتباع الاغنياء او ما على الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا على ان اطردهم
لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين
من المشتومين او المضروبين بالحجارة قال رب ان قومى كذبون اظهارا لما يدعو
عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخوفهم له واستخفافهم عليه فافتح بينى وبينهم فتحا
فاحكم بينى وبينهم من الفتاحة ونجنى ومن معى من المؤمنين من قصدهم او شوم عملهم
فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد بعد انجائه الباقين

من قومه ان في ذلك لاية شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم
اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تصدير القصص بها دلالة على
ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه
ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع
مبرئين عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان
مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها اية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا
يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليها
للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون بها وتتخذون مصانع ماخذ الماء وقيل
قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط
او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رافة ولا قصد تاديب ونظر في العاقبة
فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا
الذي امدكم بما تعلمون كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم
تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل
بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون
مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون
ثم اوعدهم فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فانه كما
قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين
فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم
بوعظه ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما
خلقنا هذا الا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرا نافع وابن عامر
وعاصم وحمزة خلق بضمتين اي ما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون
مثله او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون
او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما
نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر ان
في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين
اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ها هنا امنين انكار لان
يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم امنين ثم فسره بقوله
في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر او لان النخل انثى

انثى وطلع اناث النخل الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او
يتكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها
غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة
وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا
الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الامر
لامتثال الامر او نسب حكم الامر الى امره مجازا الذين يفسدون في الارض وصف
موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص
فسادهم قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقولهم
او من ذوي السحر وهي الرئة اي من الاناسي فيكون ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له
فات باية ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة اي بعدما اخرجها الله
من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من
السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم
ولا تزاحموها في شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم
عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى
كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها
خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم
العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو امن اكثرهم
او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من امن منهم
كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران
من العالمين اي اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه
غيركم او اتاتون الذكران من اولاد ادم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد
اعوزتكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما
خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم من ازواجكم للبيان ان اريد به جنس الاناث او
للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم
بل انتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس
بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان
لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه وعن نهينا او تقبيح امرنا
لتكونن من المخرجين من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه
على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض

لا اقف على الانكار عليه بالإبعاد وهو ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته على انه
معدود في زمرتهم مشهور بانه من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اي من شومه
وعذابه فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم
وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امراة لوط في الغابرين مقدرة في الباقين
في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم
وقيل كانت فيمن بقيت في القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم
وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم فساء مطر المنذرين
اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو
مطرهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب
اصحاب الايكة المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين يسكنها
طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال اذ قال
لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم
الدوم وهو المقل وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء حركتها على
اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص
بغير الف اتباعا للفظ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه
من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين
حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان
عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرا حمزة والكسائي
وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم
ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم
والجبلة الاولين وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق قالوا
انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين
وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك
فاسقط علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد
وقرا حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين في دعواك قال ربي اعلم بما تعملون
وبعذابه منزل عليكم ما اوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب
يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم
واظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم
عظيم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص
السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلعم وتهديدا للمكذبين به واطراد
نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة

مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة
على تكذيبهم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقية
تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلعم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون
الا وحيا من الله تع والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعاني
الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه
الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبرئيل فانه امين الله على وحيه وقرا
ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح الامين لتكون من المنذرين
عما يؤدي الى عذاب من فعل او ترك بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا
ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة
العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم السلام وانه لفي زبر الاولين وان
ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة اولم يكن لهم آية على صحة القرآن او نبوة محمد صلعم
ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرا
ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه
بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على
بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين
لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي
على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة كذلك سلكناه ادخلناه في قلوب المجرمين
والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على انه بخلق الله تع وقيل
للقرآن اي ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به
حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان فياتيهم بغتة في الدنيا والآخرة
وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتاسفا افبعذابنا
يستعجلون فيقولون امطر علينا حجارة فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب
النظرة افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا من قرية الا
لها منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة
او المصدر لانها في معنى الانذار والرفع على انها صفة منذرون باضمار ذوو او
بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين
فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار وما تنزلت به الشياطين كما زعمت المشركون انه من قبيل
ما يلقي الشياطين الى الكهنة وما ينبغي لهم وما يصلح لهم ان يتنزلوا به وما يستطيعون
وما يقدرون انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة
في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية

بشريرة بالذات لا يقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقايق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا
من الملائكة ● فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين ● تهييج لازدياد الاخلاص
ولطف لسائر المكلفين ● وانذر عشيرتك الاقربين ● الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام
بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال
لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي
عذاب شديد ● واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ● لين جانبك لهم مستعار
من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين
او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون
باللسان ● فان عصوك ● ولم يتبعوك ● فقل اني بريء مما تعملون ● مما تعملونه او من
اعمالكم ● وتوكل على العزيز الرحيم ● الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك
شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب
الشرط ● الذي يراك حين تقوم ● الى التهجد ● وتقلبك في الساجدين ● وترددك
عطف على الكاف
في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة
ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير
لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع
والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستاهل ولايته
بعد وصفه بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه
● انه هو السميع ● لما تقوله ● العليم ● بما تنويه ● هل انبئكم على من تنزل الشياطين
● تنزل على كل افاك اثيم ● لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين
اكد ذلك بان بين ان محمدا عم لا يصلح لان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما
يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب
والتواد وحال محمد صلعم على خلاف ذلك وثانيهما قوله ● يلقون السمع واكثرهم كاذبون
اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان
علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث
الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك
محمد صلعم فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله
تعالى كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق
منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمير للشياطين اي يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان
رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم
منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو
ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم ● والشعراء يتبعهم

يتبعهم الغاوون ● واتباع محمد عم ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه عم شاعرا
وقرره بقوله ● الم تر انهم في كل واد يهيمون ● لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها
واغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح
في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه
واليه اشار بقوله ● وانهم يقولون ما لا يفعلون ● وكانه لما كان اعجاز القرآن من جهة
المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس
كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول عم
لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم بالتخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه
بعضد ● الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد
ما ظلموا ● استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر
اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار
ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين
وكان عم يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عم قال له اهجهم
فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل ● وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي
اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلا ابو بكر لعمر حين عهد اليه
وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون
ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات ● عن النبي
صلعم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به
وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلعم ●

سورة النمل وهي ثلاث وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ● الاشارة الى آي السورة والكتاب المبين
اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه لمن نظر فيه وتاخيره هنا باعتبار
تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم
والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى
وتنكيره للتعظيم وقرئ كتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
هدى وبشرى للمؤمنين ● حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان
منها او خبران آخران او خبران لمحذوف ● الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة ● وهم بالآخرة هم يوقنون ● من
تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته ●

وانهم الاوحديون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون
الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق
على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم
زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي
وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها
من ضر او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم
في الآخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة
وانك لتلقى القرآن لتؤتاه من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع
بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار
بان علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار
عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا
اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق
لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين
للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ او آتيكم بشهاب قبس
شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ومن نونه الكوفيون
ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن
ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم
احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله تع انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده
لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي
ان بورك اي بورك فان النداء فيه معنى القول وبان بورك على انها مصدرية او
مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه
دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها من في مكان النار
وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تع نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة
المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك الوادي وحواليها من
ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا
وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله موسى فيها وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون
وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام
وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها
وللتعجيب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله
الهاء للشأن وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم
صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام

من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير والق عصاك
عطف على بورك اي نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله تع
وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير ان فلما رآها تهتز
تتحرك باضطراب كانها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من
جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب
المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله
يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي ومطلقا لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون
حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس اي من الله تع او لا يكون
لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم
استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت
منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة
وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف
اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف
لا كم له وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص
في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن
عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث
به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انها استئناف بالارسال فيتعلق به
الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا انهم كانوا قوما
فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة
اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث لكادت تبصر نفسها
لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي
او مبصرة كل من نظر اليها او تأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا
هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم
وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما
على العلة من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا
والاحراق في الآخرة ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم
الحكم والشرائع او علما اي علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه
بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله
الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل
على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا

دونه ما أوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على أن يحمد الله على ما آتاه
من فضله وعلى أن يتواضع ويعتقد أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وورث
سليمان داود النبوة أو العلم أو الملك بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه
وكانوا تسعة عشر وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء
تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي
علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما أوتيه والنطق والمنطق في التعارف كل لفظ يعبر
به عما في الضمير مفردا كان أو مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه أو التبع كقولهم
نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فإن الأصوات الحيوانية
من حيث إنها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف
الأغراض بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية
التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي أنه مر ببلبل يصوت ويترقص
فقال يقول إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال إنها
تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة
عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا وأوتينا له ولأبيه أو له وحده على
عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما أوتي كقولك فلان
يقصده كل أحد ويعلم كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على أحد
وحشر وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون يحبسون يحبس
أولهم على آخرهم ليتلاحقوا حتى إذا أتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل
وتعدية الفعل إليه بعلى إما لأن إتيانهم كان من عال أو لأن المراد قطعه من قولهم أتى
على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا أخريات الوادي قالت
نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرت عنهم
مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه
ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أجروا مجراهم مع أنه لا يمتنع أن خلق الله
فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن
التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا أرينك ههنا فهو استئناف أو بدل من الأمر لا جواب
له فإن النون لا تدخله في السعة وهم لا يشعرون أنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يفعلوا
كأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والإيذاء وقيل استئناف أي فهم سليمان والقوم
لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها إلى مصالحها
أو سرورا بما خصه الله به من إدراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره
وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك اجعلني أزع شكر نعمتك عندي أي أكفه وأرتبطه
لا ينفلت عني بحيث لا أنفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح ياء أوزعني التي أنعمت

أنعمت علي وعلى والدي أدرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة أو تعميما لها فإن النعمة عليهما
نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها إليهما سيما الدينية وأن أعمل صالحا ترضاه
إتماما للشكر واستدامة للنعمة وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم
الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا أرى الهدهد
أم كان من الغائبين أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره
فقال ما لي لا أراه ثم احتاط فلاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب
كأنه يسأل عن صحة ما لاح له لأعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه وإلقائه في الشمس
أو حيث النمل تأكله أو جعله مع ضده في قفص أو لأذبحنه ليعتبر به أبناء جنسه أو
ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على أحد الأولين
بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع أحد الأمور الثلاثة ثلث المحلوف عليه
بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير أو ليأتينني بنونين الأولى مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد
زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف
فقال أحطت بما لم تحط به يعني حال سبأ وفي مخاطبته إياه بذلك تنبيه له على أن في أدنى
خلق الله من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بإدغام
الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق وجئتك من سبأ وقرأ ابن كثير برواية البزي
وأبو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة والقواس بهمزة ساكنة بنبأ يقين
بخبر محقق روي أنه عم لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام بها ما شاء
ثم توجه إلى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فأعجبته نزاهة أرضها فنزل
بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لأنه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده
إذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط إليه فتواصفا وطار معه لينظر
ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله تعالى وما خص به خاصة
عباده أشياء أعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها إني وجدت امرأة
تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبأ أو لأهلها وأوتيت
من كل شيء يحتاج إليه الملوك ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة إليها أو إلى عروش
أمثالها وقيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين عرضا وسمكا أو ثمانين في ثمانين من ذهب
وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله كأنهم كانوا
يعبدونها وزين لهم الشيطان أعمالهم عبادة الشمس وغيرها من مقابح أفعالهم
فصدهم عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون إليه ألا يسجدوا لله
فصدهم ألا يسجدوا أو زين لهم أن لا يسجدوا على أنه بدل من أعمالهم أو لا يهتدون
إلى أن يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب ألا بالتخفيف على أنها للتنبيه
ويا للنداء ومناداه محذوف أي ألا يا قوم اسجدوا كقوله وقالت ألا يا اسمع نعظك

بخطة

فقلت سميعا فانطقي واصيبي وعلى هذا صح ان يكون استئنافا من الله تعالى او من سليمان
والوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي
وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون
تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم
ما تخفون وما تعلنون وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد
بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره
واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات
بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان
والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرا حفص والكسائي
ما تخفون وما تعلنون بالتاء الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول
الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر من النظر
بمعنى التامل اصدقت ام كنت من الكاذبين اي ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة
الفواصل اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب
تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اي
بعد ما القي اليها يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله
او لانه كان مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل
الهدهد في كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استئناف كانه قيل
لها ممن هو وما هو فقالت انه اي ان الكتاب او العنوان من سليمان وانه وان المكتوب
او المضمون وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم
الا تعلوا علي ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اي هو او المقصود
ان لا تعلوا او بدل من كتاب واتوني مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا الكلام في
غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع
وصفاته صريحا والتزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع
لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء
للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة قالت يا ايها الملأ
افتوني في امري اجيبوني في امري الفتي واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا
ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة
قالوا نحن اولو قوة بالاجساد والعدد واولو باس شديد نجدة وشجاعة والامر
اليك موكول فانظري ماذا تامرين من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رايك
قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة
بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان

سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال
لا تدرى عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى
غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير
بان ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله تعالى واني مرسلة اليهم بهدية
بيان لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي
فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روي انها بعثت منذر بن
عمرو في وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقا فيه
درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري
وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره وراوا
عظمة شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحق
واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت
الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى
ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمان
اي الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا قال اتمدونن بمال خطاب للرسول ومن
معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرا حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون
واحدة وبنونين وحذف الياء فما اتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه
خير مما اتاكم فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع لها عندي بل انتم بهديتكم تفرحون
لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم
او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتقليله
الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها
ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومها فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها
لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم منها من سبا
اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء مهانون قال يا ايها الملأ
ايكم ياتيني بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله به من العجائب الدالة على عظم القدرة
وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان
ياتوني مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها قال عفريت خبيث
مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او
صخرا انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار
واني عليه على حمله لقوي امين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم
من الكتاب آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبريل او ملك ايده الله به او سليمان
نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب

في أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك أو أراد
إظهار معجزة في نقله فتحداهم أولاً ثم أراهم أنه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلاً
عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح وآتيك في الموضعين صالح
للفعلية والاسمية والطرف تحريك الأجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر
يوصف بإرسال الطرف كما في قوله وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك
المناظر وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى أنك ترسل طرفك نحو شيء فقبل
أن ترده أحضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الإسراع ومثل فيه فلما رآه أي العرش
مستقراً عنده حاصلاً بين يديه قال تلقياً للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من
عباد الله تع هذا من فضل ربي تفضل به علي من غير استحقاق والإشارة إلى التمكن من
إحضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره والكلام في إمكان
مثله قد مر في آية الإسراء ليبلوني أأشكر بأن أراه فضلاً من الله بلا حول مني ولا قوة
وأقوم بحقه أم أكفر بأن أجد نفسي في البين أو أقصر في أداء مواجبه ومحلهما النصب على البدل
من الياء ومن شكر فإنما يشكر لنفسه لأنه يستجلب بها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها
عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر فإن ربي غني عن شكره كريم
بالإنعام عليه ثانياً قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الأمر وقرئ
بالرفع على الاستئناف أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون إلى معرفته أو الجواب
الصواب وقيل إلى الإيمان بالله ورسوله إذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه
الأبواب موكلة عليه الحراس فلما جاءت قيل أهكذا عرشك تشبيهاً عليها زيادة في
امتحان عقلها إذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كأنه هو ولم تقل هو هو لاحتمال
أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها
كأنها ظنت أنه أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت أوتينا العلم بكمال
قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة أو المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل إنه من كلام سليمان
وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على إيمانها بالله ورسوله حيث جوزت أن يكون
ذلك عرشها تجويزاً غالباً وإحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله تع ولا تظهر
إلا على الأنبياء أي وأوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين
لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكراً له
وصدها ما كانت تعبد من دون الله أي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم إلى الإسلام
أو صدها الله عن عبادتها بالتوفيق للإيمان إنها كانت من قوم كافرين وقرئ
بالفتح على الإبدال من فاعل صد على الأول أي صدها نشوؤها بين أظهر الكفار أو التعليل له
قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها
روي أنه أمر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج أبيض وأجري من تحته الماء وألقي فيه

فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما أبصرته ظنته ماء راكداً فكشفت
عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمز حملاً على جمعه سؤق وأسؤق
قال إنه إن ما تظنينه ماء صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج قالت رب
إني ظلمت نفسي بعبادة الشمس وقيل بظني بسليمان فإنها حسبت أنه يغرقها في اللجة
وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين فيما أمر به عباده وقد اختلف في أنه تزوجها
أو زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله
بأن اعبدوه وقرئ بضم النون على إتباعها الباء فإذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا
التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها إلى
نزول العقاب فإنهم كانوا يقولون إن صدق إيعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله
قبل نزوله لعلكم ترحمون بقبولها فإنها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك
وبمن معك إذ تتابعت علينا الشدائد ووقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم
قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره أو عملكم المكتوب
عنده بل أنتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والإضراب من بيان طائرهم
الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه وكان في المدينة تسعة رهط تسعة
أنفس وإنما وقع تمييزاً للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة أو السبعة
إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة يفسدون في الأرض ولا يصلحون أي شأنهم
الإفساد الخالص عن شوب الإصلاح قالوا أي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله
أمر مقول أو خبر وقع بدلاً أو حالاً بإضمار قد لنبيتنه وأهله لنباغتن صالحاً وأهله
ليلاً وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على أن تقاسموا خبر
ثم لنقولن فيه القراءات الثلاث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك أهله فضلاً
أن تولينا إهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص
فإن مفعلاً قد جاء مصدراً كمرجع وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون مصدراً وإنا لصادقون
ونحلف إنا لصادقون أو والحال إنا لصادقون فيما ذكرنا لأن الشاهد للشيء غير المباشر له
عرفاً أو لأنا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثم رجلاً بل رجلين
ومكروا مكراً بهذه المواضعة ومكرنا مكراً بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم وهم لا يشعرون
بذلك روي أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث
فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم
فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة كما أشار إليه
بقوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين وكان إن جعلت
ناقصة فخبرها كيف وأنا دمرناهم استئناف أو خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد

واجعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف
او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى البطن
اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لآية
لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون
الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة
ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول ظرف على الثاني أتأتون الفاحشة
وانتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح
او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فيكون افحش أئنكم لتأتون الرجال
شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على الحكمة
في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النساء اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم
تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة
والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا
آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا
قذرا فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الباقين
في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على
عباده الذين اصطفى امر رسوله صلعم بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظمته
وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين
من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم
في الدين او لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش
والنجاة من الهلاك آلله خير اما يشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم
ان لا خير فيما اشركوه حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم
ويعقوب بالياء امن بل امن خلق السموات والارض التي هي اصول الكائنات
ومبادي المنافع وقرئ أمن بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم من السماء
ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته
والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد
المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها والحديقة
وهي البستان من الاحداق وهو الاحاطة أإله مع الله اغيره يقرن به ويجعل له شريكا
وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ أإلها باضمار فعل مثل اتدعون او اتشركون وبتوسيط
مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون عن الحق الذي هو
التوحيد امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات والارض وجعلها قرارا

قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها
وجعل خلالها وسطها انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا تتكون فيها المعادن
وينبع من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي فارس والروم
حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون
به امن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجأ الى الله تعالى
من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة
كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض
خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم أإله مع الله الذي خصكم بهذه
النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون اي تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة
والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وهشام وروح بالياء
وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال امن يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم
وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات
الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من
الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية
لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب أإله مع الله يقدر على مثل ذلك
تعالى الله عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة المخلوق العاجز امن
يبدأ الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن
يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية أإله مع الله يفعل ذلك
قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك ان كنتم صادقين في اشراككم
فان كمال القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله
لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد
بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على لغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان
ممن في السموات والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن
في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى
واولي العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون ايان يبعثون متى ينشرون
مركبة من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادارك علمهم في الآخرة
لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه
وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو ان القيامة كائنة لا محالة
لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون
لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض

علمهم ان القيمة آه والجملة معترضة

نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وقيل
الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة
تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها
تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بل ادّارك بمعنى تتابع حتى استحكم او
تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصلها تفاعل
وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبلى ادرك
وبلى أادرك وام ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه
بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في
نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار
وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون كالبيان لعميهم والعامل في اذا لتعميهم نسخه
ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله
فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او
من حال الفناء الى الحيوة وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائي
اننا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل قبل وعد محمد م وتقديم هذا
على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخّر فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير
الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد
لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون
لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق
في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيّق اي امر ضيّق مما يمكرون
من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود ان
كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل
مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون
حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونها
اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده
وان ربك لذو فضل على الناس بتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال
وجمعها فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل
يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من
كننت اي سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة في السماء والارض
خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى
كالتاء في عاقبة وعافية الا في كتاب مبين بيّن او مبيّن ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح
او القضاء على الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون

يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة
للمؤمنين فانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به
وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم
بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق المبين
وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للامر
بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم
انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين فان اسماعهم في هذه الحال ابعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة وحده وما انت تهدي العمي
ان تسمع اي ما يجدي سماعك الا من يؤمن باياتنا من هو في علم الله كذلك فهم
مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم اذا دنا وقوع معناه
وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة
روي ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب
ولا يدركها طالب وروي انه صلعم سئل من اين تخرج فقال من اعظم المساجد حرمة على الله
يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي انها تخرج ومعها
عصا موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم
في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ان الناس كانوا باياتنا خروجها وسائر
احوالها فانها من آيات الله وقيل القرآن وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح لا يوقنون
او حكايتها لقول الله كما في النسخ وما في الكتاب
لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكاية لقول الله او علة خروجها او تكليمها على حذف فانها هي في نسخة واحدة
او تكلمها نسخة او تكليمها نسخة
الجار ويوم نحشر من كل امة يعني يوم القيمة فوجا ممن يكذب باياتنا بيان للفوج
اي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي او اهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين
فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد
اطرافهم حتى اذا جاؤوا الى المحشر قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال
اي اكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق
او التكذيب او للعطف اي اجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها ام
ماذا كنتم تعملون ام اي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب
من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب
الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله
فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى
تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون
الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال

الموت بالحيوة في مواد الابدان وانه من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم
لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه
بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من
احواله المجبول عليها بحيث لا ينفك عنها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون لدلالتها
على الامور الثلثة ويوم ينفخ في الصور في الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث
الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات ومن في الارض
من الهول عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله ان لا يفزع بان ثبت قلبه
قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء
وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه حاضرون الموقف بعد النفخة
الثانية او راجعون الى امره وقرا حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه للتوحيد لفظ الكل
داخرين صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي
تمر مر السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تبين
حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله تع وعد الله الذي
اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما تفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها
فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني
وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها اي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرا ابن كثير وابو عمرو
خبير بما يفعلون بالياء وهم من فزع يومئذ امنون يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول
ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرا
الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وامن يعدى بالجار وبنفسه
كقوله تع افامنوا مكر الله وقرا الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها ومن جاء بالسيئة
قيل بالشرك فكبت وجوههم في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم
كما اريدت بالايدي في قوله تع ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون
على الالتفات او باضمار القول اي قيل لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي
حرمها امر الرسول صلعم ان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدا والمعاد وشرح احوال القيمة
اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشانه والاستغراق في
عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشانها وقرئ التي حرمها وله
كل شيء خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام
وان اتلو القران وان اواظب على تلاوته لينكشف لي حقائقه في تلاوته شيئا فشيئا او
اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك فانما يهتدي
لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل انما انا من المنذرين فلا علي
من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة

او على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم اياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج
دابة الارض او في الاخرة فتعرفونها فتعرفون انها ايات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة
وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ في السبعة
بالياء عن النبي صلعم من قرا سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب
به وهود وصالح وابرهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلو عليك نقرؤه بقراءة جبريل ويجوز ان يكون بمعنى
ننزله مجازا من نبا موسى وفرعون بعض نبائهما مفعول نتلو بالحق محقين لقوم يؤمنون
لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استيناف مبين لذلك البعض والارض
ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او
اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا
عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة لشيعا
او استيناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال
له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وكان ذلك من غاية حمقه فانه لو صدق
لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين فلذلك اجترا على قتل خلق كثير
من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ان نتفضل
عليهم بانقاذهم من باسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان
تفسير للنبا او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له
لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت
قريبة الوقوع منه جاز ان تجري مجرى المقارن ونجعلهم ائمة مقدمين في امر الدين
ونجعلهم الوارثين لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر
والشام واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر
ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب
ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع
واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه
بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني
لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين روي
انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع
موسى على الارض هالها نور بين عينيه فارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها
من السعاية فارضعته ثلثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها

فاتخذت له تابوتا فقذفته في النيل. فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل
لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي
حزنا. ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء فليس ببدع منهم ان
قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم
الله بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به
وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء. وقالت امرأة فرعون
اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه
اخرج من التابوت احباه او لانه كانت لها ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري
يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرأت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك
لهداه الله كما هداها. لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم. عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل
اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء
بريقه. او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل له. وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من
القائلة والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطأ في التقاطه او في طمع النفع منه والتبني
له او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه
واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت
بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا
ان كادت لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط الضجرة او الفرح بتبنيه
لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات. لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او الواثقين
بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجراء للضمة جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها
همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله. وقالت لاخته مريم
قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره. فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو
بمعناه. وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته. وحرمنا عليه المراضع ومنعناه ان يرتضع
من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي. من قبل من قبل
قصصها اثره. فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون
لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر
بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون ان تأتي بمن يكفله فاتت بامها
وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من انت
منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك قالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا
قبلني فدفعه اليها واجرى عليها ورجعت الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كي
تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه

تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون. ولما بلغ اشده مبلغه
الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه
لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين. واستوى قده او عقله. آتيناه حكما نبوة وعلما
بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق
لنظم القصة لانه استنبأه بعد الهجرة في المراجعة. وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى
وامه نجزي المحسنين على احسانهم. ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل
منف او حابين او عين الشمس من نواحيها. على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها
ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين. فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا
من شيعته وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر ممن خالفه
وهم القبط والاشارة على الحكاية. فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه
فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ استعانه. فوكزه موسى فضرب القبطي
بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره. فقضى عليه فقتله واصله انهى حيوته من قوله
وقضينا اليه ذلك الامر. قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان
مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان
وسماه ظلما واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم. انه عدو مضل مبين
ظاهر العداوة. قال رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له لاستغفاره
انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم. قال رب بما انعمت علي قسم محذوف الجواب اي
اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن. فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اي بحق
انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي
به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك
فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة. فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه
يستغيثه مشتق من الصراخ. قال له موسى انك لغوي مبين مبين الغواية لانك تسببت لقتل رجل
وتقاتل آخر. فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما
ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل. قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس
قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي كانه توهم من قوله انه الذي قتل القبطي
بالامس لهذا الاسرائيلي. ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض تطاول على الناس
ولا تنظر العواقب. وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن
ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون
وهو ابن عمه ليخبره كما قال. وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة رجل او حال منه اذ جعل من
اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف. قال يا موسى ان الملأ يأتمرون
بك ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر

وبانه فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم
الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين
خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين
بن ابرهيم ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان قال عسى ربي ان
يهديني سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرق
فاخذ في اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الاخريين ولما ورد ماء مدين وصل
اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها امة من الناس جماعة
كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم
امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما عن الماء كيلا تختلط باغنامهم قال ما خطبكما تذودان قالتا (ما شانكما)
لا نسقي حتى يصدر الرعاء تصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول
لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر
يَصدُر اي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير السن
لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة
يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب
والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثم تولى الى الظل
فقال رب اني لما انزلت الي لاي شيء انزلت من خير قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام
فقير محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما انزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في
الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته احداهما
تمشي على استحياء اي مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء
او صفراء وهي التي تزوجها موسى قالت ان ابي يدعوك ليجزيك ليكافيك اجر ما سقيت لنا
جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي
انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه
عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص
عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت احداهما
يعني التي استدعته يا ابت استأجره للرعي ان خير من استأجرت القوي الامين تعليل
شائع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما وذكر الفعل بلفظ
الماضي للدلالة على انه امر مجرب معروف روي ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته
فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان
انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ان تأجر نفسك مني او تكون لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله
ثماني حجج ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اي رعية ثماني حجج فان
اتممت عشرا عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا

وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على معينة وبمهر اخر او برعية الاجل الاول ووعد
لان يوفي الاخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع
في ذلك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات
واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك
في اطاقته ورأيك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين
الجانب والوفاء بالمعاهدة قال ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا
لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي
لا تعتدى علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة
على الثماني او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات
الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ
ايما كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره واي الاجلين
ما قضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي لقضائه وعدوان بالكسر
والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله
بامرأته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا اخر ثم عزم على الرجوع
آنس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي
آتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة عود غليظ سواء كانت فيه نار او لم يكن قال كثير
باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال والقى على قبس من النار
جذوة شديدا عليه حرها والتهابها ولذلك بينه بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح
وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما اتاها نودي من
شاطئ الوادي الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى في البقعة المباركة
متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت
نابتة على الشاطئ ان يا موسى اي يا موسى اني انا الله رب العالمين هذا وان خالف
ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في المقصود وان الق عصاك فلما رآها تهتز اي فالقاها فصارت
ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز كانها جان في الهيئة والجثة او في السرعة ولى مدبرا
منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك
من الآمنين من المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك
ادخلها تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي
بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما في الجيب
فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة
ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه
اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب اي

اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات
فذانك اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان
حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض
ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا
الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان نرسل اليهم قال
رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله
معي ردءا معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقني
بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني
عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب
وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك
باخيك سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد
وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون اليكما
باستيلاء او حجاج باياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها
او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله
انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى
الذي فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل
مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا
يعنون السحر او ادعاء النبوة في اباءنا الاولين كائنا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم
بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال
جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من
الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها
الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب
انما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى
في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري نفى
علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح
ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي
اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه
من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منها اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل
على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله تع اتنبئون الله بما
لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية

الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية
قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم
ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض بغير
الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي
بفتح الياء وكسر الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم
لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم ائمة
قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية لقوله تع وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار الى موجباتها من الكفر
والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا
لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيمة هم من المقبوحين
من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون
الاولى اقوام نوح وهود وصالح بصائر للناس انوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقائق
وتميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرائع التي هي سبيل الله ورحمة لانهم لو عملوا بها
نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه
ما فيه وما كنت بجانب الغربي يريد الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب
من مقام موسى او الجانب الغربي منه والخطاب لرسول الله صلعم اي ما كنت حاضرا اذ قضينا
الى موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي
اليه او على الوحي اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره
عنه من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله
ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحيناه اليك لانا انشانا قرونا مختلفة
بعد موسى فتطاول عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف
المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب والمؤمنين
به تتلو عليهم تقرأ عليهم تعلما منهم اياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك
ومخبرين لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما اعطاه التورية
وبالاول حين ما استنبأه لانهما المذكوران في القصة ولكن رحمة من ربك ولكن
علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف
ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او
بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم
يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت

جنسية

إلينا رسولا • لولا الأولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لأنها لما أجيبت
بالفاء تشبيها لها بالأمر مفعول لقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية
المنبهة على أن القول هو المقصود بأن يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وأنه لا يصدر
عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب
كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين
ما أرسلناك أي إنما أرسلناك قطعا لعذرهم وإلزاما للحجة عليهم • فنتبع آياتك • يعني
الرسول المصدق بنوع من المعجزات • ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا
لولا أوتي مثل ما أوتي موسى • من الكتاب جملة واليد البيضاء والعصا وغيرها اقتراحا
وتعنتا • أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل • يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة
زمان موسى وكان فرعون عربيا من أولاد عاد • قالوا ساحران • يعنون موسى وهرون
أو موسى ومحمد • تظاهرا • تعاونا بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون
سحران بتقدير مضاف وجعلهما سحرين مبالغة أو إسناد تظاهرهما إلى فعلهما دلالة على
سبب الإعجاز وقرئ اظّاهرا على الإدغام • وقالوا إنا بكل كافرون • بكل منهما أو بكل
الأنبياء • قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما • مما نزل على موسى وعلي وإضمارهما
لدلالة المعنى وهو يؤيد أن المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما السلام • أتبعه إن كنتم صادقين
أنا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التي يراد بها الإلزام والتبكيت ولعل مجيء حرف
الشك للتهكم بهم • فإن لم يستجيبوا لك • دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى فحذف
المفعول للعلم به ولأن فعل الاستجابة يعدى بنفسه إلى الدعاء وباللام إلى الداعي فإذا عدي
إليه حذف الدعاء غالبا كقوله • وداع دعا يا من يجيب إلى الندى • فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فاعلم أنما يتبعون أهواءهم • إذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها • ومن أضل ممن اتبع هواه • استفهام
بمعنى النفي • بغير هدى من الله • في موضع الحال للتوكيد أو التقييد فإن هوى النفس قد يوافق
الحق • إن الله لا يهدي القوم الظالمين • الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى
ولقد وصلنا لهم القول • أتبعنا بعضه بعضا في الإنزال ليتصل التذكير أو في النظم لتتقرر الدعوة
بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر • لعلهم يتذكرون • فيؤمنون ويطيعون • الذين
آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون • نزلت في مؤمني أهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل
الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن
كالمستكن في • وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به • أي بأنه كلام الله • إنه الحق من ربنا • استئناف
لبيان ما أوجب إيمانهم به • إنا كنا من قبله مسلمين • استئناف آخر للدلالة على أن إيمانهم
به ليس مما أحدثوه حينئذ وإنما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة
وكونهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة
أولئك يؤتون أجرهم مرتين • مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن بما

بما صبروا • بصبرهم وثباتهم على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى
من هاجرهم من أهل دينهم • ويدرؤون بالحسنة السيئة • ويدفعون بالطاعة المعصية
لقوله اتبع السيئة الحسنة تمحها • ومما رزقناهم ينفقون • في سبيل الخير
وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه • تكرما • وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم
سلام عليكم • متاركة لهم وتوديعا أو دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه • لا نبتغي الجاهلين
لا نطلب صحبتهم ولا نريدها • إنك لا تهدي من أحببت • لا تقدر أن تدخله في الإسلام
ولكن الله يهدي من يشاء • فيدخله في الإسلام • وهو أعلم بالمهتدين • بالمستعدين
لذلك والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله صلعم وقال
يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله قال يا ابن أخي قد علمت إنك لصادق
ولكني أكره أن يقال خرع عند الموت • وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا
نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي صلعم فقال نحن نعلم
أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب وإنما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا
من أرضنا فرد الله عليهم بقوله • أولم نمكن لهم حرما آمنا • أو لم نجعل مكانهم حرما ذا أمن
بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه • يجبى إليه • يحمل إليه ويجمع
فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء • ثمرات كل شيء • من كل أوب • رزقا من لدنا
فإذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف إذا ضموا إلى حرمة
البيت حرمة التوحيد • ولكن أكثرهم لا يعلمون • جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا
وقيل إنه متعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله
إذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى أو الحال من الثمرات لتخصصها
بالإضافة ثم بين أن الأمر بالعكس وأنهم أحقاء بأن يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله
وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها • أي وكم من أهل قرية كانت حالهم كحالكم في الأمن
وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم • فتلك مساكنهم • خاوية
لم تسكن من بعدهم • من السكنى إذ لا يسكنها إلا المارة يوما أو بعض يوم أو لا يبقى من يسكنها
إلا قليلا • من شؤم معاصيهم • وكنا نحن الوارثين • منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم
في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفا بنفسها كقولك
زيد ظني مقيم أو بإضمار زمان مضاف إليه أو مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت • وما كان ربك
وما كانت عادته • مهلك القرى حتى يبعث في أمها • في أصلها التي هي أعمالها لأن أهلها
يكون أفطن وأنبل • رسولا يتلو عليهم آياتنا • لإلزام الحجة وقطع المعذرة • وما كنا مهلكي
القرى إلا وأهلها ظالمون • بتكذيب الرسل والعتو في الكفر • وما أوتيتم من شيء • من أسباب
الدنيا • فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها • تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية • وما عند الله
وهو ثوابه • خير • في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة وبهجة كاملة • وأبقى • لأنه أبدي

افلا تعقلون فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرئ بالياء وهو ابلغ في الموعظة
افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه
مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن
متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر
على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخي في الزمان
او الرتبة وقرأ نافع في رواية والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل
وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على
يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين
كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول
بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وغيره من آيات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هؤلاء الذين اغويناهم فحذف
الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا اي اغويناهم فغووا اغواء مثل ما غوينا
وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم فانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة
وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاد زيادة على الصفة
وهو وان كانت فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من
الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا
يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة
بتبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة
فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم
كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمني
اي تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول
فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الرسل فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت
الانباء كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة
على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى
استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون
في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية
الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط
الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين
الايمان والعمل فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج
من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له
ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم راسا والامر

كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار
لهم فيها والمراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده
ما روي انه نزل في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة مفعول
ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح
سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة الرسول صلعم
وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا
احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها
يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ
في كل شيء واليه ترجعون بالنشور قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد
وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض
او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله يأتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على
زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار
قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء
او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن
متاعب الاشتغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه
ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل
افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب
ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول
اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله
من الاشراك به او الاول لتقرير فساد رأيهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان
محض تشه وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما
كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق
في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون
من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر ابن قاهث بن لاوي
وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او
ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روي انه قال لموسى لك
الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شيء الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من
الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل

خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة أولي القوة خبر إن والجملة صلة ما وهو
ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة
واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه إذ قال له
قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لأنه نتيجة حبها
والرضى بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب
الترح كما قال: أشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك
قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال إن الله لا يحب
الفرحين أي بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه
فيما يوجبها لك فإن المقصود منه أن يكون وصلة إليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي
نصيبك من الدنيا وهو أن تحصل بها آخرتك أو تأخذ منها ما يكفيك وأحسن إلى عباد الله
كما أحسن الله إليك فيما أنعم عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن إليك بالإنعام ولا
تبغ الفساد في الأرض بأمر يكون علة للظلم والبغي إن الله لا يحب المفسدين لسوء
أفعالهم قال إنما أوتيته على علم عندي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم
بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها وقيل علم الكيمياء
وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندي صفة له أو
متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندي أي في ظني واعتقادي أولم يعلم أن الله قد
أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته
وكثرة ماله مع علمه بذلك لأنه قرأه في التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ أو رد لادعائه
العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم عنه أي أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ولم يعلم هذا حتى
يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فإنه
تعالى مطلع عليها أو معاتبة فإنهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد قارون بذكر إهلاك من
قبله ممن كانوا أقوى منه وأغنى أكد ذلك بأن بين أنه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على
ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه في زينته كما قيل إنه خرج على
بغلة شهباء عليه الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه
قال الذين يريدون الحياة الدنيا على ما هو عادة الناس من الرغبة فيها يا ليت لنا مثل ما
أوتي قارون تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد إنه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال
الذين أوتوا العلم بأحوال الآخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما
لا يرضى ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما أوتي قارون بل من الدنيا
وما فيها ولا يلقاها الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب فإنه بمعنى المثوبة أو الجنة
أو للإيمان والعمل الصالح فإنهما في معنى السيرة والطريقة إلا الصابرون على الطاعات
وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الأرض روي أنه كان يؤذي موسى كل وقت وهو

وهو يداريه للقرابة حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد
إلى أن يفضح موسى بين يدي بني إسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد
قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال
قارون ولو كنت قال ولو كنت قال إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت
فناشدها موسى بالله أن تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على أن أرميك بنفسي فخر موسى
شاكيا منه إلى ربه فأوحى الله تعالى إليه أن مر الأرض بما شئت فقال يا أرض خذيه فأخذته إلى
ركبتيه ثم قال خذيه فأخذته إلى وسطه ثم قال خذيه فأخذته إلى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به
وكان قارون يتضرع إليه في هذه الأحوال فلم يرحمه فأوحى الله إليه ما أفظك استرحمك مرارا
فلم ترحمه وعزتي لو دعاني مرة لأجبته ثم قال بنو إسرائيل إنما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف
بداره وأمواله فما كان له من فئة أعوان مشتقة من فأوت رأسه إذا ميلته
ينصرونه من دون الله فيدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين منه
من قولهم نصره من عدوه فانتصر إذا منعه منه فامتنع وأصبح الذين تمنوا مكانه منزلته
بالأمس منذ زمان قريب يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض ويكأن عند البصريين
مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما أشبه الأمر أن الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك
وأن وتقديره ويك اعلم أن الله لولا أن من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا
لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لأجله وقرأ حفص بفتح الخاء والسين ويكأنه لا يفلح الكافرون
لنعمة الله أو المكذبون برسله وبما وعد لهم من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة
إشارة تعظيم كأنه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الأرض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما أراد فرعون
وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها
ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الظاهر
موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير إسناد السيئة إليهم إلا ما كانوا يعملون أي إلا مثل ما كانوا
يعملون فحذف المثل وأقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة إن الذي فرض عليك
القرآن أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك إلى معاد أي معاد وهو
المقام المحمود الذي وعدك أن يبعثك فيه أو مكة التي اعتدت بها على أنه من العادة رده
إليها يوم الفتح كأنه لما حكم بأن العاقبة للمتقين وأكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين
وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين روي أنه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق إلى مولده
ومولد آبائه فنزلت قل ربي أعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن
منتصب بفعل يفسره أعلم ومن هو في ضلال مبين وما يستحقه من العذاب والإذلال يعني
به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب

اي سيردك الى معاد وكما القي اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك
ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القي اليك الكتاب
الا رحمة فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم
ولا يصدنك عن آيات الله عن قراءتها والعمل بعد اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك
من اصده وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم
ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته
لهم لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته
معدوم له الحكم القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي
صلعم من قرا طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في
السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وآيها تسع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه او بما يضمر معه
احسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى
مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من
تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتاديب او انفسهم متروكين غير مفتونين
لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات
ووظائف الطاعات وانواع المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق
والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فان مجرد الايمان
وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب روي انها نزلت في ناس من الصحابة
جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه
عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم
متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع
خلافه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا
يتميز به الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك
قيل المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الناس
او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون
السيئات الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا
فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها
لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه

يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله في الجنة
وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء
على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان
يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخطه منها فان اجل الله فان الوقت المضروب
للقائه لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق
امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضى وهو السميع لاقوال العباد العليم
بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات
فانما يجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة به الى طاعتهم وانما
كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن
عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي
كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتائه فعلا
ذا حسن او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى
قال اي وقلنا له احسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر
للتوصية اي قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه
وقرئ حسنا بفتحتين واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم بالهيته عبر
عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا
عما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار
القول ان لم يضمر قبل الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق
فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه حمنة فانها
لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلثة ايام
وكذا التي في لقمان والاحقاف والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين
في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين او في مدخلهم
وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على
الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن الايمان كعذاب الله
في الصرف عن الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين
فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد
الاول اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين
آمنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين وقال الذين كفروا للذين
آمنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او
ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة
في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار

ردّ عليهم وكذّبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى
للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملنّ اثقالهم
اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسبّبوا له بالاضلال
والحمل على المعاصي من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شيء وليسئلنّ يوم القيمة سؤال تقريع
وتبكيت عمّا كانوا يفترون من الاباطيل التي اضلّوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث اذ روي انه بعث على رأس اربعين ودعا
قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعلّ اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال
العدد فان تسعمائة وخمسين قد تطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة
الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلعم وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف
المميزين لما في التكرير من البشاعة فاخذهم الطوفان طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة
من سيل او ظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة
ومن ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم
ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة اية للعالمين يتّعظون و
يستدلّون بها وابرهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير
ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا اي ارسلناه حين كمل
عقله وتمّ نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدّر باذكر
واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو
شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله
اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون كذبا في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها
وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلّقون
من خلّق للتكثير وتخلّقون من تخلّق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا
ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان على شرارة ذلك
من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق
وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا له
متوسّلين الى مطالبكم بعبادته مقيّدين لما حفّكم بشكره او مستعدّين للقائه بهما فانه اليه
ترجعون وقرئ بفتح التاء وان تكذّبوا وان تكذّبوني فقد كذّب امم من قبلكم من قبلي
من الرسل فلم يضرّهم تكذيبهم وانما ضرّ انفسهم حيث تسبّب لما حلّ بهم من العذاب فكذا تكذيبكم
وما على الرسول الا البلاغ المبين الذي زال معه الشك وما عليه ان يصدّق ولا يكذّب
فالآية وما بعدها من جملة قصة ابرهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان تكون اعتراضا
بذكر شأن النبي صلعم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسّط بين طرفي قصته
من حيث ان مساقها لتسلية رسول الله صلعم والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوّا

ممنوّا بنحو ما مُني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابرهيم في قومه
او لم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم يعيده اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف
على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يؤوّل الاعادة بان ينشئ
في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ
ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا
يفتقر في فعله الى شيء قل سيروا في الارض حكاية كلام الله لابرهيم او محمد عليهما السلام
فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشأة الآخرة
بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع
واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في بدأ والقياس
عكسه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي الاقتصار عليه صح
ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام في العطف ما مرّ وقرأ ابن كثير
وابو عمرو النشاءة بالمدّ كالرآفة ان الله على كل شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبة ذاته
الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى يعذّب
من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردّون وما انتم بمعجزين
ربكم عن ادراككم في الارض ولا في السماء ان فررتم من قضائه بالتواري في الارض او الهبوط
في مهاويها والتحصّن في السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان
امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله
بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي اي ييأسون منها
يوم القيمة فعبّر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او ايسوا في الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك
لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انه
الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرّقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم
ورضي به الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اي فقذفوه فانجاه الله منها
بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لآيات هي حفظه من اذى النار
واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون
بالتفحص عنها والتأمل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودّة بينكم في الحيوة
الدنيا اي لتتوادّوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم
محذوف ويجوز ان يكون مودّة المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة
اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منوّنة ناصبة بينكم
والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر

خبر مبتدأ محذوف أي هي مودة أو سبب مودة بينكم والجملة صفة أوثانا أو خبر أن
على أن ما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الأول وقرئت مرفوعة
منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ إنما مودة بينكم ثم يوم القيمة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا أي يقوم التناكر والتلاعن بينكم أو بينكم وبين الأوثان
على تغليب المخاطبين كقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين
يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن أخيه وأول من آمن به وقيل إنه آمن به حين رأى النار
لم تحرقه وقال إني مهاجر من قومي إلى ربي إلى حيث أمرني إنه هو العزيز الذي
يمنعني من أعدائي الحكيم الذي لا يأمرني إلا بما فيه صلاحي روي أنه هاجر من كوثى
سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه إلى حران ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين
ونزل لوط سدوم ووهبنا له إسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين أيس عن الولادة
من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر إسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الأنبياء والكتاب
يريد به الجنس ليتناول الكتب الأربعة وآتيناه أجره على هجرته إلينا في الدنيا بإعطاء
الولد في غير أوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل إليه والثناء
والصلوة عليه إلى آخر الدهر وإنه في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح
ولوطا عطف على إبرهيم أو على ما عطف عليه إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة
الفعلة البالغة في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون
على الاستفهام وأجمعوا على الاستفهام في الثاني ما سبقكم بها من أحد من العالمين
استئناف مقرر لفحاشتها من حيث إنها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس
حتى أقدموا عليها لخبث طينتهم أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون
للسابلة بالقتل وأخذ المال أو بالفاحشة حتى انقطعت الطرق أو تقطعون سبيل النسل
بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحرث وتأتون في ناديكم في مجالسكم الغاصة ولا
يقال النادي إلا لما فيه أهله المنكر كالجماع والضراط وحل الإزار وغيرها من القبائح
عدم مبالاة بها وقيل الخذف ورمي البنادق فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا
بعذاب الله إن كنت من الصادقين في استقباح ذلك أو في دعوى النبوة المفهومة من
التوبيخ قال رب انصرني بإنزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة
وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب وإشعارا بأنهم أحقاء بأن يعجل
لهم العذاب ولما جاءت رسلنا إبرهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة
قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية قرية سدوم والإضافة لفظية لأن المعنى على الاستقبال
إن أهلها كانوا ظالمين تعليل لإهلاكهم بإصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر
وأنواع المعاصي قال إن فيها لوطا اعتراض عليهم بأن فيها من لم يظلم أو معارضة
للموجب بالمانع وهو كون النبي بين أظهرهم قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله

وأهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وأنهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه
بتخصيص الأهل بمن عداه وأهله أو تأقيت الإهلاك بإخراجهم عنها وفيه تأخير البيان
عن الخطاب إلا امرأته كانت من الغابرين الباقين في العذاب أو القرية ولما
أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة أن يقصدهم قومه
بسوء وأن صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم
وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته كقولهم ضاقت يده وبإزائه رحب ذرعه بكذا إذا كان
مطيقا له وذلك لأن طويل الذراع ينال ما لا ينال قصير الذراع وقالوا لما رأوا فيه
أثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت
من الغابرين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم
أبو بكر وابن كثير في الثاني وموضع الكاف الجر على المختار ونصب أهلك بإضمار فعل أو بالعطف
على محلها باعتبار الأصل إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي
بذلك لأنه يقلق المعذب من قولهم ارتجز إذا ارتجس أي اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد
بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها آية بينة هي حكايتها الشائعة أو آثار
الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فإنها كانت باقية بعده وقيل أنهارها المسودة
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا أو آية
وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر وافعلوا ما ترجون
به ثوابه فأقيم المسبب مقام السبب وقيل إنه من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الأرض
مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل لأن القلوب
ترجف لها فأصبحوا في دارهم في بلدهم أو دورهم ولم يجمع لأمن اللبس جاثمين
باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان بإضمار اذكر أو فعل دل عليه
ما قبله مثل أهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف على تأويل القبيلة
وقد تبين لكم من مساكنهم أي تبين لكم بعض مساكنهم أو إهلاكهم من جهة مساكنهم إذا نظرتم
إليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان أعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل
السوي وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا أو متبينين
أن العذاب لاحق بهم بإخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان
معطوفون على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الأرض وما كانوا سابقين فائتين بل أدركهم أمر الله من سبق طالبه إذا فاته فكلا
من المذكورين أخذنا بذنبه عاقبناه بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا
فيها حصباء أو ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم
من خسفنا به الأرض كقارون ومنهم من أغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان
الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم إذ ليس من عادته ولكن كانوا

وفي بعض النسخ بعدها وفي بعضها بعدهم
وفي بعض النسخ بقية أنهارها وفي بعضها آثارها
لعل نسخة الكتاب أظهر لموافقتها لما في الكشاف
من أنهارها الماء الأسود على وجه الأرض

من تبينت الشيء علمته مبالغة وفي
ما قرأ الآية فإنه من تبين بمعنى ظهر

انفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما
اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذاك
اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى
رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه
كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون
الى علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت
دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم
ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرا ابو عمرو وعاصم
ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن
للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة
مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد
للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة
اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ
في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال
يعني هذا المثل ونظائره نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها ولا يعقل
حسنها وفائدتها الا العالمون الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي عنه صلعم انه
تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات
والارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقها افاضة الخير
والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لآية للمؤمنين لانهم المنتفعون
بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا
لمعانيه فان القارئ المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم الصلوة
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها
وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روي ان فتى من الانصار كان يصلي
مع رسول الله صلعم الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته
ستنهاه فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر والصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما
عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن
السيئات او ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه
ومن سائر الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي
احسن الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة
بالنصح وقيل هو منسوخ باية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه آخر الدواء وقيل

وقيل المراد به ذو والعهد منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد
او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا آمنا بالذي
انزل الينا وانزل اليكم هو من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلعم لا تصدقوا اهل الكتاب
ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا
حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض
باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال
انزلنا اليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين
آتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول صلعم
من اهل الكتاب ومن هؤلاء ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول صلعم
من الكتابيين من يؤمن به بالقرآن وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها الا
الكافرون الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم يمنعهم عن التامل فيما يفيد لهم صدقها
لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلعم كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امي لم يعرف
بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد
اذن لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يخط ويقرا لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين
وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل
لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون
المقدر بل هو بل القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر
احد على تحريفه وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح
دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل ناقة صالح وعصا
موسى ومائدة عيسى وقرا نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات قل انما الآيات عند الله
ينزلها كما يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا
الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم يدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف
سائر الآيات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك
في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون
وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلعم بكتف كتب
فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غيرهم
فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به
اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه
حالي وحالكم والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم

اولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب
بقولهم امطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب
عاجلا وليأتينهم بغتة فجاءة في الدنيا كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت بهم وهم
لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم
يأتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد
على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم
الجنس على حكمهم يوم يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم
ومن تحت ارجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله او بعض ملائكته بامره لقراءة ابن كثير وابن عامر
والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي
واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم تتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا
الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عم من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة
وكان رفيق ابرهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة
ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة
ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرئ لنثوينهم
اي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه
الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم
والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة
للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله
وكأين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها
الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في
انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا
على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة
فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم اهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات
الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا
على ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه
لان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سألتهم من
نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات
باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك

من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك
بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به
الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير
وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان
يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الآخرة لهي الحيوان
لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان
مصدر حيي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة لما
في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون
لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا
ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر
دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون
الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
فاجؤوا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا
كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او
لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا
بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة انا
جعلنا حرما آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل والسبي
ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب
افبالباطل يؤمنون ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او
الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام
او الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا
او كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول والكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا
قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين
تقرير لثوائهم كقوله الستم خير من ركب المطايا اي لا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا
مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان
في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا في حقنا فاطلاق
المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا
والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى
والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
وان الله لمع المحسنين بالنصر والاعانة قال عليه الصلوة والسلام من قرأ
سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية وهي ستون او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم
او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وهم من بعد غلبهم من اضافة
المصدر الى المفعول وقرئ غَلْبهم وهو لغة كالجَلَب والجَلْب سيغلبون في بضع سنين
روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض
الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم
والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم
فنزلت فقال لهم ابو بكر رض لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين
فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما
وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلعم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده
في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلعم بعد
قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر رض الخطر من ذرية ابي وجاء
به الى رسول الله صلعم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار
الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ
غَلَبت بالفتح وسيُغلَبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمين سيغلبونهم
وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب
الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن
بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء
منهما الا بقضائه وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا
وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب على من
لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاول وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم
وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولي بعض
اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم
ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه
لان ما قبله في معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الآخرة التي هي غايتها والمقصود منها
هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى ومبتدا وغافلون خبره والجملة
خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة
المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا

من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها
واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها
مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانه لا فرق بين عدم العلم
والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر فيها او لم يتفكروا
في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له في الممكنات باسرها
ليتحقق لهم قدرة مبدعها على اعادتها مثل قدرته على ابدائها ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف يدل عليه الكلام واجل مسمى تنتهي عنده
ولا تبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء الاجل المسمى
او قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة لا تكون
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار
الارض ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض
وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها
وعمروا الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط
لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها
اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع
العمارة وهم ضعفاء ملجؤون الى واد لا نفع له وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما تفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم
ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة
الذين اساؤا السوأى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة السوأى فوضع
الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان تكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم
والسوأى تانيث الاسوإ كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت بها ان كذبوا بآيات الله
وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل او عطف بيان للسوأى وخبر كان والسوأى مصدر اساؤا
او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا
بآيات الله واستهزؤا بها ويجوز ان تكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر
محذوف للابهام والتهويل وان تكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب
والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم
السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة الله يبدأ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم
ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرأ ابو بكر وابو عمرو
وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين
يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ
بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوهم بالله شفعاء

يجيرونهم من عذاب الله وجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون
بآلهتهم حيث يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعوا وعلموا
بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله تعالى فاما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون
سرورا تهللت له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الآخرة فاولئك
في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله
الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء
عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها
من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص
التسبيح بالمساء والصباح لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي
هو آخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر
ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا
وعن ابن عباس رض ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون
صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه
كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر
على انها فرضت بمكة وعنه عم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين
تمسون الآية وعنه عم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك
ما فاته في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون
اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر من البيضة
ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة او يعقب الحيوة الموت وبالعكس ويحيي الارض
بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه
ايضا تعقيب الحيوة الموت وقرا حمزة والكسائي بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب
اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجاتم وقت
كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت
من ضلع آدم عم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال ولانهن من جنسهم لا من جنس آخر لتسكنوا اليها
لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل بينكم اي
بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج حال الشبق
وغيرها بخلاف سائر الحيوان نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف
والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله
ورحمة منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن آياته

خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها
واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لا تكاد تسمع منطقين متساويين في
الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها
وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور
الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في ذلك لآيات للعالمين
لا تكاد تخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرا حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها
الا العالمون ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الزمانين
لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل
وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين
وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ان
في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن
آياته يريكم البرق مقدر بان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات
هل انت مخلدي او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او
صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله فما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى
ابتغي العيش اكدح خوفا من الصاعقة للمسافر وطمعا في الغيث للمقيم ونصبهما
على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير المضاف نحو
ارادة خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان
او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد فيحيي به الارض
بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في
استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن آياته ان تقوم
السماء والارض بامره قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيزيهما المعينين من غير مقيم
محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة ثم اذا دعاكم دعوة من
الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم على تأويل مفرد كانه قيل ومن آياته قيام السموات
والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا
والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة
ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه وثم اما لتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق
بدعا كقولك دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا
الثانية للمفاجاة ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى وله من في السموات والارض
كل له قانتون منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده
بعد هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم
والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين

٢

وتذكيرهو لاهون اولان الاعادة بمعنى ان يعيده وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشان
كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية
الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه في السموات والارض يصفه به ما فيهما
دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته الحكيم الذي
يجري الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها التي هي اقرب
الامور اليكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من الاموال
وغيرها فانتم فيه سواء فتكونون انتم وهم فيه شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر
مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد
الاستفهام الجاري مجرى النفي تخافونهم ان تستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم
كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الايات نبينها فان
التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال
بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع
هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي من اضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين
يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن افاتها فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير
ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فطرة الله خلقته
نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه بعدها التي فطر الناس عليها خلقهم عليها وهي
قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها
وقيل العهد الماخوذ من آدم وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي
ان يغير ذلك اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة
الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم
تدبرهم منيبين اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه
من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الاية خطاب
للرسول صلعم والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها
صدرت بخطاب الرسول صلعم تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم
اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرا حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم
الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها كل حزب بما
لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين
فرقوا واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره
ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجا
فريق منهم بالاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل
للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون

فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على انه تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا
حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق
عليكم بالحق او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون في
الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها
وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشوم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجاوا
القنوط من رحمته وقرا ابو عمرو والكسائي بكسر النون اولم يروا ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك
لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فات ذا القربى حقه
كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل
ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبي صلعم او لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء
ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا
او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم
المقيم وما اتيتم من ربوا زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة
وقرا ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربوا ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكو
في اموالهم فلا يربوا عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرا نافع ويعقوب
لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذا ربوا وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله
تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف
المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة وقرئ
بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب
به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون
والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون
الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت
له لوازم الالوهية ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار
على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له
شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من
شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس
الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بتاكيد لتعجيز الشركاء وقرا حمزة
والكسائي بالتاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق
الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى
الجزائر بما كسبت ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل
قابيل اخاه وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض

بعض جزائه فإن تمامه في الآخرة واللام للعلة أو العاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم
بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبل ليشاهدوا مصداق ذلك ويتحققوا صدقه كان أكثرهم مشركين استئناف
للدلالة على أن سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم أو كان الشرك في أكثرهم وما دونه
من المعاصي في قليل منهم فأقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل أن يأتي
يوم لا مرد له لا يقدر أن يرده أحد وقوله من الله متعلق بيأتي ويجوز أن يتعلق بمرد
لأنه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق إرادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون
أي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره أي وباله وهو النار
المؤبدة ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف
في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله
علة ليمهدون أو ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للإشعار بأنه المقصود بالذات
والاكتفاء على فحوى قوله إنه لا يحب الكافرين فإن فيه إثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين
وتأكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم إلى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال
على أن الإثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء والزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن
آياته أن يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فإنها رياح الرحمة وأما الدبور فريح
العذاب ومنه قوله عم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح على إرادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة
لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها والروح الذي مع هبوبها والعطف
على علة محذوفة دل عليها مبشرات أو عليها باعتبار المعنى أو على يرسل بإضمار فعل معلل
عليه ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون
ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا
من الذين أجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين إشعار بأن الانتقام لهم وإظهار
لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم وعنه عم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه
إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على أنه متعلق
بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها
كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب إلى غير ذلك ويجعله كسفا
قطعا تارة أخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على أنه مخفف أو جمع كسفة أو مصدر وصف به
فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فإذا أصاب به من يشاء من عباده
يعني بلادهم وأراضيهم إذا هم يستبشرون بمجيء الخصب وإن كانوا من قبل أن ينزل
عليهم المطر من قبله تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم
وقيل الضمير للمطر أو السحاب أو الإرسال لمبلسين لآيسين فانظر إلى آثار رحمة الله

أثر الغيث من النبات والأشجار وأنواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص
كيف يحيي الأرض بعد موتها وقرئ بالتاء على إسناده إلى ضمير الرحمة إن ذلك أي الذي
قدر على إحياء الأرض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على إحيائهم فإنه إحداث لمثل ما كان في مواد
أبدانهم من القوى كما أن إحياء الأرض إحداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل
أن يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتت وتبددت من جنسها في بعض الأعوام
السالفة وهو على كل شيء قدير لأن نسبة قدرته إلى جميع الممكنات على سواء ولئن أرسلنا
ريحا فرأوه مصفرا فرأوا الأثر أو الزرع فإنه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لأنه
إذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده
يكفرون جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار
بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فإن النظر السوي
يقتضي أن يتوكلوا على الله ويلتجئوا إليه بالاستغفار إذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته
وأن يبادروا إلى الشكر والاستدامة بالطاعة إذا أصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار
وأن يصبروا على بلائه إذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فإنك لا تسمع الموتى
وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين قيد الحكم
ليكون أشد استحالة فإن الأصم المقبل وإن لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيئا
وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا
لفقدهم المقصود الحقيقي من الإبصار أو لعمى قلوبهم وقرأ حمزة وحده تهدي العمي إن تسمع
إلا من يؤمن بآياتنا فإن إيمانهم يدعوهم إلى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز أن يراد بالمؤمن
المشارف للإيمان فهم مسلمون لما تأمرهم به الله الذي خلقكم من ضعف أي ابتدأكم
ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله خلق الإنسان ضعيفا أو خلقكم من أصل ضعيف هو النطفة
ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك إذا بلغتم الحلم أو تعلق بأبدانكم الروح ثم جعل من بعد
قوة ضعفا وشيبة إذا أخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم أقوى لقول
ابن عمر قرأتها على رسول الله صلعم من ضعف فأقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير
مع التكرير لأن المتأخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وشيبة
وهو العليم القدير فإن الترديد في الأحوال المختلفة مع إمكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم تقوم
الساعة القيامة سميت بها لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وصارت
علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا أو في القبور أو فيما بين فناء
الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث أربعون وهو محتمل الساعات
والأيام والأعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم إضافة إلى مدة عذابهم في الآخرة أو نسيانا
كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا وقال
الذين أوتوا العلم والإيمان من الملائكة أو من الإنس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه

او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث
ردّوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون
انه حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي
فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان
المعذرة بمعنى العذر او لان تأنيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون
الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني
فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد
وصفناهم فيه بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة
فيما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينّا لهم
من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول صلعم ولئن جئتهم بآية من آيات
القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون
الرسول والمؤمنين الا مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على
قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرّون على خرافات اعتقدوها فان الجهل
المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرتك
واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفة
والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم
ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك اي لا يزيغنك فيكونوا احق بك من المؤمنين
عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله
بين السماء والارض وادرك ما ضيّع في يومه وليلته

سورة لقمان مكية وهي اربع او ثلاث وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة للمحسنين حالان من
الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص
لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن
الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي
لا اعتبار فيها والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اراد بالحديث
المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان
يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم

كسرى ويفتح ملك الفرس معرب خسرو اي واسع الملك يجمع اكاسرة
وكساسرة وكسور والقيان ككسرة ... القينة
العبد يجمع قيان والقينة الامة المغنية او اعم القينة
الامة والجمع القيان كل عبد عند العرب قين والامة قينة وبعض الناس
يظن القينة المغنية خاصة وليس كذلك

رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام
ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء
بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو
بقراءة القرآن ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب
وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه
واذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كأن لم يسمعها مشابها حاله حال
من لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا مشابها من في اذنه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال
من المستكن في ولّى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا
استينافين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرأ نافع في اذنيه
وذكر البشارة على التهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اي لهم نعيم
جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات والعامل ما تعلق به
اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات
وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده
الحكيم الذي لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها قد سبق في الرعد
والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم فان بساطة
اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه
بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج
كريم من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي
كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين
من دونه هذا الذي ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق
او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين
اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني لقمان بن باعوراء من اولاد آزر ابن
اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور
على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم
النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود
شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال
الصمت حكم وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري وانه
امره بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان
يأتي باخبث مضغتين منها فأتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث
شيء اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول

ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر
فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع
مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمن لابنه انعم او اشكم او ماثان وهو يعظه
يا بني تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يا بني لا تشرك باسكان الياء وقنبل يا بني اقم الصلوة
باسكان الياء وحفص فيهما وفي يا بني انها ان تك بفتح الياء ومثله البزي في الاخير وقرأ الباقون
في الثلثة بكسر الياء لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك
جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه ووصينا
الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا على وهن اي تضعف ضعفا
فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال
وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين وفطامه في انقضاء عامين
وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان
ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر
الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عم لمن قال له
من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك
وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد
بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا معروفا يرتضيه
الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة
ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما
على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمن تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه
قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري
في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد
بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب الي ابو بكر رضه
فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة او
الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة
وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقول الشاعر كما شرقت صدر القناة من الدم او لان
المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض في اخفى مكان واحرزه
كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر
اذا استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى
كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر
تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد سيما في ذلك ان ذلك اشارة الى الصبر
او الى كل ما امر به من عزم الامور مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر الطلق

الطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك
للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد
داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ
ولا تصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا
مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور
علة للنهي وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا لتوافق رؤس الآي
واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه صلعم سرعة المشي تذهب بهاء
المؤمن وقول عائشة رضه كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع
الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه
واقصر ان انكر الاصوات اوحشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه
ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة
مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الآحاد او لانه مصدر
في الاصل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما في الارض
بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او غير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة
ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ
بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو عمرو
وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم
مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى رسول ولا كتاب منير انزله الله بل بالتقليد كما قال
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا وهو منع صريح من التقليد في الاصول
اولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم الى عذاب السعير الى ما يؤدي اليه
من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب ومن
يسلم وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلم المتاع الى الزبون و
يؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن في عمله فقد
استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد
ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل
صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا والآخرة وقرئ فلا يحزنك
من احزن وليس بمستفيض الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب
ان الله عليم بذات الصدور فيجازي عليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا
قليلا فانه يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم
ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه

قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون
ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني
عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الآحاد والبحر يمده من بعده
سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مدادا ممدود بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد ويمده لانه من
مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها ويمده حال او الابتداء على انه
مستانف او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده
وقرئ تمده ويمده بالياء والتاء ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك
المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز
لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والآية جواب لليهود سألوا رسول الله صلعم
او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله تع وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها
علم كل شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان
لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك
بعضها عن بعض فكذلك الخلق الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجري كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس
الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان
الاجل ههنا منتهى الجري وثم غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات وان الله
بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة و
عجائب الصنع واختصاص الباري بها بان الله هو الحق بسبب انه الثابت في ذاته الواجب
من جميع جهاته او الثابت الهيته وان ما يدعون من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته
لا يوجد ولا يتصف الا بجعله والباطل الهيته وقرا البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء
وان الله هو العلي الكبير مترفع عن كل شيء ومتسلط عليه الم تر ان الفلك تجري في البحر
بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول
انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل ونعمات الله بسكون العين وقد جوز
في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته دلائله ان في ذلك لآيات لكل صبار على
المشاق فيتعب نفسه بالتفكر في الآفاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها
او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم
موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب وغيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال
دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف
الشديد فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط

او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد بآياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض
للعهد الفطري او لما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس
اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزي من اجزاء
اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد
او مبتدا خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى
بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ان وعد الله
بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجرئكم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة
علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلعم فقال متى قيام الساعة
واني قد القيت حباتي في الارض فمتى تمطر السماء وحمل امراتي اذكر ام انثى وما اعمل غدا واين
اموت فنزلت وعنه عم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وينزل الغيث في ابانه المقدر له
والمحل المعين له في علمه وقرا نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الارحام
اذكر ام انثى اتام ام ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على
شيء وتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي
ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت
فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه
تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله تع والدراية للعبد
لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان اعمل حيلته وانفد فيها وسعه
لم يعرف ما هو الصق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض
وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها خبير يعلم
بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عم من قرا سورة لقمن كان له لقمن رفيقا يوم القيمة واعطي
من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وآيها ثلاثون او تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدا خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل
وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتدا خبره لا ريب فيه فيكون
من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا
ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون
افتراه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير له
ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر
ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه

فانها ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال
لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه
في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضاء الله احد ينصركم
ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم
على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله
يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها
الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة
مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل
يدبر الامر باظهاره في اللوح المحفوظ فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة
نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضي قضاء
الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع
اليه الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي
ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ
يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما على وفق الحكمة العزيز الغالب
على امره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي
احسن كل شيء خلقه خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل
من كل شيء بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه
مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل
وعلى الثاني بمتصل وبدأ خلق الانسان يعني آدم من طين ثم جعل نسله ذريته سميت به
لانها تنسل منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على
ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا له واشعارا بانه خلق عجيب وان له شأنا
له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا
وقالوا ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها
وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر
والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائي
ويعقوب انا على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم
بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفاكم يستوفي
نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته و
استقصيته وتعجلته واستعجلته ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم

آجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم
من الحياء والخزي عند ربهم ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا
الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره
لرأيت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله تعالى بمنزلة
الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر
ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول صلعم او لكل احد ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق
وعيدي وهو لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم
المشية المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن
نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من
الوسائط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب ترك المنسي
وفي استئنافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد
بما كنتم تعملون كرر الامر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة
من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي
ذلك انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب
الله تعالى وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما
وفقهم للاسلام وآتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما يفعل
من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون
ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلعم في تفسيرها قيام العبد
من الليل وعنه ع م اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق
كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم
عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء
والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة
يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين مما تقر به عيونهم
وعنه ع م يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
بله ما اطلعتم عليه اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرأ حمزة ويعقوب اخفي
على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفي واخفى والفاعل للكل هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها
والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي
جزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شأنه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة تأكيد وتصريح

والجمع للحمل على المعنى أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى فإنها المأوى الحقيقي
والدنيا منزل مرتحل عنها وقيل المأوى جنة من الجنان نزلا سبق في آل عمران بما كانوا يعملون
بسبب أعمالهم أو على أعمالهم وأما الذين فسقوا فمأواهم النار مكان جنة المأوى للمؤمنين
كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب
النار الذي كنتم به تكذبون إهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الأدنى
عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والأسر دون العذاب الأكبر عذاب الآخرة
لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روي أن الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر
فنزلت هذه الآيات ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد
الإعراض عنها مع فرط وضوحها وإرشادها إلى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في
بيت الحماسة لا يكشف الغماء إلا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها إنا من المجرمين منتقمون
فكيف ممن كان أظلم من كل ظالم ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية شك
من لقائه من لقائك الكتاب لقوله تعالى وإنك لتلقى القرآن فإنا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه
فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه أو من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى عم
رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة وجعلناه
أي المنزل على موسى هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون الناس إلى ما فيه من الحكم
والأحكام بأمرنا إياهم به أو بتوفيقنا له لما صبروا وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما
صبروا أي لصبرهم على الطاعة أو عن الدنيا وكانوا بآياتنا يوقنون لإمعانهم فيها النظر
إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا
فيه يختلفون من أمر الدين أولم يهد لهم الواو للعطف على مقدر من جنس المعطوف والفاعل
ضمير ما دل عليه كم أهلكنا من قبلهم من القرون أي كثرة من أهلكناهم من القرون الماضية أو
ضمير الله بدليل القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على
ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ
أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز التي جرز نباتها أي قطع وأزيل لا التي لا تنبت لقوله
فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تأكل منه من الزرع أنعامهم كالتبن والورق
وأنفسهم كالحب والثمر أفلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون
متى هذا الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا إن كنتم صادقين في الوعد
قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيامة فإنه يوم نصر
المسلمين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر أو يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون
منهم فيه فإنه لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا عن سؤالهم من حيث المعنى
باعتبار ما عرف من غرضهم فإنهم لما أرادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء أجيبوا بما يمنع
الاستعجال فأعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وانتظر النصرة

النصرة عليهم إنهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى أنهم أحقاء بأن ينتظر
هلاكهم أو أن الملائكة ينتظرونه عن النبي صلعم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي
من الأجر كأنما أحيى ليلة القدر وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل
الشيطان بيته ثلاثة أيام

سورة الأحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي اتق الله ناداه بالنبي وأمره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد
به الأمر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين
فيما يعود بوهن في الدين روي أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا
عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس
فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل إن لها شفاعة وندعك وربك فنزلت إن الله كان عليما
بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى إليك من ربك كالنهي
عن طاعتهم إن الله كان بما تعملون خبيرا فموح إليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع إلى الكفرة وقرأ
أبو عمرو بالياء على أن الواو ضمير الكفرة والمنافقين أي إن الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل
على الله وكل أمرك إلى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا إليه الأمور كلها ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه أي ما جمع قلبين في جوف لأن القلب معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس
الإنساني أولا ومنبع القوى بأسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون
منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم وما جمع الزوجية والأمومة في امرأة ولا الدعوة
والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من أن اللبيب الأريب له قلبان ولذلك
قيل لأبي معمر أو جميل بن أسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالأم ودعي الرجل
ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلعم ابن محمد أو المراد نفي الأمومة
والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد أصل يحمل عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين
في جوف لأدائه إلى التناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل القوى وغير أصل لم يجعل الزوجة والدعي
اللذين لا ولادة بينهما وبينه أمه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ أبو عمرو اللاي
بالياء وحده على أن أصله اللاء بهمزة مخففة وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده
وأصل تظاهرون تتظاهرون فأدغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالإدغام
وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى
عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار أن يقول للزوجة أنت علي كظهر أمي مأخوذ من الظهر باعتبار
اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لأنه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الإسلام
يقتضي الطلاق والحرمة إلى أداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية
عن البطن الذي هو عموده فإن ذكره يقارب ذكر الفرج أو للتغليظ في التحريم فإنهم كانوا يحرمون

إتيان المراد وظهارها الى السماء وادعياء جمع دعي على الشذوذ وكانه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع
ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له في الاعيان كقول
الهاذي والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق
ادعوهم لآبائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله هو اقسط عند الله
تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل
ومعناه البالغ في الصدق فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين
فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التاويل
وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده
على النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن ما تعمدت
فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة له عندنا وعند
ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم في الامور كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس
فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه
اتم من شفقتهم عليها روي انه عم اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن
آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل
فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن
في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رض لسنا
امهات النساء واولوا الارحام وذوو القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث
وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله
في اللوح او فيما انزل وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين
بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين
بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما
يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا
كان ما ذكر في الآيتين ثابتا في اللوح او في القرآن وقيل في التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
مقدر باذكر ميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح و
ابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا صلعم تعظيما له
واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسأل
الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم
عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق
الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم
واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة

لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسأل كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها
الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان
ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا
لم تروها الملائكة روي انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلثة الاف
والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة
حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفات
نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال
طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وكان
الله بما تعملون من حفر الخندق وقرا البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة
بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو
غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار
مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة
الروع فترتفع بارتفاعها الى راس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون
بالله الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء دينه
او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم والالف
مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى
الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون
اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة
الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد
ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب
ابن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور
واذ قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة وقيل
اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرا حفص
بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على
دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام
بها ويستاذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها
الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما هي
بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا وما يريدون بذلك الا الفرار من القتال
ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايذان
بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه
ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لاتوها لاعطوها وقرا الحجازيان بالقصر

لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة اي باعطائها الا يسيرا ريثما يكون
السؤال والجواب وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله
من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله صلعم يوم احد حين فشلوا ثم
تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسئولا مسئولا عن الوفاء به مجازى عليه قل
لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انفه او قتل في وقت معين
سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم
بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد
بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله
متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم
المثبطين عن رسول الله صلعم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة
هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله في الانعام ولا ياتون البأس الا قليلا الا
اتيانا او زمانا او باسا قليلا فانهم يعتذرون ويتثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين
ولكن لا يقاتلون الا قليلا كقوله ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه لا ياتي اصحاب
محمد صلعم حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او
النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل ياتون او المعوقين او على
الذم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه
كنظر المغشي عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه من الموت من معالجة سكرات
الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم
بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او اللسان اشحة على الخير
نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك
لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم تثبت لهم اعمال فتبطل او
ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة
به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب
لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا
لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب
يسالون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه
الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا عن التعيير لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب
ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة يحسن التاسي به كقولك في البيضة عشرون
منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان

لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله او لقاءه ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم
خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر يوم الله بحسب الحكم والرجاء
يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير
المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة
فان المؤتسي بالرسول صلعم من كان كذلك ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله بقوله تع ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله
ثم سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله انهم سائرون اليكم
بعد تسع او عشر وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله وظهر صدق
خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم
وما زادهم فيه ضمير لما راوا او الخطب او البلاء الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما
لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله
صلعم والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد
صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس
ابن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر
الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روي ان
طلحة ثبت مع رسول الله يوم احد حتى اصيبت يده فقال صلعم اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق
ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء
او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به فكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء
كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم والمراد
بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب
بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب وكفى الله
المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا
على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعني قريظة
من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي
وشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون و
تاسرون فريقا وقرئ بضم السين روي ان جبرئيل اتى رسول الله صلعم صبيحة الليلة التي
انهزم فيها الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يامرك
بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة
فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا
فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر
النبي صلعم فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم

سبحانه وأورثكم أرضهم مزارعهم وديارهم حصونهم وأموالهم نقودهم
ومواشيهم وأثاثهم روي أنه عليه السلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الأنصار فقال إنكم في منازلكم
وقال عمر رض أما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا إنما جعلت هذه لي طعمة وأرضا لم تطؤها
كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل أرض تفتح إلى يوم القيمة وكان الله على كل شيء قديرا
فيقدر على ذلك يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة والتنعم
فيها وزينتها وزخارفها فتعالين أمتعكن أعطكن المتعة وأسرحكن سراحا
جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة روي أنهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت
فبدأ بعائشة رض فخيرها فاختارت الله ورسوله صلعم ثم اختارت الباقيات اختيارها
فشكر لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بإرادتهن الدنيا
وجعلها قسيما لإرادتهن الرسول صلعم يدل على أن المخيرة إذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا
لزيد والحسن ومالك وإحدى الروايتين عن علي رضي الله عنه ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه
فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لأن
الفرقة كانت بإرادتهن كاختيار المخيرة نفسها فإنه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف
في وجوبه للمدخول بها وليس فيها ما يدل عليه وقرئ أمتعكن وأسرحكن بالرفع على الاستئناف
وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما
يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لأنهن كلهن كن محسنات يا نساء النبي من يأت
منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وأبي بكر والباقون بكسر الياء
يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه لأن الذنب منهن أقبح فإن
زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب
الأنبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون
وبناء الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن
نساء النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله
ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن
رضاء النبي صلعم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل بالياء حملا على لفظ من
ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله وأعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على أجرها
يا نساء النبي لستن كأحد من النساء أصل أحد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا
فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل
إن اتقيتن مخالفة حكم الله ورضاء رسوله صلعم فلا تخضعن بالقول فلا تجئن
بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم
عطفا على محل فعل النهي على أنه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول
وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا أو

أو من قر يقر حذفت الأولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها إلى القاف فاستغني به عن همزة
الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت أقر وهو لغة فيه ويحتمل أن يكون من
قار يقار إذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الأولى تبرجا
مثل تبرج النساء في أيام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه
إبراهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية
الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية
الأخرى جاهلية الفسوق في الإسلام ويعضده قوله عم لأبي الدرداء إن فيك جاهلية قال
جاهلية كفر أو إسلام قال بل جاهلية كفر وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله
في سائر ما أمركن به ونهاكن عنه إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس
لعرضكم وهو تعليل لأمرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم أهل البيت نصب
على النداء أو المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح
بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روي أنه عم
خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي
فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون إجماعهم حجة ضعيف لأن التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية
وما بعدها والحديث يقتضي أنهم أهل البيت لا أنه ليس غيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن من
آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الأمرين وهو تذكير بما أنعم عليهن من حيث جعلهن
أهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الإيمان والحرص
على الطاعات حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به إن الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح
في الدين ولذلك خيركن ووعظكن أو يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح أن يكون أهل بيته إن المسلمين والمسلمات
الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله في القول والعمل والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما
يجب أن يصدق به والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات
في القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين
والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب
في ماله والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات
عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم وألسنتهم أعد الله لهم مغفرة
لما اقترفوا من الصغائر لأنهن مكفرات وأجرا عظيما على طاعاتهم والآية وعد لهن ولأمثالهن
على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي أن أزواج النبي صلعم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال
في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل
فينا شيء فنزلت وعطف الإناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين
على الزوجين لتغاير الوصفين وليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات

وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
ما صح له اذا قضى الله ورسوله امرا اي قضى رسول الله صلعم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار
بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها
رسول الله صلعم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت
نفسها للنبي صلعم فزوجها من زيد ان يكون لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا
بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله تع ورسوله صلعم والخيرة ما يتخير وجمع الضمير
الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرا الكوفيون
وهشام يكون بالياء ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب
واذ تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت عليه
بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك زينب وذلك انه صلعم ابصرها
بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت
لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلعم وقال اريد ان افارق صاحبتي
فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال
له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في
نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به
والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن
بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت
او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها
وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ
زوجتكها والمعنى انه امر بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر
ازواج النبي ان الله تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك
ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه
الدليل وكان امر الله امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر
لارزاقهم سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم
فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات
الله صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون
احدا الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان
لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد
وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم

لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله وكل
رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم
وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف ولكن
بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتموه اي لم يعش له ولد ذكر
وخاتم النبيين واخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له
ابن بالغ لاق بمنصبه ان يكون نبيا كما قال عم في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح
فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه اخر من نبئ وكان الله بكل شيء
عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين امنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد
وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار واخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما
على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها
وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته
بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم
وظهور شرفكم مستعار من الصلوة وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة المشتملة
على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين
ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى
بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر
الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت او الخروج عن القبر او دخول
الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وافة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة
ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته باذنه
بتيسيره اطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة
من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر
وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف
على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو
عليه من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة ومؤاخذة
على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا
اليه الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف
مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين

والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة بأذاهم والداعي إلى الله بتيسره بالإذن والتوكل عليه
والسراج المنير بالاكتفاء به فإن من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بأن يكتفى به
عن غيره يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن
تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائي بالألف وضم التاء فما لكم عليهن من عدة أيام يتربصن
فيها بأنفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته
فاكتاله أو تعدونها والإسناد إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق الأزواج كما أشعر به
فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على إبدال إحدى الدالين بالتاء أو على أنه من الاعتداء
بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات
والحكم عام للتنبيه على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم
إزاحة ما عسى يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما تمكن الإصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة
فمتعوهن أي إن لم يكن مفروضا لها فإن الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة
ويجوز أن يأول التمتيع بما يعمهما أو الأمر بالمشترك بين الوجوب والندب فإن المتعة سنة
للمفروض لها وسرحوهن أخرجوهن من منازلكم إذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا
من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لأنه مرتب على الطلاق والضمير لغير
المدخول بهن يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن مهورهن لأن
المهر أجر على البضع وتقييد الإحلال له بإعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لإيثار الأفضل له
كتقييد إحلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك فإن
المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل
تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت
إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة
إن وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله أو عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد
بأن التي للاستقبال فإن المعنى بالإحلال الإعلام بالحل أي أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب
لك نفسها ولا تطلب مهرا إن اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر أربعا
ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم
وقرئ أن بالفتح أي لأن وهبت أو مدة أن وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا إن أراد
النبي أن يستنكحها شرط للشرط الأول في استيجاب الحل فإن هبتها نفسها منه لا يوجب له
حلها إلا بإرادته نكاحها فإنها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ
النبي مكررا ثم الرجوع إليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين إيذان بأنه مما خص به لشرف نبوته
وتقرير لاستحقاق الكرامة لأجله واحتج به أصحابنا على أن النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لأن اللفظ
تابع للمعنى وقد خص عليه السلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة

وخالصة مصدر مؤكد أي خلص إحلالها أو إحلال ما أحللنا لك على القيود المذكورة خلوصا
لك أو حال من الضمير في وهبت أو صفة لمصدر محذوف أي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا
عليهم في أزواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم وما ملكت
أيمانهم من توسيع الأمر فيها أنه كيف ينبغي أن يفرض عليهم اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك
حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على أن الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد
قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس أخرى
وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن
تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي إليك من تشاء وتضم إليك وتضاجعها أو تطلق
من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت
طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك أدنى أن تقر
أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض إلى مشيئتك أقرب إلى قرة عيونهن
وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لأن حكم كلهن فيه سواء ثم إن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا
منك وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء وأعينهن بالنصب
وتقر بالبناء للمفعول وكلهن تأكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهن والله يعلم ما
في قلوبكم فاجتهدوا في إحسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل
بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقى لا يحل لك النساء بالياء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي وقرأ البصريان
بالتاء من بعد من بعد التسع وهو في حقه كالأربع في حقنا أو من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة
لم يحل له نكاح أخرى ولا أن تبدل بهن من أزواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى
ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق ولو أعجبك حسنهن حسن الأزواج المستبدلة وهو حال
من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من أزواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا إعجابك
بهن واختلف في أن الآية محكمة أو منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء
على المعنى الثاني فإنه وإن تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء
من بعد الأجناس الأربعة اللاتي نص على إحلالهن لك ولا أن تبدل بهن أزواجا من أجناس
أخر إلا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء وقيل منقطع
وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا أمركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا أيها الذين آمنوا
لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلا وقت أن يؤذن لكم أو إلا مأذونا لكم إلى طعام
متعلق بيؤذن لأنه متضمن معنى يدعى للإشعار بأنه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وإن
أذن كما أشعر به قوله غير ناظرين إناه غير منتظرين وقته أو إدراكه حال من فاعل لا تدخلوا
أو المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا إبراز الضمير وهو غير جائز
عند البصريين وقد أمال حمزة والكسائي إناه لأنه مصدر أنى الطعام إذا أدرك ولكن إذا دعيتم
فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام

رسول الله صلعم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز
لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لهم ولا مستأنسين لحديث
لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي
ولا تدخلوا او لا تمكثوا مستأنسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق
المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من
الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ
لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء واذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفع
به فاسألوهن المتاع من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله
يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عم كان يطعم
ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي صلعم ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم
وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان
تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم
يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر فهم برجمهما فاخبر بانه عم فارقها
قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم يعني ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما
ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله صلعم وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال
ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما
فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح
عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استثناء
لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله
او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي
العم ابا في قوله تع واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا
لابنائهما ولا نسائهن يعني نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل
من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان
على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية ان الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار
شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك
وقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا
لاوامره والآية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلوة كلما جرى
ذكره لقوله عم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي
فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلوة على غيره تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف صار
شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا ان الذين يؤذون
الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم

شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد
على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة
واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا قيل انها نزلت
في المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء
وهن كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من
جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة
ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن يميزن من الاماء والقينات
فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما
بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين
في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم
والمرجفون في المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها عن ارجافهم واصله
التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك بهم
لنأمرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على
لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول صلعم اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة
الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا
اي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد اي سن الله
ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه
اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها او لا يقدر احد ان يبدلها يسألك الناس
عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء او تعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه
ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب
وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين
واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد
خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم
في النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب
وتقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب
وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر
ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا آتهم
ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد
وقرأ عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين

اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون
حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص او اتهمه ناس بقتل هرون لما خرج
معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله
فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه
برئ منه وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة منه وقرئ وكان عبدا لله وجيها
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا
سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد
يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم
ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر
والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها
لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين
ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم فاز الراعي
لها والقائم بحقوقها بخير الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا
بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية
والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من
غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها
فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتأتى منه والظلم والجهالة الخيانة والتقصير وقيل
انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني
فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا
ولما خلق ادم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة
عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن
وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده
لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل
عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد
ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث
انه نتيجته كالتأديب للضرب في ضربته تأديبا وذكر التوبة في الوعد اشعارا بان كونهم
ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث
تاب عن فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلوة والسلام

والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة السبا مكية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى
تمام نعمته وله الحمد في الاخرة لان ما في الاخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق
فان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية فقيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم
الدنيوية قد تكون بوساطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الاخرة وهو الحكيم
الذي احكم امور الدارين الخبير ببواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ
في موضع وينبع في اخر وكالكنوز والدفائن والاموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات
والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق
والانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو
الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الاخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة
للحصر وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد
قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربي لتأتينكم عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا
بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ
حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف
او مبتدأ خبره لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقرأ الكسائي لا يعزب
بالكسر ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما
بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح
على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه
للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطلعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب
شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتأتينكم وبيان
لما يقتضي اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا
في اياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا وقرأ ابن كثير
وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب من رجز من سيء العذاب
اليم مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولو العلم
من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من مسلمي اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك القران
هو الحق ومن رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع
مستانف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الايات وقيل منصوب معطوف
على ليجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الان برهانا ويهدي
الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا

قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلعم ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا
مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد انكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق
بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه
ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون
مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد
كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة
جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على
ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء
اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم
ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص
منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في
استحقاقهم له والبعد في الاصل صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازي افلم
يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم
كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستبعادهم
الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزءا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم
من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا
لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله
افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك ان في ذلك النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لآية
لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل في امره ولقد آتينا داود منا فضلا
اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك
والصوت الحسن يا جبال اوبي معه رجعي معه التسبيح على الذنب او النوحة وذلك اما بخلق
صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل فيها او سيري معه حيث سار وقرئ
اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا باضمار قولنا
او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة
البنائية العارضة بحركة الاعراب او على فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون
الرفع بالعطف على ضميره وكان اصل النظم ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل
به هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور
كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها والنا له الحديد جعلناه في يده كالشمع يصرفه
كيف يشاء من غير احماء وطرق بآلاته او بقوته ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية
سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها وقدر في السرد
وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا

ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا صالحا
الضمير فيه لداود واهله اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح اي وسخرنا
له الريح وقرئ الريح بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر
جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له عين القطر
النحاس المذاب اسال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك
باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدأ
وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمان
وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة يعملون له ما يشاء من محاريب
قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت به لانها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل
صورا وتماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم
وحرمة التصاوير شرع مجدد روي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا
اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف
كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقدور
راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل
لهم وشكرا نصب على العلة اي اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف
له او الحال او المفعول به وقليل من عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه
وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية
ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان ما دلهم على
موته الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح
الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فأرضت ارضا مثل اكلت
القوادح الاسنان اكلا فأكلت اكلا تأكل منسأته عصاه من نسأت البعير اذا طردته
لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها
بين بين ومنساءته على مفعالة كميضاءة في ميضأة ومن سأته اي طرف عصاه مستعار
من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة وقحة فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس
الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون
الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن
وان بما في حيزه بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك
ان داود اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان
فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله واعلم به فاراد ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم
فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ
عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا

الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة
وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس
لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع
الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه
بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب في مساكنهم في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها
مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر
حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه
قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان
جنتان بدل من آية او خبر محذوف تقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان
من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في
تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله
كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا
احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استيناف للدلالة على موجب الشكر
اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات
من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة
ولا هامة فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اي الصعب من عرم
الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل
لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه نقبا على مقدار ما يحتاجون
اليه او المسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء
السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما السلام وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل
خمط ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير
اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان واثل
وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا
بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك
يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرأ ابو عمرو ذواتي اكل بغير منون
اللام وقرأ الحرميان بتخفيف اكل ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل
اذ روي انه بعث اليهم ثلثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازي
الا الكفور وهل نجازي بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها
بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة
متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت

الرائح في قرية الى ان يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان الحال
او المقال ليالي واياما متى شئتم من ليل ونهار آمنين لا يختلف الامن فيها باختلاف
الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالي اعماركم
واياماها لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا
العافية كبني اسرائيل فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء
بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله تعالى بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا
في الترفه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعد او بعد على النداء
واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة او لم يعتدوا بها فجعلناهم
احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم
كل ممزق وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام
بتهامة والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر لآيات لكل صبار عن المعاصي شكور
على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنا مثل فعلته
جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون
بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده
ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال
وذلك اما ظنه بسبا حين رأى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين رأى اباهم النبي
ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها
فقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه
وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون
وما كان له عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم من
يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او
ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم
حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ محافظ
والزنتان متآخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم من دون الله اي زعمتموهم
آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الصلة والثاني لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون
هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم
من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب
وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر في السموات ولا في
الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب
وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استئناف

لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه
على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع
الشفاعة عند الله الا لمن اذن له ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك
واللام على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرا
ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام
من ان ثم توقفا وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين
والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرا ابن عامر ويعقوب
فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفي الوجل من فرغ الزاد اذا فني قالوا قال
بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو
الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير
ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات
والارض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا
او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى او
في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية
بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى
والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال
ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان اتهجوه
ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادي
كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كانه
منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا
تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث
اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح
بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم
الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء
لارى باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام
الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله
العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمة بالذلة
متابية عن قبول العلم والقدرة راسا والضمير لله او للشان وما ارسلناك الا كافة للناس
الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا
لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار
بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط

من فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا
ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله صلعم والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او
زمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما باضمار اعني
لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجاكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما
قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي
بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب
عن الرسول صلعم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه
يوم القيمة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي في موضع المحاسبة يرجع
بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا يقول
الاتباع للذين استكبروا للرؤساء لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان
لكنا مؤمنين باتباع الرسول صلعم قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا
انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى واثروا التقليد عليه لذلك بنوا الانكار
على الاسم وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اي
لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ تأمروننا ان نكفر
بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ
مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة
لما راوا العذاب واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة
التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته وجعلنا الاغلال
في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم
هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعديته يجزى اما لتضمين
معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلعم
مما مني به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم اليه التكبر والمفاخرة بزخارف
الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى
التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون على مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا
واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه
اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل ردا لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه
لم يكن بمشيئته ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة
وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قربة
والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم ولا اولادكم او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة

اذا ذهبت لا الشكاية او ازلتها عنه وانشد الزمخشري لنفسه
تمد الى الايام سود صنيعها ومن عجب اني اشكي الى الشكي
فما زادني الايام الا شكاية وما زالت الايام تشكي ولا تشكي
صح

وقرئ بالذي اي بالشئ الذي تقربكم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي
الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده
الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء
الضعف بما عملوا ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى
المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز
او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم وهم في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ بفتح الراء
وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن
فيها معاجزين سابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى
فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شيء فهو
يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط في ايصال رزقه
لا حقيقة لرازقيته ويوم نحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين ثم نقول للملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من
شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم
مبدأ الشرك واصله وقرأ حفص بالياء فيهما قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذي
نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا
عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين
حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم
اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن
فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازي
وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك
مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يعنون محمدا
صلعم يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنون
القرآن الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله سبحانه وقال الذين
كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام او للقرآن والاول كانه باعتبار معناه وهذا باعتبار
لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما
في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة الى البت بهذا القول
انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له
فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال وكذب
الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك

اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات
والهدى فكذبوا رسلي فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف
كان نكيري لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب
او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطفه عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم
وانصح لكم بخصلة واحدة وهي ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام من مجلس رسول الله صلعم
او الانتصاب في الامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى
متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ثم
تتفكروا في امر محمد صلعم وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب
باضمار هو او اعني ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه
لهم على ان ما عرفوا من رجاحة كمال عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء
امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤوس الاشهاد ويلقي نفسه الى
الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اي شيء به
من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة
قل ما سألتكم من اجر اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال كانه
جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي عليه لانه اما ان يكون لغرض
او غيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم
عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ
السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي
وخلوص نيتي وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي باسكان الياء قل ان ربي يقذف بالحق يلقيه
وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا
باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن
في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني والغيوب بالكسر
كالبيوت وبالضم كالعشور وبالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب قل جاء الحق اي الاسلام
وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحي
فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد
وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدي خيرا لاهله ولا يعيد
وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على نفسي فان
وبال ضلالي عليها فانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل
الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه
انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند
الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرأيت فظيعا فلا فوت فلا يفوتون

الى الله بهرب وتحصن وأخذوا من مكان قريب من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار
او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ وأخذٌ عطفا على
محله اي فلا فوت هناك وهناك أخذ وقالوا آمنا به بمحمد صلعم وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم
وأنى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه
في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من
يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير
حفص بالهمزة على قلب الواو لضمتها او انه من نأشت الشيء اذا طلبته قال رؤبة أقحمني جار
ابي الجاموش اليك نأش القدر النؤوش او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله تمنى
نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى التناول من بعد وقد
كفروا به بمحمد صلعم او بالعذاب من قبل من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب
ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول من المطاعن او في العذاب من البت على نفيه
من مكان بعيد من جانب بعيد من امره وهو الشبه التي تمحلوها في امر الرسول صلعم وحال الآخرة
كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في
لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية
الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان
في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر
والكسائي باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة
انهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به
الشك للمبالغة عن رسول الله صلعم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة
رفيقا ومصافحا

يقول انه صاحبي تمنى آخر الامر ان يكون اطاعني
فيما نصحته من قبل والحال انه قد حدثت امور
بعد امور على رشادي وصدق رأيي

سورة الملائكة مكية وهي خمس او ست واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم باخراجهما منه
والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه
والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين
خلقه يوصلون اليه آثار صنعه اولي اجنحة مثنى وثلث ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة
بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون
فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روي انه صلعم رأى جبريل
ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد في الخلق ما يشاء استئناف للدلالة على ان تفاوتهم
في ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا امر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع
بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية

متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة
النفس ان الله على كل شيء قدير وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من
جهة الارادة ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة
كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل له يطلقه
واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها والغضب وفي
ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء
ليس لاحد ان ينازعه فيه الحكيم لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت
والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة
الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره في
ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله
الا هو فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل
من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي
حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استئناف مفسر له او كلام مبتدأ وعلى
الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
اي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير
رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيك واياهم
على الصبر والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه فلا
تغرنكم الحيوة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها ولا يغرنكم بالله الغرور
اي الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع
كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو
عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع
احوالكم انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة
شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع
للاماني الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله افمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا تقرير له اي افمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى
الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها
على ما هي عليه فحذف الجواب لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه وقيل تقديره
افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب
والفاءات الثلث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات

للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم وكثرة مساوي فعالهم المقتضية للتأسف وعليهم صلة
لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون
فيجازيهم عليه والله الذي ارسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح فتثير
سحابا على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان
المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال
للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص بالتشديد
فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او
الصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص
لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور اي مثل احياء الموات نشور الاموات في صحة المقدورية
اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل له فيها وقيل في كيفية
الاحياء فانه يرسل ماء من تحت العرش تنبت به اجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة
فلله العزة جميعا اي فليطلبها من عنده فان كلها له فاستغنى بالدليل عن المدلول اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه
مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد
ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه
من الكلفة وقرئ يُصعد على البناء للمفعول والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول
الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه صلعم هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيى بها وجه الرحمن واذا لم يكن عمل صالح لم تقبل
والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعني مكرات قريش للنبي صلعم في دار الندوة وتداورهم
الرأي في احدى ثلاث حبسه وقتله واجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به
ومكر اولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله والله
خلقكم من تراب بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا ذكرانا و
اناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد في عمر من
مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره او
لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للمعمر على
التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وقيل الزيادة
والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكون فيه ان حج زيد
فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة
عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على بناء الفاعل الا في كتاب هو علم الله او اللوح
او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقصان وما يستوي
البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات

الفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته
وقرئ سيّغ بالتشديد والتخفيف ومَلِح على فَعِل ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون
حلية تلبسونها استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان
اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات
من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي المؤمن الكافر وان
اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصة العظمى
وبقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك
العذب فيه من المنافع والمراد من الحلية اللآلي واليواقيت وترى الفلك فيه في كل مواخر
تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز
ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي باعتبار
ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل
مسمى هي مدة دوره او منتهاه او يوم القيمة ذلكم الله ربكم له الملك اشارة الى الفاعل
لهذه الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون
له الملك كلاما مبتدأ في قران والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة
على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع
او لتبرئهم منكم ومما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون
ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير
به اخبرك به وهو الله سبحانه فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر
به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن
لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان
افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا
والله هو الغني الحميد المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليه الحمد
ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم آخرين اطوع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه
وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس آثمة
اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم
يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم
وان تدع مثقلة نفس اثقلتها الاوزار الى حملها يحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء
لم تجب بحمل شيء منه نفى ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى
ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر
او هو اولى من جعل كان التامة فانها لا تلائم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب

غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة فانهم
المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر من دنس المعاصي
فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم
واقامتهم الصلوة لانها من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوي
الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور
ولا الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفي
الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم
ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر
للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهال ان الله يسمع من يشاء
هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل
المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك
الا الانذار واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق
محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي
بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير
من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد
قرن به من قبل او لان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك فقد كذب الذين
من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر وبالصحف
وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد
والعطف لتغاير الوصفين ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة
الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها او اصنافها
على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال
جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ
جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف
الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن
الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره الظاهر
فان الغربيب تأكيد للاسود ومن حق التأكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة
والمؤمن العائذات الطير وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار
ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال انما
يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وافعاله فمن كان
اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال عم اني اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة
على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع اسم

برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية استعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله
عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه
ان الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم
وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد
اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف
اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة
تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة
وقوله ليوفيهم اجورهم علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها
اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم
من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعتهم اي مجازيهم عليها
وهو علة التوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا والذي اوحينا اليك
من الكتاب يعني القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين
يديه احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه
في العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان
في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب
وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب
حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف
على ان الذين يتلون والذي اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا
من عبادنا يعني علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم
على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل
والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء
والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله صلعم اما الذين
سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا
يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل
الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى
الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث
او الاصطفاء او السبق جنات عدن يدخلونها مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او للذين او
للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر
وقرأ ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ
يحلون من حليت المرأة فهي حالية من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين

حليت المرأة كرضيت حليا فهي حالية
استفادت حليا او لبسته كتحلت او صارت
ذات حلي قاموس

ولؤلؤا عطف على ذهبا اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع
وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ
الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة دار
الاقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب تعب
ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا
ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف
عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد استعارها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور
مبالغ في الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو ويجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ
يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل
في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول
وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار
بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول كل عمر يمكن
المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه صلعم العمر الذي اعذر الله
فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير
وهو النبي او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير
يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه
احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون
كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض ملقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل
خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان
اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو
اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله
يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله او لانفسهم فيما يملكونه اروني
ماذا خلقوا من الارض بدل من ارأيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني كانه قال اخبروني
عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات
ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم
كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم
شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر

وابن عامر ويعقوب وابو بكر والكسائي على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه
من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج
في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم
شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع
ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله او من بعد الزوال والجملة
سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا حيث
امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى
لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اي من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم
او من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة
فلما جاءهم نذير يعني محمدا صلعم ما زادهم اي النذير او مجيئه على التسبب الا نفورا
تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا
المكر السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرأ حمزة وحده
بسكون الهمزة في الوصل ولا يحيق ولا يحيط المكر السيء الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم
بدر وقرئ ولا يحيق المكر اي لا يحيق الله فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله
فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعله غير
التعذيب ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن
والعراق من آثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته
في السموات ولا في الارض انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس
بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم
وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم
فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلعم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية
ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس مكية وعنه صلى الله عليه وسلم يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية
تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة

سورة يس وآيها ثلاث وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله يا انيسين فاقتصر
على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين

او الاعراب على انه يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا
على هذه يس وامال الياء حمزة والكسائي وابو بكر وروح وادغم النون في واو والقرآن
الحكيم ابن عامر والكسائي ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به انك
لمن المرسلين لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور
ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع
بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف
والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب باضمار اعني او فعله على
على اصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين
ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم يعني آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة
مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذي انذر به او شيئا انذر به آباؤهم الابعدون فيكون
مفعولا ثانيا لتنذر او انذار آبائهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول
اي لم ينذروا فبقوا غافلين وبقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اي ارسلناك اليهم
لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت
اعناقهم فهي الى الاذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤسهم
فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم
نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم
لا يبصرون وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في انهم
محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائي
وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ
فاعشيناهم من العشاء وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ رأس النبي صلعم فاتاه وهو
يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى
قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله وسواء عليهم أانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة تفسيره انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة
من اتبع الذكر اي القرآن بالتأمل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله
ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمان منتقم قهار فبشره بمغفرة
واجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا
من الاعمال الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة
باطل وتأسيس ظلم وكل شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم
ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه

لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف المضاف اي اجعل لهم مثل اصحاب
القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية
اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى الى اهلها واسناده الى
في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما
فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأ ابو بكر مخففا من عزه يعزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة
ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون
وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار
يرعى غنما فسألهما فاخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان
له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق كثير وبلغ حديثهما الى الملك
فقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك قال حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى
شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فأنس
به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما
قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال
وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصره واخذا
بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت آلهتك
حتى تصنع مثل هذا حتى يكون لك ولها الشرف قال ليس عنك سر آلهتنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر
ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا
فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب
السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فلما رأى
شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن الملك في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرئيل فهلكوا
قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي
المقتضي اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء وحي ورسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى
رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم
وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا البلاغ المبين الظاهر البين
بالآيات الشاهدة بصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا بكم
تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم
هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم
واعمالكم وقرئ طيركم معكم أئن ذكرتم وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم
بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين الهمزتين وبفتح أن بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وان وأين بغير
استفهام وأين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون
قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم

يس يحب أن يكرم ويتبرك به وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت
أصنامهم وهو ممن آمن بمحمد صلعم وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل
أظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا على النصح وتبليغ الرسالة
وهم مهتدون إلى خير الدارين وما لي لا أعبد الذي فطرني تلطف في الإرشاد بإبرازه في
معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح حيث أراد لهم ما أراد لها والمراد تقريعهم على تركهم
عبادة خالقهم إلى عبادة غيره ولذلك قال وإليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد
إلى المساق الأول فقال أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم
شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصرة والمظاهرة إني إذا لفي ضلال مبين
فإن إيثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر وإشراكه به ضلال
بين لا يخفى على عاقل إني آمنت بربكم الذي خلقكم فاسمعون فاسمعوا إيماني وقيل الخطاب
للرسل فإنه لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحوهم قبل أن يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل
له ذلك لما قتلوه بشرى بأنه من أهل الجنة أو إكراما وإذنا في دخولها كسائر الشهداء أو لما هموا
بقتله رفعه الله إلى الجنة على ما قاله الحسن وإنما لم يقل له لأن الغرض بيان المقول دون المقول له
فإنه معلوم والكلام استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصرة دينه
وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فإنه جواب عن السؤال عن
قوله عند ذلك القول وإنما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر
والدخول في الإيمان والطاعة على دأب الأولياء في كظم الغيظ والترحم على الأعداء أو ليعلموا
أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية أو مصدرية والباء
صلة يعلمون أو استفهامية جاءت على الأصل والباء صلة غفر أي بأي شيء غفر لي يريد به المهاجرة
عن دينهم والمصابرة على أذيتهم وما أنزلنا على قومه من بعده من بعد إهلاكه أو رفعه من جند
من السماء لإهلاكهم كما أرسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا أمرهم بصيحة ملك وفيه استحقار
لإهلاكهم وإيماء بتعظيم الرسول وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا أن ننزل جندا لإهلاك قومه
إذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند
أي ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة إن كانت ما كانت الأخذة
أو العقوبة إلا صيحة واحدة صاح بها جبريل وقرئ بالرفع على كان التامة فإذا هم
خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا إلى أن الحي كالنار الساطع والميت كرماده كما قال لبيد
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي
فهذه من أحوالك التي حقها أن تحضري فيها وهي ما دل عليها ما يأتيهم من رسول إلا كانوا
به يستهزئون فإن المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين أحقاء بأن يتحسر
أو يتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز أن يكون تحسرا من الله
عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها

لطولها بالجار المتعلق بها وقيل بإضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالإضافة
إلى الفاعل أو المفعول ويا حسره على العباد بإجراء الوصل مجرى الوقف ألم يروا ألم يعلموا
وهو معلق عن قوله كم أهلكنا قبلهم من القرون لأن كم لا يعمل فيها ما قبلها وإن كانت خبرية
لأن أصلها الاستفهام أنهم إليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى أي ألم يروا كثرة إهلاكنا من
قبلهم كونهم غير راجعين إليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وإن كل لما جميع لدينا محضرون
يوم القيامة للجزاء وإن مخففة من المثقلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى إلا فتكون إن نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له
أو لمحضرون وآية لهم الأرض الميتة وقرأ نافع بالتشديد أحييناها خبر للأرض والجملة
خبر آية أو صفة لها إذ لم يرد بها معينة وهي الخبر أو المبتدأ والآية خبرها أو استئناف
لبيان كونها آية وأخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على
أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب من أنواع النخل
والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فإن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الأنواع
وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والأعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع
وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون أي شيئا
من العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة عند الأخفش ليأكلوا
من ثمره مما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والإضافة إليه لأن
الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه أو جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما عملته
أيديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد
أن الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الأول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فإن حذفه من الصلة
أحسن من غيرها أفلا يشكرون أمر بالشكر من حيث إنه إنكار لتركه سبحان الذي خلق الأزواج
كلها الأنواع والأصناف مما تنبت الأرض من النبات والشجر ومن أنفسهم الذكر والأنثى
ومما لا يعلمون وأزواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا إلى معرفته وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في إعرابه ما سبق فإذا
هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي إليه دورها فشبه
بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لكبد السماء فإن حركتها فيه توجد أبطأ بحيث يظن أن لها هناك
وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم أو لاستقرار لها على نهج مخصوص أو لمنتهى مقدر
لكل يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم
من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود إليهما إلى العام القابل أو لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ
لا مستقر لها أي لا سكون لها فإنها متحركة دائما ولا مستقر على أن لا بمعنى ليس ذلك الجري
على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن إحصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور
العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل أو سيره في منازل وهي

ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف
الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة
سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو
بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في آخر منازله وهو الذي
يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر بنصب الراء حتى عاد كالعرجون
كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون
والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل
ان تدرك القمر في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه
او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها
مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل
المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول
وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض المضاف اليه
والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب
فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط وآية لهم انا حملنا ذريتهم
اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان
الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم فيها
اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم في الفلك المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل
الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية لانه
ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون
من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث
لهم يحرسهم عن الغرق او فلا اغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت به
الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتيع بالحيوة الى حين الى زمان قدر لآجالهم واذا قيل
لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقائع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة او نوازل
السماء ونوائب الارض كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب
الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون لتكونوا
راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا
كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه
واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعني معطلة
كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئته انطعم من لو يشاء
الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما
كان قادرا على ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب

بأسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له ان انتم الا في ضلال مبين
حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث ما ينظرون ما ينتظرون
الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم
لا يخطر ببالهم امرها كقوله او تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء
وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش
وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو وقالون به مع اختلاس وعن نافع الفتح
فيه والاسكان وكأنه جوز الجمع بين ساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه
اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم
بل يموتون حيث تبغتهم ونفخ في الصور اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين
فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ
بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه
اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم
كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف
او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب
الملائكة او المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان
الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث
وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس بعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث
وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة هي النفخة
الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي
كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه
فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود
وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة
من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به
الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية
فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو
لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة
وسكون والكل لغات هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة
حمزة والكسائي في ظلل على الارائك على السرر المزينة متكئون وهم مبتدأ خبره في
ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تأكيد للضمير

في شغل او فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام
الثلاثة وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون
لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه كقولك
ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي او ما يدعون في
الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام
بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي
ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم
اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او
بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا
اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم
تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد
به لا يرى ولا يرى ألم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم
تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة
عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف
المضارعة واحهد واحد على لغة تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة
فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما
عهد اليهم او الى عبادته فالجملة استيناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الآخر والتنكير
للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا
كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله
لمن له ادنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما
مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا
جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم
بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها من الكلام
وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على
افعالها او بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم
ايديهم وارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا
الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين
الاستباق معنى الابتدار او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون
الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم صورهم وابطال قواهم
على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ولا
يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ

وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى
انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء
الحكمة امهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد
ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس
وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه
مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدريج وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان ويعقوب
بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر اي ما علمناه الشعر
بتعليم القرآن فانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة
وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة
وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله
ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات
على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع
وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن اي وما يصح للقرآن ان يكون شعرا ان هو الا ذكر موعظة
وارشاد من الله وقرآن مبين وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه
من الاعجاز لينذر القرآن او الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء
من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله فان الحياة الابدية بالايمان
وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين
على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات في
الحقيقة اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا
وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث
انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا
اياهم او هم متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال اصبحت لا احمل السلاح ولا
املك رأس البعير ان نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ
ركوبهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم
ومنها يأكلون اي ما يأكلون لحمه ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف والاوبار ومشارب
من البانها جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر افلا يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها
وتذليله اياها كيف امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة
اشركوها به في العبادة بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها
لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانه لا يستطيعون
نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم
في النار فلا يحزنك فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن قولهم في الله بالالحاد والشرك

أو فيك بالتكذيب والتهجين إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم عليه وكفى ذلك أن تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستيناف ولذلك لو قرئ أنا بالفتح على حذف لام التعليل جاز أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة إلى إنكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لإنكاره حيث عجب منه وجعله إفراطاً في الخصومة بيناً ومنافاة لجحود القدرة على ما هو أهون مما عمله في بدء خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من أخس شيء وأمهنه شريفاً مكرماً بالعقوق والتكذيب روي أن أبي بن خلف أتى النبي صلعم بعظم بال يفتته بيده وقال أترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال صلعم نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فإذا هو خصيم مبين فإذا هو بعد ما كان ماء مهيناً مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلاً أمراً عجيباً وهو نفي القدرة على إحياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه خلقنا إياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكراً إياه مستبعداً له والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسماً بالغلبة ولذلك لم يؤنث أو بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على أن العظم ذو حيوة فيؤثر فيه الموت كسائر الأعضاء قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فإن قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق عليم يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم أجزاء الأشخاص المتفتتة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها وطريق تميزها وضم بعضها إلى بعض على النمط السابق وإعادة الأعراض والقوى التي كانت فيها أو إحداث مثلها الذي جعل لكم من الشجر الأخضر كالمرخ والعفار ناراً بأن يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فينقدح النار فإذا أنتم منه توقدون لا تشكون في أنها نار تخرج منه فمن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان أقدر على إعادة الغضاضة فيما كان غضاً فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون أوليس الذي خلق السموات والأرض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما بقادر على أن يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالإضافة إليهما أو مثلهم في أصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بأنه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات إنما أمره إنما شأنه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن أي تكون فيكون يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعاً لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفاً على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللاً بكونه مالكاً للملك كله قادراً على كل شيء وإليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا أعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فإذا إنه لهذه الآية وعنه عم إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس

نسخة نعم

يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات وهي مكية وهي إحدى أو ثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً أقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها يفيض عليهم الأنوار الإلهية منتظرين لأمر الله الزاجرين الأجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها أو الناس عن المعاصي بإلهام الخير أو الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على أنبيائه وأوليائه أو بطوائف الأجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والأرواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون أو بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه أو بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل أو العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات أو الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فإن الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر أو الإشاقة إلى قبول الخير والتلاوة إفاضته أو الرتبة كقوله صلعم رحم الله المحلقين فالمقصرين غير أنه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا بالعكس وأدغم أبو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربهما فإنها من طرف اللسان وأصول الثنايا إن إلهكم لواحد جواب القسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف في كلامهم وأما تحقيقه فبقوله رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق فإن وجودها وانتظامها على الوجه الأكمل مع إمكان غيره دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد أو خبر ثان أو خبر محذوف وما بينهما يتناول أفعال العباد فيدل على أنها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب أو مشارق الشمس في السنة وهي ثلاثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأبلغ في النعمة وما قيل إنها مائة وثمانون إنما يصح لو لم تختلف أوقات الانتقال إنا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والإضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على إبدالها منه أو بزينة هي لها كأضوائها وأوضاعها أو بأن زانها الكواكب فيها على إضافة المصدر إلى المفعول فإنها كما جاءت اسماً كالليقة جاءت مصدراً كالنسبة ويؤيده قراءة أبي بكر بالتنوين والنصب على الأصل أو بأن زينتها الكواكب

زينتها

على اضافتها الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست
المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها بأسرها
كجواهر مشرقة متلالئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله
او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان
مارد خارج من الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ لبيان حالهم
بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين
لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع
بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي
وحفص بالتشديد من التسمع وهو تطلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم ويقذفون
ويرمون من كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا اصعوده دحورا علة اي للدحور
وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر
وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول صفة له اي قذفا
دحورا ولهم عذاب اي عذاب آخر واصب دائم او شديد وهو عذاب الآخرة
الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه فاتبعه شهاب والخطف الاختلاس
والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف مفتوح الخاء مكسورة
واصلهما اختطف واتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى
الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله
انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو
مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه على سمتها ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر
في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد
النبي صلعم ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتاذى به فيرجع
او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه
راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس
من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء كانه
يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او بني آدم اهم اشد خلقا ام
من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب
ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه وتعقيبه بعد ذلك وقراءة من قرا ام من عددنا وقوله
انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود
ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء
وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب

اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا
ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم وشاهدوا
تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم
قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن
ذلك بدأهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم البعث
ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرا حمزة والكسائي بالضم اي بلغ كمال قدرتي وكثرة
خلائقي ان تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله
وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم
له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت
واذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة
الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم واذا راوا آية معجزة تدل على صدق القائل
يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها
وقالوا ان هذا يعنون ما يرونه الا سحر مبين ظاهر سحريته ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ءانا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة
مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحال اشد استنكارا فهو ابلغ
من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية او
آباؤنا الاولون عطف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة
الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو على
معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون صاغرون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه
وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اي الله او الرسول صلعم وقرا الكسائي وحده
نعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي اذا كان ذلك فانما
البعثة زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وامرها في الاعادة
كن في الابداء ولذلك رتب عليها فاذا هم ينظرون فاذا هم قيام من مراقدهم احياء
يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى
باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو
ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا
امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم
وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم
ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتي على دينهم او قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون
الله من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم

تعرفوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسئولون عن عقائدهم واعمالهم
والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفه ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا
بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل
عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله واقبل
بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل
بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين عن اقوى الوجوه
وايمنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين
الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح او عن
القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قالوا
بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء
اولا بمنع اضلالهم فانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن
لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا
لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان
امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا
ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء
غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون كما
كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه
ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا عم بل جاء بالحق وصدق المرسلين
رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب
الاليم بالاشراك وتكذيب الرسول عم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر
الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام وعلى الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا
مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع
المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا
الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم خصائصه من الدوام او تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله
فواكه فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا
على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيله
يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها
الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك على سرر
يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان يتعلق بمتقابلين
فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكأس باناء فيه خمر او خمر كقوله وكاس

وكاس شربت على لذة من معين من شراب معين او نهر معين اي ظاهر للعيون او خارج
من العيون وهو صفة للماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار بان ما
يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء
لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى
لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان
لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ولا هم
عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده
بالنفي وعطفه على ما يعمه لانه من اعظم فساده كانه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي
وتابعهما عاصم في الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد يقال
نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف
قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون
شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه
احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اي يشربون
فيتحادثون على الشراب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه
بالماضي للتاكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقول وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى
لهم وعليهم في الدنيا قال قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول
ائنك لمن المصدقين يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق ائذا
متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك القائل
هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول
لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم وعن
ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من
حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد به او خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله
هم الآمرون الخير والفاعلونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه اي قرينه
في سواء الجحيم وسطه قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين
وان هي المخففة واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين
معك فيها افما نحن بميتين عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي
بمن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة
لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع
وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه
تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز العظيم
يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة

والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون
لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين اذلك خير نزلا
ام شجرة الزقوم شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره
دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه
الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة سميت به
الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء في
الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على
خلق ما يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها
شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها حملها
مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع من الشجر كانه رؤس الشياطين في
تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة
قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك فانهم لآكلون منها من الشجرة او من طلعها
فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اي بعد ما شبعوا
منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة
لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم
ما يشاب به والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم مصيرهم لالى الجحيم اي دركاتها او
الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله هذه جهنم
التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما تورد الابل الى الماء
ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم
يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد
كانهم يزعجون على الاسراع على آثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر
وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم
من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة الا عباد الله المخلصين
الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب
مع الرسول صلعم والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا آثارهم ولقد نادانا
نوح شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين ايس من قومه فلنعم المجيبون
اي فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه
واهله من الكرب العظيم من الغرق واذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من
عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيمة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه
وازواجهم وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح هذا الكلام جيء به
على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل

مثل الثناء في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة
والثقلين جميعا انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على
احسانه انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة
امره ثم اغرقنا الآخرين يعني كفار قومه وان من شيعته ممن شايعه في الايمان واصول
الشريعة لابراهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة
واربعون سنة وبينهما نبيان هود وصالح اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى المتابعة
او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له
وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه اذ قال
لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم ائفكا آلهة دون الله
تريدون اي تريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم
ان يقرر انهم على الباطل ومبني امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه
على انها افك في انفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف وحالا بمعنى آفكين
فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم
به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك
به او يقتضي الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة في النجوم فرأى
مواقعها واتصالاتها او في علمها او في كتبها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك
حين سألوه ان يعيد معهم فقال اني سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على
انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى
او اراد اني سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت
ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة
داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في
خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال اي للاصنام استهزاء الا تأكلون
يعني الطعام الذي كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابي فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا
والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه في معنى
ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة
الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا
اليه الى ابراهيم بعد ما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسره فظنوا انه هو
كما شرحه في قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرأ
حمزة على بناء المفعول من ازفه اي يحملون على الزفيف وقرئ يزفون اي يزف بعضهم بعضا
ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا
لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون

من حمل بعضهم بعضا على الزفيف اي الاسراع

اي لما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره
اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون
او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى
بذلك وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوه على الاولين لما فيهما
من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي
شدة التأجج واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم
بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال
كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب
الى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه
صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته
معه ولم يكن كذلك حال موسى حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع
رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة
يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وبانه ذكر
يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما واي حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه
الذبح وهو مراهق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده
غير ابرهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد
وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه
بلغ فان بلوغهما لم يكن معا كانه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل
في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة
سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل
انه رأى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح روّى انه من الله او
من الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره
وقال له ذلك ولذلك سميت الايام الثلثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل
لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله
عم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا
ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل
ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا
معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب
منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه عم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف
صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه قال
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى

كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء فيهما فانظر ماذا
ترى من الرأي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه
ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل
نزوله وقرأ حمزة والكسائي ماذا تُري بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحهما وابو عمرو
يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها قال يا ابت وقرأ ابن عامر بفتح
التاء افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب كما عرف او امرك على ارادة
المأمور به والاضافة الى المأمور ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورا به او علم ان
رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة
ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر
الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله وقرأ نافع بفتح الياء
فلما اسلما استسلما لامر الله او سلما الذبيح نفسه وابرهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلهما سلم
هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على
الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه
وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم
وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر
السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به
الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله
والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم
الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج
به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عم كان مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو
البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة
فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين
او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل
وعلا اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت
سنة والفادي على الحقيقة ابرهيم وانما قال وفديناه لانه المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء
او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه
وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابرهيم سبق بيانه في قصة نوح كذلك نجزي المحسنين
لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا
من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة
الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل
به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق

اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين
مقدرون خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد
ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم
لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه
على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب
وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله
او على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي
ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة
وعيب ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية
والدنيوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم
الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين
البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب
وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا
المؤمنين سبق مثله وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط
هرون اخي موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي
وان ابليس وقرا ابن ذكوان بخلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال لقومه الا تتقون
عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك
من الشام وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون
بعض البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار
المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء
بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى
من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين لغة
في الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم
اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسبة كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرا
نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين
ابا الياس وقيل محمد صلعم او القرآن او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله
انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا
لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه
وانكم لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه
مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب

قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون افليس فيكم عقل
تعتبرون به وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله الهرب
من السيد لكن لما كان هربه من قومه من غير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون المملوء
فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق
عن مقام الظفر روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله به فركب السفينة
فوقفت فقالوا هنا عبد ابق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء
فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه
وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا
بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من
المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه
ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان
الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى
انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون و
قيل اربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه
مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن
بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه
ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلعم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل
الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه
الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم
او يزيدون في مرأى الناظر اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة
وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه او فجددوا الايمان بمحضره فمتعناهم الى حين الى
اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب
الشرائع الكبر واولي العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة
فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله صلعم اولا
باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه من القصص
موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين
في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفناء
عليه فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا
اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله انكار
ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا
والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العا

بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم
شاهدون وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا بها فان الانوثة ليست من لوازم
ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به
كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام
ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده فعل بمعنى
مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين استفهام
انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام
لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله
من ولد الله ما لكم كيف تحكمون بما لا يقتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه عن ذلك
ام لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته فاتوا بكتابكم
الذي انزل عليكم ان كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة
ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة
وقيل قالوا الله والشيطان اخوان ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس او الجنة
ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب
الا عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما
اعتراض او من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم ما انتم عليه على الله
بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم الا من سبق في علمه انه من
اهل النار يصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون
وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اي انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون
تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين باعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار
مثلكم وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او
تخفيف صائل على القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم ما باليت به بالة
فان اصلها بالية وما منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على
عبدتهم والمعنى ما منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله في تدبير
العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة
كانه قال ولقد علمت الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه
ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة
ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها فحذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه وانا لنحن الصافون في اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون
المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما في
ان واللام وتوسط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة

فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي صلعم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة
او بين يدي الله تعالى في القيمة وانا لنحن الصافون له في الصلوة والمنزهون له عن السوء
وان كانوا ليقولون اي مشركو قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا
من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم
فكفروا به اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون
عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي وعدنا لهم النصر والغلبة وهو
قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات
وانما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين
هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر
الدلالة على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا لك من التاييد والنصرة
والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل
فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه
بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول صلعم وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل
بالتشديد اي العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام
للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت فيهم الهجوم
والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت وقتا آخر وتول عنهم حتى حين وابصر
فسوف يبصرون تاكيد الى تاكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط
به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة
سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكي في السورة واضافة الرب
الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية
مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله
رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم
والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضه من احب ان يكتال بالمكيال
الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة وعن
النبي صلعم من قرا سورة والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت
عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وآيها ست او ثمانون ثمان آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى
فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم
وايصال فعله اليه او اضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر على

تأويل الكتاب والقرآن ذي الذكر الواو للقسم إن جعل ص اسما للحرف أو مذكورا للتحدي
أو الرمز بكلام مثل صدق محمد صلعم أو للسورة خبرا لمحذوف أو لفظ الأمر وللعطف إن جعل
مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي والأمر بالمعنى وإنه لمعجز
أو لواجب العمل به أو إن محمدا لصادق أو قوله بل الذين كفروا أي ما كفر به من كفر
لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به في عزة أي استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله
ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الأولين الإضراب أيضا من الجواب المقدر ولكن من حيث إشعاره
بذلك والمراد بالذكر العظة أو الشرف والشهرة أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من العقائد والشرائع
والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة أي غفلة عما يجب عليهم
النظر فيه كم أهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا
استغاثة أو توبة واستغفارا ولات حين مناص أي ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة
بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الأحيان وحذف
أحد المعمولين وقيل هي النافية للجنس أي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب بإضماره أي
ولا أرى حين مناص وقرئ بالرفع على أنه اسم لا أو مبتدأ محذوف الخبر أي ليس حين مناص حاصلا
لهم أو لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن لات حين بقاء
إما لأن لات تجر الأحيان كما أن لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم أحجج أو لأن
أوان شبه بإذ لأنه مقطوع عن الإضافة إذ أصله أوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما أضيف إليه
الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد إذ أصله حين مناصهم ثم بني الحين لإضافته إلى غير متمكن ولات
بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالأسماء والبصرية بالتاء كالأفعال وقيل إن التاء مزيدة على حين
لاتصالها به في الإمام ولا يرد عليه أن خط المصحف خارج عن القياس إذ مثله لم يعهد فيه والأصل
اعتباره إلا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم
والمناص المنجا من ناصه ينوصه إذا فاته وعجبوا أن جاءهم منذر منهم بشر مثلهم أو أمي من عدادهم
وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم وإشعارا بأن كفرهم جسرهم
على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقول على الله أجعل الآلهة إلها واحدا
بأن جعل الألوهية التي كانت لهم لواحد إن هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فإنه خلاف ما أطبق عليه
آباؤنا وما نشاهده من أن الواحد لا يفي علمه وقدرته بالأشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو أبلغ ككرام
وكرام روي أنه لما أسلم عمر رضه شق ذلك على قريش فأتوا أبا طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا
وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وإنا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله صلعم وقال
هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال ماذا يسألوني قالوا ارفضنا وارفض
ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب
وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ
منهم وانطلق أشراف قريش من مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلعم أن امشوا قائلين

قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا على آلهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وأن
هي المفسرة لأن الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول
وامشوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية أي اجتمعوا وقرئ بغير أن وقرئ
يمشون أن اصبروا إن هذا لشيء يراد إن هذا الأمر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له أو إن
هذا الذي يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى أو يريده
كل أحد أو أن دينكم لطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة الآخرة في الملة
التي أدركنا عليها آباءنا أو في ملة عيسى التي هي آخر الملل فإن النصارى يثلثون ويجوز أن يكون
حالا من هذا أي ما سمعنا من أهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة إن هذا
إلا اختلاق كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر من بيننا إنكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم
أو أدون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وأمثال
ذلك دليل على أن مبدأ تكذيبهم لم يكن إلا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي وقرأ قالون
بهمزة الأولى وتليين الثانية شبه واو وكذلك ابن كثير وأبو عمرو وإسماعيل إلا أنهم يقصرون بل هم
في شك من ذكري من القرآن أو الوحي لميلهم إلى التقليد وإعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم
ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب إن هذا إلا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا
عذابي بعد فإذا ذاقوه زال شكهم والمعنى أنهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم إلى تصديقه
أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل أعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من
شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل
بها على من يشاء من عباده لا مانع له فإنه العزيز أي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له أن يهب
كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما كأنه لما أنكر عليهم
التصرف في نبوته بأن ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها أردف ذلك بأنه ليس لهم مدخل
في أمر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن أين لهم أن يتصرفوا فيها فليرتقوا في
الأسباب جواب شرط محذوف أي إن كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها إلى
العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم فينزلوا الوحي إلى من يستصوبون وهو غاية التهكم
بهم والسبب في الأصل هو الوصلة وقيل المراد بالأسباب السموات لأنها أسباب الحوادث
السفلية جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب أي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم
مكسور عما قريب فمن أين لهم التدابير الإلهية والتصرف في الأمور الربانية أو فلا تكترث بما يقولون
وما مزيدة للتقليل كقولك أكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك إشارة
إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون
ذو الأوتاد ذو الملك الثابت بالأوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل
ملك ثابت الأوتاد مأخوذ من ثبات البيت المطنب بأوتاده أو ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك
لأن بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب أربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه إليها

ويضرب عليها اوتادا او يتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة واصحاب الغيضة
وهم قوم شعيب وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة اولئك الاحزاب يعني المتحزبين
على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل بيان لما اسند اليهم
من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم العذاب ولذلك
رتب عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم
وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم
في علم الله الا صيحة واحدة هي النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين
الحلبتين او رجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائي بالضم
وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به او الجنة التي تعد
المؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال للصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد
فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء
اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في اعينهم فانه مع
علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة
بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر
قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهمال عنان نفسه ادنى اهمال
ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد واد واياد بمعنى انه اواب رجاع
الى مرضاة الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة في الدين وكان يصوم يوما
ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قدم تقديره ويسبحن حال وضع
موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشي
والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها
وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ
انه صلعم صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس رض ما عرفت صلوة
الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين
لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له اواب
كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على
الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها وكل منهما ومن داود ومرجع لله التسبيح وشددنا
ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى
بقرة على اخر وعجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت اني قتلت
اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت لذلك هيبته واتيناه الحكمة النبوة او كمال
العلم واتقان العمل وفصل الخطاب فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص
الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف

والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد
لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه
اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام الرسول صلعم فصل لا نزر ولا هذر وهل
اتيك نبؤا الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك
اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام
واذ متعلق بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود
وان اسناد اتى اليه على حذف اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه
الرسول لم يكن حينئذ واذ الثانية في اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا
ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل
عليه فانه كان جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته
فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان في يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان
متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد التعريض
ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط
اي ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا
الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخي بالدين او بالصحبة له تسع و
تسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل
فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرأ
حفص بفتح الياء ولي نعجة فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل
اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في الخطاب وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم
اقدر على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث
زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني على تخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك
بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول اخر
بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط
ليبغي ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم
طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه
بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على
تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار
واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما في هذه القصة الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره
وكان له امثاله فنبهه الله تعالى بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره وقع على امرأة

اي لا قليل ولا كثير النزر القليل التافه والهذر الهذيان
بالسكون فهو مصدر هذر كلامه والاسم الهذر
بالتحريك صحاح

فتعشقها وسعى حتى تزوجها وولد منها سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبة غيره او استنزله عن زوجته
وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا
الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هزء وافتراء ولذلك قال علي رضي الله عنه من
حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه
فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد
ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله تعالى له فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك
اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك
من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى
النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسألته فيضلك
عن سبيل الله ولائله التي نصبها على الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد
بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق
ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوي
باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وللباطل الذي
هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة
الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة والاستفهام فيها للانكار
التسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل المتقين
كالفجار كأنه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين
منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم
الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا والغالب
فيها عكس ما يقتضي الحكمة فيه او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها
كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا
فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ لتدبروا على
الاصل لتدبروا اي انت وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ به ذوو العقول
السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل
فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر
للمعلوم الاول والتذكر للثاني ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اي نعم العبد سليمان
اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح
مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد الظهر

بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من
الصفات المحمودة في الخيل لا تكاد تكون الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود
وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود بالركض وقيل جمع جيد روي انه عليه السلام غزا دمشق
ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم
تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها
فعقرها تقربا لله تعالى فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى
آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء
اذ احبا اي بركت وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه
سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو بفتح الياء حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس شبه غروبها بتواري
المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليه ردوها علي الضمير للصافنات
فطفق مسحا فأخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها
من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير
بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كمؤقن وعن ابي عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء
بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب
واظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس
يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فوالذي
نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على
قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم
يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنته جرادة فاحبها وكان
لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته فكانت تغدو اليها وتروح مع
ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج الى الفلاة
باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها
يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق
ونفذ حكمه في كل شيء الا فيه وفي نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان
الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة
في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم
فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما
لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا وسجود الصورة بغير علمه
لا يضره قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون
معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمه

كقولك لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال على إرادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطى أحد
مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين ووجوب
تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الإجابة وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء إنك أنت الوهاب المعطي
ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته إجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بأمره رخاء
لينة من الرخاوة لا تزعزع أو لا تخالف إرادته كالمأمور المنقاد حيث أصاب أراد من
قولهم أصاب الصواب فأخطأ الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص
بدل منه وآخرين مقرنين في الأصفاد عطف على كل كأنه فصل الشياطين إلى عملة استعملهم
في الأعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل
أجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والأقرب أن المراد تمثيل كفهم عن الشر بالإقران
بالصفد وهو القيد وسمي به العطاء لأنه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده
وأصفده أعطاه عكس وعد وأوعد وفي ذلك نكتة هذا عطاؤنا أي هذا الذي أعطيناك
من الملك والبسطة والتسلط على ما لم نسلط به غيرك عطاؤنا فامنن أو أمسك فأعط من
شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الأمر أي غير محاسب على منه وإمساكه
لتفويض التصرف فيه إليك أو من العطاء أو صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى أنه عطاء جم لا يكاد
يمكن حصره وقيل الإشارة إلى تسخير الشياطين والمراد بالمن والإمساك إطلاقهم وإبقاؤهم
في القيد وإن له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب
هو الجنة واذكر عبدنا أيوب وهو ابن عيص بن إسحق وامرأته ليا بنت يعقوب إذ نادى
ربه بدل من عبدنا وأيوب عطف بيان له أني مسني بأني مسني وقرأ حمزة بإسكان الياء
وإسقاطها في الوصل الشيطان بنصب بتعب وعذاب ألم وهو حكاية لكلامه الذي
ناداه به ولولا هي لقال إنه مسه والإسناد إلى الشيطان إما لأن الله تعالى مسه بذلك لما فعل
بوسوسته كما قيل إنه أعجب بكثرة ماله أو استغاثه مظلوم فلم يغثه أو كانت مواشيه في ناحية
ملك كافر فداهنه ولم يغزه أو لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب أو مراعاة للأدب
أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أو لأن المراد من النصب والعذاب
ما كان يوسوس إليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب
بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل اركض
برجلك حكاية لما أجيب به أي اضرب برجلك الأرض هذا مغتسل بارد وشراب أي فضربها
فنبعت عين فقيل هذا مغتسل أي تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت
عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الأخرى ووهبنا له أهله بأن جمعناهم
عليه بعد تفرقهم أو أحييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف
ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لأولي الألباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر
واللجأ إلى الله تعالى فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة

الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث روي أن زوجته ليا بنت يعقوب وقيل
رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف إن برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله
يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود إنا وجدناه صابرا فيما أصابه في النفس
والأهل والمال ولا يخل به شكواه إلى الله من الشيطان فإنه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء
مع أنه قال ذلك خيفة أن يفتنه أو قومه في الدين نعم العبد أيوب إنه أواب مقبل
بشراشره على الله واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب وقرأ ابن كثير عبدنا وضع الجنس
موضع الجمع أو على أن إبراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له وإسحق ويعقوب عطف عليه
أولي الأيدي والأبصار أولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين أو أولي الأعمال الجليلة
والعلوم الشريفة فعبر بالأيدي عن الأعمال لأن أكثرها بمباشرتها وبالأبصار عن المعارف
لأنها أقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال أنهم كالزمنى والعماة إنا أخلصناهم
بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار تذكرهم
للآخرة دائما فإن خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لأن مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون
جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الآخرة وإطلاق الدار للإشعار بأنها الدار الحقيقية
والدنيا معبر وأضاف نافع وهشام بخالصة إلى ذكرى للبيان أو لأنه مصدر بمعنى الخلوص
فأضيف إلى فاعله وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار لمن المختارين من أمثالهم المصطفين
عليهم في الخير جمع خير كشر وأشرار وقيل جمع خيّر أو خير على تخفيفه كأموات في جمع ميّت أو ميت
واذكر إسمعيل واليسع هو ابن أخطوب استخلفه إلياس على بني إسرائيل ثم استنبئ واللام
فيه كما في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرأ حمزة والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول
من ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل
فر إليه مائة نبي من بني إسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم
مائة صلاة وكل أي وكلهم من الأخيار هذا إشارة إلى ما تقدم من أمورهم ذكر شرف
لهم أو نوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع في بيان ما أعد لهم ولأمثالهم فقال وإن للمتقين
لحسن مآب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن مآب وهو من الأعلام الغالبة لقوله جنات
عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب وانتصب عنها مفتحة لهم الأبواب على الحال والعامل
فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر أو أنهما خبران لمحذوف
متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان أو متداخلان من الضمير
في لهم لا من المتقين للفصل والأظهر أن يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال
من ضميره والاقتصار على الفاكهة للإشعار بأن مطاعمهم لمحض التلذذ فإن التغذي للتحلل ولا
تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرن إلى غير أزواجهن أتراب لدات لهم
فإن التحاب بين الأقران أثبت أو بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب
فإنه يمسهن في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب لأجله فإن الحساب علة الوصول

الى الجزاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع
هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق
يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص
بالذم محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه
او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره حميم وغساق وهو على الاولين خبر
محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها
وقرأ حفص وحمزة والكسائي غساق بتشديد السين وآخر اي مذوق او عذاب آخر وقرأ
البصريان وأُخر اي ومذوقات او انواع عذاب أُخر من شكله من مثل هذا المذوق
او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق
وقرئ بالكسر وهي لغة ازواج اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار
والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار
واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم
دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال اي مقولا فيهم لا مرحبا اي ما أتوا بهم
رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اي الاتباع
للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا
انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب او الصلي لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمتم من العقائد
الزائغة والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اي الاتباع ايضا
من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار مضاعفا اي ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه
مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا اي الطاغون ما لنا
لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون
بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام
على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخريا
بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين ام زاغت مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة
لما لنا لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كأنهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا
او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان
زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة على انهم استرذلوهم
والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكيناه
عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر
محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم
عذاب الله وما من اله الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار لكل شيء
رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب

اذا عاقب الغفار الذي يغفر ما شاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد
ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو الانذار
قل هو اي ما انبأتكم به من اني نذير من عقوبة من هذا صفته وانه واحد في الالوهية وقيل ما بعده من
نبأ آدم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف
وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملأ
الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد في الكتب المتقدمة
من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ التقدير من علم
بكلام الملأ الاعلى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما كأنه لما جوز ان الوحي يأتيه بين
بذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر
على الحكاية اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة
التي دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على
ما مر في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها وهو انذار المشركين
على استكبارهم على النبي صلعم بمثل ما حاق بابليس على استكباره على آدم هذا ومن الجائز ان يكون
مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله والملائكة فاذا سويته
عدلت خلقه ونفخت فيه من روحي واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته
فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه في البقرة فسجد الملائكة كلهم
اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين باستكباره عن امر الله وامتناعه
عن المطاوعة او كان منهم في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي خلقته بنفسي
من غير توسط كاب وام والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد
وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح للمانعية
اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين
تكبرت من غير استحقاق ام كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت
من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا خير منه
ابداء للمانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج
منها من الجنة او السماء او من الصورة الملكية فانك رجيم مطرود من الرحمة ومحل الكرامة
وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم
الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله على اختلاف
القراءتين قال فالحق والحق اقول اي فانا الحق والحق اقول وقيل الحق الاول اسم الله تعالى
نصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملأن جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول

وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اي الحق يميني وقسمي والخبر اي انا الحق وقرئا
مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم في الاول
وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد وهو سائغ فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول
ونصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك
لتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تاكيد له او للضميرين قل ما اسالكم عليه من اجر
اي على القرآن او تبليغ الوحي وما انا من المتكلفين المتصنعين بما لست من اهله على ما
عرفتم من حالي فانتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر عظة للعالمين
للثقلين ولتعلمن نباه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيانه بعد حين
بعد الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن النبي صلعم من قرا سورة ص
كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

سورة الزمر مكية وآيها خمس او ثلاث او ثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاول صلة
او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة
وعلى الثاني القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرا او الزم انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا
له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستيناف لتعليل الامر
وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم
المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال الا لله الدين الخالص اي الا هو الذي وجب اختصاصه
بان يخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر
والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى
والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة السياق عليهم وهو مبتدا
خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول او ان الله يحكم بينهم
وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى
مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم
ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل
النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم
ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة
في علم الله لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اذ لا موجود
سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا
الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك

بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم
للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة
المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل
على ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل
يغشي كل واحد منهما الآخر كانه يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف
باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري
لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب
على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة
خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها استدلال آخر بما اوجده في العالم السفلي مبدوا
به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلث دلالات خلق آدم
اولا من غير اب وام ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف
على محذوف هو صفة لنفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها
زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة
دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق حواء منه وانزل لكم وقضى
او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح او احدث لكم
باسباب نازلة كاشعة الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل
والبقر والضان والمعز يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام
اظهارا لما فيها من عجائب القدرة غير انه غلب اولي العقل او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون
خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من
بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن
ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو
اذ لا يشاركه في الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا
فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم
وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرا ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي
بضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو ويعقوب
اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون
بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس
الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على ان مبدأ الكل منه ثم
اذا خوله اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله
نسي ما كان يدعو اليه اي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع اليه وما مثله
في قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله

وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال لما كان نتيجة جعله صح تعليله
بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشهٍّ
لا سند له واقناط للكافر من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار
على سبيل الاستيناف للمبالغة امن هو قانت قائم بوظائف الطاعات اناء الليل
ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى
بل امن هو قانت كمن هو بضده وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت
كمن جعل له اندادا ساجدا وقائما حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر
والواو للجمع بين الصفتين يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه في موضع الحال او الاستيناف
للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار
القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول
على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون
انما يتذكر اولوا الالباب بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين
آمنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي للذين احسنوا
بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة
والعافية وفي هذه بيان لمكان حسنة وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في
وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء
ومهاجرة الاوطان لها اجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث
انه تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب
لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين
موحدا له وامرت لان اكون اول المؤمنين وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم
في الدنيا والآخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص او لانه اول من اسلم وجهه منه
من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان
العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبق
في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص
والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص
والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا
له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا
بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله
فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين الكاملين
في الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيامة حين

يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا
من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم
ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستيناف
والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار
شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هي ظلل للآخرين ذلك يخوف الله به عباده
ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما
يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام
على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص
بالشيطان ان يعبدوها بدل الاشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم
عما سواه لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل والملائكة عند حضور الموت فبشر عباد
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة
على مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل
فالافضل اولئك الذين هداهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول السليمة
عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها
افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه
الكلام تقديره أانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء
لتأكيد الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه
بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول صلعم في دعائهم الى الايمان سعي
في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والاشعار
بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض
مبنية مبنية بناء المنازل على الارض تجري من تحتها الانهار اي من تحت تلك الغرف
وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص
وهو على الله محال الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع في
الارض هي عيون ومجار كائنة فيها او مياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع
فنصبها على المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما
او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور
عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا
بانه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه او بانه مثل الحيوة الدنيا فلا تغتر بها لاولي الالباب
اذ لا يتذكر به غيرهم افمن شرح الله صدره للاسلام حتى تمكن فيه يسر عبر به عن خلق
نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق
بالنفس القابل للاسلام فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عم

ويجوز ان يكون على صيغة المعلوم ان خلق الله نفسه

اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسي من اجل
الشيء اشد تأبيا عن قبوله من القاسي عنه بسبب آخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول
وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليه
اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بادنى نظر والآية نزلت في حمزة وعلي رضي الله عنهما وابي
لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعني القرآن روي ان اصحاب رسول الله صلعم
ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للاسناد اليه
وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من احسن او حال منه وتشابهها
تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني
جمع مثنى او مثنى او مثنى على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن
سور وآيات والانسان عروق وعظام واعصاب او جعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت
رجلا حسنا شمائل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل
في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة
الراء ليصير رباعيا كتركيب قمطر من القمط وهو الشدة ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت
غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي
هي من عوارضها ذلك اي الكتاب هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل الله
ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلال افمن يتقي بوجهه يجعله درقة يقي بها
نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء العذاب يوم القيمة
كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره وقيل للظالمين اي لهم فوضع الظاهر
موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون اي
وباله والواو للحال وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
من الجهة التي لا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا
كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الآخرة المعد لهم اكبر لشدته و
دوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون
به قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او
مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما وهو ابلغ من المستقيم واختص بالمعاني وقيل
بالشك استشهادا بقوله وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب
وهو تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا

مثلا للمشرك والموحد رجلا ادنحو

رجلا للمشرك والموحد فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك
على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك
فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن
خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس
الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون
العين وثلاثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذا ورجل سالم اي وهناك رجل سالم
وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه على التمييز
ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين
على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه
على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون
به غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى
وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم
القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل
في التشريك واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون
بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس
بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد والشريك اليه
وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد صلعم اذ جاءه من غير تفكر في امره وتوقف اليس
في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل
به على تكفير المبتدعة فانهم يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجيء الرسل به
بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله
اولئك هم المتقون وقيل هو النبي صلعم والمراد هو ومن تبعه كما في قوله تع ولقد آتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول صلعم والمصدق ابو بكر رض وذلك يقتضي اضمار الذي
وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل وصار
صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاءون عند ربهم
في الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا خص الاسوأ
للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون
انهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون
بمعنى السيء كقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ اسواء جمع سوء ويجزيهم
اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها
في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف عبده استفهام انكار للنفي
مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله صلعم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده

نخاف

وفسر بالانبيا عليهم السلام ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فانهم قالوا له انا
نخاف ان تخبلك الهتنا بعيبك اياها وقيل انه بعث خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها
ان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الآمر له بما
خوف عليه ومن يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له
من هاد يهديه الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لفعله كما قال
أليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل افرايتم ما تدعون
من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي ارايتم بعد ما تحققتم ان
خالق العالم هو الله ان الهتكم ان اراد الله ان يصيبني ضر هل يكشفنه او ارادني برحمة
بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكها عني وقرأ ابو عمرو كاشفات ضره وممسكات
رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير ودفع الضر
اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير او شر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها به من الانوثة
تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا
على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ
مكاناتكم اني عامل على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار
بان حاله لا تقف فانها تزداد على مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا
عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل
غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار
انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم
بالحق ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه اذ نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها
فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما
امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا وذلك عند
الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها
الى البدن وقرأ حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع ويرسل الاخرى
اي النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو
غاية جنس الارسال وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما
مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحيوة
فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان في ذلك
في التوفي والامساك والارسال لآيات دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته

رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت
وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها
عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفي آجالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش
من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون
ايشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة
جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك
الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض
فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة
فيكون الملك له ايضا حينئذ واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا
يؤمنون بالآخرة انقبضت ونفرت واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم
يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما
فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غما حتى ينقبض
اديم وجهه والعامل في اذا المفاجاة قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت في امرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر
على الاشياء والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فانت
وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به
من سوء العذاب يوم القيمة وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم في الوعد وبدا
لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب
فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم
يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره
دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه نعمة منا
اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به قال انما اوتيته على علم على علم مني بوجوه كسبه
او بأني سأعطاه لما لي من استحقاقه او من الله بي واستحقاقي والهاء فيه لما ان جعلت موصولة
والا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء منها بل هي فتنة امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما
قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك
وهو دليل على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم
لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضي
به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فاصابهم سيئات ما كسبوا
جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى

الظاهر وبأني سأعطيه لكونه عطفا على الضمير المجرور في به
ولا يبعد ان يكون ذلك كان في هذا الباب زائدة لكونها معرفة
لعلهم شرع ذلك عند اعادتها قبل ثم وفي بعض
النسخ او بأني سيعطاه وهو الظاهر وفي بعضها واستحقاقه

من جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض
سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين
وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
بان الحوادث كلها من الله بوسط او غيره قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا
في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد وتخصيصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن
لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا
عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان
الله لا يغفر ان يشرك الآية والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر
والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذل
والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا
عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع
الضمير لدلالته على انه المستغني المنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه صلعم قال
ما احب ان لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا
ومن اشرك ثلث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس بغير حق
لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش بن ابي ربيعة والوليد
بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم
واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد
من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من ربكم القرآن او المامور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص
او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان
ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون ان تقول نفس كراهة ان تقول
وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى رب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم
ينفض الراس مغضبا يا حسرتي وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت بما قصرت
في جنب الله في جانبه اي في حقه وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله
في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروة
والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل
في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين المستهزئين
باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني
بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب
لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال

هذه الاقوال تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت
وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه
لان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم
يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله تع في فعل العبد ولا ما فيه من
اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم
القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة
بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية
البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى مقام للمتكبرين عن الايمان
والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ وينجي
بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص بما هو اهم وبالسعادة
والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقراء الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه
والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال او
استيناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر وهو على
كل شيء وكيل متولي التصرف فيه له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن
من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص
لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد
من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه
سأل النبي صلعم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله
ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو
على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير
السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون
متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع
على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك
الكفرة ان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد
بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص
الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون
اي افغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب
ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما يدل عليه
تامروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرا ابن عامر تامرونني باظهار النونين على الاصل وقرا نافع
بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل

تهييج الرسل

لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد به
واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى
موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم
اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله تع ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو
كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد
رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين
انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروا
عظمته في انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وحقارة الافعال
العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون
شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت
لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية
بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد
الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ
مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما
يشركون ما ابعد واعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء ونفخ
في الصور يعني المرة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض خروا امواتا او مغشيا
عليه الا من شاء الله قيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش
ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد بالاول ونفخ في الصور نفخة واحدة
كما صرح به في مواضع واخرى تحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او
متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم
في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها
من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم
ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة
ولذلك اضافه الى نفسه ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب
المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح
المحفوظ يقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين
وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب
او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما
يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم ثم فصل التوفية وقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة وهي جمع

وهي الجمع القليل جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم
شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها
وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرا الكوفيون فتحت بتخفيف التاء وقال لهم خزنتها تقريعا
وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا
توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله
بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة
على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله تع لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام
فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق
ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه
مفعول ثاني
كما قال عم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل
الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال
اهل النار فيدخله به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسرع بهم الى دار الكرامة
وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو
الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة
والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقرا الكوفيون
بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس
المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم
وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على
الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث
فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من جنته الواسعة
مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة
حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون
بحمد ربهم متلبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله
واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق
في صفات الحق وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او
بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على
ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه الله

طيبهم سبب

ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية وآيها خمس او ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم امالها ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين
وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث
او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين
لما في القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث
على ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد
العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال
وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب
وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو
الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر الذنب باقيا معه
كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات
الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي
المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر
على المجادل فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال
فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم
الطاعات ولذلك قال ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة
فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام
واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال كذبت
قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح
كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا
من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له
ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهمهم فكيف كان عقاب فانكم
تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة ربك وعيده او
قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك
بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله
الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن
حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره
يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح

اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان
اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين
آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم
شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان
توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة
ربنا اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي
وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما
وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح
بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم
اياها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخلهم معهم ليتم سرورهم
او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز
الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد
وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي
في الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة
كانهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة او الوقاية او
مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم
اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون
ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيامة حين
عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة الا ان يؤول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان المقتين
واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند
انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحياة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك
قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقدوريه تصيير وصرف له
عن الآخر واحييتنا اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند
الخروج من الدنيا والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان ما في القبر والبعث او المقصود
اعترافهم بالمعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا
فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث فهل الى خروج نوع خروج من النار
من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله
ذلكم الذي انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعي الله وحده متحدا او توحد وحده فحذف
الفعل واقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم
لله المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلي الكبير من ان يشرك به ويسوى بغيره

حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة • هو الذي يريكم آياته
الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم • وينزل لكم من السماء رزقا اسباب
رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم • وما يتذكر بالآيات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول
عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى • الا من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر
فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه • فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك • ولو كره الكافرون
اخلاصكم وشق عليهم • رفيع الدرجات ذو العرش خبران آخران للدلالة على علو صمديته
من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث
لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو اصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به
وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب
وقرئ رفيع بالنصب على المدح • يلقي الروح من امره خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا
مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن امره
بيانه لانه امر بالخير او مبدؤه والامر هو الملك المبلغ • على من يشاء من عباده يختاره للنبوة
وفيه دليل على انها عطائية • لينذر غاية الالقاء والمستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب
يؤيد الثاني • يوم التلاق يوم القيمة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض
والمعبودون والعباد والاعمال والعمال • يوم هم بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون
لا يسترهم شيء او ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم • لا يخفى على الله منهم
شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم في الدنيا
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه
ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال
هيآت توجب لذاتها والمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها
زالت العوائق وادركت لذتها والمها • لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب
ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شأن عن شأن فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا • وانذرهم يوم
الآزفة اي القيمة سميت بها لازوفها اي قربها او الخطة الآزفة وهي مشارفتهم النار
وقيل الموت • اذ القلوب لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود
فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا • كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة
او منها او من ضميرها في لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله تع فظلت اعناقهم لها
خاضعين او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة • ما للظالمين من حميم قريب مشفق • ولا شفيع
يطاع ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم
للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم • يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية
الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين • وما تخفي الصدور من الضمائر والجملة

بحناجرهم

والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء • والله يقضي بالحق لانه
المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حقه • والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات
او اضمار قل • ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على
ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه • اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود • كانوا هم اشد منهم
قوة قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع
دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر اشد منكم بالكاف • وآثارا في الارض مثل القلاع والمدائن
الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا • فاخذهم الله بذنوبهم وما كان
لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم • ذلك الاخذ بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات او الاحكام الواضحة • فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن
شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه • ولقد ارسلنا موسى بآياتنا يعني المعجزات • وسلطان
مبين وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما
لشانه • الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى عم وفيه تسلية لرسول الله
صلعم وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا • فلما جاءهم بالحق
من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم
تفعلون بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى • وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع
ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة • وقال فرعون ذروني اقتل موسى
كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن
معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف
من قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله • وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه
اني اخاف ان لم اقتله • ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام
لقوله ويذرك وآلهتك • او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج
ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى
الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد • وقال موسى
اي لقومه لما سمع كلامه • اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان
تأكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب
هو الحفظ والتربية واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة
ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على
القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت فيه وفي الدخان بالادغام وعن نافع مثله • وقال
رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل اسرائيلي او غريب

بدعاء ربه

عطف كلام لم يتعلق

موحد كأنه ينافقهم أتقتلون رجلا أتقصدون قتله أن يقول لأن يقول وقت أن يقول من غير روية وتأمل في أمره ربي الله وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم أضافه إليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم إلى الاعتراف به ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وإن يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه إلى قتله وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلا أقل من أن يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير وإظهار للإنصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا أو يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لأنه أراد بالبعض نفسه إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله إلى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما أن من خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله ولعله أراد به المعنى الأول وخيل إليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين في الأرض أرض مصر فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا أي فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فإنه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد وإنما أدرج نفسه في الضميرين لأنه كان منهم في القرابة وليريهم أنه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما أريكم ما أشير إليكم إلا ما أرى واستصوبه من قتله وما أهديكم وما أعلمكم إلا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه إلا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد على أنه فعال للمبالغة من رشد كعلام أو من رشّد كعبّاد لا من أرشد كجبار لأنه مقصور على السماع أو للنسبة إلى الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الأحزاب مثل أيام الأمم الماضية يعني وقائعهم وجمع الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وإيذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث إن المنفي فيه نفي حدوث تعلق إرادته بالظلم ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور أو يتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار كما حكي في الأعراف وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين عنه إلى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب على أن فرعونه فرعون موسى أو على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد أو سبطه يوسف بن إبراهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى

حتى إذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما إلى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده أو جزما بأن لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ ألن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الضلال يضل الله في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الأول لأنه بمعنى الجمع بغير سلطان بغير حجة بل إما بتقليد أو شبهة داحضة أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضمير من وإفراده للفظ ويجوز أن يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف أي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا أو بغير سلطان وفاعل كبر كذلك أي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت أذني أو على حذف مضاف أي على كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء إذا ظهر لعلي أبلغ الأسباب الطرق أسباب السماوات بيان لها وفي إبهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلى معرفتها فأطلع إلى إله موسى عطف على أبلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله أراد أن يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه أحوال الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل على الحوادث الأرضية فيرى هل فيها ما يدل على إرسال الله إياه أو أن يرى فساد قول موسى بأن إخباره من إله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله إليه وذلك لا يتأتى إلا بالصعود إلى السماء وهو مما لا يقوى عليه الإنسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه وإني لأظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه أنه قرئ وزين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي وأبو عمرو وصد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون إلا في تباب أي خسار وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون أهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه إلى المقصود وفيه تعريض بأن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها وإن الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمل وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الإشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والإيمان حالا للدلالة على أنه شرط في اعتبار العمل وأن ثوابه أعلى من ذلك ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار كرر نداءهم إيقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثاني

الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه
تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية
في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم
للاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم
الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه
من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه
اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة
اي حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها او عدم
دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب
ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم
بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية
الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد
والرشد وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين في الضلالة والطغيان كالاشراك
وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة
العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله
بصير بالعباد فيحرسهم وكانه جواب توعدهم المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا
شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى وحاق بآل فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره
للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي
والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق والقتل او النار
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف
للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره
يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا
قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار
بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد وفيه دليل على بقاء النفس
وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اي هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل
لهم ادخلوا آل فرعون يا آل فرعون اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه
او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملائكة
بادخالهم النار واذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا
فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل له انا كنا لكم تبعا تباعا كخدم في جمع خادم
او ذوي تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار
بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم

عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين استكبروا
انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لانه بمعنى
كلنا وتنوينه عوض المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال
المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد
بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم
اي لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها
من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب شيئا من
العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا اولم تك تأتيكم
رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب
الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم وفيه اقناط
لهم عن الاجابة وما دعاء الكافرين الا في ضلال ضياع لا يجاب انا لننصر رسلنا والذين
آمنوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي
في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة احيانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد
جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة
والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة
لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة
البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من
المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من ذلك التورية
هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة
فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله حق بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون
واستغفر لذنبك واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام بامر العدى
بالاستغفار فانه تعالى كافيك في النصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ودم على
التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا
ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم عام في كل مجادل مبطل وان نزلت
في [illegible] اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر
وتسير معه الانهار ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة
الرياسة او ان النبوة والملك لا يكونان الا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات او المراد
فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان
ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه من امر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم
لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير

الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن والمسيء فينبغي ان يكون
لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته
للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير
لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما يتذكرون اي تذكرا ما قليلا
يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات
او امر الرسول صلعم بالمخاطبة ان الساعة لآتية لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على
جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها
لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اعبدوني استجب لكم اثبكم لقوله
ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعاء
بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من
ابوابها وقرأ ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس والنهار مبصرا
يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال
ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل ولكن اكثر الناس
لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص
بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة
تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو
استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون
من عبادته الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي كما افكوا
افك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء
استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة
بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات
ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه مربوب
مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية لا اله الا هو اذ لا موجود
يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة
من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون
من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات او من الآيات فانها مقوية
لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له واخلص له ديني
هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة
الجنس او على تأويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره
ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيوخا

شيوخا بالكسر وشيخا لقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد
ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة ولعلكم تعقلون
ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له
كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة
ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد الم تر الى الذين يجادلون
في آيات الله انى يصرفون عن التصديق بها وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل والمجادل فيه
او للتأكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا
من سائر الكتب او الوحي والشرائع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم
ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال
او مبتدأ خبره يسحبون في الحميم والعائد محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ
والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر
حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة
به ثم في النار يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه
سجر بالحب اي ملئ والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل
لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم
آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي بل تبين لنا
انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل هذا
الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى
لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون
بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب
للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها
مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين
لكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله بهلاك الكفار
حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل
ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه
فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة
اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون
الف والمذكور قصصهم اشخاص معدودة وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله فان
المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها

واستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا او الآخرة قضي بالحق
بانجاء المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الآيات
بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون فان من جنسها
ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان والجلود و
الاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى
الفلك في البحر تحملون وانما قال على الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل
لانه في حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد تكون
لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم آياته دلائله
الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته فاي آيات الله اي آية من تلك الآيات تنكرون
فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه
والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض
ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية
مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فرحوا بما عندهم
من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله
تع بل ادارك علمهم في الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها
وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء
وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل
الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا
الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا
قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى
لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى
عنهم والباقيتان لان رؤية الباس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية
سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر
المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس اسم مكان استعير للزمان
وعن النبي صلعم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وآيها ثلاث او اربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعلته اسما للسورة مبتدا فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف

الحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدا لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاولين
بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة
ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط
المصالح الدينية والدنيوية فصلت آياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي
فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرآنا عربيا
نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون العربية
او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه
بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب
او الخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تامل وطاعة
وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ
بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدا منهم
ومنك بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك
ما تدعوهم اليه واعتقادهم ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلعم فاعمل
على دينك او في ابطال امرنا انا عاملون على ديننا او في ابطال امرك قل انما انا بشر مثلكم
يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه
العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل
وشواهد النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد
والاخلاص في العمل واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك
فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة
لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالآخرة هم كافرون
حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للآخرة ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او القطع
من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر
كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في مقدار يومين
او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل
من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها
صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح
ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في مدة يومين رب العالمين خالق جميع
ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي استئناف غير معطوف على خلق
للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للناظر ما فيها من وجوه

للاستبصار ويكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها
انواع النبات والحيوانات وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع
ما يصلحه فيعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ
وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في
عشرة والى الكوفة في خمس عشرة ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما باليومين
الاولين والتصريح على الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام
ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع على هي سواء
للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او
بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى
الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين
لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها
وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال
لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة
والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة
او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او
ليأت كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا وآتينا من
المواتاة اي ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما
والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران
وقعا موقع الحال قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير
تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله
كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما
قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين فقضاهن سبع سموات
فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على
الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم
يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها شأنها وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا
وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كأنها
تتلألأ عليها وحفظا اي وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على
المعنى كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم
البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة
فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ
صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا

فصعق صعقا اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة
او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم
من كل جهة او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير
عما اعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر
المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل
ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ان لا تعبدوا الا الله
بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته
فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا
في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة
اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده اولم
يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى
قوي على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا بآياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها
وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر
وهو البرد الذي يصر اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات
جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصري بالسكون على التخفيف او النعت
على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في
يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي وهو
الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الاصل صفة المعذب وانما
وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم
واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب
بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا
الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم
واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة
على الهدى ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء
الله الى النار وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم
الشين ونصب اعداء فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن
كثرة اهل النار حتى اذا ما جاؤها اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور
شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها آثارا
تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ
او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا
بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول

الجواب والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه
ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استينافا وما كنتم تستترون ان
يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي كنتم تستترون من الناس عند ارتكاب الفواحش
مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن
ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي ظننتم
بربكم اردكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا واردكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين اذ صار
ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا لشقاء المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص
لهم عنها وان يستعتبوا يسألوا العتبى وهي الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين
اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين
اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة
قرناء اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض
البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات
وما خلفهم من امر الاخرة وانكاره وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في جملة امم
كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور قد خلت
من قبلهم من الجن والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم
العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه
بالخرافات وارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد
يقال لغي يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن
الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ
الذي كانوا يعملون سيئات اعمالهم وقد سبق مثله ذلك اشارة الى الاسوأ جزاء
اعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء او خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد
فانها دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود
هو الصفة جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذي
هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس
يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلال والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا
الكفر والقتل وقرأ ابن عامر وابن كثير ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف كفخذ في فخذ
وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندوسهما انتقاما منهما وقيل
نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين قالوا ربنا الله
اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة
من حيث انه مبدأ الاستقامة او لانها عسر قلما يتبع الاقرار وما روي عن الخلفاء الراشدين

الراشدين

الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض
فبيان لجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف
والحزن او عند الموت او الخروج من القبر الا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا
على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون
في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل
ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفي الاخرة بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة
وقرناؤهم ولكم فيها في الاخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون
ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون
للاشعار بان ما يتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن
قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين
تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والاية عامة لمن
استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي صلعم وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة
في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة
حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن
ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف اصنع
للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها اي وما يلقى هذه
السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا فانها تحبس النفس عن الانتقام
وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من
الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته لانها تبعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوأ وجعل النزغ
نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره
ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك ومن اياته الليل
والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا
لله الذي خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد
ما لا يعلم ولا يختار ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود
عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر الاية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا
عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما
وهم لا يسأمون اي لا يملون ومن اياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة
مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت
بالنبات وقرئ ربأت اي زادت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل
شيء قدير من الاحياء والاماتة ان الذين يلحدون في اياتنا يميلون عن الاستقامة في

آياتنا بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على
الحادهم أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة قابل الالقاء في النار بالاتيان
آمنا مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه بما تعملون بصير
وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون
في آياتنا او مستأنف وخبر ان محذوف مثل معذبون او هالكون او اولئك ينادون
والذكر القرآن وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما
فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية تنزيل من حكيم أي حكيم حميد يحمده كل خلق بما
ظهر عليه من نعمه ما يقال لك أي ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك
الا مثل ما قال لهم كفار قومهم ويجوز ان يكون المعنى ما يقول لك الله الا مثل ما قال لهم ان ربك
لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان يكون المقول
بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه
قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت
آياته بينت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي الكلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر للتحضيض
والاعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه ولكلامه وقرئ أعجمي وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام
أعجمي على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام
العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور او للدلالة
على انهم لا ينفكون عن التعنت في الآيات كيف جاءت قل هو للذين آمنوا هدى الى الحق
وشفاء لما في الصدور من الشك والشبه والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم
وقر على تقدير هو في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه
وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك على الذين آمنوا
هدى اولئك ينادون من مكان بعيد هو تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن
يصيح به من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب
كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومة
حينئذ او تقدير الآجال لقضي بينهم باستئصال المكذبين وانهم وان اليهود او
الذين لا يؤمنون لفي شك منه من التوراة او القرآن مريب موجب للاضطراب
من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن أساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل
بهم ما ليس له ان يفعله اليه يرد علم الساعة أي اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو
وما تخرج من ثمرات من اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من
ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق
ويحتمل ان تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى

مخلوق بحمد

او ما يقول لك الا مثل آه ... ويجوز ان يكون المعنى ما يقول لك الا مثل آه

أي ولا تضع الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم
أين شركائي بزعمكم قالوا آذناك أعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم
بالشركة اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد منا يراهم لانهم
ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء أي ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا
يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص
مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب
السعة في النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر الضيقة فيؤس قنوط من فضل
الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد
بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة
منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي
دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه
من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة
اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصي عنه
واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه
وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله واذا مسه
الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ
من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل أرأيتم
اخبروني ان كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من اضل
ممن هو في شقاق بعيد أي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا
لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما اخبرهم النبي عم به من الحوادث الآتية وآثار
النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه
خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان من عجائب
الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقرآن او الرسول او
التوحيد او الله اولم يكف بربك أي اولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كأنه قال
اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى انه على كل شيء شهيد بدل منه والمعنى
اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء
الموعودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم او اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه
تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية الا انهم في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة
كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء
وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة

السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة عسق ويسمى سورة الشورى مكية وهي ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق لعلهما اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وان كانا اسما واحدا فالفصل
ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم
اي مثل ما في هذه السورة من المعاني او ايحاء مثل ايحائها اوحي الله اليك والى الرسل من قبلك وانما
ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته
وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى
مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى
كما مر في السورة السابقة او بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده اخبار
او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له
وعلى الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي
بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من ادعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن
والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتائين لتأكيد التأنيث
وهو نادر من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول
لان اعظم الآيات وادلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار
من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد
ربهم ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد
الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار
بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة
الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والآية على الاول
زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب
على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه
اولياء شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها
وما انت يا محمد عليهم بوكيل موكل بهم او بموكول اليك امرهم وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا
ذلك اشارة الى مصدر يوحي او الى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر في القرآن في مواضع جمة فيكون الكاف
مفعولا به وقرآنا عربيا حال منه لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهي مكة ومن حولها من العرب
وتنذر يوم الجمع يوم القيامة يجمع الخلائق فيه او الارواح والاشباح او العمال والاعمال
وحذف ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء
والفعل للقرآن لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد
جمعهم في الموقف يجتمعون اولا ثم يتفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع

الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اي وينذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق او
متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين
ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير
اي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام في الانذار
ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولي جواب شرط محذوف
مثل ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير كالتقرير
لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من شيء من امر من امور الدين او الدنيا
فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق عن المبطل بالنصر او الاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه
من تأويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع
الامور واليه انيب ارجع في المعضلات فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او
مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله من انفسكم من جنسكم
ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا اي خلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق
لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر
والذرو فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع
للبث والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما في
قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه
عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته ومن
قيل الكاف فيه زائدة لعله عني انه يعطي معنى ليس مثله غيره آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اي ليس
كصفته صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنها
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيئته انه بكل شيء عليم فيفعله على
ما ينبغي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى
اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر
بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله النصب على
البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستئناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل
من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء
يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه
وما تفرقوا يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرها
فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال الى
اجل مسمى هو يوم القيامة او آخر اعمارهم المقدرة لقضي بينهم باستيصال المبطلين حين افترقوا

المراد بالطيب الطاهر لذاته رسول الله صلعم تمت

لعظم ما افترقوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول
او المشركين الذين اورثوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا ووُرِّثوا لفي شك منه
من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من القرآن مريب مقلق او مدخل في الريبة
فلذلك فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة
الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل
واستقم واستقم على الدعوة كما امرت كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت
بما انزل الله من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض
وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية
وهذا اشارة الى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم فكل مجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر
ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير
مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الآية ما يدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة باية القتال
والذين يحاجون في الله في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه
او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان
اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم غضب بمعاندتهم
ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من
الباطل او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى
بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن بان اوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب
اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه
اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل
بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائهم بها
لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة
يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين
يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات
الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءه الله لطيف بعباده بر بهم
بصنوف من البر لا تبلغها الافهام يرزق من يشاء اي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده
بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب
من كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك
قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث في الاصل القاء البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه
نزد له في حرثه فنعطيه بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته
منها شيئا منها على ما قسمنا له وما له في الآخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل

امرئ ما نوى ام لهم شركاء بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم
شياطينهم شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث
والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع
اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم ولولا كلمة الفصل
اي القضاء السابق بتأجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم بين الكافرين
والمؤمنين او المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان بالفتح عطفا على
كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان
العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين في القيمة مشفقين خائفين
مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا والذين
آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن
عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير
الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره وقرئ يبشر من ابشره قل لا اسألكم
عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة في القربى ان
تودوني لقرابتي منكم او تودوا قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن
اسألكم المودة وفي القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في اهلها او في حق
القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله
من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله
ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن
يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول وقيل نزلت في ابي بكر ومودته لهم نزد له فيها في الحسنة
حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله وحسنى ان الله غفور لمن اذنب
شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل يقولون
افترى على الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة او القرآن فان يشإ الله يختم على قلبك
استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما
من كان ذا البصيرة والمعرفة فلا وكأنه قال ان يشإ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء
عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحي عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم
ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استئناف لنفي الافتراء عما يقوله
بانه لو كان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او لوعده
بمحق الباطل واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو في يمح في بعض
المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان وهو الذي يقبل التوبة عن عباده

بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة
وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي رضي الله عنه هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من
الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة
كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء
بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما يفعلون فيجازي
ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرا الكوفيون بالتاء غير ابي بكر ويستجيب الذين امنوا وعملوا
الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة
الدعاء او الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله افضل الدعاء
الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا او
استحقوا واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب
والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا
او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد
فيما يتحرى كمية او كيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشاء ما اقتضته مشيئته انه بعباده
خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روي ان اهل الصفة تمنوا
الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي
ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
بالتشديد من بعد ما قنطوا ايسوا منه وقرئ بكسر النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل
والجبل والنبات والحيوان وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد
المستحق للحمد على ذلك ومن اياته خلق السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها
تدل على وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي
على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما
في الجملة وهو على جمعهم اذا يشاء في اي وقت يشاء قدير متمكن منه واذا كما تدخل على
الماضي تدخل على المضارع وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم والفاء
لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية
ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم
فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين
ما قضي عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها
عنكم ومن اياته الجوار السفن الجارية في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء
وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم في راسه نار ان يشأ يسكن الريح وقرأ نافع الرياح
فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لايات لكل
صبار شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر في ايات الله والتفكر في الائه او لكل

او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن
بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها
فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها
عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف
ويعلم الذين يجادلون في اياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء
ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع
على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم
وتحذير اخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء
فمتاع الحيوة الدنيا تمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الاخرة خير وابقى للذين
امنوا وعلى ربهم يتوكلون لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط
من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف
الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق ابو بكر بماله كله فلامه جمع فنزلت والذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون بما بعده عطف على الذين امنوا او مدح منصوب
او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ
حمزة والكسائي كبير الاثم والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم
رسول الله الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم ذو شورى لا ينفردون برأي حتى
يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى
التشاور ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون
على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو
لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز
محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي
وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به
فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه
لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعدما
ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون
الناس يبدؤونهم بالاضرار ويطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في الارض بغير الحق
اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر
ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به
ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين
لما راوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل اي
الى رجعة الى الدنيا وتراهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب خاشعين من الذل

متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار
من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول في الدنيا
او لقال اي يقولون اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم تمام كلامهم
او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من
سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله
بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة ياتي اي من قبل ان ياتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من
ملجا يومئذ مفر وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحايف اعمالكم تشهد عليه
السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا
البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان
الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة
راسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتامل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى
الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة
محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه
ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك
السموات والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء يخلق ما يشاء من غير لزوم ومجال
اعتراض يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من
يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى
المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم آخرين
ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الآية للدلالة على ان الواقع
ما يتعلق به مشية الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب
تعدهن بلاء او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر
التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه
بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان
لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا
من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روي في حديث المعراج
وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله او
من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد
به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله
او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ اليه وحيه كما امره وعلى الاول
المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء

حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين
ومن وراء حجاب ظرفا وقعت احوالا وقرا نافع او يرسل برفع اللام انه علي عن صفات
المخلوقين حكيم يفعل ما يقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا واما من
وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان
القلوب تحيى به وقيل جبرئيل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
اي قبل الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا
طريق له الا السمع ولكن جعلناه اي الروح او الكتاب او الايمان نورا نهدي به من
نشاء من عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر فيه وانك لتهدي الى صراط مستقيم هو الاسلام
وقرئ لتهدى اي ليهديك الله صراط الله بدل من الاول الذي له ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد
للمطيعين والمجرمين عن النبي صم من قرا حمعسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف وآيها تسع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا اقسم بالقرآن على انه جعله قرانا عربيا وهو
من البدايع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله
بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز مبين طرق
الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او بين للعرب يدل على انه تاليف عربي كذلك لعلكم تعقلون
لكي تفهموا معانيه وانه عطف على انا في ام الكتاب في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية
وقرا حمزة والكسائي ام الكتاب بالكسر لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلي رفيع الشان
في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفي
ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا يمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب
افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض
قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على
محذوف اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض
او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب
فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صُفحا وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صُفُح جمع صفوح بمعنى صافحين
والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ان كنتم قوما
مسرفين اي لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرا نافع وحمزة والكسائي
ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء
وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن تسلية لرسول الله
من استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب

عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين وسلف في القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد
للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة
عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم في مواضع اخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات
ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استيناف الذي جعل لكم الارض مهدا وقرأ غير الكوفيين
مهادا وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى مقاصدكم
او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر
فانشرنا به بلدة ميتا مال عنه الماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك
مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون من قبوركم والذي خلق الازواج كلها اصناف
المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي
بنفسه على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على
المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال لتستووا على ظهوره اي ظهور ما تركبون
وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين
عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشيء
اذا اطاقه واصله وجده قرينه اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى
واحد وعنه عم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال
الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون
واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغي
للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن
سألتهم اي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله
ولعله سماه جزءا كما سمي بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في
ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة
الولد الى الله لانه من فرط الجهل به والتحقير لشأنه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين
معنى الهمزة في ام الانكار والتعجيب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته
اجزاء اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمه بها كما
قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد لا بد
وان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو
كظيم مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في
الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا
او من ينشأ في الحلية اي اوجعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو
في الخصام في المجادلة غير مبين مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي ويجوز

ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اي او من هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين
واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشأ اي يربى وقرئ ينشأ
وينشأ بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم
رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم
وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا
فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع ااشهدوا بهمزة الاستفهام
وهمزة مضمومة بين بين وآاشهدوا بمدة بينهما ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على
الملائكة ويسألون اي عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء
والنون وشهاداتهم وهي ان لله جزءا وان له بنات وهي الملائكة ويساءلون من المساءلة
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا
بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض
الممكنات على بعض مأمورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك
من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه
لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب
عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن
او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب مستمسكون بل قالوا انا
وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما
جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر
وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي القاصد ومنها الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك
في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون تسلية
لرسول الله صلعم ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن
لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى
التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم اي اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين
اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحي الى النذير او خطاب لرسول الله صلعم ويؤيده
الاول قراءة ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي وان كان
اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا ويتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستيصال فانظر كيف
كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابراهيم واذكر وقت قوله هذا
ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف
آبائهم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون بريء من عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به
ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام

الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما يعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون
الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اي انني برآء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني
فانه سيهدين سيثبتني على الهداية او سيهدين الى ما وراء ما هداني اليه وجعلها وجعل
ابراهيم عم او الله تع كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله
ويدعوا الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون
يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحد بل متعت هؤلاء وآباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول
من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت
بالفتح على انه تع اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم
الحق دعوة التوحيد او القرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين
للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون
زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا
به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين من احدى القريتين
مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة
منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل
والكمالات القدسية لا بالتزخرف بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك
انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا
وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا امر النبوة
التي هي اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله تع
ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ
بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تألف وتضام منتظم بذلك
نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا
تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمة ربك هذه يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون
من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا ان يكون الناس امة واحدة
لولا ان يرغبوا في الكفر اذا راوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج وقرئ ومعاريج جمع معراج
عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة
كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا
بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة في سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون
اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل من
فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرأ
عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما

والآخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الآخرة
لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع
قليل بالاضافة الى ما لهم في الآخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص منها
كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات
وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي اذا كان في بصره آفة وعشا اذا
تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين
يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي
ان يرفع نقيض وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع الضميرين
للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له ويحسبون انهم مهتدون الضمائر الثلثة
الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر
جاءانا اي العاشي والشيطان قال اي العاشي للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين بعد
المشرق من المغرب فغلب المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم
اليوم اي ما انتم عليه من التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم
في العذاب مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه
ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب
معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لمكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا تسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر
وهو يقوي الاول افانت تسمع الصم او تهدي العمي انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر
على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم
كان رسول الله صلعم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان في ضلال
مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى
فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب
النون المؤكدة فانا منهم منتقمون بعدك في الدنيا والآخرة او نرينك الذي وعدناهم
او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا
فاستمسك بالذي اوحي اليك من الآيات والشرائع وقرئ اوحي على بناء الفاعل وهو الله تع
انك على صراط مستقيم لا عوج فيه وانه لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف تسئلون
اي عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسال اممهم
وعلماء دينهم اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل
جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس
ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا
موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول
عم ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عم

الى التوحيد فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون فاجؤوا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا
بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة
اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد
وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها
بذلك الاعتبار واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم يرجعون
على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايها الساحر نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم
وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا ادع لنا ربك اي تدعو لنا
فيكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او
ان يكشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة انا
لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجؤوا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى
فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم او فيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم
مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها
اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري او امري
او بين يدي في جناتي والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك فتجري حال منها او واو الحال
وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبرها افلا تبصرون ذلك ام انا خير مع هذه المملكة
والبسطة من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة
ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير
اذ قدم من اسبابه فضله ومتصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون
فتعلمون اني خير منه فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي عليه مقاليد الملك
ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واسورة
جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص
اسورة وهي جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة والقي عليه اسورة واساور على البناء
للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه
من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فطلب منهم الخفة
في مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين
فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان
منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم
سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به
او جمع سالف كخدم وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغف او سالف
كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة

الرتة بالضم العجمة في الكلام والحكلة فيه يقال في لسانه حكلة اي عجمة لا يبين الكلام

اي ثلة سلفت ومثلا للآخرين وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال
مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلعم
في قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب
وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك او على قوله واسأل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك قريش منه من هذا المثل
يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
بالضم من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف
وقالوا أآلهتنا خير ام هو اي آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار فلتكن آلهتنا معه
او آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا اولى بذلك
او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون أآلهتنا بتحقيق الهمزتين والالف
بعدهما ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق
من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه
بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل امرا عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب
المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب
او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض يخلفون يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت
عجيبة فان الله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة
يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله تعالى
وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها
او لان احياءه الموتى يدل على قدرة الله تعالى عليه وقرئ لعلم اي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر
به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها
يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي
خلفه على شريعة محمد ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى
الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها
فلا تشكن فيها واتبعون واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول امر ان
يقوله هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان عن
المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى
بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل
او الشريعة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر
الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله واطيعون
فيما ابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد
والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى

التوحيد والعبادة

او استيناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف الاحزاب الفرق
المتحزبة من بينهم من بين النصارى واليهود والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم
فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم هو يوم القيمة هل ينظرون الا الساعة
الضمير لقريش او للذين ظلموا ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة
بغتة فجاءة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها
الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو اي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق
لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت في الله
تبقى نافعة ابد الآباد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما
ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بغير الياء
الذين آمنوا باياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو اي الذين آمنوا مخلصين
غير ان هذه العبارة آكد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون
تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوههم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون
اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب
الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفي الجنة ما تشتهيه
الانفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته
وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد في التنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل نعيم
زايل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي
اورثتموها وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة
الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او الجنة صفة تلك
والتي خبرها او صفتها والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق الباء بالمحذوف لا باورثتموها
لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل
التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالاضافة الى ساير نعائم الجنة لما كان
بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم
المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم خالدون خبر ان او خالدون
خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت
قليلا والتركيب للضعف وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم
ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال
على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام
فلذلك اختصروا فقالوا ليقض علينا ربك والمعنى سل ربنا ان يقضي علينا من قضى عليه
اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم فانه جؤار وتمن للموت من فرط الشدة قال انكم
ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة

وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه وكأنه تعالى تولى جوابهم بعد جواب
ولكن اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح ام ابرموا امرا
في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا في مجازاتهم والعدول
عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او ام احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون
كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجويهم وتناجيهم
بينهم بلى نسمعها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمون لهم يكتبون ذلك قل ان كان
للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبي صلعم اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم
ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال
قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو
ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان ههنا لا تشعر به ولا بنقيضه فانها مجرد الشرطية بل الانتفاء
معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد
ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول
العابدين لله الموحدين له او الآنفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه
او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائي وُلد بالضم سبحان
رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها
اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به ساير الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها
فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
اي يوم القيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم
معذبون في الآخرة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف
متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ
محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل
صلة وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى
الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية
وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما كالهواء
وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم القيمة فيها واليه ترجعون للجزاء وقرأ
نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون
من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد
والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل
ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم سألت العابدين والمعبودين ليقولن الله
لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره
وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اي قال قيله

وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره يا رب ان هؤلاء قوم
لا يؤمنون او عطف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او
مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يا رب قسمي وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فاعرض
عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون
تسلية للرسول صلعم وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله عن النبي صلعم من قرأ
سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان مكية وهي سبع او تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله
انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى
سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول صلعم نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب
للمنافع الدينية والدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة و
فصل الاقضية انا كنا منذرين استيناف يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله فيها
يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها
القرآن الذي هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل
على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ
يفرّق بالتشديد ويفرق كل اي يفرقه الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر
امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امرا وضمير
المستكن في حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث
ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه بمعنى آمرين او مأمورا به انا كنا مرسلين
بدل من انا كنا منذرين اي انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة
عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او
علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اي يفصل فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من شأننا
ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب
الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو
بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض وما بينهما
خبر آخر او استيناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين اي ان كنتم من
اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم
ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه
يحيي ويميت كما تشاهدون ربكم ورب آبائكم الاولين وقرئ بالجر بدلا بل هم في شك يلعبون
رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة

ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره او لان الهواء يظلم
عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب يسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى
اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك بكفه عن الامطار او يوم
ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة لما روي انه عم لما قال اول الآيات الدخان ونزول
عيسى عم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلعم
الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة
الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيمة والدخان يحتمل
المعنيين يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف
عنا العذاب انا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف
العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة وقد جاءهم
رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها في ايجاب الادكار من الآيات والمعجزات ثم تولوا عنه
وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون انا كاشفوا
العذاب بدعاء النبي فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقي من
اعمارهم انكم عائدون الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال
اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم
يرتدون ومن فسره بما في القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة
او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان تحجزه عنه او بدل من يوم تأتي
وقرئ نُبطش اي نحمل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول
بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم في الفتنة
بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتاكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم
على الله او على المؤمنين او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان ادوا الي عباد الله بان
ادوهم الي وارسلوهم معي او بان ادوا الي حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله
ويجوز ان تكون ان مخففة ومفسرة لان مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة اني لكم رسول امين
غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا
على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالاولى في وجوهها اني آتيكم
بسلطان مبين علة النهي ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شأن لا يخفى
واني عذت بربي وربكم التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني ضربا او
شتما او ان تقتلوني وقرئ عدت بالادغام وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فكونوا
بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الي بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه
بعد ما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما
استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر بعبادي ليلا

اي فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرأ الحرميان بوصل الهمزة من سرى انكم
متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة
واسعة او ساكنا على هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئا ليدخله القبط
انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين
وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك واورثناها
عطف على الفعل المقدر او على تركوا قوما آخرين ليسوا منهم في شيء وهم بنو اسرائيل وقيل
غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث
بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليه السماء وكسفت لمهلكه الشمس في نقيض ذلك
ومنه ما روي في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه
وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت آخر
ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم من فرعون
بدل من العذاب على حذف المضاف او على جعله عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين
بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة
انه كان عاليا متكبرا من المسرفين في العتو والشرارة وهو خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا
او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بني اسرائيل
على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال
على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق
البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر
ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم
مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى
ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية
كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم
موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي من شأنها ذلك الا الموتة الاولى
وما نحن بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين
ان كنتم صادقين في وعدكم ليدل عليه اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع
تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه
كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه السلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وقيل لملوك اليمن
التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم كعاد وثمود
اهلكناهم استئناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد
او خبر من الموصول ان استؤنف به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك

كذا ذكره الشيخ وفي بعض النسخ استئناف بمآل القوم تبع

وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين
لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب
الحق الذي اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة والبعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون
لقلة نظرهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه
واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اي ان
ميعاد جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل
عليه الفصل لا له للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا من الاغناء
ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول
الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه
من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى
الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده
عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت يغلي في البطون وقرأ
ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من
احدهما كغلي الحميم غليانا مثل غليه خذوه على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه
فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم
وهما لغتان الى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان اصله يصب
فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى
الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم
اي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي انك بالفتح اي ذق
لانك او عذاب انك ان هذا ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه
ان المتقين في مقام في موضع اقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم امين يأمن صاحبه
عن الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله
على ما يستلذ به من المآكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير
في الجار او استئناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة
متقابلين في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او آتيناهم مثل ذلك
وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة
العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون
باحضار ما يشتهون من الفواكه لا تتخصص شيء منها بمكان ولا زمان آمنين من الضرر لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة
والموت اول احوالها او الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويرى ما عنده فكأنه فيها او
الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا
امكن

لكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ ووقّاهم على المبالغة
فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل
ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك
سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكروا
به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي
صلعم من قرا سورة حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدا خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان
جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب
صفته وجواب القسم ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره
وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على
الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم
معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار ايات لقوم يوقنون محمول على محل
ان واسمها وقرا حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل والنهار
وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به الارض بعد موتها
يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرا حمزة والكسائي وتصريف الريح
ايات لقوم يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء او ان الا ان
يضمر في او ينصب ايات على الاختصاص او ترفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلث
لاختلاف الايات في الدقة والظهور تلك ايات الله اي تلك الايات دلائله نتلوها عليك
حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فباي حديث بعد الله واياته
يؤمنون اي بعد ايات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه
او بعد حديث الله وهو القران لقوله تع الله نزل احسن الحديث واياته دلائله المتلوة او القران
والعطف لتغاير الوصفين وقرا الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق
ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثام يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر يقيم
على كفره مستكبرا عن الايمان بالايات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الايات كقوله
يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اي كانه فخفف وحذف ضمير الشان والجملة
في موضع الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل
او التهكم واذا علم من اياتنا شيئا واذا بلغه شيء من اياتنا وعلم انه منها اتخذها
هزوا لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزء والضمير لايات وفائدته الاشعار بانه
اذا سمع كلاما وعلم انه من الايات بادر الى الاستهزاء بالايات كلها ولم يقتصر على ما سمعه

او شيء لانه بمعنى الاية اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم من قدامهم
لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد اجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال
والاولاد شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام
ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القران ويدل عليه قوله والذين كفروا
بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرا ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد
العذاب الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب
ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله
بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما
في الارض جميعا بان جعلها نافعة لكم منه حال من ما اي سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر
لمحذوف اي هي جميعا منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقرئ منة
على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك
لايات لقوم يتفكرون في صنائعه قل للذين امنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب
عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون
وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر
المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والاية نزلت في عمر شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها
منسوخة باية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون
او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او
ما يعمهما وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما
اي ليجزي الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به
ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم
الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم
والحكمة النظرية والعملية وفصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم
ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث اتيناهم
ما لم نؤت غيرهم واتيناهم بينات من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات
وقيل ايات من امر النبي صلعم مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم
بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر امر الدين فاتبعها فاتبع
شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اراء الجهال التابعة للشهوات
وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك
وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم
والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا اي القران او اتباع الشريعة بصائر للناس

بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين أم حسب الذين اجترحوا السيئات أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة أن نجعلهم أن نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف والمفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه او استئناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثاني والضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحياة او استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق كأنه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار أفرأيت من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه وأضله الله خذله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله أفلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي ما الحيوة او الحال الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعض او يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية

بينهم

بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعيدوا يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اي ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل من الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان انا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب واما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو او متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرف النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كأنه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في امر الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاؤها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض اذ ظهر فيها آثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وآيها اربع او خمس وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا
ملتبسا بالحق وهو ما يقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة
على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد
وهو اخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان
يكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله قل ارايتم ما تدعون من
دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي اخبروا عن حال الهتكم
بعد تامل فيها هل يعقل ان يكون لها في انفسها مدخل في خلق شيء من اجزاء العالم فتستحق به العبادة
وتخصيص الشرك بالسموات احترازا عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية
ائتوني بكتاب من قبل هذا الكتاب يعني القران فانه بالتوحيد او اثارة من علم او بقية من
علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ان كنتم
صادقين في دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما
يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني واثرة اي شيء
اوثرتم به واثرة بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر
اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر ومن اضل ممن يدعو
من دون الله من لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة
السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم و
يراعي مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات
واما عباد مسخرون مشغولون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا
ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين
وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات او مبينات
قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شانه والمراد به الايات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين
كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم
حين جاءهم من غير نظر وتامل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتراه اضراب
عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض
فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها
فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم
بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في اياته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي
بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم
وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وامن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت
بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو

وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او
مقدر بمضاف اي ذا بدع وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم
لي بالغيب ولا لتاكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة
وقرئ يفعل اي يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار
عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا الا نذير
من عقاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل ارايتم ان كان
من عند الله اي القران وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز ان تكون الواو عاطفة على الشرط
وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله
والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما في التورية من نعت الرسول
على مثله مثل القران وهو ما في التورية من المعاني المصدقة للقران المطابقة له او مثل ذلك
وهو كونه من عند الله فامن اي بالقران لما راه من جنس الوحي مطابقا للحق واستكبرتم
عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين استيناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم
المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا
للذين امنوا لاجلهم لو كان الايمان او ما اتى به محمد خيرا ما سبقونا اليه وهم سقاط
اذ عامتهم فقراء وموال ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع
لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا
به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم
اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القران وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما
ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا
حال من ضمير كتاب في مصدق او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار
بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحي وتوقيف من الله سبحانه
وقيل مفعول مصدق اي يصدق ذا لسان عربي باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه
ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب
بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين
التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تاخر
رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون
على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما
كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر
لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرا الكوفيون
احسانا وقرئ حسنا اي ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره
وهو المشقة وقرا الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم

اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب
وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهي به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال
كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في
تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط منه
للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل
تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا
بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد
اربعين قال رب اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا وقرأ البزي بفتح الياء
ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد
ما روي انها نزلت في ابي بكر رض لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه
وان اعمل صالحا ترضاه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضى الله عز وجل
واصلح لي في ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها
نصلي اني تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك واني من المسلمين المخلصين لك
اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه
ويتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة
كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه
فان يتقبل ويتجاوز وعد الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال لوالديه اف
لكما مبتدأ خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه
فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراءات ذكرت في بني اسرائيل اتعدانني ان
اخرج ابعث وقرأ هشام اتعداني بنون واحدة مشددة وقد خلت القرون من قبلي
فلم يرجع احد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك او يسألانه ان يغيثه
بالتوفيق للايمان ويلك آمن اي يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما
يخاف على تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم التي
كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن
لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان اسلامه في امم قد خلت من قبلهم
كقوله في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم
على الاستيناف ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر
او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم
جزاءها وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها
وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض اذهبتم

اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام
غير ان ابن كثير يقرؤه بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين طيباتكم
لذائذكم في حياتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم
تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما
كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر
واذكر اخا عاد يعني هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع
فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر
من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة
حال او اعتراض الا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهي
عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم
قالوا اجئتنا لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فائتنا بما تعدنا من العذاب
على الشرك ان كنت من الصادقين في وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لي
بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له
وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول الا البلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون لا تعلمون
ان الرسل بعثوا منذرين مبلغين لا معذبين مقترحين فلما رأوه عارضا سحابا عرض
في افق السماء مستقبل اوديتهم متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا في قوله
قالوا هذا عارض ممطرنا اي يأتينا بالمطر بل هو اي قال هود بل هو ما استعجلتم به
من العذاب وقرئ قل بل ريح هي ريح ويجوز ان يكون بدلها فيها عذاب اليم
صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها وقرئ
يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء في ربها ويحتمل ان
يكون استينافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقتضيا لا يتقدم ولا يتأخر وتكون الهاء
لكل شيء فانه بمعنى الاشياء اذ لا يوجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشية الله
وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا فاصبحوا لا يرى الا
مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم
وقرأ عاصم وحمزة والكسائي لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك
نجزي القوم المجرمين روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت
الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم
وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما ههنا لانها توجب
التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد
مكناهم في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله يرجي المرء ما ان لا يراه
وتعرض دون ادناه الخطوب والاول اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم

وأشد قوة وآثارا وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا على
مانحها ويواظبوا على شكرها فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء من
الإغناء وهو القليل إذ كانوا يجحدون بآيات الله صلة لما أغنى وهو ظرف جرى
مجرى التعليل من حيث إن الحكم مرتب على ما أضيف إليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا
به يستهزئون من العذاب ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة من القرى كحجر ثمود
وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم
الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون
بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأول مفعولي اتخذوا الراجع إلى الموصول
المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل أو عطف بيان أو آلهة وقربانا حال أو مفعول له على
معنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع أن يستمدوا
بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك إفكهم وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره صرفهم
عن الحق وقرئ أفكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم أي جعلهم آفكين وأفكهم أي قولهم
الإفك أي ذو الإفك وما كانوا يفترون وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن أملناهم
إليك والنفر دون العشرة وجمعه أنفار يستمعون القرآن حال محمولة على المعنى فلما
حضروه أي القرآن أو الرسول قالوا أنصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمعه فلما
قضي أتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول ولوا إلى قومهم
منذرين أي منذرين إياهم بما سمعوا روي أنهم وافوا رسول الله صلعم بوادي النخلة
عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى
قيل إنما قالوا ذلك لأنهم كانوا يهودا أو ما سمعوا بأمر عيسى مصدقا لما بين يديه يهدي
إلى الحق من العقائد وإلى طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا
به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله تع فإن المظالم لا تغفر
بالإيمان ويجركم من عذاب أليم هو معد للكفار واحتج أبو حنيفة باقتصارهم على المغفرة
والإجارة على أن لا ثواب لهم والأظهر أنهم في توابع التكليف كبني آدم ومن لا يجب داعي
الله فليس بمعجز في الأرض إذ لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه أولياء يمنعونه
منه أولئك في ضلال مبين حيث أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه أولم يروا أن الله
الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز والمعنى أن قدرته
واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالإيجاد بقادر على أن يحيي الموتى أي قادر ويدل عليه
قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفي فإنه مشتمل على أن وما في حيزها ولذلك
أجاب عنه بقوله بلى إنه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان
على المقصود كأنه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ أراد ختمها بإثبات المعاد ويوم يعرض
الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله أليس هذا بالحق والإشارة

إلى العذاب

إلى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم
في الدنيا ومعنى الأمر هو الإهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل
أولوا الثبات والجد منهم فإنك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض وأولوا العزم أصحاب
الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين
فيها ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذى
قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب
على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه إنا لمدركون
قال كلا إن معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة
ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فإنه نازل بهم في وقته لا محالة كأنهم يوم يرون
ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى
يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به أو هذه السورة بلاغ أي كفاية أو تبليغ
من الرسول ويؤيده أنه قرئ بلغ وقيل مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض أي لهم وقت
يبلغون إليه كأنهم إذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب أي بلغوا
بلاغا فهل يهلك إلا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ أو الطاعة وقرئ
يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي صلعم من قرأ

سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد ص مدنية وقيل مكية وآيها سبع او ثمان وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول في الإسلام وسلوك طريقه أو منعوا
الناس عنه كالمطعمين يوم بدر أو شياطين قريش أو المصرين من أهل الكتاب أو عام في
جميع من كفر وصد أضل أعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الأسارى وحفظ الجوار
ضالة أي ضائعة محبطة بالكفر أو مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن أو ضلالا حيث لم
يقصدوا به وجه الله أو أبطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله وإظهار دينه
على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والأنصار والذين
آمنوا من أهل الكتاب وغيرهم وآمنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الإيمان
به تعظيما لشأنه وإشعارا بأن الإيمان لا يتم دونه وأنه الأصل فيه ولذلك أكده بقوله وهو
الحق من ربهم اعتراض على طريقة الحصر وحقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء
للفاعل وأنزل على البناء ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالإيمان و
عملهم الصالح وأصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد ذلك
إشارة إلى ما مر من الإضلال والتكفير والإصلاح وهو مبتدأ خبره بأن الذين كفروا اتبعوا
الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع

هؤلاء الحق وهذا التصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك سمي تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب
يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب
امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين
وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب
اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول
ضما الى التأكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة
حيث امكن وتصوير له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه
من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فأسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر
ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمراد التخيير
بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف وهو الاطلاق
اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند ابي حنيفة او
مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدى كعصا حتى
تضع الحرب اوزارها آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي
تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى تضع اهل الحرب شركهم
ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او المن والفداء او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام
الاربعة
جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى ذلك اي الامر
ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم بالاستيصال
ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم
فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم
كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا وقرأ البصريان
وحفص قتلوا اي استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل
ويضل على البناء للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم
ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها
به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها
لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين
آمنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت
اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم
فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه
بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه واضل اعمالهم
ويتعسوا تعسا
عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف
المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال

والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استأصل
عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر
امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله سنة الله
التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين آمنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى
لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه
بمعنى المالك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين غافلين
عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل ومقام وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي
اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار السبب
اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على
بينة من ربه حجة من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين كمن زين له
سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة كالمشرك والعاصي
مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن
هو خالد وتقديره أمثل اهل الجنة كمثل من هو خالد او أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري وتقدير الكلام
عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك
بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره
أفمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان
ما يمتاز به من على بينة في الآخرة تقريرا لانكار المساواة فيها انهار من ماء غير آسن استئنا
[illegible] المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه
او باسن بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا
ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة ريح ولا
غائلة سكر وخمار انما هي تأنيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار
والنصب على العلة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك
تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها
والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس
ومغفرة من ربهم عطف على الصنف المحذوف او مبتدأ خبره محذوف اي لهم مغفرة كمن
هو خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة
ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلعم
ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة ماذا قال ويسمعون كلامه
آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وانفا

من قولهم انف الشي لما تقدم منه مستعارا من الجارحة ومنه استانف وائتنف وهو ظرف بمعنى
وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا
اهواءهم فلذلك استهزءوا وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى اي زادهم
الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول واتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون او اعانهم
على تقويهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تاتيهم بغتة
بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ ان تاتهم على انه شرط
مستانف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم والمعنى ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر
اماراتها كمبعث النبي وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ
لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اي اذا علمت سعادة المؤمنين
وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها
وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم
والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة
ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب ما له تبعة ما بترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا
فانها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه و
اعدوا لمعادكم ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة في امر الجهاد
فاذا انزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اي الامر به
رايت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه
من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم فويل لهم افعل من الولي وهو القرب او فعلى من آل
ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم طاعة وقول معروف استئناف
اي امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة ابي يقولون طاعة
فاذا عزم الامر اي جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف
وقيل فلو صدقوا الله اي فيما زعموا من الحرص على الجهاد او الايمان لكان الصدق
خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم او اعرضتم
وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية
وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى
انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم
ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا
وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم
في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا ارحامكم من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع
اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام
فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون

القرآن يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي ام على
قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير
وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط
جهالتها ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة
بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم
الى ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة
الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات
من السؤل وهو التمني وفيه ان السؤل مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل
ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف اي كيد الشيطان سول لهم
واملى لهم ومد لهم في الامال والاماني او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب
واملي لهم اي وانا املي لهم فتكون الواو للحال او الاستيناف وقرا ابو عمرو واملي على البناء
للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اي قال اليهود
الذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين
سنطيعكم في بعض الامر في بعض اموركم او في بعض ما تامرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة
في الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول والله يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا
الذي افشاه الله عليهم وقرا حمزة والكسائي وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم
الملائكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف
احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن
القتال له ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر
وكتمان نعت الرسول وعصيان الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيره
من الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج
الله ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين اضغانهم احقادهم ولو نشاء لاريناكهم
لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام
لام الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول
اسلوبه وامالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب
والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد
وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها ونبلوا اخباركم
ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها
وكذبها وقرا ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء ليوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على
تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم
الهدى هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم

ويجبنون منه

بعلاماتهم نسمهم

او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم
ثواب حسنات اعمالهم بذلك ومكائدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم
ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها
وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا
وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل من مات على كفره وان صح نزوله في اصحاب القليب ويدل
بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا الى السلم
ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدّعوا من ادّعى بمعنى دعا وقرأ
ابو بكر وحمزة بكسر السين وانتم الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم
ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته عنه من الوتر شبه
به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما الحياة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا
يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير
كربع العشر وعشره ان يسألكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة
وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم
على رسول الله والضمير في يخرج لله ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ
ويخرج بالياء والتاء ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون
وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو
يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضرر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى
لتضمنه معنى الامساك والتعدي فانه امساك عن مستحق والله الغني وانتم الفقراء فما يأمركم به فهو
لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا يستبدل
قوما غيركم يقم مقامكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي والزهد في الايمان وهم
الفرس لانه سئل عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه او الانصار او اليمن
او الملائكة عن النبي صلعم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه او بما اتفق له في تلك السنة كفتح
خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى
سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب فغزاهم
وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية آية عظيمة وهي انه نزح ماؤها
بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا

على الفرس في تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول عم في سورة الروم وقيل الفتح
بمعنى القضاء اي قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب
عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير
ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدي الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تأخر
جميع ما فرط منك مما يصح ان تعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة
ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا
نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة هو الذي انزل السكينة الثبات
والطمأنينة في قلوب المؤمنين حتى ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها او
انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الآخر
ولله جنود السموات والارض يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم
اخرى كما يقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها علة لما بعده لما دل عليه قوله
ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة
الله فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا
او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم
يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه
منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل
الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة
السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو
دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم
جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف
لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء
اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية
وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك
شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله
الخطاب للنبي والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه
بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له
بكرة واصيلا غدوة وعشيا او دائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء
وقرئ وتعزروه بسكون العين وتعزّروه بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه بالزايين

وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود
ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد له على سبيل التخييل فمن نكث نقض
العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى
في مبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه بضم الهاء وابن كثير
ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت في بيعة الرضوان سيقول لك
المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلعم
عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة
والخوف عن مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم
باشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا
فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل او هزيمة وخلل في المال والاهل
وعقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض
بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول
والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات
كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها
وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل
عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين
عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر
وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض
يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما
فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث
الالهي سبقت رحمتي على غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم
لتأخذوها يعني مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة
بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم
ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان
يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام
اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا
نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا
ان نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما
قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم

لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل
للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف
ستدعون الى قوم اولي بأس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلعم او المشركين
فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما
دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر
اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة
وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله
اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية
يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض
حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ومن
يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في
الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ
الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي
الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس
ابن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فحبسوه
فارجف بقتله فدعا رسول الله صلعم اصحابه فكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم
على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في قلوبهم
من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم
فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة يأخذونها يعني مغانم
خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها
وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس
عنكم ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي قريش بالصلح ولتكون
هذه الكفة او الغنيمة آية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول
في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على
محذوف هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتأخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك
ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة
على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة
وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى
فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته ذاتية
لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار
لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل

اي سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة
الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم ايدي كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة
في داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمس
مائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلعم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان
مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة
نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته
وقرا ابو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي
معكوفا ان يبلغ محله بدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ الهدي
وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا محله
الذي لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول صلعم حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية
على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم
باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا
وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال صلعم ان وطأة وطئها الله بوج وهو
واد بالطائف كان آخر وقعة النبي بها واصله الدوس وهو بدل الاشتمال من رجال ونساء
او من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة
بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره
اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم اي تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف
لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين
بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف
الايدي من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه
لزيادة الخير او للاسلام من يشاء من مؤمنيهم ومشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم
من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين
كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية
التي تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين انزل عليهم الوقار
والثبات وذلك ما روي انه عم لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد
العزى ومكرز بن حفص ليسالوه ان يرجع من عامه على ان تخلي له قريش مكة من القابل ثلاثة
ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا
ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم
انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة
فقال عم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة
عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم

الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى
سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من غيرهم واهلها والمستأهل لها وكان الله
بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء وييسره له لقد صدق الله رسوله الرؤيا رأى عم انه واصحابه
دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون
في عامهم فلما تاخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه
في رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل
ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا به وهو القصد الى التمييز بين الثابت
على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد
الحرام جوابه وعلى الاول جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة
تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا او
النبي لاصحابه آمنين حال من الواو والشرط معترض محلقين رؤوسكم ومقصرين اي
محلقا بعضكم ومقصرا آخرون لا تخافون حال مؤكدة او استيناف اي لا تخافون بعد
ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تاخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون دخولكم
المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام
ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان
باطلا او بتسليط المؤمنين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تاكيد لما وعد
من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول
الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدأ
والذين معه عطف عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد
ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على
المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضا سيماهم في وجوههم من اثر السجود
يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة
من اثر السجود بيانها او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور
او اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم في التوراة صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها
ومثلهم في الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستانف
او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره اخرج شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا افرخ وقرأ
ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف
الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا فآزره
فقواه من الموازرة بمعنى المعونة او من الايزار وهي الاعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان

فآزره كالجرَّ في آجر فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام
على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن
منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلّوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث
اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم
ذلك ومنهم للبيان عن النبي صلعم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مكية وهي ثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او
ترك لان المقصود نفي التقديم رأسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده
قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله مستعار
مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل
ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب
اجلاله واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم
يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم
عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا
اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه
باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد
الاستبصار والمبالغة في الاتعاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام
به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل
المعلل باعتبار التأدية لان في الرفع والجهر استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك
اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان في اذنه وقر
وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلعم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد
انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عم
لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة
ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة
عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر بعد ذلك يسرّانه حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرّنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها
فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم
بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها
للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر

واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان
ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة
المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة
في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على
خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها
ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل
الحجرة اذ لا بد وان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها
جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول
كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي عم وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من
ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين
له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس
وفدا على رسول الله صلعم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد
اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك وامروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم
لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب
ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت
بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان
الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت
السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج
لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا
لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف
بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف
والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم
الرسول يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي انه
بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم
مقاتليه فرجع وقال لرسول الله قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهمّ بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم
خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق
والنبأ للتعميم وفي تعليق الامر بالتبين على فسق المخبر جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق
على شيء بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على
الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا
اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين
بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع

وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دايرة مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزه
ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم
فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال
يجب تغييرها وهي انكم تريدون ان يتبع رايكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في
الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق وقوله ولكن الله حبب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم
وهو انهم من فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من
لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك هم الراشدون
اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره يتعدى بنفسه الى مفعول واحد
فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول آخر والكفر تغطية
نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا من الله ونعمة
تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا
من فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام والله عليم
باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حيث يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح
والدعاء الى حكم الله فان بغت احديهما على الاخرى تعدت عليها فقاتلوا التي تبغي
حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة
لرجوعها من الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم
الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا
واعدلوا في كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت في
قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عم بالسعف والنعال وهي تدل على ان الباغي
مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فاء الى امر الله وانه يجب معاونة
من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون
الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك
كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع المضمر مضافا الى
المامورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق
وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في مخالفة
حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى
ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين
والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال
لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال

الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلتين كقوم عاد وفرعون فاما
على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب
في المجامع وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ
عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب
بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز
فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرا يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدع
بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به
والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في صفية
بنت حيي اتت رسول الله صلعم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال
لها هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه
وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان
موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا
منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتامل حتى يعلم انه من اي القبيل فان من الظن ما يجب
اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات
والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الامور المعاشية
ان بعض الظن اثم تعليل مستانف للامر والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة
فيه من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل
من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته
ولذلك قيل للحواس الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم
تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء
في غيبته سئل عم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه
فقد بهته ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش
وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية
الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه
تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب
ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهي عنه
وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب
او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلعم
يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه
الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلعم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما

فقالا ما تناولنا لحماً فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلعم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرا البصريان لا يالتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم آمنا والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن

قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الآية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن به عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرا ابن كثير بالياء لما في الآية من الغيبة عن النبي صلعم من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقرآن ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم بهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه اوضح في الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه ائذا متنا وكنا ترابا اي انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد اي بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تاكل من اجساد موتاهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تاكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي او القرآن لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا خرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى آثار قدرة الله في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف

بهيج • تبصرة وذكرى لكل عبد منيب • راجع الى ربه متفكر في بدائع صنعه وهما علتان
للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير • ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع
فانبتنا به جنات • اشجارا وثمارا • وحب الحصيد • وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد كالبر
والشعير • والنخل باسقات • طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو
فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف •
لها طلع نضيد • منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر • رزقا للعباد
علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق • واحيينا به • بذلك الماء • بلدة ميتا • ارضا
جدبة لا نماء فيها • كذلك الخروج • كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم •
كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون • اراد اياه وقومه ليلائم ما قبله
وما بعده • واخوان لوط • اخوانه لانهم كانوا اصهاره • واصحاب الايكة وقوم تبع •
سبق في الحجر والدخان • كل كذب الرسل • اي كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير
لافراد لفظه • فحق وعيد • فوجب وحل عليهم وعيدي وفيه تسلية لرسول الله وتهديد لهم •
افعيينا بالخلق الاول • افعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد
لوجه عمله والهمزة فيه للانكار • بل هم في لبس من خلق جديد • اي هم لا ينكرون قدرتنا على
الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير
الخلق الجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد • ولقد خلقنا
الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه • ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت
الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا او للانسان
ان جعلت مصدرية والباء للتعدية • ونحن اقرب اليه من حبل الوريد • اي ونحن اعلم بحاله ممن كان
اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب
قال • والموت ادنى لي من الوريد • والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان
بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح
ترده • اذ يتلقى المتلقيان • مقدر باذكر او متعلق باقرب اي هو اعلم بحاله من كل قريب
حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ الملكين فانه
اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد تثبط العبد عن المعصية
وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام الحجة يوم يقوم الاشهاد • عن اليمين وعن
الشمال قعيد • اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس فحذف الاول
لدلالة الثاني عليه كقوله • فاني وقيار بها لغريب • وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد
كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير • ما يلفظ من قول • ما يرمي به من فيه • الا لديه رقيب
ملك يرقب عمله • عتيد • معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب او عقاب وفي الحديث
كاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا

واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر •
وجاءت سكرة الموت بالحق • لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته
وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر
عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد
بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق او الحق الذي ينبغي ان
يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة
الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانها جاءت به او على ان
الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت • ذلك
اي الموت • ما كنت منه تحيد • تميل وتفر عنه والخطاب للانسان • ونفخ في الصور • يعني نفخة
البعث • ذلك يوم الوعيد • اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى المصدر
نفخ • وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد • ملكان احدهما يسوقه والاخر يشهد بعمله
او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق
نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو
في حكم المعرفة • لقد كنت في غفلة من هذا • على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا
وله اشتغال ما عن الاخرة او للكافر • فكشفنا عنك غطاءك • الغطاء الحاجب لامور المعاد
وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها • فبصرك اليوم حديد
نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبي والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك
غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القران فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد
الاول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس • وقال قرينه • وقال الملك الموكل عليه
هذا ما لدي عتيد • هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي
وفي ملكي عتيد لجهنم هياته لها باغوائي واضلالي وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت
موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف • القيا في جهنم كل كفار • خطاب من الله تعالى
للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره
كقوله • فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا • او الالف بدل من
نون التوكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة • عنيد •
معاند للحق • مناع للخير • كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام
فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه • معتد • متعد • مريب • شاك
في الله وفي دينه • الذي جعل مع الله الها اخر • مبتدا متضمن لمعنى الشرط وخبره • فالقياه
في العذاب الشديد • او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره
فالقياه • قال قرينه • اي الشيطان المقيض له وانما استؤنف كما استؤنف الجمل الواقعة
في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه • ربنا ما اطغيته • كان الكافر قال هو اطغاني

فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الراي مائلا الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال اي الله لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استيناف مثل الاولى وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي اي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدي اي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلي لقوله لاملان او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرا نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اي شيئا غير بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرا ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدا خبره ادخلوها على تاويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او العقاب بعد غيب او هو غائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عقابه او بانهم يخشون خشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا قوة كعاد وثمود فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه هل من محيص اي هل لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا

في اسفارهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان في ذلك فيما ذكر في هذه السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب اي قلب واع يتفكر في حقايقه او القى السمع او اصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام مر تفسيره مرارا وما مسنا من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تع بدا خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلاة جمع دبر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وقرا الحجازيان وحمزة بالكسر وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالصلاة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع لما اخبرك به من احوال القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم ينادي المنادي اسرافيل او جبرائيل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا المصير للجزاء في الاخرة يوم تشقق تتشقق وقرا عاصم وحمزة والكسائي وخلف وابو عمرو بتخفيف الشين الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقران من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي صلعم من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية وهي ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولود فانهن يذرين

الاولاد او الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام
التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او
النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا
فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها
ويسرا صفة مصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور
من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهما من اسباب القسمة او الرياح يقسمن الامطار بتصريف
السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت
في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو
حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق
وان الدين لواقع جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى
الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء والواقع
الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي
مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق
او انها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل
وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم
والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر
وتارة انه مجنون او في القرآن او القيامة او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم
في اختلافها وتنافي اغراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك
عنه من افك يصرف عنه الضمير للرسول او القرآن او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد
منه فكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير
للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن اكل وعن شرب
اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اي من افك الناس وهم قريش كانوا
يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب القول المختلف
واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون
غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اي فيقولون متى يوم الجزاء اي
وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل
عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي يقولوا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون
هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته
ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به
ومعناه ان كل ما آتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا
اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما

وما مزيدة اي يهجعون في طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اي
في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه
مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي
هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم
وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي
بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم
حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم
للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين
اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات من الدحو والسكون و
ارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود
الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم اي وفي انفسكم
آيات اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة
والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة
واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السماء رزقكم
اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات
وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة
في السماء وقيل انه مستأنف خبره فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما وعلى
الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من الآيات والرزق والوعيد مثل ما انكم تنطقون
اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال
من المستكن في لحق او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته
الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه
صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائي وابي بكر بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم
فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد
والجماعة وقيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا
في صورة الضيف المكرمين اي مكرمين عند الله او عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته
اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما
قال سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن
من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائي قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون
اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم
او انه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان
من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين

لانه كان عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين يديهم قال الا تاكلون اي منه
وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول
ما وضعه وللانكار ان قاله حينما راى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما راى اعراضهم
عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف
انا رسل الله قيل مسح جبرئيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام
هو اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امراته سارة الى بيتها وكانت في زاوية تنظر
اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول فاقبلت باخذت
فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض
فلطمت وجهها من الحياء وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك
مثل ذلك الذي بشرنا به قال ربك وانما نخبرك به عنه انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا
وفعله محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون فلما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين
الا لامر عظيم سال عنه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم
حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة مرسلة من اسمت الماشية او معلمة
من السومة وهي العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور فاخرجنا من كان
فيها في قرية قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من المومنين ممن آمن بلوط
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان
والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المومن والمسلم على من اتبعه وذلك
لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة وتركنا فيها آية
علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها وهي تلك الاحجار او صخر
منضود فيها او ماء اسود منتن وفي موسى عطف على وفي الارض او وتركنا على معنى
وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين
هو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى
بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف
وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن
وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم
فاغرقناهم في البحر وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في
فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم
او لانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء اتت عليه
مرت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفي ثمود اذ قيل
لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم
فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب بعد الثلاثة وقرا الكسائي

الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة نهارا
فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز
عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله
يدل عليه او واذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي
بالجر من قبل من قبل هولاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة
بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى
الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق
والارض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء
من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات
وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان و
التوحيد وملازمة الطاعة اني لكم منه اي من عذابه المعد لمن اشرك وعصى نذير مبين
بين كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر منه ولا تجعلوا مع الله الها آخر
افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه اني لكم منه نذير مبين تكرير للتاكيد او الاول مرتب على ترك
الايمان والطاعة والثاني على الاشراك كذلك اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم
الرسول وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر
او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او ما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها اتواصوا
به اي كان الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم
طاغون اضراب عن ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول
مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة
فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ
وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المومنين من قدر الله ايمانه او من
آمن فانه يزداد بها بصيرة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة
متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان
الدليل يمنعه نافى ظاهر قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لآمرهم
بالعبادة او ليكونوا عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اي ما اريد ان
اصرفكم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمامورين به والمراد ان يبين
ان شانه مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في
تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسالكم عليه اجرا ان الله هو
الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا
الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان
للذين ظلموا ذنوبا اي للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب

نظرائهم

اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء
بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة او يوم
بدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل
ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور وهي ثمان او تسع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله والطور الجبل بالسريانية
او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب
مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله في اللوح
المحفوظ او الواح موسى او في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما تكتبه الحفظة
في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم
والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها
بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة
او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور
اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روي ان الله يجعل يوم القيمة البحار
نارا تسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من
دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله
وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب
والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف وتسير الجبال سيرا
اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم
الذين هم في خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون
اليها بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ
يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول
مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم تقولون
للوحي هذا سحر افهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم
لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت
ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا
او لا تصبروا اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء
عليكم اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما
كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيين في عدم النفع ان المتقين في جنات

في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين
ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو
ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية او في جنات او حال باضمار
قد من المستكن في الظرف او الحال او من فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا
اي اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون
بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه
متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج من معنى
الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى
الالصاق والقرن ولذلك عطف والذين آمنوا على حور اي قرناهم بازواج حور
ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدا خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض
للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم للمبالغة في كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع على
الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل
بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة
في اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة او الدرجة لما روي انه عليه السلام قال ان الله
يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن
عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم من عملهم من شيء بهذا الالحاق
فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم
وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم
من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله
مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع النعيم يتنازعون فيها يتعاطون
هم وجلساؤهم بتجاذب كأسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو
فيها ولا تأثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله
كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح
ويطوف عليهم اي بالكأس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم
الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عم
والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين
خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق
ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا
بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر

المحسن وقرأ نافع والكسائي بفتح همزة انه الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير
ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما
يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر
وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص
هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تامرهم احلامهم عقولهم بهذا بهذا التناقض في القول
فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون
متسق مخيل ولا يتاتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم
طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء
نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله
مثل القرآن ان كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال
المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا
من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء
من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك
عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة
فيها الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا
الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه
حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختاره حكمته ام هم
المسيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤوا ام لهم سلم مرتقى الى السماء
يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو
كائن فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات
ولكم البنون فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا ان يترقى بروحه
الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ام تسألهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم
من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب
اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم في
دار الندوة برسول الله صلعم فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير
للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم
الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته
ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم
او شركة ما يشركون به وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط
طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضه على بعض وهو جواب قولهم
فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة

وفي بعض النسخ قوم فصحاء

وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاي والباقون بالصاد سم

النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على المبني للمفعول من صعقه
او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء في رد العذاب
ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص
عذابا دون ذلك اي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة في الدنيا
كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك واصبر لحكم ربك بامهالهم
وابقائك في عنائهم فانك باعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين
لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان
قمت او من منامك او الى الصلاة ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس
وابعد عن الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت
النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت وعنه م من قرأ
سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة النجم مكية الا الذين يجتنبون الآية وآيها احدى او اثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم القيمة
او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا
علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض واذا
ارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد صلعم عن الطريق المستقيم والخطاب
لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى
وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى ان هو ما القرآن او الذي ينطق به الا وحي
يوحى الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه
بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ بالوحي لا الوحي علمه
شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه
قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة
حصافة في رأيه وعقله فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله
عليها قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير محمد م مرتين مرة في السماء ومرة في الارض
وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق الشمس والضمير لجبريل
ثم دنا من النبي فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى
فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقريرا لشدة قوته فان التدلي
استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدوالي
للثمر المعلق فكان جبريل كقولك هو مني معقد الازار او المسافة بينهما
قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل

ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما يوحى اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل الى عبده
عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبريل وفيه تفخيم للموحى به
او الله اليه وقيل الضماير كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة
المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس ما كذب
الفؤاد ما رأى ببصره من صورة جبريل او الله تعالى اي ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور
القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو
قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره او ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا
ويدل عليه انه عم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرئ ما كذب اي صدقه ولم
يشك فيه افتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه
من مري الناقة كان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائي وخلف
ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده
وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد رآه
نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية
في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد
رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة عند سدرة
المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها
شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة
عندها جنة المأوى الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة
ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عدد وقيل يغشاها الجم
الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلعم عما رآه
وما طغى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر
برؤيتها وما جاوزها لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي والله لقد رأى الكبرى من آياته
وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان يكون الكبرى
صفة للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا من آيات ربه او من مزيدة افرأيتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف
او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اي يطوفون وقرأ هبة الله
عن البزي ورويس عن يعقوب اللات بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت
السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها
رسول الله صلعم خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل
وخزاعة او لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين
ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة وهي مفعلة من النوء كانوا يستمطرون الانواء عندها

عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من
التأخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام
استوطنها جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرأيتم
تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو
الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم تأت وصفا وقرأ ابن كثير
بالهمز من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسماء الضمير للاصنام اي
ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شيء
من معنى الالوهية او للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء او للاسماء
المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى
لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم سميتم
بها وآباؤكم بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون
في تسميتها الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى الانفس
وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه ام للانسان
ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في
شفاعة الالهة وقولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم ونحوها فلله الآخرة والاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد
وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير
من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد ان يأذن الله في الشفاعة
لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف
تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد
منهم تسمية الانثى بان يسموه بنتا وما لهم به من علم اي بما يقولونه وقرئ بها اي
بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان الحق
الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما العبرة
به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا
فاعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا
بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك
امر الدنيا او كونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر
لقصور هممهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى
تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم
اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء

وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال من المهتدي وحفظ
احوالهم لذلك • ويجزي الذين احسنوا بالحسنى • بالمثوبة الحسنى وهو الجنة او باحسن
من اعمالهم او بسبب اعمالهم الحسنى • الذين يجتنبون كبائر الاثم • ما يكبر عقابه من
الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرا حمزة والكسائي
كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك • والفواحش • وما فحش من الكبائر خصوصا • الا اللمم
الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب
على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف • ان ربك واسع المغفرة • حيث
يغفر الصغائر باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله
عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم
وجوب العقاب على الله تعالى • هو اعلم بكم • اعلم باحوالكم منكم • اذ انشاكم من الارض
واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم • علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتداء خلقكم من
التراب بخلق آدم وحينما صوركم في الارحام • فلا تزكوا انفسكم • فلا تثنوا عليها بزكاء
العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل • هو اعلم بمن اتقى • فانه يعلم التقي
وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم • افرايت الذي تولى • عن اتباع الحق والثبات
عليه • واعطى قليلا واكدى • وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة
الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلعم
فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن
ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي •
اعنده علم الغيب فهو يرى • يعلم ان صاحبه يتحمل عنه • ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم
الذي وفى • وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك
لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال الك حاجة
اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا
نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التورية كانت اشهر واكثر عندهم • الا تزر وازرة
وزر اخرى • ان هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا من ما في صحف موسى او
الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره
ولا يخالف ذلك قوله كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما
قتل الناس جميعا وقوله من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة
فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره • وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه
سوف يرى • الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار
من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه • ثم يجزاه الجزاء
الاوفى • اي يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفى فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون

ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله • وان الى ربك
المنتهى • انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما في الصحف وكذلك
ما بعده • وانه هو اضحك وابكى • وانه هو امات واحيا • لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره
فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة • وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى • تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر
• وان عليه النشأة الاخرى • الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرا ابن كثير وابو عمرو
النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ • وانه هو اغنى واقنى • واعطى القنية وهو ما يتأثل
من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية • وانه هو
رب الشعرى • يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول صلعم
وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابي كبشة ولعل
تخصيصها للاشعار بانه صلعم وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها • وانه
اهلك عادا الاولى • القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد
الاخرى ارم وقرئ عاد الولى بحذف الهمزة ونقل ضمها الى لام التعريف وعاد لولى
بادغام التنوين في اللام • وثمودا • عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه • فما ابقى
الفريقين • وقوم نوح • ايضا معطوف عليه • من قبل • من قبل عاد وثمود • انهم كانوا هم
اظلم واطغى • من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك
والمؤتفكة • والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط • اهوى • بعد
ان رفعها فقلبها • فغشاها ما غشى • فيه تهويل وتعميم لما اصابهم • فباي آلاء ربك تتمارى
تتشكك والخطاب للرسول او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها آلاء
من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين • هذا نذير من
النذر الاولى • اي هذا القرآن نذير من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين
الاولين • ازفت الازفة • دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة
ليس لها من دون الله كاشفة • ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها
او الآن بتاخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من
غير الله كشف على انها مصدر كالعافية • افمن هذا الحديث • يعني القرآن • تعجبون • انكارا
وتضحكون • استهزاء • ولا تبكون • تحزنا على ما فرطتم • وانتم سامدون • لاهون او مستكبرون من
سمد البعير في مسيره اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء
فاسجدوا لله واعبدوا • اي واعبدوه دون الالهة عن النبي صلعم من قرا سورة والنجم اعطاه
الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم • اقتربت الساعة وانشق القمر • روي ان الكفار سالوا

رسول الله صلعم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيمة ويؤيد الاول انه قرئ وقد
انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله وان
يروا آية يعرضوا عن تأملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على
انهم رأوا قبله آيات اخر مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة
يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او
مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق
بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وكل امر مستقر
منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى
الى غاية ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة
امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن من الانباء انباء القرون
الخالية او انباء الآخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال
تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها
حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها
موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او استفهام
انكار اي فاي غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او المصدر بمعنى الانذار
فتول عنهم لعلمك بان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون
الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم
بيخرجون او باضمار اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيمة
وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث
اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر
غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وعاصم خشعا
وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ
خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا كأنهم جراد منتشر في الكثرة والتموج
والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه
يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا
نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب
تبعه قرن مكذب او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر
وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن
وتخبطته فدعا ربه اني باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب غلبني قومي
فانتصر فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه
حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء

السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ
ابن عامر ويعقوب ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا
الارض كلها كأنها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء
ماء السماء وماء الارض وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا
على امر قد قدر على حال قدرها الله في الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو
ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه
على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو
الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا
بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها
فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ
لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها اذ شاع خبرها
واشتهر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها
فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن
سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا
فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت
عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم
انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت في يوم نحس شؤم مستمر
مستمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احد او اشتد
مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا في الشعاب
والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى كأنهم اعجاز نخل منقعر اصول
نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت
اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان
عذابي ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة
كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذارات او المواعظ او الرسل
فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ
بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون
اشرافهم نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر كأنهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه
على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة االقي الذكر الكتاب او الوحي
عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا
بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب الاشر

واستمر صح

ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه ص

مستمر صح

الاول على انه النذر مصدر بمعنى الانذار والثاني على انه
جمع نذير بمعنى الانذار والثالث مع انه جمع نذير بمعنى
المنذر وفي بعض النسخ بالانذارات والمواعظ
فحينئذ قوله بالمواعظ عطف تفسيره

الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل صالح ام من كذبه وقرا ابن عامر وحمزة
ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر
في حذر والاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة ما يصنعون به
مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون
واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب
العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم
قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترا على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى السيف
فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة
صيحة جبرئيل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي يجمعه من يعمل الحظيرة لاجلها او
كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم
الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا
ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا ال لوط نجيناهم بسحر في سحر
وهو اخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر
نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا
فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم
فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرئيل صفقة فاعماهم
فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ
بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم
الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة
اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ
واستينافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وكذا تكرير قوله فباي الاء ربكما تكذبان وويل
يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء ال فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك
كذبوا باياتنا كلها يعني الايات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء
اكفاركم يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار المذكورين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله
ام لكم براءة في الزبر ام نزل لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من عذاب الله
ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب
او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار
وافراده لارادة الجنس او لان كل احد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل
النبوة وعن عمر انه لما نزلت قال لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلعم يلبس
الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق
بهم في الدنيا فمن طلائعه والساعة ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى

لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا
وسعر ونيران في الاخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا
مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار والمها فان مسها سبب للتالم بها وسقر علم
لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شيء خلقناه بقدر اي
انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب
بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق
المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من
النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة
ومعاناة او الا كلمة واحدة وهي قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله
وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر
متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر
مسطور في اللوح ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من
النهار وقرئ بضم الهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد
صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام
عن النبي صلعم من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وايها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القران لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها
بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقران وتنزيله وتعليمه فانه اساس
الدين ومنشا الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق
لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما ميز
به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف
الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على
نهج التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما
ويتسق بذلك امور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب
والنجم النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان
ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال
واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا
ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه
عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام
العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ورتبة فانها منشا
ومرتبه

منشأ القضية ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل
بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه السلام
بالعدل قامت السموات والارض او ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانه
لما وصف السماء بالرفعة من حيث انها مصدر القضايا والاقدار وصف الارض بما فيها مما يظهر
به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب ان لا تطغوا في الميزان
لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول
واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود
من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ لا تخسروا بفتح
التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل
والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة
ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام اوعية الثمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف
وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار والثمرة والحب ذو العصف كالحنطة
والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات كالتبن والريحان يعني المشموم او
الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان
اي خلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وهو فيعلان
من الروح فقلب الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان فقلب واوه ياء للتخفيف فباي الاء
ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق الانسان
من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله
آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه
وخلق الجان الجن او ابا الجن من مارج من صاف من الدخان من نار بيان لمارج فانه
في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فباي الاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في
اطوار خلقكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين
مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فباي الاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى
كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين
ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان
يتجاوران وتتماس سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان
منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما على الاخر
بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فباي الاء ربكما تكذبان
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان
الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا
صارا كالشيء الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب

يخرج وقرئ نخرج ونخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان فباي الاء ربكما تكذبان وله
الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا اربع حسان
واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر
بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال
جمع علم وهو الجبل الطويل فباي الاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى
اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها
من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان ويبقى وجه ربك
ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية في حد ذاتها
الا وجه الله اي الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل
العام فباي الاء ربكما تكذبان اي مما ذكرنا قبل من ابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة
وفضلا او مما رتب على فناء الكل من الاعادة والحيوة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات
والارض فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال
ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا كان او غيره كل يوم هو في شان كل وقت يحدث
اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا
ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فباي الاء
ربكما تكذبان اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان
سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك
لمن تهدده سأفرغ لك فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائي بالياء وقرئ
سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة
رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فباي الاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات
والارض هاربين من الله فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون
على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما
في السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون
عليها بافكاركم فباي الاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة
او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى
يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس ودخان قال يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل
الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة
ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس وهو جمع
كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فباي الاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف والتمييز
بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الالاء فاذا انشقت السماء

وردة أي حمراء كوردة وقرئ بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله فلئن
بقيت لأرحلن بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم
لما يدهن به كالحزام أو جمع دهن وقيل هو الأديم الأحمر فبأي آلاء ربكما تكذبان أي مما يكون
بعد ذلك فيومئذ أي فيوم تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان لأنهم يعرفون
بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون إلى الموقف ذودا ذودا على اختلاف
مراتبهم وأما قوله فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للإنس باعتبار
اللفظ فإنه وإن تأخر لفظا تقدم رتبة فبأي آلاء ربكما تكذبان أي مما أنعم الله على عباده
المؤمنين في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ
بالنواصي والأقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالأقدام أخرى
فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار يحرقون
بها وبين حميم ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم أو يسقون منه وقيل
إذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه
موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب أو قيامه على أحواله من قام عليه إذا راقبه أو مقام
الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين فأضاف إلى الرب تفخيما وتهويلا أو ربه ومقام مقحم
للمبالغة كقوله ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الإنسي
والأخرى للخائف الجني فإن الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة
لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي أو جنة يثاب بها وأخرى
يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا
أفنان أنواع من الأشجار والثمار جمع فن أو أغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب
من فرع الشجر وتخصيصها بالذكر لأنها التي تورق وتثمر وتمد الظل فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان تجريان حيث شاؤوا في الأعالي والأسافل قيل إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف أو رطب ويابس
فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من إستبرق من ديباج ثخين وإذا كانت
البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين أو حال منهم لأن من خاف في معنى
الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ
بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فإن جنتان يدل على جنان هي للخائفين
أو فيما فيهما من الأماكن والقصور أو في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة
والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لم يطمثهن إنس
قبلهم ولا جان لم يمس الإنسيات إنس والجنيات جن وفيه دليل على أن الجن يطمثون
وقرأ الكسائي بضم الميم فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان أي في حمرة
الوجنة وبياض البشرة وصفائهما فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الإحسان في العمل

في العمل إلا الإحسان في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن
دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين فبأي
آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة وفيه إشعار
بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض وعلى الأوليين
الأشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان
نضاختان فوارتان بالماء وهو أيضا أقل مما وصف به الأوليين وكذا ما بعده فبأي آلاء
ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فإن ثمرة النخل فاكهة
وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به أبو حنيفة على أن من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رطبا
أو رمانا لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات أي خيرات فخفف لأن خيرا الذي بمعنى
أخير لا يجمع وقد قرئ على الأصل حسان حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان حور
مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة أي
مخدرة أو مقصورات الطرف على أزواجهن فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان
كحور الأوليين وهم لأصحاب الجنتين فإنهما تدلان عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على
رفرف وسائد أو نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط أو ذيل الخيمة وقد يقال
لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان العبقري منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد
الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى فبأي آلاء
ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث إنه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم
بمعنى الصفة أو مقحم كما في قوله إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والإكرام وقرأ ابن
عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي صلعم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي سبع أو ست أو تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا وقعت الواقعة إذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب إذا بمحذوف
مثل اذكر أو كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة أي لا يكون حين تقع نفس تكذب
على الله أو تكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي أو ليس لأجل
وقعتها كاذبة فإن من أخبر عن وقعتها صدق أو ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها
بإطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليهما من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم إذا
شجعته على مباشرته وسولت له أنه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير
لعظمتها فإن الوقائع العظام كذلك أو بيان لما يكون حينئذ من خفض أعداء الله ورفع أوليائه
أو إزالة الأجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال
إذا رجت الأرض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف
متعلق بخافضة أو بدل من إذا وقعت وبست الجبال بسا فتتت حتى صارت كالسويق

الملتوت من بس السويق إذا لته أو سيقت وسيرت من بس الغنم إذا ساقها فكانت
هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم أزواجا أصنافا ثلاثة وكل صنف يكون أو يذكر مع
صنف آخر زوج فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة
فأصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل
أو أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها
بشمائلهم أو أصحاب اليمن والشؤم فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء
مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما بإقامة الظاهر مقام الضمير
ومعناهما التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون والذين سبقوا إلى الإيمان
والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان أو سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات
أو الأنبياء فإنهم مقدموا أهل الأديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول
أبي النجم وشعري شعري أو الذين سبقوا إلى الجنة أولئك المقربون في جنات النعيم
الذين قربت درجاتهم في الجنة وأعليت مراتبهم ثلة من الأولين أي هم كثير من الأولين
يعني الأمم السالفة من لدن آدم إلى محمد عليهما الصلوة والسلام وقليل من الآخرين يعني
أمة محمد صلعم ولا يخالف ذلك قوله عم إن أمتي يكثرون سائر الأمم لجواز أن يكون سابقو
سائر الأمم أكثر من سابقي هذه الأمة وتابعوا هذه أكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في أصحاب
اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين لأن كثرة الفريقين لا تنافي أكثرية أحدهما وروي
مرفوعا أنهما من هذه الأمة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر آخر للضمير
المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من الوضن
وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على يطوف عليهم
للخدمة ولدان مخلدون مبقون أبدا على هيئة الولدان وطراوتهم بأكواب وأباريق
حال الشرب وغيره والكوب إناء لا عروة له ولا خرطوم والإبريق إناء له ذلك
وكأس من معين من خمر لا يصدعون عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم
أو لا ينفد شرابهم وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون أي لا يتفرقون وفاكهة مما
يتخيرون أي يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف على ولدان
أو مبتدأ محذوف الخبر أي وفيها أو ولهم حور عين وإسعات العيون وقرأ حمزة والكسائي
بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف أي هم في جنات ومصاحبة حور أو على أكواب
لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون
حورا كأمثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا
يعملون أي يفعل ذلك كله بهم جزاء بأعمالهم لا يسمعون فيها لغوا أي باطلا
ولا تأثيما ولا نسبة إلى الإثم أي لا يقال لهم أثمتم إلا قيلا أي قولا سلاما سلاما
بدل من قيلا لقوله لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما أو صفته أو مفعوله بمعنى إلا أن يقولوا

أن يقولوا سلاما أو مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام
على الحكاية وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك إذا
قطعه أو مثني أغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز
أو أم غيلان وله أنوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من أسفله
إلى أعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم
أين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب أو مصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين في التنعم بأعلى
ما يتصور لأهل المدن شبه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتمناه أهل البوادي إشعارا بالتفاوت
بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الأجناس لا مقطوعة لا تنقطع في وقت ولا ممنوعة
ولا تمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر أو منضدة مرتفعة وقيل الفرش
النساء وارتفاعها أنها على الأرائك ويدل عليه قوله إنا أنشأناهن إنشاء أي ابتدأناهن
ابتداء جديدا من غير ولادة إبداء أو إعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا
عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد كلما أتاهن أزواجهن
وجدوهن أبكارا فجعلناهن أبكارا عربا متحببات إلى أزواجهن جمع عروب وسكن
الراء حمزة وروي عن نافع وعاصم مثله أترابا فإن كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا أزواجهن
لأصحاب اليمين متعلق بأنشأنا أو جعلنا أو صفة لأبكارا أو خبر لمحذوف مثل هن أو لقوله
ثلة من الأولين وثلة من الآخرين وهي على الوجوه الأول خبر محذوف وأصحاب الشمال
ما أصحاب الشمال في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة
وظل من يحموم من دخان أسود يفعول من الحمة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع
نفي بذلك ما أوهم الظل من الاسترواح إنهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات
وكانوا يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث أي الحلم
ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف بر فيها وتحنث إذا تأثم وكانوا يقولون
أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على إنكار البعث مطلقا
وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله أوآباؤنا الأولون للدلالة على أن
ذلك أشد إنكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في قوله
لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر أو بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه
مبعوثون لا هو للفصل بإن والهمزة قل إن الأولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون
إلى ميقات يوم معلوم إلى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له ثم إنكم
أيها الضالون المكذبون أي بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم لآكلون من شجر
من زقوم من الأولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع
فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على معنى الشجر
واللفظ وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فإنه تفسيرها فشاربون شرب الهيم الإبل

التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء
لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل
الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه
اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرا نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين هذا نزلهم يوم
الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم
بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا
تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من
قدر على الابداء قدر على الاعادة افرايتم ما تمنون اي ما تقذفونه في الارحام من النطف
وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها اانتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا ام نحن
الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وقرا
ابن كثير بتخفيف الدال وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته
او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال
او علة لقدرنا وعلى بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على ان
نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا
تعلمون في خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون
ان من قدر عليها قدر على النشاة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء
وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس افرايتم ما تحرثون تبذرون حبه اانتم
تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم
تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصي فتحدثون
فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم
على الاصل انا لمغرمون اي لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من
الغرام وقرا ابو بكر ائنا على الاستفهام بل نحن قوم محرومون حرمنا رزقنا او محدودون
لا مجدودون افرايتم الماء الذي تشربون اي العذب الصالح للشرب اانتم
انزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب
ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء
جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما
يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص ما
يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب بمزيد التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم
الضرورية افرايتم النار التي تورون تقدحون اانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون
يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث
كما مر في سورة يس او في الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة

للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او الذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام
من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر
اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح
لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون
لنعمه او للتعجب من امرهم في غمط نعمه او للشكر على ما عدها من النعم فلا اقسم اذ الامر اوضح
من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدا
واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه قراءة فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه
بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود
مؤثر لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها
وقرا حمزة والكسائي بموقع وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على
عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى
وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين
الموصوف والصفة انه لقرآن كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح
المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه
الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة
او لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي او لا يطلبه الا المطهرون
من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم
او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة
للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اي نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القرآن
انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به
وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ
شكركم اي تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وتكذبون اي بقولكم في القرآن انه سحر
وشعر او في المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اي النفس وانتم حينئذ تنظرون
حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب اليه الى المحتضر منكم
عبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه
ما يجري عليه فلولا ان كنتم غير مدينين اي مجزيين يوم القيامة او مملوكين مقهورين من دانه
اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها
وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها دليل
جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته
ان كنتم صادقين في تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم
فاما ان كان من المقربين اي ان كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ

فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان ورزق
طيب وجنة نعيم ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين
من اصحاب اليمين اي من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين الضالين
يعني اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به
فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها ان هذا
اي الذي ذكر في السورة او في شان الفرق لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين
فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مدنية وقيل مكية واياتها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض ذكر ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة
والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان ما اسند اليه ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة
جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقا في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه
يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وانما عدي باللام وهو معدى بنفسه
مثل نصحت له في نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم
حال يشعر بما هو المبدا للتسبيح له ملك السموات والارض فانه الموجد لها والمتصرف
فيها يحيي ويميت استيناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور في له وهو على كل شيء
من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات
من حيث انه موجدها ومحدثها والاخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع
النظر عن غيرها او هو الاول الذي تبتدئ منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات او الاول
خارجا والاخر ذهنا والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن
حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شيء والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة
للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل شيء عليم يستوي عنده الظاهر
والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج
في الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل من السماء كالامطار وما
يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون
بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض
ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها امنوا بالله ورسوله
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي
في الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق

على الانفاق وتهوين له على النفس فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه
مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير
وتنكير الاجر ووصفه بالكبر وما لكم لا تؤمنون بالله اي وما تصنعون غير مؤمنين
كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون
والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والايات وقد اخذ ميثاقكم
اي وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من
مفعول يدعوكم وقرا ابو عمرو على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب
لا مزيد عليه هو الذي ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم اي الله او العبد من الظلمات
الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم حيث نبهكم بالرسول
والايات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا واي شيء لكم في ان
لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله ميراث السموات والارض يرث
كل شيء فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب
كان اولى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة لبيان تفاوت المنفقين
باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري الافضل منها بعد
الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده
عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق
من الذين انفقوا من بعد اي من بعد الفتح وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى اي وعد الله كلا
من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرا ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده
ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والاية
نزلت في ابي بكر فانه اول من امن وانفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف
به على الهلاك من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا من ذا الذي ينفق ماله في سبيله
رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل
الجهات له فيضاعفه له اي يعطي اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم
اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا
وقرا عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكانه قال ايقرض الله احد
فيضاعفه له وقرا ابن كثير فيضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب فيضعفه منصوبا يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعفه او مقدر باذكر يسعى نورهم
ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف
اعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم اليوم جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم
اي المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك
هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة يوم يقول المنافقون

اولئك
اعظم درجة

والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة
كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون
بنور بين ايديهم وقرأ حمزة أنظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم
نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق
الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثم يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا
آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة فضرب بينهم
بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن
السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار
ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق
وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر
حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم
فدية فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأواكم
النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها
وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي مكان
قول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم
ضرب وجيع او متوليكم كما توليتم موجباتها وبئس المصير النار الم يأن للذين آمنوا ان
تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته يقال أنى الامر يأني أنيا وأنى وإنا اذا جاء اناه و
قرئ الم يئن من آن يئين بمعنى أنى والم يأن روي ان المؤمنين كانوا مجدبين
بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق
اي القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر
الله وقرأ نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ أنزل ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما
حكى عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اي فطال عليهم الاجل لطول اعمارهم وآمالهم
او ما بينهم وبين انبيائهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون
خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء
الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين
والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله
ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين
اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص
يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان

خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
والشهداء عند ربهم اي اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون
في الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم
او على الامم يوم القيامة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم مثل
اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور
الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود
في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة
عرفا اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به الى الفوز الآجل بان
بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا
اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس
الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم
قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل
لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او
الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى
قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي
يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة بقوله وفي الآخرة عذاب شديد
ومغفرة من الله ورضوان تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى
ثم اكد ذلك بقوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها
سابقوا سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها
وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك
بالطول وقيل المراد به البسط كقوله فذو دعاء عريض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله
فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد
منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة ولا في انفسكم
كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله من قبل ان نبرأها نخلقها والضمير
للمصيبة او للارض او للانفس ان ذلك ان اثباته في كتاب على الله يسير لاستغنائه
فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا
ولا تفرحوا بما آتاكم بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو
بما اتاكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها

وأما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الأسى المانع عن التسليم
لأمر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور
إذ قل من يثبت نفسه حالتي الضراء والسراء الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل
بدل من كل مختال فخور فإن المختال بالمال يضن به غالبا أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه
بقوله ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد لأن معناه ومن يعرض عن الإنفاق فإن الله
غني عنه وعن إنفاقه محمود في ذاته لا يضره الإعراض عن شكره ولا ينفعه التقرب إليه
بشيء من نعمه وفيه تهديد وإشعار بأن الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر
فإن الله الغني لقد أرسلنا رسلنا أي الملائكة إلى الأنبياء أو الأنبياء إلى الأمم بالبينات
بالحجج والمعجزات وأنزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان
ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط وإنزاله إنزال أسبابه
والأمر بإعداده وقيل أنزل إلى نوح ويجوز أن يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به
الأعداء كما قال وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد فإن آلات الحروب متخذة منه
ومنافع للناس إذ ما من صنعة إلا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال
الأسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فإنه حال يتضمن تعليلا أو اللام
صلة لمحذوف أي أنزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن في ينصره إن الله قوي
على إهلاك من أراد إهلاكه عزيز لا يفتقر إلى نصرة وإنما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا
ثواب الامتثال فيه ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب
بأن استنبأناهم وأوحينا إليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية أو من المرسل
إليهم وقد دل عليهم أرسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول
عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على أن الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم
برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم أي أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى والضمير لنوح
وإبراهيم ومن أرسلا إليهم أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية فإن الرسل المقفى بهم من الذرية
وآتيناه الإنجيل وقرئ بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل لأنه أعجمي وجعلنا في قلوب
الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية أي وابتدعوا رهبانية
ابتدعوها أو رهبانية مبتدعة على أنها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة
والانقطاع عن الناس منسوبة إلى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي
وقرئت بالضم كأنها منسوبة إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم
ما فرضناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء
رضوان الله وقيل متصل فإن ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الإيجاب المقصود
منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله
ابتدعوها إلا أن يقال ابتدعوها ثم ندبوا إليها أو ابتدعوها بمعنى استحدثوها وأتوا بها

أو رأوا أنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم فما رعوها فما رعوها جميعا حق رعايتها بضم
التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عم ونحوها إليها فآتينا الذين آمنوا
أي أتوا بالإيمان الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك الإيمان بمحمد عم منهم من المتسمين باتباعه
أجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حد الاتباع يا أيها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة
اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد عم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته
لإيمانكم بمحمد وإيمانكم بمن قبله ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق وإن كان منسوخا ببركة الإسلام
وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور في
قوله يسعى نورهم أو الهدى الذي يسلك به إلى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم
لئلا يعلم أي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده أنه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولأن يعلم بإدغام النون
في الياء أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله أن هي المخففة والمعنى أنه لا ينالون
شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لأنهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالإيمان أو
لا يقدرون على شيء من فضله فضلا أن يتصرفوا في أعظمه وهو النبوة فيخصوها بمن أرادوا
ويؤيده قوله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى
لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبي عم والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون
وأن الفضل عطفا على أن لا يعلم وقرئ ليلا ووجهه أن الهمزة حذفت وأدغمت النون في اللام
ثم أبدلت ياء وقرئ ليلا على أن الأصل في الحروف المفردة الفتح عن النبي صلعم من قرأ سورة
الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وآيها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله روي أن خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها
زوجها أوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلعم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني
فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر أولادها وشكت إلى الله تع فنزلت هذه الآيات الأربع
وقد تشعر بأن الرسول والمجادلة يتوقع أن الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها
وأدغم حمزة والكسائي وأبو عمرو وهشام دالها في السين والله يسمع تحاوركما
تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب إن الله سميع بصير للأقوال والأحوال الذين
يظهرون منكم من نسائهم الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي مشتق من الظهر
وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فإنه كان من أيمان أهل
الجاهلية وأصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من
اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر ما هن أمهاتهم أي على الحقيقة إن أمهاتهم إلا
اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة إلا من ألحقها الله بهن كالمرضعات وأزواج الرسول صلعم
وقرئ أمهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بأمهاتهم وهو أيضا على لغة من ينصب وإنهم ليقولون

منكرا من القول إذ الشرع أنكره وزورا منحرفا عن الحق فإن الزوجة لا تشبه الأم وإن الله
لعفو غفور لما سلف منه مطلقا أو إذا تيب عنه والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا أي إلى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما أفسد وهو بنقض ما يقتضيه
وذلك عند الشافعي بإمساك المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه إذ التشبيه
يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو أقل ما ينتقض به وعند أبي حنيفة باستباحة استمتاعها
ولو بنظرة بشهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع أو بالظهار في الإسلام على
أن قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار إذ كانوا يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثوري
أو بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية أو معنى بأن يحلف على ما قال وهو قول أبي مسلم أو إلى المقول
فيها بإمساكها أو استباحة استمتاعها أو وطئها فتحرير رقبة أي فعليهم أو فالواجب إعتاق
رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة فيه
مقيدة بالإيمان عندنا قياسا على كفارة القتل من قبل أن يتماسا أن يستمتع كل من المظاهر
والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه أو أن يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك
قبل التكفير ذلكم أي ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به لأنه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة
للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه خافية فمن لم يجد أي الرقبة والذي غاب
ماله واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فإن أفطر لغير عذر لزم الاستئناف
وإن أفطر لعذر ففيه خلاف وإن جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لأبي حنيفة
ومالك فمن لم يستطع أي الصوم لهرم أو مرض مزمن أو شبق مفرط فإنه عم رخص للأعرابي
المفطر أن يعدل لأجله فإطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله صلعم وهو رطل
وثلث لأنه أقل ما قيل في الكفارات وجنسه المخرج في الفطرة وقال أبو حنيفة يعطي كل مسكين
نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وإنما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين
أو لجوازه في خلال الطعام كما قال أبو حنيفة ذلك أي ذلك البيان أو التعليم للأحكام ومحله
النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله أي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله
في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين
أي الذين لا يقبلونها عذاب أليم وهو نظير قوله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين
إن الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فإن كلا من المتعاديين في حد غير حد الآخر
أو يضعون أو يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا كما كبت أخزوا أو أهلكوا وأصل
الكبت الكب الذين من قبلهم يعني كفار الأمم الماضية وقد أنزلنا آيات بينات
تدل على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم
يبعثهم الله منصوب بمهين أو بإضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع أحدا غير مبعوث أو مجتمعين
فينبئهم بما عملوا أي على رؤوس الأشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم أحصاه الله
أحاط به عددا لم يغب منه شيء ونسوه لكثرته أو تهاونهم به والله على كل شيء شهيد

لا يغيب عنه شيء ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض كليا وجزئيا ما يكون من
نجوى ثلاثة ما يقع من تناجي ثلاثة ويجوز أن يقدر مضاف أو يأول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة
صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الأرض فإن السر أمر مرفوع إلى الذهن لا يتيسر
لكل أحد أن يطلع عليه إلا هو رابعهم إلا الله يجعلهم أربعة من حيث إنه يشاركهم في الاطلاع عليها
والاستثناء من أعم الأحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة إلا هو سادسهم وتخصيص العددين
إما لخصوص الواقعة فإن الآية نزلت في تناجي المنافقين أو لأن الله وتر يحب الوتر والثلاثة
أول الأوتار أو لأن التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما
وقرئ ثلاثةً وخمسةً بالنصب على الحال بإضمار يتناجون أو تأويل نجوى بمتناجين ولا أدنى
من ذلك ولا أقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا أكثر كالستة فما فوقها إلا هو معهم
يعلم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب ولا أكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى أو محل ولا أدنى
إن جعلت لا لنفي الجنس أينما كانوا فإن علمه بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت
باختلاف الأمكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء
إن الله بكل شيء عليم لأن نسبة ذاته المقتضية للعلم إلى الكل على السواء ألم تر إلى الذين نهوا
عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما
بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله ثم عادوا لمثل فعلهم
ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول أي بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص
بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروي عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى وإذا
جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك أو أنعم صباحا والله سبحانه تعالى يقول
وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون في أنفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا
الله بما نقول هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها
فبئس المصير جهنم يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية
الرسول كما يفعل المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن
خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله الذي إليه تحشرون فيما تأتون
وتذرون فإنه مجازيكم عليه إنما النجوى أي النجوى بالإثم والعدوان من الشيطان
فإنه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين آمنوا بتوهمهم أنها في نكبة أصابتهم
وليس الشيطان أو التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا إلا بإذن الله إلا بمشيئته
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلا يبالوا بنجواهم يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس
توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني أي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس
الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع أو مجلس رسول الله فإنهم كانوا يتضامون به تنافسا على
القرب منه وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان
والرزق والصدر وغيرها وإذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة أو لما أمرتم به كصلاة أو جهاد

او انفضوا عن المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله
الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وايوائهم غرف الجنان في الآخرة
والذين اوتوا العلم درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم
والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم
في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر
على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه يا ايها الذين
آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار
ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول وانتفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال
والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب
لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي رضي الله عنه ان
في كتاب الله آية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم
وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ
روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي ذلك التصدق خير لكم واطهر اي
لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم
لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب أأشفقتم ان تقدموا بين
يدي نجواكم صدقات أخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان
عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم
بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام
مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلاة وآتوا الزكوة فلا تفرطوا
في ادائهما واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك
والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر الى الذين تولوا والوا قوما غضب الله عليهم
يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب
وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد
دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروي انه عم كان في حجرة من
حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن
نبتل المنافق وكان ازرق فقال عم له علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل
ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم
ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اي التي حلفوا
بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه جنة وقاية دون دمائهم واموالهم فصدوا
عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب
مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة

الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي لله على انهم مسلمون ويقولون كما يحلفون
لكم في الدنيا انهم لمنكم ويحسبون انهم على شيء لانه تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيل
لهم في الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم في الدنيا الا انهم
هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون
عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حذت الابل وحزتها اذا استوليت عليها
وهو مما جاء على الاصل فانساهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب
الشيطان جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم
النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين
في جملة من هو اذل خلق الله تع كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي بالحجة وقرأ نافع
وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم
وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا آباءهم او ابناءهم
او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم اولئك اي الذين
لم يوادوهم كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم
الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم بروح
منه اي من عند الله وهو نور القلب والقرآن والنصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب
لحياة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم بطاعتهم
ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار دينه
الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبي صلعم من قرأ سورة المجادلة
كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية وهي اربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه عم لما قدم المدينة صالح
بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المنعوت في التورية
بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف في اربعين
راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلعم اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة
ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة
بخيبر والحيرة فانزل الله سبح الى قوله والله على كل شيء قدير هو الذي اخرج الذين كفروا
من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم
هذا الذل قبل ذلك او في اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم

من حشر اليه او في اول حشر الناس الى الشام واخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة
فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان
الى آخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله
اي ان حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة
على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز ان
يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتاهم الله اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء
وقيل الضمير للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اي العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا
لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملأها
يخربون بيوتهم بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها وايدي
المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على
ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير
للرعب وقرا ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل
او ترك الشيء خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم
ولا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة
من حال الى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررنا في الكتب الاصولية
ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي
كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار استيناف معناه انهم ان نجوا من
عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله
فان الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد
لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة اي شيء قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان
وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها اليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر
باللينة قائمة على اصولها وقرئ على اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه كرهن
فباذن الله فبامره وليخزي الفاسقين علة لمحذوف اي فعلتم او واذن لكم في القطع
ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روي انه عم لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد
في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم
زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان
حقيقا بان يكون له لانه تع خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو
جدير بان يكون للمطيعين منهم من بني النضير او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على
تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب
الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فيء بني النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة
فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلعم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط

الانصار منه شيئا الا ثلاثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف
الرعب في قلوبهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها
ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف
سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تع للتعظيم ويصرف الآن سهم
الرسول الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس
خمسه كالغنيمة فانه عم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على
الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء وقرا هشام في رواية بالتاء
دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ
دولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم وقرا هشام دولة بالرفع
على كان التامة اي كيلا تقع دولة جاهلية وما آتاكم الرسول وما اعطاكم من الفيء او من الامر
فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهاكم عنه عن اخذه منه او عن
اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفة رسوله ان الله شديد العقاب لمن خالفه للفقراء
المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى
خصص الابدال بما بعده او الفيء بفيء بني النضير الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان
كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم
بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون
الذين ظهر صدقهم في ايمانهم والذين تبوؤا الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد
بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان
فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوؤا الدار واخلصوا
الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم
من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والايمان يحبون
من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة
كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون
على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امراتان نزل عن واحدة
وزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن
يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم
المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل والذين جاؤا من بعدهم هم الذين
هاجروا من بعد حين قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة
ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان اي لاخواننا في الدين ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا حقدا لهم

ربنا انك رءوف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم
الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة
لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم او خذلانكم احدا ابدا اي من
رسول الله والمؤمنين وان قوتلتم لننصرنكم اي لنعاوننكم والله يشهد انهم لكاذبون
لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة
النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما
ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم الله ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين
يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية مصدر
للفعل المبني للمفعول في صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله
على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون
لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود
والمنافقون جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر
لفرط رهبتهم وقرا ابن كثير وابو عمرو جدار وامال ابو عمرو فتحة الدال باسهم بينهم شديد
اي ليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد باسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب في
قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين
وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون
ما فيه صلاحهم وان تشتت قلوبهم يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل
بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان
قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا
ولهم عذاب اليم في الآخرة كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغواه على الكفر اغراء الآمر المأمور فلما كفر قال اني
بريء منك اني اخاف الله رب العالمين تبرأ عنه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك
كما قال فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد بالانسان
الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الآية وقيل
راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما وخالدان على انه خبر ان وفي النار لغو
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة سماه به لدنوه او لان الدنيا
كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن
للآخرة كانه قال ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد او الاول في اداء
الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون
وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم فجعلهم

فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم
انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
الذين استكملوا نفوسهم فاستاهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا
على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القرآن على
جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتخييل كما في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله
وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان
على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على
الادغام هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب عن الحس
من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقدم الغيب لتقدمه في الوجود
وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الله الذي لا اله الا هو الملك
القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة
من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به
على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز
الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر حالهم بمعنى اصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب
حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك هو الله
الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت
المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء واخواتها
فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني يسبح له
ما في السموات والارض لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات
باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلعم من قرأ سورة الحشر غفر الله
له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة
فانه لما علم ان رسول الله صلعم يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم وارسل
مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل فبعث رسول الله صلعم عليا وعمارا وطلحة والزبير
والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب
حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت فسل
علي السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلعم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال
يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش
وليس لي فيهم من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا

نصحتك بمعنى نصيحة الرسول صلعم التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لما امر به ونهى عنه

غشه لم يمحضه النصح او اظهر

تصديقه رسول الله صلعم وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم المودة بالكتابة والباء
مزيدة او اخبار رسول الله بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت
على غير من هي له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون الفعل وقد كفروا
بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو
حال من كفروا او استيناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب
والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم عن اوطانكم
جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف
دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استيناف معناه اي طائل
لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي منكم
وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ومن يفعله منكم اي يفعل الاتخاذ
فقد ضل سواء السبيل اخطأه ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء
المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا لو
تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء
وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوهم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم
الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول
فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرأ حمزة والكسائي بكسر
الصاد والتشديد وفتح الفاء وعاصم يفصل وقرأ ابن عامر يفصل على البناء للمفعول مع
التشديد وهو بينكم والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة حسنة
قدوة اسم لما يؤتسى به في ابراهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال من المستكن
في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان انا برآء
منكم جمع بريء كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او
بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى
تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان يأتسوا به
فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك لك من الله من شيء من تمام قوله المستثنى
ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك
المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع
العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا
بعذاب لا نحتمله واغفر لنا ما فرط ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان
حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على
التأسي بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر فانه

من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التأسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه
بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤا
عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك
والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله
عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان
قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالقسط اي العدل
ان الله يحب المقسطين العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها
اسماء بنت ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت انما ينهاكم الله عن الذين
قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا
في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال
ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها يا ايها الذين آمنوا اذا
جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن
لسانهن في الايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات
العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما
ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاول لحصول الفرقة
والثاني للمنع عن الاستيناف واتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح
الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد
مهورهن اذ روي انه عم كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة
فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله فحلفت فاعطى زوجها
ما انفق وتزوجها عمر ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين
ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان
ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما تعتصم به الكافرات
من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان
ولا تمسكوا بالتشديد واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا
ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم
استيناف او حال من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم
يشرع ما يقتضيه حكمته وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد
من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم او شيء من مهورهن
الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور

نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب
في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه
زوجها الكافر روي انه لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهور الكوافر
فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة
واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به مما يقتضي التقوى منه يا ايها النبي اذا جاءك
المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عم لما فرغ من بيعة الرجال
اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد وأد البنات
ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة تأمرهن
بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول لا يأمر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية
الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن
الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار
او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم
قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة
المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى
الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبي عم من قرأ سورة الممتحنة
كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مدنية وقيل مكية آيها اربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها الذين آمنوا
لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه
اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم
مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر على حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالها
معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت
اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه
كل عظيم مبالغة في المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر
وصف به كانهم بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى
والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او
كان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالأدرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم
بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه
وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل
الى الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة

الى الجنة واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له
فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا في حال تصديقي لما تقدمني
من التورية وتبشيري برسول يأتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال
لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد يعني محمدا صلعم والمعنى ديني التصديق
بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين
فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة
ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عم ومن اظلم ممن افترى
على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته
المقتضي له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسله وتسمية آياته سحرا فانه
يعم اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا
يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا
واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها
في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله يعني دينه او كتابه او حجته بافواههم
بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
وحفص بالاضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن
او المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على جميع الاديان
ولو كره المشركون لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي
الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم
يعني ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله
يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام
تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل ادلكم
لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات
عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم
الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل
على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على
الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل
او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل
قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا ايها
المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما آجلا وعاجلا يا ايها الذين آمنوا

كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض
انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى
نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار الله فان الاضافة الاولى اضافة احد
المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه
باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم
عيسى من انصاري الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به من الحور وهو
البياض وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة اي
بعيسى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى فاصبحوا
ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي صلعم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا
له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات
الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون
ولا يقرؤون رسولا منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد
منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة
القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى
نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها
وآخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة الى يوم
الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز
في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله وذلك
الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء تفضلا منه وعطية والله ذو الفضل
العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة مثل الذين حملوا التورية علموها وكلفوا
العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم
يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار
معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي مثل الذين كذبوا وهم اليهود المكذبون بآيات
الله الدالة على نبوة محمد صلعم ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف
والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله
من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا
من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه

ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموه من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين
فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذي تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم
مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم
معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغير فاء ويجوز ان يكون
الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
بان يجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة اي اذن لها من يوم الجمعة
بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه
كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله صلعم انه لما قدم المدينة
نزل قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار بني سالم بن عوف فاسعوا
الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة
والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اي السعي
الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين
او كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلاة اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا
من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا
الله كثيرا واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلاة لعلكم تفلحون بخير الدارين
واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه عم كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام
فخرج الناس اليهم الا اثني عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان
المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض
لمجرد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع
بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا
اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب
خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما يتوهمون من نفعهما والله خير الرازقين
فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي عم من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين وآيها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور
والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب
او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبي

فصدوا عن سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم
ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال
المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم آمنوا بسبب انهم آمنوا ظاهرا
ثم كفروا سرا او آمنوا اذا رأوا آية ثم كفروا حيث سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع
على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون
صحته واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم
لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلعم في جمع مثله
فيتعجب بهياكلهم ويصغي الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور في لقولهم اي تسمع
لما يقولون مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم
والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ
ابو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن في جمع بدنة
يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز
ان يكون صلته والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب
قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب
من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق
واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن
ذلك ورأيتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين
الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق هم الذين يقولون اي للانصار
لا تنفقوا على من عند رسول الله يعنون فقراء المهاجرين حتى ينفضوا ولله خزائن السموات
والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض
الغزوات على ماء فضرب الاعرابي رأسه بخشبة فشكا الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل
رسول الله صلعم وقرئ لنخرجن بفتح النون وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب
الاعز والاذل على هذه القراءات مصدرا او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن
المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا
اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلاة وسائر العبادات
المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال
ومن يفعل ذلك اي اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا

لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا
للآخرة من قبل ان يأتي احدكم الموت اي يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتني
امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك
وجزم اكن للعطف على موضع فاصدق وما بعده وقرأ ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على فاصدق
وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا اذا
جاء اجلها آخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة

عن النبي صلعم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مدنية او مكية وآيها ثماني عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد
قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة
ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر
مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله
بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة
وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف
الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير
فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون
وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة
المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته
اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم يأتكم
ايها الكفرون نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم
ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار
ولهم عذاب اليم في الآخرة ذلك اي المذكور من العذاب والوبال بانه بسبب انه
كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون
الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات
واستغنى الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده
كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى المفعولين
وقد قام مقامهما ان مع ما في حيزه قل بلى اي بلى تبعثون وربي لتبعثن قسم اكده بالجواب
ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول
القدرة التامة فآمنوا بالله ورسوله محمد صلعم والنور الذي انزلنا يعني القرآن فانه
باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه

يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب
والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول
السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة
على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الآخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله
ويعمل صالحا عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك اشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله
الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كأنها والآية المتقدمة بيان
للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن
بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام
الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمز اي يسكن والله بكل شيء عليم حتى
القلوب واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين
اي فان توليتم فلا بأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل
المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا تأمنوا
غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها
وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل
عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته
على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم
وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه
خيرا لانفسكم اي افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون
صفة مصدر محذوف تقديره انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ومن يوق
شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال فيما امره
قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة
واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور
يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم
تام القدرة والعلم عن النبي صلعم من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة او ثلاث عشرة او احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كنداهم
او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع
فيه فطلقوهن لعدتهن اي وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها للتأقيت
ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة
بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان
الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد
صح ان ابن عمر لما طلق امرأته حائضا امره عم بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة
واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن
لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن
باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين
دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله الا ان يأتين بفاحشة
مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا
ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها
فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد
ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري اي النفس او انت ايها النبي والمطلق
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استيناف فاذا بلغن اجلهن
شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب
او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا
لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع
وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة واقيموا الشهادة لله
ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه ذلكم يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على
جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد
على الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن
وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شأن
الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين
بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر
المؤمنين وعنه عم اني لأعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها
وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلعم فقال اتق الله
واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل
غفل عنها العدو فاستاقها وفي رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع ومن يتوكل على الله فهو
حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة وقرئ
بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا او مقدارا

او اجلا لا يتأتى بغيره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان
العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي جهلتم فعدتهن ثلاثة اشهر روي انه لما نزل
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت واللائي لم يحضن
اي واللائي لم يحضن بعد كذلك واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن
حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من
محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات
وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثمه ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت
بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلعم فقال قد حللت فتزوجي ولانه متأخر
النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه
ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير
ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها
يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن من
حيث سكنتم اي مكانا من مكان سكناكم من وجدكم من وسعكم اي مما تطيقونه وهو عطف
بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى
الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل
على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم
بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع واتمروا بينكم بمعروف
وليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى
امراة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق
مما آتاه الله اي لينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها
فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعده باليسر فقال سيجعل
الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكاين من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله
اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة
وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقق
فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اصلا
اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور به في قوله فاتقوا
الله يا اولي الالباب ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في
صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا
يعني بالذكر جبرئيل لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن او لانه مذكور في السموات او
ذو ذكر اي شرف او محمد صلعم لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال

كذا في اكثر النسخ ولكن فيراعي بحذف اليا كما في بعض النسخ وكذا الكلام في فيراعي الآتي

بالانزال ترشيحا او لانه سبب انزال الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القرآن
ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا والرسول مفعوله او بدله على انه بمعنى الرسالة
يتلو عليكم آيات الله مبينات حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين ليخرج الذين
آمنوا وعملوا الصالحات اي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج
من علم او قدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله
ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر
ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجب وتعظيم لما رزق من الثواب الله الذي خلق
سبع سموات مبتدا وخبر ومن الارض مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض
وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ
حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما علة لخلق او
يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه وعن النبي عم من قرا سورة الطلاق

مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم مدنية وهي ثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عم خلا بمارية في يوم عائشة او حفصة فاطلعت
على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة
سودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات ازواجك
تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان الداعي والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز
تحريم ما احله الله رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشيئة
حتى لا يحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا او تحريم المرأة
يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عم اتى بلفظ
اليمين كما قيل والله مولاكم متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله
واحكامه واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان
الخلافة بعده لابي بكر وعمر فلما نبأت به اي فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث واظهره
الله عليه واطلع النبي عم على الحديث اي على افشائه عرف الرسول حفصة بعضه
بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما او جازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز
عن بعض ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق
اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال
نبأني العليم الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات
للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن

عن الواجب من مخالصة الرسول بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وإن تظاهرا عليه بما يسوءه
وقرأ الكوفيون بالتخفيف فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم
من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فإن الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين
قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص
جبريل للتعظيم والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالإضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة
من جملة ما ينصره الله به عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن على التغليب أو تعميم
الخطاب وليس فيه ما يدل على أنه لم يطلق حفصة وأن في النساء خيرا منهن لأن تعليق طلاق
الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وأبو عمرو يبدله بالتشديد
والباقون بالتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات قانتات
مصليات أو مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات متعبدات أو متذللات
لأمر الرسول سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لأنه يسيح بالنهار بلا زاد أو مهاجرات
ثيبات وأبكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولأنهما في حكم صفة واحدة إذ المعنى مشتملات
على الثيبات والأبكار يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات وأهليكم
بالنصح والتأديب وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم أنفس القبيلين على تغليب
المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة
تلي أمرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخلق شداد
الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة لا يعصون الله ما أمرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون
فيما يستقبل أو لا يمتنعون عن قبول الأوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا أيها الذين
كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي
عن الاعتذار لأنه لا عذر لهم أو العذر لا ينفعهم يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا
بالغة في النصح وهو صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الإسناد المجازي
مبالغة أو في النصاحة وهي الخياطة كأنها تنصح ما خرق الذنب وقرأ أبو بكر بضم النون وهو
مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور أو النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح أو
تنصح نصوحا أو توبوا نصوحا لأنفسكم وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة أشياء
على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم
على أن لا تعود وأن تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم أن يكفر عنكم
سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ذكر بصيغة الإطماع جريا على عادة الملوك
وإشعارا بأنه تفضل والتوبة غير موجبة وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزي
الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبي إحمادا لهم وتعريضا لمن ناوأهم
وقيل مبتدأ خبره نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم أي على الصراط يقولون إذا طفئ
نور المنافقين ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير وقيل يتفاوت أنوارهم

أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلا يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين
بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم به إذا بلغ الرفق مداه ومأواهم
جهنم وبئس المصير جهنم أو مأواهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط
مثل الله حالهم في أنهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي والمؤمنين من النسبة
بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق
فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج إغناء ما وقيل ادخلا أي لهما
عند موتهما أو يوم القيامة النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة
بينهم وبين الأنبياء وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون شبه حالهم في أن وصلة
الكافرين لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها عند الله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله
إذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك أو في أعلى
درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السوء ونجني من القوم الظالمين
من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنة عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل
التي أحصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها أي في مريم من روحنا من
روح خلقناه بلا توسط أصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه
وكتبه وما كتب في اللوح أو جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ
بكلمة الله وكتابه أي بعيسى والإنجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة
والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم
أو من نسلهم فتكون من ابتدائية عن النبي صلعم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت
مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة
على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه صلعم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر وآيها ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الأمور كلها وهو على كل شيء قدير
على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحياة قدرهما أو أوجد الحياة وأزالها حسبما قدره
وقدم الموت لقوله وكنتم أمواتا فأحياكم ولأنه أدعى إلى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة
المختبر بالتكليف أيها المكلفون أيكم أحسن عملا أصوبه وأخلصه وجاء مرفوعا أحسن
عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى
المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لأنه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل
عنها بخلاف ما إذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من أساء
العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سماوات طباقا مطابقة بعضها فوق
بعض مصدر طابقت النعل إذا خصفتها طبقا على طبق وصف به أو طوبقت طباقا أو ذات

طباق جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
وقرأ حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم
التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر والجملة صفة ثانية
للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته
الباهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول او لكل مخاطب
وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبيب اي قد نظرت اليها مرارا
فانظر اليها مرة اخرى متأملا فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها
ما ينبغي لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين
اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك اجاب
الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار
وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا اقرب السموات
الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب
مركوزة في سموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتنكير للتعظيم وجعلناها رجوما للشياطين
وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها
رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم
به واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا
بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم و
عذاب على عذاب السعير وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت
الحمير وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم
وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج جماعة من الكفرة
سألهم خزنتها الم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير اي فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب
حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل
او مصدر مقدر بمضاف اي اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله
على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد
جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية
للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا او عقابه الذي يكونون فيه
وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم
بالمعجزات او نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير
في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب
لم يجمع لانه في الاصل مصدر او المراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله سحقا اي

ابعدهم من رحمته والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل ان الذين
يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن
اعين الناس او بالمخفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير تصغر دونه لذائذ
الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها
سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته وهو
اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه
المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روي ان المشركين كانوا
يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله به رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم
هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها او جبالها
وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل
بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله واليه النشور
المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم ءامنتم من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم
او الله تعالى على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى في السماء وعن
ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وءامنتم بقلب الثانية الفا وهو
قراءة نافع وابي عمرو ورويس ان يخسف بكم الارض فيغيبكم بها كما فعل بقارون وهو
بدل من من بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب
ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ان يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير
كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم
فكيف كان نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول وتهديد لقومه اولم يروا
الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن
قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على
التحرك ولذلك عدل الى صيغة الفعل للفرق بين الاصل في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن
في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأهن
للجري في الهواء انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب امن هذا الذي
هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى الم تنظروا في امثال هذه
الصنائع فلم تعلموا قدرتنا على تعذيبكم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله
ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن
تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذي بصلته صفته
وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور لا معتمد لهم امن هذا الذي
يرزقكم امن يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر وسائر
الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو عناد ونفور وشراد عن

عن الحق لتنفرطبا عنهم عنه أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى يقال كببته فأكب وهو من الغرائب
كقشع الله السحاب فأقشع والتحقيق أنهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي
كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا أنه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه
واختلاف أجزائه ولذلك قابله بقوله أمن يمشي سويا قائما سالما من العثار على صراط مستقيم
مستوي الأجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين
ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للإشعار بأن ما عليه المشرك لا يستأهل أن يسمى
طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الأعمى فإنه يعتسف فينكب و
بالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه إلى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على
قدميه إلى الجنة قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والأبصار لتنظروا
صنائعه والأفئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت لأجلها
قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون للجزاء ويقولون متى هذا الوعد أي الحشر
أو ما وعدوا من الخسف والحاصب إن كنتم صادقين يعنون النبي والمؤمنين قل إنما العلم
أي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وإنما أنا نذير مبين والإنذار يكفي له العلم بل الظن
بوقوع المحذر منه فلما رأوه أي الوعد فإنه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة أي قرب منهم
سيئت وجوه الذين كفروا بأن علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي
كنتم به تدعون تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء أو تدعون أن لا بعث فهو من
الدعوى قل أرأيتم إن أهلكني الله أماتني ومن معي من المؤمنين أو رحمنا بتأخير
آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم أي لا ينجيهم أحد من العذاب متنا أو بقينا وهو جواب
لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذي أدعوكم إليه مولى النعم كلها آمنا به للعلم بذلك
وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم بأن غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص
والإشعار به فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرأ الكسائي بالياء قل أرأيتم
إن أصبح ماؤكم غورا غائرا في الأرض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين
جار أو ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلعم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

سورة ن مكية الا انا بلوناهم الى يعلمون فى نهايتها وآيها نتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

ن من أسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس أو البهموت وهو الذي عليه الأرض أو الدواة
فإن بعض الحيتان يستخرج منه شيء أشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الأول سكونه وكتبه
بصورة الحروف والقلم هو الذي خط اللوح أو الذي يخط به أقسم به لكثرة فوائده و
أخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون إجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فإن النون الساكنة
تخفى مع حروف الفم إذا اتصلت بها وقد روي ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر
كصاد وما يسطرون والضمير للقلم بالمعنى الأول على التعظيم أو بالمعنى الثاني على

على إرادة الجنس وإسناد الفعل إلى الآلة وإجراؤه مجرى أولي العلم لإقامته مقامهم أو لأصحابه
أو الحفظة وما مصدرية أو موصولة ما أنت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما أنت بمجنون
منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي والعامل في الحال معنى النفي وقيل مجنون والباء لا تمنع عمله فيما قبله
لأنها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وإن لك لأجرا على الاحتمال والإبلاغ غير ممنون
مقطوع أو ممنون به عليك من الناس فإنه تعالى يعطيك بلا توسط وإنك لعلى خلق عظيم إذ تحتمل من
قومك ما لا يحتمله أمثالك وسئلت عائشة عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن
قد أفلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون أيكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة أو
بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو بأي الفريقين منكم المجنون أبفريق
المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم إن ربك هو أعلم بمن ضل
عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو أعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين
تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن تلاينهم بأن تدع نهيهم عن الشرك أو توافقهم
فيه أحيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف أي ودوا التداهن
وتمنوه لكنهم أخروا إدهانهم حتى تدهن أو للسببية أي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا
إدهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمني ولا تطع كل
حلاف كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الرأي من المهانة وهي الحقارة هماز عياب
مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الإيمان والإنفاق
والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم أثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله إذا قاده
بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي مأخوذ من زنمتي الشاة وهما
المتدليتان من أذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل
الأخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده في زهرة أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه
آياتنا قال أساطير الأولين أي قال ذلك حينئذ لأنه كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره
لكن العامل مدلول قال لا نفسه لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز أن يكون علة للا تطع أي لا تطع من
هذه مثالبه لأن كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وأبو بكر أأن كان على الاستفهام
غير أن ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين أي لأن كان ذا مال كذب أو أتطيعه لأن كان ذا مال
وقرئ إن كان بالكسر على أن شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الأولاد
أو أن شرطه للمخاطب أي لا تطع شارطا يساره لأنه إذا أطاع للغنى فكأنه شرطه في الطاعة
سنسمه بالكي على الخرطوم على الأنف وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقي أثره وقيل
هو عبارة عن أن يذله غاية الإذلال كقولهم جدع أنفه ورغم أنفه لأن السمة على الوجه سيما
على الأنف شين ظاهر أو نسود وجهه يوم القيامة إنا بلوناهم بلونا أهل مكة بالقحط
كما بلونا أصحاب الجنة يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادي
الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل أو ألقته الريح أو بعد عن البساط الذي

يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق
علينا الأمر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال إذ أقسموا ليصرمنها
مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون ولا يقولون إن شاء الله وإنما
سماه استثناء لما فيه من الإخراج غير أن المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه
أو لأن معنى لا أخرج إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد أو لا يستثنون حصة المساكين
كما كان يخرج أبوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتدأ منه
وهم نائمون فأصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول
أو كالليل باحتراقها واسودادها أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لأن
كلا منهما ينصرم عن صاحبه أو كالرمال فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم أي أخرجوا
أو بأن اخرجوا إليه غدوة وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الإقبال أو تشبيه الغدو للصرام بغدو
العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء إن كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون
يتشاورون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش أن لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين أن مفسرة وقرئ بطرحها على إضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول
المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا وغدوا على حرد قادرين
وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر وحاردت الإبل
إذا منعت درها والمعنى أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون
فيها إلا على النكد أو وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع
وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به أي لم يقدروا إلا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون
وقيل القصد والسرعة قال أقبل سيل جاء من أمر الله يحرد حرد الجنة المغلة أي غدوا قاصدين
إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما رأوها أول ما رأوها قالوا
إنا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل نحن أي بعد ما تأملوا وعرفوا أنها هي محرومون
حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا قال أوسطهم رأيا أو سنا ألم أقل لكم لولا تسبحون لولا
تذكرونه وتتوبون إليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا
سبحان ربنا إنا كنا ظالمين أو لولا يستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم
أو لأنه تنزيه عن أن يجري في ملكه ما لا يريده فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا
فإن منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من أنكره قالوا يا ويلنا
إنا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف
بالخطيئة وقد روي أنهم أبدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف إنا إلى ربنا راغبون راجون
العفو طالبون الخير وإلى لانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك
الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر أعظم منه
لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم إلى العذاب إن للمتقين عند ربهم في الآخرة

في الآخرة أو في جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص أفنجعل
المسلمين كالمجرمين إنكار لقول الكفرة فإنهم كانوا يقولون إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد
ومن معه لم يفضلونا بل نكون أحسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات
فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له وإشعار بأنه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأي أم لكم كتاب
من السماء فيه تدرسون تقرؤون إن لكم فيه لما تخيرون إن لكم ما تختارونه وتشتهونه
وأصله أن لكم بالفتح لأنه المدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للمدروس
أو استئنافا وتخير الشيء واختاره أخذ خيره أم لكم أيمان علينا عهود مؤكدة بالأيمان
بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين إلى يوم
القيامة متعلق بالمقدر في لكم أي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم
في ذلك اليوم أو ببالغة أي أيمان تبلغ ذلك اليوم إن لكم لما تحكمون جواب القسم
لأن معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم سلهم أيهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه
أم لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين في
دعواهم إذ لا أقل من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن أن يتشبثوا
به من عقل أو نقل يدل عليه لاستحقاق أو وعد أو محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب
النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة
كأنه لما نفى أن تكون التسوية من الله نفى بهذا أن تكون مما يشركون الله به يوم يكشف عن
ساق يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تشمير المخدرات
عن سوقهن في الهرب قال حاتم أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها
الحرب شمرا أو يوم يكشف عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق
الإنسان وتنكيره للتهويل والتعظيم وقرئ بالتاء على بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة
أو الحال ويدعون إلى السجود توبيخا على تركهم السجود إن كان اليوم يوم القيامة أو يدعون
إلى الصلوات لأوقاتها إن كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته أو زوال
القدرة عليه خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود
في الدنيا أو في زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحو العلل فيه فذرني ومن
يكذب بهذا الحديث كله إلي فإني أكفيكه سنستدرجهم سنستنزلهم من العذاب درجة درجة
بالإمهال وإدامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم
لأنهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين وأملي لهم وأمهلهم إن كيدي متين لا يدفع بشيء
وإنما سمى إنعامه استدراجا بالكيد لأنه في صورته أم تسألهم أجرا على الإرشاد فهم من مغرم
من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون عنك أم عندهم الغيب اللوح أو المغيبات فهم يكتبون
منه ما يحكمون به ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم
ولا تكن كصاحب الحوت يونس إذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا في

... ساق
أي شمرا أخو الحرب ... والألف للإشباع

في الصحراء فيبتلي ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير
الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان
يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة
والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه بان رد الوحي
اليه او استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين
في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين
هم رسول الله صلعم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين
وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم
لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك او يهلكونك
من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون
يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله
فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص
بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك
اي ليهلكونك لما سمعوا الذكر اي القرآن اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم
ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه
لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا و
امتنهم رأيا عن النبي صلعم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية آيها احدى وخمسون او اثنتان وخمسون
بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة ما الحاقة اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي تحق فيها الامور
اي تعرف حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهي
مبتدأ خبره ما الحاقة واصلها ما هي اي اي شيء هي على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر
موضع الضمير لانه اهول لها وما ادراك ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها
فانها اعظم من ان يبلغها دراية احد وما مبتدأ وادراك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة
بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير
الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في
الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها
مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت
او البرد من الصر او الصر عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها
او على عاد فلم يقدروا على ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف او صفة
جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب

سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الداء اذا تابعت
بين كيه او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون
مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده
القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت
عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن
فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرهم فيها في مهابها او في الليالي والايام صرعى
موتى جمع صريع كأنهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من
باقية من بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرأ البصريان
والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات
قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ
فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية زائدة في الشدة زيادة
اعمالهم في القبح انا لما طغى الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو
يؤيد من قبله حملناكم اي آباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح لنجعلها لكم
لنجعل الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع
وحكمته وكمال قهره ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بكتف
والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية من شأنها ان تحفظ
ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه
مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشأنها وتنبيها على امكانها
عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب
على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض
والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة
فضرب الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا
لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب التسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض دكاء
للمتسعة المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيامة وانشقت السماء لنزول الملائكة
فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها
جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان
على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء
او فوق الثمانية لانها في نية التقديم يومئذ ثمانية ثمانية املاك لما روي مرفوعا انهم اليوم اربعة
فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله
ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال

يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة
الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل
الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله حتى يكون العرض
للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على الناس كما قال يوم تبلى
السرائر وقرا حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول
تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها هاء يا رجل وهاء يا امراة وهاؤما يا رجلان
او امراتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب
العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي
حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام
ولذلك قرئ باثباتها في الوصل انى ظننت انى ملاق حسابيه اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا
بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا
فهو في عيشة راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها
صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او
الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر
دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا
او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام
الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتني لم اوت كتابيه
ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث
بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي كانه صادفها امر من الموت فتمناه عندها
او يا ليت حيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والتبع وما
نفي والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس
او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه يقولها الله لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه
الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا
اي طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على
حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم
لتفاوت ما بينها في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة الاستيناف للمبالغة
وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام
المسكين ولا يحث على بذل طعامه او اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض
للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع
ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب
فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم

وصديدهم فعلين من الغسل لا يأكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد
الذنب لا من الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها
فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث
واقسم مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول
الخالق والمخلوقات باسرها انه ان القرآن لقول رسول يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول
عن نفسه كريم على الله وهو محمد او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة
قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن
كما تدعون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرون تذكرا قليلا ولذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان
مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكره الا معاند
بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة
ومعاني اقوالهم وقرا ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين
نزله على لسان جبريل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال
المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه
ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون
عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم
من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس
وانه وان القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على
تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين لليقين
الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه
وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وآيها اربع او ثلاث واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدي الفعل بالباء والسائل نضر
بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك الآية او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء
سأله استهزاء او الرسول م استعجل بعذابهم وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على
لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان
ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب
ومضي الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الآخرة وهو عذاب النار للكافرين
صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على
هذا لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذي المعارج
ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون

في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها تعرج
الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف لبيان ارتفاع تلك
المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر
بخمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره
كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لا ان ما بين اسفل
العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء
الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك
وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل
في يوم متعلق بواقع او بسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته
على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرئيل
وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة وقرا الكسائي يعرج بالياء فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه
استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجر
او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل او بسيل لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت
الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا من الامكان ونراه قريبا منه او من
الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل
عن في يوم ان علق به والمهل المذاب من مهل كالفلزات او دردي الزيت وتكون الجبال
كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت
العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير
ولا يسأل على بناء المفعول اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسأل منه حاله يبصرونهم استيناف او
حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه
وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم يتمنى لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه
حال من احد الضميرين او استيناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي
باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب
يومئذ به لانه بمعنى تعذيب وقرا نافع والكسائي بفتح ميم يومئذ وفصيلته وعشيرته الذين
فصل عنهم التي تؤويه تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين
والخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع
للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو
خبر او بدل او القصة ولظى مبتدا خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول
عن اللظى بمعنى اللهب وقرا حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة
على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس تدعوا تجذب
وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه الريب مجاز عن جذبها واحضارها لمن فر عنها وقيل تدعو

تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة
وجمع فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا
شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير
السعة منوعا يبالغ في الامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل
الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين
بالصفات المذكورة بعده من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من
حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف
من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل
وقصر النظر عليها الذين هم على صلوتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم
حق معلوم كالزكوة والصدقات الموظفة للسائل للذي يسأل والمحروم الذي لا يسأل
فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه
ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون
خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن
عذاب الله وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون سبق تفسيره في سورة المؤمنين
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون حافظون وقرا ابن كثير
لامانتهم يعني لا يخفونها ولا ينكرونها ولا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرا يعقوب
وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلوتهم يحافظون فيراعون شرائطها
ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على
فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلات مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون
بثواب الله فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين
فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو فان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى
كان المشركون يحتفون حول رسول الله صلعم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع كل امرئ منهم
ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكونن فيها افضل حظا منهم كما في
الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انهم مخلوقون من نطفة
قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد
لدخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ في منازل
الكاملين او الاستدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا
مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل
خيرا منهم اي نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار وما
نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردناه فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون

من فراخ الطور يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب
منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرا ابن عامر وحفص بضم النون والصاد وقرئ
بفتح النون وسكون الصاد وقرئ نُصْب بالضم على انه تخفيف نُصُب خاشعة ابصارهم ترهقهم
ذلة من تقبيره ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلعم من قرا سورة سال سائل
اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية وآيها تسع وعشرون او ثمان وعشرون او ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان تكون
مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان ياتيهم
عذاب اليم عذاب الآخرة او الطوفان قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه
واطيعون مر في الشعراء نظيره وفي ان يحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو
ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الآخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم
بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه المقدر به
اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتاخير لو كنتم
تعلمون لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الحياة كانهم شاكون
في الموت قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا
عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما
دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في آذانهم سدوا مسامعهم عن استماع
الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الي من فرط كراهة دعوتي او
لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار
من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا
عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم مرة
بعد اخرى وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار
والجمع بينهما اغلظ من الافراد والتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعي
الدعاء او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا
فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكانهم لما امرهم بالعبادة
قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما
يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم
وتمادي اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة وعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على
الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم
جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب

والسحاب والمدرار كثير الدر ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات
البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه
فتكونوا على حال تاملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار او لا
تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة
وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اي تارات
اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم
عظاما ولحوما ثم انشاهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب
وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال الم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب
اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض
كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشاكم منها فاستعير الانبات
للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر
اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر
كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم
الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمين الفعل
معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا
خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا
لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد
ادت بهم الى الخسار وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون
على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا
كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على
اذى نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث
ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح
فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ود لكلب
وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرا نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا
ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام
كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل
المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله
ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرا ابو
عمرو مما خطاياهم اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب
لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه

لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من
دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار
او الدور اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا
عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين
عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش
وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى
يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبي صلعم من قرا سورة نوح كان من المؤمنين
تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحي على الاصل
وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب
عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها
وفيه دلالة على انه عم ما رآهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها
فاخبر الله به رسوله فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة
معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به
بالقرآن ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا
قرا ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان
لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا في
قوله وانه لما قام على انه استيناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان
ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا
اي عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت
والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة
ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن
ما نبههم على خطاء ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا
ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط
ما اشتط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا
اعتذار عن اتباعهم السفيه في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه
نوع من القول او الوصف لمحذوف اي قولا مكذوبا فيه ومن قرا ان لن تقوّل كيعقوب جعله مصدرا
لان التقوّل لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل

فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم
فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم
حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل غشيان الشيء وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها
الجن او بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما
من الموحى به ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء
او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها
ملئت حرسا حراسا اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا
جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية من الحرس
والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة للمقاعد فمن يستمع الآن
يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه من الاستماع بالرجم او ذوي شهاب
راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر اريد
بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون
الابرار ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق
ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق
قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض
كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض
ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن آمنا به فمن
يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمنين
واختصاصها بهم بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء بخس لانه لم يبخس
حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقرآن ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا
القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا
توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد
بكفار الانس وان لو استقاموا اي ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما
على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق
وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم
كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن
لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين بهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن يعرض عن ذكر ربه
موعظته او وحيه يسلكه ندخله وقرا غير الكوفيين بالنون عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب
ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا
فيها غيره ومن جعل ان مقدره باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض
كلها لانها جعلت للنبي مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي

عن السجود لغير الله وارابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي صلعم
وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه
يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا
من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة
وهو ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي لغة وقرئ
لبدا كسجد جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قال انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فليس ذلك
ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرا عاصم وحمزة قل على الامر للنبي ليوافق
ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه
وعن الاخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي
سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا او ملتجأ الا بلاغا من الله ورسالاته استثناء
من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من
ملتحدا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته
فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو اية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه
فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما
يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او
لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا
واقل عددا انا ام هم قل ان ادري ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية
تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه
كائن لا محالة ولكن لا ادري ما وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا
اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى يعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن
واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات
الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبياء
فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف
الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة اليه
بالوحي او ليعلم الله انهم ابلغوا الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة
من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي
عم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية واياتها تسع عشرة او عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ
به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي عم تهجينا

تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا له
اذ روي انه كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة فنزل وتشبيها له في تثاقله بالمتزمل
لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة
قم الليل اي قم الى الصلوة او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا
قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته
بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث
او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون
التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه
على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام
والتخيير بين قيام النصف والناقص منه والزائد عليه ورتل القران ترتيلا اقراه على تؤدة
وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا
سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القران فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين
سيما على الرسول اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه
بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه
او على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار
والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم
عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على الاوجه
الاخر مستانفة فان التهجد يعد للنفس ما به تعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي
تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشا من مكانه اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى نيها السرى
والصق منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشأ بالليل
اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشأت
اذا ابتدات هي اشد وطا اي كلفة او ثبات قدم وقرا ابو عمرو وابن عامر وطاء
اي مواطاة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا
واسد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا
تقلبا في مهماتك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ
سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم
ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله تتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة
وقراءة قران ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه
ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف
او مبتدا خبره لا اله الا هو وقرا ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل
من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليل فان من

النؤدة بفتح الهمزة وسكونها التأني قاموس

فان توحده بالالوهية يقتضي ان يوكل اليه الامور واصبر على ما يقولون من الخرافات
واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم وتكل امرهم الى الله كما قال وذرني
والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة
ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا ان لدينا انكالا ثقيلا
لا هو والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم
وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات
الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات
يبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة
غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله
يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا من معنى الفعل وكانت
الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من
هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة
بالاجابة والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى لم يعينه لان المقصود لم يتعلق
به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل
لا يستمرى لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر
يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض والتمثيل واصله ان
الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول السماء منفطر
منشق والتذكير على تاويل السقف او اضمار شيء به بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها
فضلا عن غيرها والباء للآلة كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل او اليوم على اضافة المصدر
الى المفعول ان هذه الآيات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
اي تقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء اقل بعدا منه وقرا ابن كثير والكوفيون ونصفه و[ثلثه]
بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك
والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا
عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن تحصوه اي لن تحصوا تقدير الاوقات
ولن تستطيعوا ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة
فيه فاقرؤوا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقراءة
كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ
بهذا ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤوا القرآن بعينه كيف ما تيسر عليكم علم ان سيكون
منكم مرضى استئناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه
وقال وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله والضرب في الارض ابتغاء

للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤوا ما تيسر منه
واقيموا الصلوة المفروضة وآتوا الزكاة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر
بسائر الانفاقات في سبيل الخير او باداء الزكاة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض
كما صرح به في قوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه
الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تأكيد او فصل لان افعل من
كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في
مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية الا آية وما جعلنا عدتهم الا فتنة مدنية وآيها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار روي انه عليه السلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت
عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي
ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل
هي اول سورة نزلت وقيل تاذى من قريش فتغطى بثوبه متفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد
بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي فانه كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة
وقرئ المدثر اي الذي دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر
مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روي
انه لما نزل كبر صلعم وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان لا يامر بذلك والفاء فيه وفيما بعده
لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن من شيء فكبر ربك او الدلالة على ان المقصود الاول من الامر
بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده
تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير واجب في الصلاة
محبوب في غيرها وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول
ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك عن الاخلاق الذميمة والافعال الدنيئة فيكون امرا
باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه
من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الشرك
وغيره من القبائح وقرا يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن تستكثر
ولا تعط مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا
خاصا به لقوله ثم المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله
بعبادتك مستكثرا اياها وعلى الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ
تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من منّ بكذا وتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب

على اضمار أن وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روي
احضر الوغى بالرفع ولربك ولوجهه او امره فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف
واذى المشركين فاذا نقر في الناقور نفخ في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت
واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه
عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير
على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ
خبره يوم عسير ويومئذ بدله او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير غير يسير
تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بتيسيره على المؤمنين ذرني ومن خلقت
وحيدا نزل في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه
او من التاء اي ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اي من خلقته
فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله به تهكما به او ارادة انه وحيد ولكن
في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان
له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر
لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية
لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة
وهشام ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش
والوحيد اي باستحقاق الرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيته وهو استبعاد لطمعه
اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال
كلا انه كان لآياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة
آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول الآية في نقصان ماله
حتى هلك سأرهقه صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه
عم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد
او بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا في القرآن وقدر في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر تعجيب
من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ
في الشجاعة مبلغا يحق بان يحسد ويدعو عليه حاسده وذلك روي انه مر بالنبي عم وهو يقرأ حم
السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان
عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبأ الوليد
فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام وناداهم فقال تزعمون
ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر
فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله
وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة

للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اي في امر القرآن مرة
بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى الرسول عم وقطب
في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول عم واستكبر عن اتباعه فقال
ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه
بها من غير تلبث وتفكر ان هذا الا قول البشر كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها
سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا وما ادراك ما سقر تفخيم لشأنها وقوله لا تبقي ولا تذر
بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى
تهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالي الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص
عليها تسعة عشر ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس
البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع
دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا
من العذاب تناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها
بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك وصنف او ان الساعات اربعة وعشرون خمسة منها
مصروفة في الصلاة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاه الزبانية
وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير
كيمين وايمن اي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين ولا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى
الخلق بأسا واشدهم غضبا لله روي ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش أيعجز كل عشرة
ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم
الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم
به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر
الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي
ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلعم وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم ويزداد
الذين آمنوا ايمانا بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمؤمنون اي في ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض المستيقن
حيثما عراه شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون
في المدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون في التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي شيء
اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب
كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين
ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد
الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم

وكيف واعتبار ونسبة وما هي وما سقر او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة
لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها والقمر والليل اذ ادبر اي اذ ادبر كقبل بمعنى
اقبل وقرا نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ ادبر على المضي والصبح اذا اسفر اضاء انها
لاحدى الكبر انها لاحدى البلايا الكبر اي البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى
على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع
والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى الكبر
انذارا او حال عما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه
او لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت
رهينة مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين
الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال
في جنات لا يكتنه وصفها وهي حال من اصحاب اليمين او ضميرهم في قوله يتساءلون عن المجرمين
اي يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اي دعوناه وقوله ما سلككم
في سقر بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤولين والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين
الصلاة الواجبة ولم نك نطعم المسكين ما يجب اعطاؤه وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم
الدين اخره لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيمة حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته
فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين اي معرضين عن
التذكير يعني القرآن او ما يعمه ومعرضين حال كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة شبههم في اعراضهم
ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اي اسد فعولة من القسر وهو القهر
بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرا وذلك انهم قالوا للنبي لن نتبعك
حتى تاتي كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان اتبع محمدا كلا ردع عن اقتراحهم الايات
بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن
اعراضهم انه تذكرة اي تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله
ذكرهم او مشيئتهم كقوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله وقرا نافع تذكرون
بالتاء وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان يغفر
لعباده سيما المتقين منهم عن النبي صلعم من قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من

صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية وآيها تسع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد شائع في كلامهم قال امرؤ القيس

لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وقد مر الكلام فيه في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم
وقرا قنبل لاقسم بغير الف بعد اللام وكذا روي عن البزي ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية
التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيمة على تقصيرها او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت
في الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روي انه صلعم قال ليس من
نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت
شرا قالت ليتني كنت قصرت او نفس آدم فانها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى
يوم القيمة لان المقصود من اقامتها مجازاتها ايحسب الانسان يعني الجنس واسناد الفعل
اليه لان فيهم من يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي ابن ربيعة سال رسول الله صلعم عن امر القيمة
فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام ان لن نجمع عظامه
بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوي بنانه
نجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان
نسوي بنانه الذي هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع
على نحن قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا
لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبل
من الزمان يسال ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا
من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرا نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع
من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اي انفتح وخسف القمر وذهب ضوؤه وقرئ على بناء
المفعول وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار
للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع
الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل
لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين المفر اي الفرار يقوله قول الآيس
من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجا مستعار من الجبل
واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه
استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبا الانسان يومئذ
بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة حسنة
او سيئة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله واخره بل الانسان
على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة
بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر
او جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك
به لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتاخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك
ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه واثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي فاذا قراناه

بل ان جبريل عليك فاتبع قرآنه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان
ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد
التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها
في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الايات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه
يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى
الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قراءته بالاقرار والتأمل فيه ثم ان علينا بيانه
امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل بل تحبون
العاجلة وتذرون الآخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بني آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان
الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين
بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله
بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة
انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى
بالى وقول الشاعر واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال فان الانتظار
لا يستعقب العطاء ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب
في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا
ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها من غير
ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من الرقية او قال
ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن
المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا المحبوبة والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا
يقدر تحريكهما او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة الى ربك يومئذ المساق سوقه اي الى الله
وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اي فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير
فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله
يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه
جمع خطوة
يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف
لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول
بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان
ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه
من حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي
قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة الم يك نطفة من مني يمنى وقرأ حفص بالياء ثم كان
علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال
آخر بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله أليس ذلك بقادر على ان

على ان يحيي الموتى وعن النبي صلعم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عم من قرأ سورة القيمة
شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا به

سورة الانسان مكية آيها احدى وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله أهل كقوله أهل رأونا
بسفح القاع ذي الاكم حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن
شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او
وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان من نطفة او آدم
بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وجمع
النطفة به لان المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام و
الخواص ولذلك يصير كل جزء منها مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء
الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة
الى تمام الخلقة نبتليه في موضع الحال اي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال
الى حال فاستعير له الابتلاء فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات
فهو كالمسبب عن الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه
السبيل اي بنصب الدلائل وانزال الآيات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما
للتفصيل او التقسيم اي هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه
وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف
الجواب ولعله لم يقل كفورا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران
غالبا وانما المأخوذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون واغلالا
بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع
وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة
ان الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد يشربون من كأس من خمر وهي في الاصل القدح
تكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة
يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به عينا
بدل من كافورا ان جعل اسم ماء او من محل من كأس على تقدير مضاف اي ماء عين او خمرها او نصب
على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعدها يشرب بها عباد الله اي ملتذا او ممزوجا بها وقيل
الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدأ منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤا
اجراء سهلا يوفون بالنذر استئناف ببيان ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه فاجيب بذلك
وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه كان اوفى
بما اوجبه الله عليه ويخافون يوما كان شره مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار

العرف الريح طيبة او منتنة واكثر
استعماله في الطيبة قاموس

الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي ويطعمون الطعام
على حبه حب الله او الطعام او الاطعام مسكينا ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه
صلعم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه
المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على
ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن
عائشة انها تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم
بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا انا نخاف
من ربنا فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافاة منكم يوما عذاب يوم عبوسا تعبس فيه
الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه
من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة فوقاهم
الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار
وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار
الاموال جنة بستانا ياكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس ان الحسن والحسين
مرضا فعادهما رسول الله صلعم في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة
رضي الله عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلث ان برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون
الخيبري ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوها بين ايديهم
ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا
الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل
بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك متكئين فيها على الارائك حال من هم
في جزاهم او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في
متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر وفي لغة
طي قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج
الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اي
وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع
على انها خبر ظلالها والجملة حال او صفة وذللت قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله او حال
من دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهل التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا ويطاف عليهم
بآنية من فضة واكواب واباريق بلا عرى كانت قوارير قوارير من فضة اي تكونت جامعة بين
صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قوارير من نون سلاسلا وابن كثير
الاولى لانها رأس الآية وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير قدروها تقديرا اي قدروها في
انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها
او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها

قدروها اي جعلوا اي قدرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشيء وقدرنيه فلان
اذا جعلك قادرا له ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت
العرب يستلذون الشراب الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة
مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به ان ينفي
عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب
منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون دائمون
اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع
بعضهم الى بعض واذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك
اينما وقع رأيت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه
مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكبر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه
بجلايا الملك وخفايا الملكوت فتستضيء بانوار قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر
واستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم او حسبتهم
او ملكا على تقدير مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ
ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب
وقرأ ابو عمرو وابن عامر بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ
واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا
اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة
والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوا بايديهم
حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا
يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا آخر يفوق
على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله عز وجل ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه
عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه
وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء على اعمالكم
والاشارة الى ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه غير مضيع انا نحن نزلنا عليك
القرآن تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به تعالى فاصبر
لحكم ربك بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم
الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان
والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك
يستدعي ان تكون المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور واذكر
اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول
وقتيهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم

اللذع بالذال المعجمة والعين المهملة هو الاحراق

الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة
من الليل ان هولاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوما ثقيلا
شديدا مستعار من الثقيل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم وشددنا
اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا
اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشاة الثانية ولذلك جي باذا او
بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة
او الايات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤن الا ان
يشاء الله وما تشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيتكم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
يشاؤن بالياء ان الله كان عليما بما يستاهل كل احد حكيما لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته يدخل
من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين
بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافا ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرى بالرفع على الابتداء
عن النبي صلعم من قرا سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا
اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال
ونشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين
الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة
بكل عرف الى محمد صلعم فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في
الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة
المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن
بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شي هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في
القلوب والالسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب
في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى
وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف
او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال عذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محى الاساءة
وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما
على الاولين بالعلية اي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحي
او ما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرا نذرا ابو عمرو وحمزة والكسائي
وحفص بالتخفيف انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجي القيمة
كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محقت او اذهب نورها واذا السماء فرجت صدعت واذا

الجبال نسفت كالحب ينسف بالمنسف واذا الرسل اقتت عين لها وقتها الذي يحضرون
فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرا
ابو عمرو وقتت على الاصل لاي يوم اجلت اي يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو
تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعول اقتت على انه بمعنى اعلمت ليوم الفصل
بيان ليوم التاجيل وما ادراك ما يوم الفصل ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين
اي بذلك وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك
للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرى نهلك
من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الآخرين اي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرى بالجزم عطفا على
نهلك فيكون الآخرين المتاخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك
الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل يومئذ للمكذبين بآيات الله وانبيائه فليس تكرارا وكذا
ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك
في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شايع في كلام العرب الم نخلقكم من ماء مهين نطفة قذرة
ذليلة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله
للولادة فقدرنا فقدرنا على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد
فنعم القادرون نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك وعلى الاعادة الم نجعل الارض
كفاتا كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع
كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار اقطارها احياء وامواتا
منتصبان به على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات
او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بجعل على المفعولية وكفاتا حال او الحال
فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسي شامخات
جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف ولم ير واسقيناكم ماء فراتا
بخلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا اي يقال لهم
انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على
الاخبار من امتثالهم للامر اضطرارا الى ظل يعني ظل دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلاث
شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلاث اما لان حجاب
النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المودي الى هذا العذاب هو القوة الواهمة
الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل شعبة تقف
فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل
ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة
كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرى بشرار وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرى كالقصر
بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج وكالقصر وهي اصل العنق والهاء

للشعب كأنه جمالات جمع جمال أو جمالة جمع جمل صفر فإن الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر
وقيل سود فإن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة والأول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة
والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات
بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه
ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون أي بما يستحق فإن النطق بما لا ينفع كلا نطق أو بشيء
من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم أي هذا الذي ذكر واقع
يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن ليدل على نفي الإذن والاعتذار عقيبه
مطلقا ولو جعله جوابا لدل على أن عدم اعتذارهم لعدم الإذن وأوهم ذلك أن لهم عذرا
لكن لم يؤذن لهم فيه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والأولين
تقرير وبيان للفصل فإن كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار
لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين إذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب إن المتقين في ظلال
لأنهم في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون في أنواع الترفه
كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون أي مقولا لهم ذلك إنا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة
ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا إنكم
مجرمون حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا
وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم المقيم ويل يومئذ للمكذبين
حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل وإذا قيل لهم اركعوا أطيعوا واخضعوا
أو صلوا أو اركعوا في الصلاة إذ روي أنه نزل حين أمر رسول الله صلعم ثقيفا بالصلاة فقالوا
لا نجبي فإنها مسبة وقيل هو يوم القيمة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون
واستدل به على أن الأمر للوجوب وأن الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فبأي
حديث بعده يؤمنون أي بعد القرآن إذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة
والمعاني الشريفة قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

سورة النبأ وهي أربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون أصله عن ما فحذف الألف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه
كأنه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم أو يسألون
الرسول والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم أي يدعونهم ويرونهم أو
للناس عن النبأ العظيم بيان للشأن المفخم أو صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل
عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه أو بالإقرار والإنكار
كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للإشعار
بأن الوعيد الثاني أشد وقيل الأول عند النزع والثاني في القيامة أو الأول للبعث والثاني

والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون ألم نجعل الأرض
مهادا والجبال أوتادا تذكير ببعض ما عاينوه من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا
بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا أي أنها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد
لينوم عليه وخلقناكم أزواجا ذكرا وأنثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الإحساس والحركة
استراحة للقوى الحيوانية وإزاحة لكلالها أو موتا لأنه أحد التوفيين ومنه المسبوت للميت وأصله
القطع أيضا وجعلنا الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته من أراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا
وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به أو حيوة تبعثون فيها عن نومكم وبنينا فوقكم
سبعا شدادا سبع سموات أقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الزمان وجعلنا سراجا وهاجا
متلألئا وقادا من وهجت النار إذا أضاءت أو بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد
الشمس وأنزلنا من المعصرات السحائب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر
كقولك أحصد الزرع إذا حان له أن يحصد ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض
أو من الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب أو الرياح ذوات الأعاصير وإنما جعلت مبدأ
الإنزال لأنها تنشئ السحاب وتدر أخلافه ويؤيده أنه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا
بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب
دماء الهدي وقرئ ثجاحا ومثاجح الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف
من التبن والحشيش وجنات ألفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف
وعيش مغدق أو لفيف كشريف أو لف جمع لفاء كخضراء وخضر وأخضار أو ملتفة بحذف الزوائد
إن يوم الفصل كان في علم الله أو في حكمه ميقاتا حدا يوقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حدا للخلائق
ينتهون إليه يوم ينفخ في الصور بدل أو بيان ليوم الفصل فتأتون أفواجا جماعات من القبور
إلى المحشر روي أنه عم سئل عنه فقال يحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم
على صورة الخنازير وبعضهم منكسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون
ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم
وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا
سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات وأهل السحت وأكلة الربا والجائرين
في الحكم والمعجبين بأعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والموذين جيرانهم والساعين
بالناس إلى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء
وشققت وقرأ الكوفيون بالتخفيف فكانت أبوابا فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل
أبواب أو فصارت ذات أبواب وسيرت الجبال أي في الهواء كالهباء فكانت سرابا
مثل سراب إذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت أجزائها وانبثاثها إن
جهنم كانت مرصادا موضع رصد ترصد فيه خزنة النار الكفار أو خزنة الجنة المؤمنين
ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فإنه الموضع الذي يضمر فيه الخيل أو مجدة في ترصد

مآبا

الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين
مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرأ حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة
وليس فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه
ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر وان كان
فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا
ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل
ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز ان
يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا
بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار
او النوم وبالغساق ما يغسق اي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر
ليتوافق رؤس الآي وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا بذلك جزاء
ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا
لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا باياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد
شايع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه
وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين
كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فكان بينهما مكاذبة او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة
المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا
وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه
وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط
او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن
نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات
للمبالغة وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع
فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض
وكواعب نساء فلكت ثديهن اترابا لدات وكاسا دهاقا ملآنا وادهق الحوض ملأه
لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرأ الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب
بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل
من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على
حسب اعمالهم وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما
بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء الرحمن بالجر صفة له في قراءة ابن عامر
وعاصم ويعقوب وبالرفع في قراءة ابي عمرو وقراءة حمزة والكسائي بجر رب ورفع الرحمن على انه
خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا

اي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا
يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين
هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى
الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او لا يتكلمون والروح ملك موكل على الارواح
او جنسها او جبريل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء
اتخذ الى ربه الى ثوابه مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الآخرة
وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان مبداه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه
ترى ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا
وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت
اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف
او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها
عن النبي صلعم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعة خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا
هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم
ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون ارواح المؤمنين
برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء
من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر
عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات او الاوليان لهم والباقيات
لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره
او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى
المغرب وتنشط من برج الى برج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها
في السير لكونه اسرع حركة فيدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت
العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة
سمي الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع
عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح
فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع
عن الشهوات فتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات
او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون

في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها
نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق
الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم تع بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه
يوم ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ
كالارض والجبال لقوله تع يوم ترجف الارض والجبال والواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي
النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية
والجملة في موقع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب
والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب
يقولون ائنا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم
رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله في عيشة
راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا
وهي حفرة ائذا كنا وقرا نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر عظاما نخرة ناخرة
بالية وقرا الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص وروح نخرة وهي ابلغ قالوا تلك اذا كرة
خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها
وهو استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها فما هي الا زجرة
واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا
امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من
قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة او لان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم
هل اتيك حديث موسى اليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك وتهددهم عليه بان
يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى قد مر بيانه في
سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما في النداء من معنى
القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرا الحجازيان
ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته فتخشى باداء الواجبات
وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا
فاراه الاية الكبرى اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان
المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالاية الواحدة فكذب وعصى
فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الاية وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة يسعى ساعيا في
ابطال امره او ادبر بعد ما راى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده
فنادى في المجمع بنفسه او بمناد فقال انا ربكم الاعلى اعلى كل من يلي امركم فاخذه الله نكال
الاخرة والاولى اخذا منكلا لمن راه او سمعه في الاخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق
او على كلمته الاخرى وهي هذه وكلمته الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما

فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى
لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف خلقها
فقال بنيها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها
الذاهب في العلو رفيعا فسويها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب
والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش
الليل اذا اظلم وانما اضاف اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها
كقوله والشمس وضحيها يريد به النهار والارض بعد ذلك دحيها بسطها ومهدها للسكنى
اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعيها ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة
عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارسيها اثبتها وقرئ والارض
والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيع
لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة الداهية التي تطم اي تعلو على سائر الدواهي الكبرى
التي هي اكبر الطامات وهي القيمة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى
الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه مدونا في صحيفته وكان قد
نسيه من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت
الجحيم واظهرت لمن يرى لكل راء بحيث لا تخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن راى ولمن
ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله اذا راتهم من مكان بعيد وانه خطاب للرسول اي لمن تراه من الكفار
وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما بعده من التفصيل فاما من طغى
حتى كفر واثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للاخرة بالعبادة وتهذيب النفس
فان الجحيم هي الماوى هي ماواه واللام فيه سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب الماوى
هو الطاغي وهي فصل او مبتدا واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدا والمعاد
ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة هي الماوى ليس لها سواها ماوى يسئلونك
عن الساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة
وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكريها في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم اي
ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استاثره الله
بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها مستانف معناه انت ذكر من ذكريها اي علامة من
اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب
الى ربك منتهيها اي منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت لانذار من يخاف هولها
وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي عمرو منذر بالتنوين والاعمال
على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا او في القبر الا عشية او ضحيها
اي عشية يوم او ضحاه كقوله تع الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم
واحد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والنازعات كان ممن حبسه الله تعالى في القبر

والقيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد
قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله
بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت وكان رسول الله صلعم يكرمه ويقول
اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وان
جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ آان بهمزتين وبالالف بينهما بمعنى الان
جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام الرسول بالقوم والدلالة
على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله
وما يدريك لعله يزكى اي واي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الاثام بما يتلقف منك وفيه
ايماء بان اعراضه عنه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير
في لعله للكافر اي انك طمعت في تزكيته بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما
يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل اما من استغنى فانت له تصدى
تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصّدى بالادغام وقرئ تُصدّى اي
تعرض وتدعى الى التصدي وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى
يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى
يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد
له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار
بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب
عليه او عن معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او للعتاب
المذكور وتأنيث الاول لتأنيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف
مكرمة عند الله مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين بايدي سفرة كتبة
من الملائكة او الانبياء ينسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون الوحي بين الله
ورسله او الامة جمع سافر من السفر والسفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا
كشفت عن وجهها كرام اعزاء على الله او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم
بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران
وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اي شيء خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا
من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره
فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقته ثم السبيل يسره
ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب
السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل

عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصود غيرها ولذلك عقبه بقوله ثم اماته
فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار في النعم لان الاماتة وصلة في الجملة الى
الحيوة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار
بان وقت النشور غير متعين في نفسه وانما هو موكول الى مشيئته كلا ردع للانسان عما هو عليه
لما يقض ما امره لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله باسره اذ لا يخلو احد من
تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا الماء
صبا استيناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل
الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد
الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر
قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به
الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب
وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيأ
للرعي او فاكهة يابسة تؤوب للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام
وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لا ينفعونه
او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه
بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي
يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفر الصبح ضاحكة مستبشرة بما ترى من النعيم
ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة تغشاها سواد وظلمة اولئك
هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة قال عم
من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة كورت تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه
لف او لف ضوؤها فذهب انبساطه في الافاق وزال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا
القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية
تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر او اظلمت
من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه الارض او في الجو واذا العشار
النوق اللواتي اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحائب عطلت
عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم
ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا

واذا البحار سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور
اذا ملاه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف واذا النفوس زوجت
قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين
بالشياطين واذا الموؤدة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق
او لحوق العار بهم من اجلهن سئلت باى ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى
بقوله تعالى لعيسى أانت قلت للناس وقرئ سألت اى خاصمت عن نفسها وقتلت على الاخبار
عنها وقتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت يعنى صحائف الاعمال فانها تطوى عند
الموت وتنشر عند الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وحمزة والكسائى بالتشديد للمبالغة فى النشر او لكثرة الصحف او شدة التطاير واذا
السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف
والكاف كثير واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر برواية
ابن ذكوان وحفص ورويس بالتشديد واذا الجنة ازلفت قربت بالمؤمنين علمت
نفس ما احضرت جواب اذا وانما صح والمذكور فى سياقها اثنتا عشرة خصلة ستة منها
فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة
النفوس على اعمالها ونفس فى معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا اقسم بالخنس بالكواكب
الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله
الجوار الكنس اى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه
وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال
عسعس الليل وسعسع اذا ادبر والصبح اذا تنفس اى اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم
انه اى القرآن لقول رسول كريم يعنى جبريل فانه قاله عن الله تعالى ذى قوة كقوله شديد القوى
عند ذى العرش مكين عند الله ذى مكانة مطاع فى ملائكته ثم امين على الوحى وثم
يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات
وما صاحبكم بمجنون كما بهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما السلام حيث
عد فضائل جبريل واقتصر على نفى الجنون عن النبى صلعم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفى قولهم انما يعلمه
بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد رآه ولقد رأى
رسول الله صلعم جبريل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد على الغيب على ما
يخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة
وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل اى لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من اصل حافة اللسان
وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرفى اللسان واصول الثنايا العليا
وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفى لقولهم انه لكهانة وسحر فاين
تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر الرسول والقرآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب

ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم بتحرى الحق
وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن الاستقامة
يا من يشاؤها الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم
رب العالمين مالك الخلق كله قال عم من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة انفطرت تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت
فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وقيل
انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من عمل او صدقة
واخرت من سنة او تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما
غرك بربك الكريم اى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار
فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم وتسوية الموالى والمعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا
انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك
كريم لا يعذب احدا او لا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته لا الانهماك
فى عصيانه اغترارا بكرمه الذى خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم
منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة
لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما يستعد لها من القوى وقرأ
الكوفيون فعدلك بالتخفيف اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك
وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات فى اى صورة ما شاء ركبك اى ركبك فى اى
صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة
على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله بل تكذبون بالدين
اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح
والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم
بيان لما يكتبون لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل
معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها فى القبور وما ادريك ما يوم الدين ثم ما
ادريك ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشأن اليوم اى كنه امره بحيث لا يدركه دراية دار يوم لا تملك نفس
لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على
البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف قال النبى صلعم من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء
حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف البخس فى الكيل والوزن لان

ما يبخس طفيف اي حقير روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث
خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا
فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا
بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم
لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم واذا كالوهم او وزنوهم اي اذا كالوا للناس
او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكموءا وعساقلا
بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل
تاكيدا للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ
والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في
نظائره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح
فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجب من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم ما يكون فيه يوم
يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب
العالمين لحكمه وفي هذا الانكار والتعجب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس
فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن
التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم
لفي سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم
اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب
الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير
ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك
الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد
متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة
اثيم منهمك في الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها
اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد
النقل كما لا تنفعه دلائل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيه حتى
صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول
الملكات كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه
والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام مع سكتة بينهما كلا ردع عن الكسب
الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله
تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب

او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون بها ثم يقال هذا الذي
كنتم به تكذبون تقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار
اشعارا بان التعقيب مقصود او ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي عليين
وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره يشهده المقربون يحضرونه
فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم على الارائك على الاسرة في
الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة
التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول نضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب
خالص مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته
او الذي له ختام اي مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع
وفي ذلك يعني الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم
علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا يشرب بها المقربون
فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على
المدح او الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا
يعني رؤساء قريش كانوا من الذين امنوا يضحكون كانوا يستهزءون بفقراء المؤمنين
واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم
انقلبوا فكهين متلذذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء
لضالون واذا راوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المؤمنين
حافظين يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين امنوا
من الكفار يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة
فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الارائك ينظرون
حال من يضحكون هل ثوب الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقرأ حمزة والكسائي
بادغام اللام في الثاء قال عم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة انشقت وهي ثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت بالغمام كقوله تع ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق
من المجرة واذنت لربها واستمعت له اي انقادت لتاثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد
المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له وحقت وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال
حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت بسطت بان تزال جبالها واكامها
والقت ما فيها ما في جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت في الخلو اقصى جهدها حتى
لم يبق شيء في باطنها واذنت لربها في الالقاء والتخلية وحقت للاذن وتكرير اذا لاستقلال
كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر في سورتي

المذكور والانفطار او يدل عليه قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اي جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان
انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله مسرورا الى عشيرته المؤمنين او
فريق المؤمنين او اهله في الجنة من الحور واما من اوتي كتابه وراء ظهره اي يؤتى كتابه بشماله
من وراء ظهره وقيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا يتمنى الثبور
ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان وابن عامر والكسائي يصلى كقوله
وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصله جهنم انه كان في اهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال
والجاه فارغا عن الآخرة انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه
كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في
افق المغرب بعد الغروب وعن ابي حنيفة انه البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة والليل
وما وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات
لو يجدن سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن
طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة
او مراتب من الشدة بعد المراتب وهي الموت ومواطن القيمة واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي
على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ
او الرسول على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء
بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او
حال من الضمير بمعنى مجاوزا الطبق او مجاوزين له فما لهم لا يؤمنون بيوم القيمة واذا قرئ عليهم
القرآن لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه عم قرأ واسجد واقترب فسجد
بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود فانه
ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول
الله يسجد فيها بل الذين كفروا يكذبون اي بالقرآن والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في
صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع
او ممنون به عليهم عن النبي عم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج وهي اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج يعني البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات
وتكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء
فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود
ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي
وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة كأنه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود
او النبي وامته او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق
مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او عرفة او الحجر الاسود
والحجيج او يوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود قيل انه جواب
القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كأنه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما
لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى
على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق وروي
مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه
فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك
من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس
الملك فابرأه فسأله الملك عمن ابرأه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على
الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا فذهب به
في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس
وتصلبني وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات
فآمن الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة
معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك
المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار فطرح فيها
من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق بالاخاديد من لم يرتد النار
بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام
في الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين
شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة
حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا وما انكروا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد
استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه
بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله الذي له ملك السموات
والارض والله على كل شيء شهيد للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات بلوهم بالاذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق
العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق
ما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري
من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه ان بطش ربك لشديد
مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ

البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المحب لمن اطاع
ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد
العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود وتام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة
لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره
هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه
والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل
ما اصابهم بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال
هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا اثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم والله من ورائهم
محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط بل هو قرآن مجيد بل هذا الذي كذبوا به كتاب
شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ
من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء
السابعة الذي فيه اللوح عن النبي صلعم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة يكون
في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق وهي سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق والكوكب البادي بالليل وهو في الاصل السالك للطريق واختص عرفا بالآتي
ليلا ثم استعمل للبادي فيه وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام
بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام
ثم فسره بما يخصه تفخيما لشانه ان كل نفس لما عليها حافظ اي ان الشأن كل نفس لعليها حافظ
رقيب فان هي المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها
بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر ان
كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الانسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملي على حافظه
الا ما يسره في عاقبته خلق من ماء دافق جواب الاستفهام وما دافق بمعنى ذي دفق
وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب
بين صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام صدرها ولو صح ان النطفة يتولد من فضل الهضم
الرابع وينفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف
بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع
الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب
وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه
لغة رابعة وهي صالب انه على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر
تتعرف وتميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه
فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات

ذات الرجع ترجع في كل دورة الى الموضع الذي تتحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي اوبا
لان الله يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا
يجوز ان يراد بالسماء السحاب والارض ذات الصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات او الشق
بالنبات والعيون انه ان القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل
فانه جد كله انهم يعني اهل مكة يكيدون كيدا في ابطاله واطفاء نوره واكيد كيدا واقابلهم
بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام
منهم او لا تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين
عن النبي صلعم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما
انهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم
ربك العظيم قال صلعم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا
يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى خلق
كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه والذي قدر اي قدر اجناس الاشياء
وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها وقرأ الكسائي قدر بالتخفيف
فهدى فوجهه الى افعاله طبعا او اختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال
الآيات والذي اخرج المرعى انبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء احوى
يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة خضرته سنقرئك على لسان جبرئيل
او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ مع انك امي ليكون ذلك آية اخرى
لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الآيات وقيل نهي والالف للفاصلة كقوله
السبيلا الا ما شاء الله نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روي انه صلعم
اسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب أبي انها نسخت فسأله فقال نسيتها او نفي النسيان رأسا فان القلة
تستعمل في النفي انه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك بالقراءة مع جبرئيل وما
دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء ونيسرك لليسرى ونعدلك
للطريقة اليسرى في حفظ الوحي والتدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك
عطفا على سنقرئك وانه يعلم اعتراض فذكر بعدما استتب لك الامر ان نفعت الذكرى لعل
هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرر التذكير وحصول اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليه
كقوله وما انت عليهم بجبار الآية او لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار بان
التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى سيذكر من يخشى سيتعظ
وينتفع بها من يخشى الله فانه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف والمتردد ويتجنبها

ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله في الكفر الذي
يصلى النار الكبرى نار جهنم فانه عم قال ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم او ما في الدرك
الاسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية
او تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلوة او ادى الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى
لقوله اقم الصلوة لذكرى ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحرم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه
كبره يوم العيد فصلى صلاته بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم في الاخرة والخطاب
للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعي في الدنيا اكثر في الجملة وقرأ ابو عمرو
بالياء والاخرة خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له ان هذا
لفي الصحف الاولى الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة
صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى قال عم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات
بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام

سورة الغاشية مكية وهي عشرون وست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيمة او النار من قوله
وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل
وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها او عملت ونصبت
في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله
وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى من عين انية بلغت اناها في الحر
ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه
الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما تتحاماه الابل
وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع والمقصود من الطعام احد الامرين
وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه
في جنة عالية علية المحل او القدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء
ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان
كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر
مرفوعة رفيعة السمك او القدر واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم
ونمارق مساند جمع نمرقة بالفتح او الضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي وبسط فاخرة
جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا
على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة
بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر
فصاعدا ليتأتى لها قطع البراري والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان

الايات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند
العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء كيف رفعت بلا عمد
والى الجبال كيف نصبت فهي راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا
وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى
انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على
البعث ولذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر
فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمتسلط
وقرأ هشام بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر لكن من تولى وكفر
فيعذبه الله العذاب الاكبر يعني عذاب الاخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط
وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الاخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي
فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على
التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال
من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم
في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي عم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله
حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهي ثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم بالصبح او فلقه كقوله والصبح اذا تنفس او بصلوته وليال عشر عشر ذي الحجة
ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر
بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر والاشياء كلها شفعها ووترها او
الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك
او البروج والسيارات او شفع الصلوات ووترها او يوم النحر وعرفة وقد روي مرفوعا او
بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين
او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ غير حمزة والكسائي والوتر بفتح الواو
وهما لغتان كالحبر والحبر والليل اذا يسر اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والتقييد بذلك
لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام
وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل
ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك
القسم او المقسم به قسم حلف او محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل
سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف
وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم
بن سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد على

على تقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهم عاد
الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد ذات البناء الرفيع او
القدود الطوال او الرفعة والثبات قيل كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات
شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في
بعض صحاري عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة
بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها التي لم
يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة
وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل كقوله تع وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد
وادي القرى وفرعون ذي الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا
او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم
منصوب او مرفوع فاكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب
ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه
مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما احل بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى
ما اعد لهم في الاخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذي
يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب
فاما الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد من الاخرة فلا يريد الا السعي
لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتليه ربه اختبره بالغنى واليسر فاكرمه ونعمه
بالجاه والمال فيقول ربي اكرمن فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدا الذي هو الانسان والفاء
لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمني
وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما الانسان
اذا ما ابتلاه اي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول ربي اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير
قد يؤدي الى كرامة الدارين اذ التوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك
ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه
كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرا ابن عامر والكوفيون اكرمن
واهانن بغير ياء في الوصل والوقف وعن ابي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرا ابن عامر فقدر
بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين اي بل فعلهم اسوء من قولهم وادل
على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين
فضلا عن غيرهم وقرا الكوفيون تحاضون وتاكلون التراث الميراث واصله وراث اكلا لما
ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان وياكلون انصباءهم
او ياكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص
وشهوة وقرا ابو عمرو وسهل ويعقوب لا يكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء كلا ردع لهم

عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك حتى
صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا وجاء ربك اي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره
مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم
ومراتبهم وجيء يومئذ بجهنم كقوله تع وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون
الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر
الانسان اي يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها وانى له الذكرى اي منفعة
الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة
يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي لحياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في
هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب
عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله تع اي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه
اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقراهما الكسائي ويعقوب
على بناء المفعول يا ايتها النفس المطمئنة على ارادة القول وهي التي اطمانت بذكر الله تع فان النفس
تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغني به عن
غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الامنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها
ارجعي الى ربك الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان
موجودة في عالم القدس او بالبعث راضية بما اوتيت مرضية عند الله تع فادخلي في عبادي
في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم او في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم فان الجواهر
القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي
اعدت لك عن النبي صلعم من قرا سورة الفجر في ليال عشر غفر له ومن قراها في سائر الايام كانت له نورا
يوم القيمة

سورة البلد مكية وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه وتع بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول عم
فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض
الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد
عطف على هذا البلد والوالد آدم وابراهيم وما ولد ذريته او محمد عم والتنكير للتعظيم وايثار ما
على من لمعنى التعجب كما في قوله تع والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد في تعب ومشقة
من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال في الشدائد مبدؤها ظلمة الرحم
ومضيقها ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عم مما كان يكابده من قريش والضمير في
ايحسب لبعضهم الذي كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابي الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت
قدميه اديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه او لكل احد منهم او للانسان ان لن يقدر
عليه احد فينتقم منه يقول اي في ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا

اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول ايحسب ان لم يره احد
حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله تع يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم
بين ذلك بقوله الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضميره وشفتين يستر بهما
فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين طريقي الخير والشر او الثديين
واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة فلم يشكر تلك الايادي باقتحام العقبة وهو الدخول
في امر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام في قوله وما
ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة
لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لفظ لا موقع لم في الماضي فانها لا تكاد
تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة
مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرا ابن كثير وابو عمرو
والكسائي فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض معناه
انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين امنوا عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد
الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا بالصبر
واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله تع وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات
رحمة الله تع اولئك اصحاب الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا باياتنا بما نصبناه دليلا
على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشأمة الشمال او الشوم ولتكرير ذكر المؤمنين
باسم الاشارة والكفار بالضمير شان لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب
اذا اطبقته واغلقته وقرا ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته عن النبي صلعم من قرا سورة
البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

سورة والشمس مكية وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحيها وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك
والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تليها تلا طلوعه طلوع الشمس
اول الشهر او غروبها ليلة البدر او تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جليها
جلى الشمس فانها تتجلى اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها
والليل اذا يغشيها يغشى الشمس فيغطي ضوءها او الافاق او الارض ولما كانت واوات
العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت
طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المقدمين ربط الواو لما بعدها
في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين
والسماء وما بنيها ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشيء القادر
الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله وا

والارض وما طحيها ونفس وما سويها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله
فالهمها فجورها وتقويها بقوله وما سويها الا ان يضمر فيها اسم الله تع للعلم به وتنكير نفس للتكثير
كما في قوله تع علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم ع م والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف
حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكيها انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف
اللام للطول كانه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود
الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم
الائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد
بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله
كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا ع م وقد خاب من دسيها نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق
واصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغويها بسبب طغيانها او بما اوعدت به
من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصل طغوى طغيا وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين
الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث حين قام ظرف لكذبت او طغوى اشقيها
اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن مالأه على قتل الناقة فانه افعل التفضيل اذا اضيف
صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله اي ذروا ناقة الله
واحذروا عقرها وسقيها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول العذاب
ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة
اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه فسويها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منهم صغير ولا كبير
او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقبيها اي عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقي
بعض الابقاء والواو للحال وقرا نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اي يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال
ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى
من كل نوع له توالد او آدم وحوا وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاشتات مختلفة
جمع شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من اعطى
الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى
فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام
واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها
فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام
انكار اذا تردى هلك تفعل من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى

للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله تع وعلى الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها لا يلزمها مقاسيا شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لا يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله الذي كذب وتولى اي كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصليها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق الذي يؤتي ماله فيصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد باتيانه مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات نزلت في ابي بكر رض حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل وامية بن خلف عن النبي عم من قرأ سورة والليل اعطاه الله تع حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى وقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه كلم موسى عم والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله تع ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روي ان الوحي تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تع لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعد له ما هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة او ولنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل على الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل وان تأخر ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك

ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك على جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي صلعم من قرأ سورة والضحى جعله الله تع فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الانشراح مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق وكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعدما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبريل اتى رسول الله صلعم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك وزرك عبئك الثقيل الذي انقض ظهرك الذي حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وافراطهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه مع ملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة فان مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله تع اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان مع العسر من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقارنين ان مع العسر يسرا تكرير للتأكيد او استئناف وعدة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عم لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد او للجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول فاذا فرغت عن التبليغ فانصب فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة او فاذا فرغت من الصلوة فانصب بالدعاء والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ثوابه عن النبي عم من قرأ سورة الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة والتين مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم

ودواء كثير النفع فإنه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد
والطحال ويسمن البدن وفي الحديث أنه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة
وإدام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع أنه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد
بهما جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون
أو مسجدا دمشق وبيت المقدس أو البلدان وطور سينين يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى
ربه عز وجل وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه وهذا البلد الأمين أي
الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين أو المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة لقد خلقنا
الإنسان يريد به الجنس في أحسن تقويم تعديل بأن خص بانتصاب القامة وحسن الصورة
واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه أسفل سافلين بأن جعلناه
من أهل النار أو إلى أسفل السافلين وهو النار وقيل هو أرذل العمر فيكون إلا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات منقطعا فلهم أجر غير ممنون لا ينقطع أو لا يمن به عليهم وهو على الأول
حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك فأي شيء يكذبك يا محمد دلالة أو نطقا بعد بالدين
بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للإنسان على الالتفات والمعنى فما
الذي يحملك على هذا الكذب أليس الله بأحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذي
فعل ذلك من الخلق والرد بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الإعادة
والجزاء على ما مر مرارا عن النبي صلعم من قرأ سورة والتين أعطاه الله تعالى العافية واليقين ما دام
حيا فإذا مات أعطاه من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة القلم مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك أي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه أو مستعينا به الذي خلق أي الذي له الخلق أو
الذي خلق كل شيء ثم أفرد ما هو أشرف وأظهر صنعا وتدبيرا وأدل على وجوب العبادة المقصودة
من القراءة فقال خلق الإنسان أو الذي خلق الإنسان فأبهم أولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة
على عجيب فطرته من علق جمعه لأن الإنسان في معنى الجمع ولما كان أول الواجبات معرفة الله تعالى
نزل أولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرأ تكرير للمبالغة أو الأول مطلق
والثاني للتبليغ أو في الصلاة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما أنا بقارئ فقيل له اقرأ
وربك الأكرم الزائد في الكرم على كل كريم فإنه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم
وحده على الحقيقة الذي علم بالقلم أي الخط بالقلم وقد قرئ به لتقييد به العلوم ويعلم به البعيد
علم الإنسان ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وإنزال الآيات فيعلمك القراءة وإن
لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه مبدأ أمر الإنسان ومنتهاه إظهارا لما أنعم عليه من أن نقله من
أخس المراتب إلى أعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لأكرميته وأشار أولا إلى ما يدل على معرفته
عقلا ثم نبه على ما يدل عليه سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى لطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام
عليه إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى أي رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لأنه

بمعنى علم ولذلك جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد إن إلى ربك الرجعى
الخطاب للإنسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى
أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى نزلت في أبي جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم
نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره
للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي أرأيت إن كان على الهدى أو أمر
بالتقوى أرأيت تكرير للأول وكذا الذي في قوله أرأيت إن كذب وتولى والشرطية
مفعوله الثاني وجواب الشرط الأول محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسم الأول
والمعنى أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه أو
آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده أو إن كان على التكذيب للحق والتولي
عن الصواب كما تقول ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله وقيل المعنى
أرأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما أعجب
من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فإنه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة
والآخر أخرى كأنه قال يا كافر أخبرني إن كان صلاته هدى ودعاؤه إلى الله تعالى أمرا بالتقوى
أتنهاه ولعله ذكر الأمر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لأن النهي كان عن الصلاة
والأمر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلاة لأنه دعوة بالفعل أو لأن نهي العبد إذا صلى يحتمل أن يكون
لها ولغيرها وعامة أحوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي
لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار والسفع القبض
على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولأسفعن وكتبته في المصحف بالألف
على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الإضافة للعلم بأن المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة
خاطئة بدل من الناصية وإنما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم
ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الإسناد المجازي للمبالغة فليدع ناديه أي
أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم روي أن أبا جهل مر برسول الله صلعم وهو
يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزلت
سندع الزبانية ليجروه إلى النار وهو في الأصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع
أو زبني على النسب وأصلها زباني والتاء معوضة عن الياء كلا ردع أيضا للناهي لا تطعه
واثبت أنت على طاعتك واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب إلى ربك وفي الحديث أقرب
ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد عن رسول الله صلعم من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله

سورة القدر مدنية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه بإضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن
التصريح كما عظمه بأن أسند إنزاله إليه وعظم الوقت الذي أنزل فيه بقوله وما أدراك ما ليلة

T.C.

القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدأ بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء
الدنيا على السفرة ثم كان جبرئيل ينزله على رسوله عم نجوما في ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه
في فضلها وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها ان يحيى
من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تع فيها يفرق كل امر حكيم
وذكر الالف للتكثير او لما روي انه عم ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فتعجب المؤمنون
وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن
ربهم بيان لما له فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين
من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام هي
ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تع فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام
لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرأ الكسائي
بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي صلعم من قرأ سورة القدر اعطي
من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة البينة مدنية وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله تع
ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع
الحق اذا جاءهم الرسول حتى تأتيهم البينة الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول
باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف
او مبتدأ يتلو صحفا مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف
كان كالتالي لها وقيل المراد جبرئيل عم وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا يأتي ما فيها وانها لا يمسها
الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد
ما جاءتهم البينة فيكون كقوله تع وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم
لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اي في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة و
يؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوه وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيمة او في الحال لملابستهم
ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه ولعله يختلف لتفاوت
كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمزة على الاصل ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا

في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا
بما تزداد لها نعيمها وتأكيد الخلود بالتأبيد رضي الله عنهم استيناف بما يكون لهم زيادة
على جزائهم ورضوا عنه لانه تع بلغهم اقصى امانيهم ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان
لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبي صلعم من قرأ سورة لم يكن كان
يوم القيمة مع خير البرية مسا ومقيلا

سورة الزلزلة مدنية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او
الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال الا
في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن او الاموات جمع ثقل
وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان
الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله
زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله تع فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث
او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث
فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا
واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم
من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ
بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك
قرئ يره بالضم وقرأ هشام باسكان الهاء ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران
في نقص العقاب والثواب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة
بالسعداء ومن الثانية بالاشقياء لقوله تع اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبي صلعم
من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة والعاديات مكية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه
بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة
فالموريات قدحا فالتي توري النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات
يغير اهلها على العدو صبحا في وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا
فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اي ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء
روي انه عم بعث خيلا فمضت شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية
اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر
لهن مبدأ انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه

لكنود لكفور من كند النعمة كنوداً او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم
وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على
كنوده لشهيد فيكون وعيداً وانه لحب الخير المال من قوله تع ان ترك خيراً لشديد لبخيل او لقوي
مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما في القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل
جمع محصلاً في الصحف او ميز ما في الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم
يومئذ وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال ما ثم
قال بهم لاختلاف شانهم في الحالين وقرئ وخبير بلا لام عن النبي عم من قرا سورة والعاديات
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات في المزدلفة وشهد جمعاً

سورة القارعة مكية وهي ثماني ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم يكون الناس
كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دل عليه
القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف لتفرق
اجزائها وتطايرها في الجو فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو
في عيشة راضية ذات رضى او مرضية واما من خفت موازينه بان لم تكن له حسنة
يعبا بها او ترجحت سيأته على حسناته فامه هاوية فمأواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك
قال وما ادريك ما هيه نار حامية ذات حمي عن النبي عم من قرا سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه
يوم القيمة

سورة التكاثر مكية وهي ثماني ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة
حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم
الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد
مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعدونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم
وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهيكم التكاثر بالاموال
والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي لاخراكم فيكون
زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع همه ومعظم
سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون خطاء رايكم اذا عاينتم ما وراءكم
وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وفي ثم دلالة على ان
الثاني ابلغ من الاول والاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين
اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم
ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جواباً لانه محقق الوقوع
بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيماً وقرا ابن عامر

ابن عامر والكسائي بضم التاء ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية
اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس
اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم اي الذي الهاكم
والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله تع
قل من حرم زينة الله التي كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسال عن شكره وقيل الاية مخصوصة بالكفار
عن النبي صلعم من قرا الهيكم التكاثر لم يحاسبه الله تع بالنعيم الذي انعم عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر
كانما قرا الف اية

سورة العصر مكية وهي ثلاث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض
بنفي ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الناس لفي خسران في مساعيهم وصرف
اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم
اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق
بالثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي او على الحق او ما
يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصوراً
على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعاراً
بان ما عدا ما عد يؤدي الى خسر ونقص حظ او تكرماً فان الابهام في جانب الخسران كرم عن النبي
صلعم من قرا سورة العصر غفر الله تع له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس
والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة
ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها
في الاخنس بن شريق فانه كان مغتاباً او في الوليد بن مغيرة واغتيابه لرسول الله صلعم الذي
جمع مالاً بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير
وعدده وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام
يحسب ان ماله اخلده تركه خالداً في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله عن الموت
او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للاخرة كلا
ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها
وما ادريك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها
الله تع وما اوقده لا يقدر غيره ان يطفئه التي تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل
عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما في البدن واشد تالماً او لانه محل العقائد الزائغة

وشتى الاعمال القبيحة انها عليهم مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصده في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول عم وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكأنه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تع وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فانها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول عم وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شأنها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الفيل اعفاه الله تع ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تع عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تأكل

ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف وابدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر لالاف بغير ياء بعد الهمزة فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسائرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن النبي صلعم من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه الله تع عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون مكية وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ارأيت استفهام معناه التعجب وقرئ اريت بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تعقيبها بحرف الاستفهام سهل امرها وارايتك بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأل من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي عم من قرأ سورة ارأيت غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه عم انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير ماؤه احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن فصل لربك فدم على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها والمرائي فيها شكرا لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فيبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف وعن النبي عم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد يوم النحر او يقربونه

سورة الكافرون مكية وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش
قالوا يا محمد تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل فان لا
لا يدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا يدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون
ما اعبد اي فيما يستقبل لانه في قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف
ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة
ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام
وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل
ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل انها مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان
لكم دينكم الذي انتم عليه لا تتركونه ولي دين الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا
منع عن الجهاد ليكون منسوخا باية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الاخر
على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعادة عن النبي صلعم من قرا سورة الكافرون
فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

سورة النصر مدنية وهي ثلث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين
وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من
الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده
مستعدا لشكره ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف
واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رايت بمعنى ابصرت او مفعول ثان
على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على
نعمه روي انه لما دخل مكة بدا بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة
يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام
واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره
وعنه عم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد
على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله
انه كان توابا لمن استغفر مذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعي
لرسول الله عم لانه لما قراها بكى العباس فقال عم ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما
تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله اليوم اكملت لكم دينكم
او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عم من قرا سورة
اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدي الى الهلاك يدا ابي لهب نفسه كقوله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عم لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم
فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخرته وانما
كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب
النار كانت الكنية اوفق لحاله ويجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب
وقرا ابن كثير باسكان الهاء لهب وتب اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله
جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه انه قرئ وقد تب او الاول
اخبار عما اكتسبت يداه والثاني عن عمل نفسه ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء المال عنه حين نزل به
التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب وما كسب وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح
والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام
وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ثلثا حتى انتن
ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب
اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى
بالضم مخففا ومشددا وامراته حمالة الحطب يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة
الرسول عم وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها
فتنثرها بالليل في طريق الرسول صلعم وقرا عاصم بالنصب على الشتم في جيدها حبل من مسد اي مما
مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة
التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشانها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة
من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من نار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل
مرتفع به عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مكية وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى
العائد لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سالتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد
صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل
الله على جميع صفات الاكرام اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم
احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة
المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه في قل يا ايها الكافرون ولا
يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشاقة الرسول او موادعته لهم وتبت معاتبة عمه
فلا يناسب ان تكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد
المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا

وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظة الله للاشعار
بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل
عليها لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه
ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله او
ليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد
اي ولم يكن احد يكافئه اي يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه لغو لكن لما كان
المقصود نفي المكافات عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا
او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلث بالعاطف لان المراد منها نفي اقسام الامثال
فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرا حمزة ويعقوب وخلف في رواية كفوا بالتخفيف وحفص
كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد
على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القران فان مقاصده محصورة في بيان العقائد
والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبي عم انه سمع رجلا
يقراها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مدنية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق الفلق ما يفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات
فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات
والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل
بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيمة والاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم
قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب هنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار
تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله
وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم ومن شر غاسق
ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلات دمعا وقيل
السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه اذا وقب دخل ظلامه
في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر
فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف ومن شر النفاثات في العقد ومن شر النفوس
او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه
لما روي ان يهوديا سحر النبي صلعم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض النبي عم ونزلت المعوذتان
واخبره جبريل عم بموضع السحر فارسل عليا فجاء به فقراهما عليه وكان كلما قرا اية انحلت عقدة
ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة
السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث

بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد
ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى
المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز
ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية
من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلث وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد
غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة عن النبي صلعم لقد
انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

سورة الناس مدنية وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام لما كانت الاستعاذة
في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من
الاضرار التي تعرض النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمة وخصصها بالناس ههنا فكانه قيل
اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم ملك الناس اله
الناس عطف بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة
على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم
اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل
وذات كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير ويتدرج
في وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم
الافة المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان من شر
الوسواس اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به
الموسوس سمي به مبالغة الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس
في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل في المقدمات
فاذا ال الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع
على الذم من الجنة والناس بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس في صدورهم من جهة الجنة
والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي
كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله تعالى يعم الثقلين عن النبي صلعم
من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى

الحمد لله على التوفيق بالتمام والصلوة والسلام على محمد واله وصحبه الكرام قد وقع
الفراغ من كتابته في اليوم الجمعة الثاني من ذي الحجة
سنة احدى وتسعين والف

489

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
١١٧٥ ... عبده

T.C.
1933